محركات قاتلة - الجزء الرابع

فيليب ريف

سهل مُظلم

A DARKLING PLAIN

ترجمة: هبة الله الجماع

الكنزي
ALKANZY

دار الكنزي للنشر والتوزيع



رئيس مجلس الإدارة
محمد صلاح شديد

المدير العام
إيناس الدسوقي

مدير الإنتاج
أحمد عبد الحليم

الكتاب : سهل مظلم (الجزء الرابع من سلسلة محركات قاتلة)
تأليف : فيليب ريف
تصنيف الكتاب : رواية
ترجمة: هبة الله الجمّاع
تصحيح : محمد عبد العال
إخراج : أحمد عبد الحليم
المقاس 14 × 20
رقم الإيداع : 3359 / 2022
الترقيم الدولي : 5 - 44 - 6901 - 977 - 978

+01062104822
Alkanzy.co@gmail.com
info@alkanzy.net

إهداء

إلى سارة (كالمعتاد)، كيرستي و هوللي (بالطبع)، ولكل من سام، توم، وإدوارد (أخيراً).

“آه، يا محبوبتي، لنكن مخلصين لبعضنا البعض من أجل العالم، الذي يمتد أمامنا

وكأنه أرض الأحلام...

متنوع جداً، جميل جداً، وجديد جداً

لكنه في حقيقته...

لا يحمل حباً ولا فرحاً

ولا نوراً

لا يحمل يقيناً ولا سلاماً

ولا نجدة من ألم.

وهانحن هنا لكأننا في سهل مظلم

تجتاحه إنذارات الفزع المضطربة بين كر و فر

حيث جحافل الجهل تشتبك في جنح الليل “

ماثيو أرنولد (1) - من قصيدة “شاطئ دوفر”

---

(1) - ماثيو أرنولد : شاعر وناقد وكاتب ومصلح تربوي إنجليزي (24 ديسمبر 1822 - 15 أبريل 1888).

“آه، يا محبوبتي، لنكن مخلصين لبعضنا البعض من أجل العالم، الذي يمتد أمامنا

وكأنه أرض الأحلام...

متنوع جداً، جميل جداً، وجديد جداً

لكنه في حقيقته...

لا يحمل حباً ولا فرحاً

ولا نوراً

لا يحمل يقيناً ولا سلاماً

ولا نجدة من ألم.

وهانحن هنا لكأننا في سهل مظلم

تجتاحه إنذارات الفزع المضطربة بين كر و فر

حيث جحافل الجهل تشتبك في جنح الليل “

ماثيو أرنولد (1) - من قصيدة “شاطئ دوفر”

---

(1) - ماثيو أرنولد : شاعر وناقد وكاتب ومصلح تربوي إنجليزي (24 ديسمبر 1822 - 15 أبريل 1888).

الجزء الأول

1. البعوض الضخم يعبر زاجوا

منذ مطلع الفجر، راح ثيو يتسلق، و يتسلق. في البداية أخذ يصعد عبر الطرق المنحدرة والممرات ومسارات الأغنام خلف المدينة، ثم شق طريقه عبر منحدرات الصخور الوعرة، ثم أخيراً نحو الأعلى على الجبل العاري، ليصل إلى الفجوات والشقوق حيث تتجمع الظلال الزرقاء.

كانت الشمس تتوج السماء حين بلغ ثيو القمة، وهناك توقف لبرهة ليشرب بعض الماء ويلتقط أنفاسه. ومن حوله كانت الجبال تتماوج خلف غشاوة من ضباب الحرارة المتصاعدة من الصخور الساخنة.

ثم و بعناية شديدة شق ثيو طريقه نحو نتوء بارز من قمة الجبل؛ وعلى كلا جانبيه امتدت المنحدرات الهائلة لآلاف الأقدام نحو الأسفل إلى حيث ركام من الصخور الحادة والأشجار و الأنهار البيضاء الصافية. و على مقربة منه سقط حجر ليهوى إلى ما لا نهاية عبر ذاك الارتفاع الشاهق. أما في الأعلى، كانت السماء ولا شيء سواها تحتضن الكون من فوقه.

وقف الفتى، وأخذ نفساً عميقاً، ثم انطلق يعدو عبر الياردات القليلة المتبقية إلى حيث حافة الصخرة البارزة، ثم قفز.

ومن ذاك الارتفاع، شق الفتى الهواء نحو الأسفل، يهوى من سقوط إلى سقوط، مأخوذاً بمنظر الجبال والسماء والوميض المتلألئ... كانت أصداء صرخته الأولى حين قفز قد تبددت تماما وبقي الصمت وحده يلف الأجواء من حوله، لا يقطعه سوى وجيب قلبه ونبضاته المتسارعة، وصفير الهواء المندفع عبر أذنيه.

راح ثيو يهبط مع الريح، وقد خرج من بين ظلال الصخور إلى حيث ضوء الشمس، وحين نظر لأسفل، لمحه هناك، عبر مسافة بعيدة، بعيدة... موطنه : " زاجوا"، المدينة الساكنة.

ومن ذلك الارتفاع الشاهق بدت له القباب النحاسية والمنازل الملونة وكأنها ألعاب أطفال؛ فيما راحت المناطيد تأتي وتغادر من ميناء المدينة، بينما النهر يتدفق متعرجاً

عبر مساره كخيط فضي طويل.

طفق ثيو يتطلع إلى كل شيء في مدينته بحب واعتزاز، إلى أن توارى مشهدها عن ناظريه خلف الجبال... لقد مرت عليه أوقات اعتقد فيها أنه لن يعود أبدا إلى "زاجوا"، فقد علموه في معسكر التدريب الخاص بالعاصفة الخضراء أن حبه لوطنه وأسرته ليس سوى ترف، وأن عليه أن ينسى كل هذا تماما إن أراد أن يكون له دوراً في الحرب لإعادة العالم أخضر من جديد.

لاحقاً، و بينما هو عبد أسير على متن تلك المدينة الطوافة " برايتون"، كان وطنه يراوده كثيراً في أحلامه، لكنه كان يظن أن أسرته ما عادت ترغب فيه ولن ترحب بعودته إليهم مرة ثانية، صحيح أنهم من مناهضي التحرك، لكنهم من الطراز القديم، وقد تصور أنه بفراره من بيته ومدينته وانضمامه لقوات "العاصفة الخضراء"، قد بات منبوذاً منهم إلى الأبد.

ومع ذلك، ها هو ذا قد عاد يحَلِّق من جديد بين أحضان تلال وطنه الإفريقية، حتى بدا له وكأن الوقت الذي قضاه بعيداً في الشمال لم يكن سوى حلم.

الفضل كله يعود لرين... هكذا راح يفكر بينما كان لا يزال يحلق نحو الأسفل... رين، تلك الفتاة الغريبة، الشجاعة، المرحة، التي التقاها في برايتون، زميلة العبودية هناك... "عد إلى وطنك، إلى أمك وأبيك"، هكذا قالت له حين فرا سوياً، "أسرتك لا تزال تحبك ولسوف يرحبون بعودتك إليهم، أنا واثقة من ذلك"، وقد كانت على حق.

مر طائر على حين غرة عن يسار ثيو ليخرجه من غمار أفكاره، مذكراً إياه أنه لا يزال محلقاً في الهواء فوق ركام من الصخور التي تبدو خطرة، وأنه يهبط نحو الأسفل بوتيرة متسارعة، فقام بفتح الأجنحة الكبيرة المثبتة إلى ظهره، مطلقاً صيحة ابتهاج وانتصار بينما الأجنحة تحمله من جديد نحو الأعلى، وتحول تأرجحه في الهواء إلى الأسفل، إلى رحلة طيران مثيرة عبر السماوات، وتلاشى صفير الرياح من حوله لتحل محله أصوات أخف : حفيف الأجنحة المصنوعة من حرير السليكون وصرير دعاماتها المصنوعة من الخيزران.

حين كان ثيو صغيرا، اعتاد أن يحمل طائرته تلك إلى هنا ليختبر شجاعته في مواجهة الرياح والحرارة، وكذلك كان العديد من فتية وشباب زاجوا يفعلون. ولكن،

منذ عودته من الشمال، قبل نحو ستة أشهر، كان كثيراً ما يتطلع بحسد نحو أجنحة أقرانه المتألقة إذ تحلق بين الجبال، لكنه لم يجرؤ على الانضمام إليهم كما كان يفعل في الأيام الخوالي... لقد غير الوقت الذي أمضاه بعيداً الكثير في داخله، وبات يشعر بأنه قد تقدم كثيرا في السن حتى بات أكبر من أقرانه، وكان الخجل يغمره كذلك، الخجل مما فعل ومما أمسى عليه : قائد أقداح متفجرة، و سجين، وعبد.

أما في هذا الصباح فقد كان جميع أقرانه من راكبي السحب يتجمعون عند القلعة لرؤية الأجانب، ولهذا استيقظ ثيو باكراً في حماسة وقد أيقن أن سماء اليوم ملكا له، وانطلق متلهفاً للطيران من جديد. وهكذا راح ثيو يحلق مع الريح كالصقر، متأملاً ظله السابح عبر الجبال المتوهجة بضوء الشمس، فيما كانت الصقور الحقيقية تقف في الهواء من تحته فاردة أجنحتها، ثم سرعان ما تحلق مبتعدة في سخط وهي تطلق صيحات حادة من وقع المفاجأة إذ انطلق بجناحيه الضخمين صوبهم بسرعة، ليجدوا أمامهم فتى أسود نحيل ذو أجنحة زرقاء بلون السماء يندفع كالسهم يغزو تجمعهم.

أخذ ثيو يدور في السماء، وفي تلك اللحظات تمنى لو تراه رين، لكن رين كانت بعيدة، تشق طريقها عبر مسارات الطيور على متن منطاد والدها.

حين تمكنوا من الفرار من "السحابة التاسعة" والقصر الطائر لعمدة برايتون، ووصلوا إلى المدينة المتحركة " كوم أمبو"، ساعدت رين ثيو في إيجاد مكان له على متن سفينة شحن طائرة متجهة جنوباً. وهناك، على رصيف الميناء، وقفا يودعان بعضهما بينما كان المنطاد يستعد للإقلاع، ثم إنه قَبَّلَها، وبرغم من أنه سبق له أن قَبَّل فتيات أخريات، بعضهن كن يفقنها جمالاً، إلا أن قُبلَة رين بقيت معه، تلوح في مخيلته، يستدعيها عقله في لحظات غير متوقعة، كهذه اللحظة...

إنه يتذكر الآن تلك القُبلَة وكيف جمدت رين في مكانها ثم راحت ترتجف وقد لفها الصمت التام، وارتسمت عليها ملامح الجد، وكأنها ترهف السمع لشيء ما لم يستطع هو سماعه. وللحظة، أراد بشدة أن يخبرها أنه يحبها وأن يطلب منها أن ترحل معه إلى موطنه، أو أن يبقى هو معها. لكن رين كانت قلقة للغاية على والدها بعد كل ما عاناه، كذلك كانت تغلي غضباً من أمها التي تخلت عنهما وسقطت مع " السحابة التاسعة" إلى حيث الصحراء... لهذا صمت ولم يبح لها بأي شيء، كي لا يشعر بأنه يستغل ظروفها الراهنة.

وهكذا مضى كل في طريقه، وكانت آخر ذكرياته عنها تلك النظرة، حين شرعت سفينته في الإقلاع نحو السماء، فيما وقفت رين تلوح له وقد راح حجمها يتقلص شيئا فشيئا مع ارتفاع السفينة واتساع المسافة بينهما، إلى أن تلاشت تماماً.

و مضت ستة أشهر، نصف عام!... لقد حان الوقت للتوقف عن التفكير في رين. وهكذا، ولبرهة توقف ثيو عن التفكير في أي شيء، وراح يلهو في الهواء ويحلق، ثم توجه نحو الغرب حيث تنتصب إحدى الجبال التي تحول بينه وبين زاجوا، جبل أخضر يكسوه الضباب والغيم.

نصف عام... لكم تغير العالم كثيرا خلال تلك الفترة، تغيرات فجائية، مزلزلة، كتلك التي تنتج عن تحرك الصفائح التكتونية في طبقات الأرض؛ وكأنما كل التوترات المتصاعدة طوال سنوات حرب العاصفة الخضراء قد انفجرت فجأة.

في البداية، رحلت المطارِد "فانج" و حل محلها الآن قائد جديد في "جيد باجودا"، هو الجنرال " ناجا" والذي اشتهر دوماً بكونه رجل صلب. وكانت أولى إنجازاته كقائد أنه تمكن من وقف تقدم تحالف مدن التحرك الألمانية "تراكشيون ستات" عند مستنقعات " راست ووتر" ثم جعلها تتقهقر، كذلك استطاع سحق المدن السلافية التي ظلت لسنوات تهدد الحدود الشمالية للعاصفة الخضراء.

ومع ذلك، وبرغم تلك النجاحات، قام الجنرال ناجا، في بادرة أثارت ذهول العالم، بسحب أساطيله الجوية وعقد هدنة مع المدن المتحركة. وراحت الشائعات تتردد عبر أراضي العاصفة الخضراء عن إطلاقه لسراح سجناء سياسيين وإلغائه للعديد من القوانين الجائرة، بل الأكثر من ذلك، دارت أقاويل بأن الجنرال ناجا يخطط لتفكيك العاصفة الخضراء وإعادة تأسيس عصبة مناهضة التحرك القديمة من جديد.

و مؤخرا، أرسل ناجا وفدا إلى زاجوا لإجراء محادثات مع ملكتها ومجلس الحكم، برئاسة زوجته، الليدي "ناجا".

وكان هذا ما شجع ثيو على الاستيقاظ في الفجر وإحضار طائرته القديمة والانطلاق إلى الأعلى فوق المدينة، فالمحادثات قد بدأت اليوم، وقد توجه أبوه وأمه وأخواته جميعا إلى حيث القلعة، علهم يتمكنون من إلقاء نظرة على هؤلاء الأجانب الوافدين إلى مدينتهم. كانوا جميعاً متحمسين مفعمين بالأمل، فقد انسحبت زاجوا

من عصبة المدن المناهضة للتحرك حين استولت العاصفة الخضراء على السلطة، رافضةً عقيدة العاصفة الداعية للحرب الشاملة وجيوشها من الجثث المتحركة. أما الآن - وفقا لما سمعه والد ثيو - فإن الجنرال ناجا يقترح إبرام سلام رسمي مع المدن الهمجية المتحركة، بل إنه ألمح كذلك باستعداده لتفكيك مطاردي " العاصفة الخضراء". ولو أنه فعل ذلك حقا فقد تتمكن زاجوا وباقي المدن الإفريقية الساكنة حينها من الانضمام من جديد إلى تحالف الدفاع عن المناطق الخضراء في العالم.

وقد حرص والد ثيو بشدة على اصطحاب زوجته وأبنائه إلى القلعة لحضور هذه اللحظة التاريخية، كما أراد أيضا أن يلقي نظرة على الليدي "ناجا" والتي سمع أنها صغيرة جدا وجميلة.

لكن ثيو كان قد رأى من العاصفة الخضراء كل ما يكفيه، كما أنه لم يكن يثق في أي مما قاله الجنرال ناجا أو مبعوثيه.

ولهذا، وفيما احتشد جميع سكان زاجوا في حدائق القلعة، انطلق هو ليحلق عالياً في الهواء تحت أشعة الشمس الذهبية، ويفكر في رين.

وبعد حين، لمح ثيو من تحته حركة، حيث لا ينبغي لأي شيء أن يتحرك سوى الطيور، لكنها كانت أكبر بكثير من أن تكون طيورا... كانت ترتفع من بين الضباب الأبيض فوق الغابة الجبلية .... منطادين صغيرين طليت أغلفتهما بالخطوط الصفراء والسوداء المميزة للدبابير. كان شكل المنطادين، بزورقيهما الصغيرين ومحركاتهما الانسيابية مألوفان لثيو الذي تعرف عليهما فوراً، إذ كان حفظ شكل سفن العدو من بين المهام التي تدرب عليها أثناء تواجده في معسكرات العاصفة الخضراء... إنها مركبات "البعوض الضخم" الخاصة بـ"كوسجروف" والتي تستخدمها مدن تحالف "تراكشيون ستات" الألمانية كقاذفات قنابل حربية.

ولكن... ما الذي تفعله تلك المركبات هنا؟، لم يسمع ثيو قط أن "تراكشيون ستات" قاموا بإرسال سفن لهم إلى إفريقيا، ناهيك عن إرسالها عبر كل تلك المسافة إلى الجنوب حيث زاجوا. ثم إنه راح يفكر... لقد جاءوا إلى هنا بسبب المحادثات الدائرة الآن، نعم لا بد أن هذا هو السبب، وتلك الصواريخ التي تلمع كالنصال في مواضع إطلاقها أسفل الزورقين لا بد وأنهم ينوون إطلاقها صوب القلعة، حيث تتواجد زوجة

ناجا والملكة.... وأسرته.

هنا قرر ثيو أن عليه أن يوقف تلك المركبات، وقد اندهش كثيراً إزاء ذلك الهدوء الذي اعتراه حيال الأمر. فمنذ لحظات قليلة كان ينعم بالسلام والسكينة مستمتعاً بنور الشمس والهواء النقي، ثم ها هو الآن، وفي لمح البصر، قد بات معرضا لخطر الموت، ومع ذلك لا يزال هادئاً ثابت الجنان وكأن ذلك الذي يواجهه هو أمر طبيعي وجزء عادي من الصباح، تماما كالرياح وأشعة الشمس.

عقد ثيو أمره، فمال بجناحيه وانطلق نحو ثاني المنطادين، و لم يكن أي من الملاحين قد رآه بعد؛ كان كل منطاد منهما يحمل رجلين، لكن ثيو قدَّر أنهم لم يكونوا يستطلعون الأجواء بتركيز كبير.

راح ثيو يقترب رويدا، رويدا، من المنطاد إلى أن بات بمقدوره رؤية الطلاء المتقشر على غطاء المحركات، بينما كانت مروحة التوجيه الكبيرة قد تم زخرفتها بشعار تحالف مدن "تراكشيون ستات" : القبضة المصفحة ذات العجلات. ولم يمنع ثيو نفسه من الإعجاب بشجاعة هؤلاء الملاحون الذين جرءوا على التحليق حتى ذلك العمق داخل إحدى مدن "مناهضة التحرك" وبتلك المركبات التي سيتم تمييزها لا محالة.

أرجع ثيو جناحيه إلى الوراء وتوقف في الجو، بتلك الطريقة التي تعلمها عندما كان لا يزال صغيرا حين كان يطير مع رفاقه في المدرسة فوق بحيرة " ليمبا". لكن هذه المرة لم يهبط إلى حيث الماء، ولكن إلى حيث الجزء العلوي المحدب من غلاف المنطاد، وقد أحدث هبوطه فوق الغلاف الصلب صوتا مدوياً، لكنه قال لنفسه أن الرجال داخل الزورق بالتأكيد لن يسمعوا أي شيء بسبب أصوات محركاتهم الكبيرة. ثم إنه خلع عنه أربطة طائرته وحاول أن يدسها أسفل الحبال الممتدة عبر سطح غلاف المركبة، لكن الرياح سبقته إليها، وأفلتت الطائرة من يده، لتلقي بها الريح بعيدا، وقد اضطر لتركها من يده كي لا يفلت هو نفسه ويسقط في الفراغ، فتشبث بالحبال وراح يرقب، في عجز، طائرته إذ تحلق بعيداً.

والآن، فقد ثيو وسيلته الوحيدة للهرب... وقبل حتى أن يتمكن من التفكير فيما سيفعل حيال ذلك، انفتحت فُرجة بجواره، ومنها أطل رأس أحد الملاحين معتمرا

خوذة جلدية، وراح يحملق في ثيو عبر نظارة الطيران التي يرتديها...

لقد سمعوه إذن! وهكذا، ما كان من ثيو إلا أن ألقى بنفسه صوب الملاح، لينقلب كلاهما عبر الفُرجة نحو الأسفل ويسقطا بقوة فوق الأرضية المعدنية بين اثنين من وحدات خلايا الغاز.

هب ثيو واقفا على قدميه بسرعة، فيما ظل الملاح راقدا على الأرضية بلا حراك، وهنا أدرك ثيو أنه ليس ملاحا، بل ملاحة، امرأة، من تايلاند أو لاوس كما يبدو من ملامحها؛ فازدادت دهشته، فهو لم يسمع قط عن شرقيين يقاتلون لحساب مدن " تراكشيون ستات"، ومع ذلك ها هي أمامه بالفعل، على متن إحدى مركبات تلك المدن، و ترتدي زيهم العسكري، تحلق عبر زاجوا بمركبة حربية مكتملة الصواريخ. إنه لغز بالفعل، لكن ثيو لم يكن يملك الوقت للتفكير في حل له. وهكذا انقض بسرعة على الملاحة وقام بتكميم فمها بوشاحها، ثم انتزع سكينها المثبت إلى حزامها وشرع يقطع به إحدى حبال الشبكة الممتدة حول خلايا الغاز واستخدمه في تقييد يديها إلى إفريز الممر.

و بينما كان ثيو يربط آخر عقدة في الحبل، أفاقت الملاحة، وشرعت تقاوم وتحدق في وجهه بغضب عبر نظارتها المكسورة من أثر السقوط. ثم إنه تركها تتلوى محاولةً التملص من قيدها، وهرع عبر الممر إلى حيث سلم آخر، فهبط عبره سريعا نحو الأسفل، فيما كان دوي المحركات يهدر من حوله ويغطي صوت الملاحة المقيدة إذ تزوم وتطلق اللعنات بصوت مكتوم.

بلغ ثيو أرضية الزورق، و كان ضوء النهار ينبعث قويا من النوافذ، فاضطر لإغماض عينيه لهنيهة من أثر الضوء، وعندما فتحهما ثانية وجد ملاحاً آخر يقف قبالة لوحة التحكم وظهره إليه.

"ما كان هذا؟" تساءل الملاح، وقد حسب أنه يحدث زميلته، بلغة الملاحة الدولية " إير سبيرانتو"، فتعاظمت دهشة ثيو، إنه يعرف أن تلك اللغة هي الشائعة بالفعل في عالم الملاحة الجوية، لكنه حسب أن "تراكشيون ستات" يستخدمون اللغة الألمانية...

"أهو طائر؟" تساءل الرجل وهو يفعل شيء ما على لوحة التحكم، ثم استدار. إنه شرقي هو الآخر.

فوجئ الرجل بأن الواقف وراءه ليس زميلته وإنما شخص غريب، لكن ثيو لم يمهله فرصة للتفكير وانقض عليه ودفعه نحو الحاجز ثم أشهر السكين التي في يده.

وفي الخارج، كانت المدينة تتبدى من وراء الجبال، فيما شرع طاقم المركبة الأخرى، قائدة الهجوم يوجهون دفتهم صوب القلعة، دون أن يدروا أي شيء عما حدث على متن المركبة الأخرى؛ ففي تلك اللحظة كان ثيو قد نجح بالفعل في التغلب على الملاح ثم إندفع نحو جهاز الإرسال، الذي كان مطابقاً لذلك الذي كان يستخدمه في مقصورة القيادة بمركبته أيام كان في صفوف العاصفة الخضراء.

راح ثيو يصرخ في الميكروفون : "زاجوا!، زاجوا! .. أنتم تتعرضون لهجوم، من مركبتين حربيتين. أنا على متن المركبة الثانية في الخلف!" وأخذ يردد التحذير بلهفة، ذلك حين بدأت كرات من النيران المضادة للطائرات تنفجر في السماء من حوله وتصطدم شظاياها بالزورق المدرع، بينما زجاج النوافذ يرتج بعنف.

ومن موضعه حيث كان قابعا، كان الملاح يراقب ما يحدث متحيناً الفرصة المناسبة للهجوم على ثيو، فما أن انفجرت كرات النار حتى اندفع صوب ثيو ونطحه برأسه بين ضلوعه بقوة أطاحت بالفتى وأسقطت الميكروفون من يده، فيما قبض الملاح على يده الأخرى التي تحمل السكين محاولاً انتزاعها منه، وراحا يتصارعان بضراوة.

وفجأة، تفجرت الدماء لتغرق كل شيء، فنظر ثيو ليكتشف أنها دماؤه هو!... لقد نجح الملاح في طعنه، وها هو يطعنه من جديد، فصرخ صرخة مفعمة بالغضب والخوف والألم محاولاً إبعاد النصل الحاد عنه، وهو يحدق في وجه خصمه الغاضب المتوتر، لدرجة أنه لم يلاحظ اختفاء المنطاد الآخر في كومة من لهب. وفي اللحظة التالية انفجر كل شيء وتهشمت جميع نوافذ الزورق دفعة واحدة، بينما حطام المركبة الأخرى يصطدم بعنف بغلاف المنطاد، واخترق أحد أذرع مروحة التوجيه المحطمة جسم الزورق يشقه كالمنجل. ومع قوة الانفجار الشنيع انفصل الجدار الجانبي للزورق مرة واحدة تاركا فجوة هائلة سحبت الملاح في لمح البصر ليهوى في الفضاء الخارجي، تاركا ثيو على الأرضية يحدق في الفراغ، لا يرى سوى صورة بقيت عالقة في بصره لعيني الرجل المتسعتين في ذهول وعدم تصديق لما يجري.

تحامل ثيو على نفسه وجاهد حتى بلغ الميكروفون المتدلي، فأمسك به ولم يكن يعرف ما إذا كان لا يزال يعمل أم لا، لكنه راح يصرخ به على أية حال مستغيثا، إلى أن خارت قواه تماما من فرط الإعياء والرعب ونزيف الدماء.

وكان آخر ما سمعه وهو يسقط أصوات تخبره أن الإغاثة في الطريق إليه.

ومن القلعة تصاعد عمودان من الدخان، من فوقهما كانت طائرات سلاح الجو لزاجوا تحلق عالياً إلى حيث السماء المتوهجة.

***

2. أمور عاطفية

الراسل : رين ناتسوورثي

من على متن المركبة "جيني هانيفر"

مدينة "بيريباتشيابوليس"

الرابع والعشرون من أبريل من العام 1026 من حقبة التحرك.

عزيزي ثيو،

أتمنى ألا تكون الحياة في "زاجوا" شديدة الملل، أهي كذلك؟. إن كانت كذلك فعلاً فإليك خطابي هذا، فقد رأيت أن علي أن أكتب إليك خطاباً أخبرك فيه بأحوالي...

في الحقيقة، يصعب علي تصديق أنه قد مضى وقت طويل على كل الأحداث التي مررنا بها، إنها تبدو لي وكأنها وقعت بالأمس فقط... برايتون و "السحابة التاسعة" و أمي و....

عقب فترة وجيزة من رحيلك إلى زاجوا غادر البروفيسور "بيني رويال" هو الآخر، فقد قال أن له أصدقاء في مدن أخرى وأنه ذاهب ليمكث عند بعضهم... أو ربما لاستنزافهم مادياً على ما أحسب، فالرجل لم يخرج من حطام "السحابة التاسعة" بأي شيء فيما عدا ثيابه، التي كانت من الغرابة بحيث لم تجلب له من بيعها في سوق "كوم أمبو" سوى القليل من المال.

لكم شعرت بالأسف تجاهه، فهو - رغم كل شيء - مد لنا يد العون، فقد ساعدنا على الوصول إلى كوم أمبو، وبمجرد وصولنا، هرع يستصرخ الأطباء في المستشفى إلى أن جاءوا وقدموا العناية الطبية اللازمة لأبي دون مقابل.

على أية حال أظن أنه سيكون بخير - أعني بيني رويال - فهو يجيد تدبير أموره جيدا، وقد أخبرني قبل رحيله أنه سيقوم بتأليف كتاب جديد حول المعركة التي دارت في برايتون وما جرى بها، وقد وعدني أنه لن يورد به أكاذيب، خاصة فيما يتعلق بك أو بي، لكني أتوقع أن ذلك الوعد لن يختلف كثيراً عن كل وعوده التي قطعها، وأنه حتماً سينساه تماما بمجرد أن يجلس إلى آلته الكاتبة.

أبي صار بخير هو الآخر، وقد أعطاه أطباء كوم أمبو أقراصاً طبية خضراء ساعدته على التغلب على الألم قليلاً، كما أنه لم يتعرض لأي نوبات قلبية منذ تلك الليلة المريعة على "السحابة التاسعة".

ومع ذلك فإن ما حدث قد ترك أثرا لا ينمحي في أبي، فقد غزت علامات الكِبَر وجهه بشكل مريع، وكذلك الحزن، لقد أمسى حزيناً لدرجة رهيبة، والسبب أمي بالطبع. لقد أحبها حقاً، برغم شكلها القبيح، والآن فقدها وبات عليه أن يمضي في حياته دون وجودها إلى جواره، بل ودون حتى أن يعرف ما إذا كانت حية أم ميتة، الأمر الذي يعذبه ويدمي قلبه بشدة، لكنه يحاول أن يبدو شجاعاً متماسكاً.

كنت أحسب أن أبي سوف يعود بنا إلى الوطن، أنكوراج في فينلاند، بمجرد أن يصير على ما يرام، لكنه لم يفعل، بل حتى لم يقترح ذلك؛ وهكذا ومنذ ذلك الحين ونحن نُحَلِّق عبر مسارات الطيور، نجوب عبر أرجاء العالم ونقوم بتجارة بعض الأشياء كالتحف وأجزاء التقنيات القديمة، غير الضارة بالطبع مثل " كتاب الصفيح" الرهيب. وقد حققنا مكاسب لا بأس بها أبدا، حتى أننا تمكنا من إعادة طلاء المنطاد وإصلاح محركاته. كما قمنا كذلك بإعادة اسمه القديم : " جيني هانيفر"؛ كان هذا اسمه قبل أن يسرقه بروفيسور " بيني رويال" من أمي وأبي قبل سنوات بعيدة. في البداية، كنت وأبي في حيرة من أمرنا بصدد إعادة ذلك الاسم القديم وما إذا كان هذا قد يشكل خطرا علينا، لكني، وبعد تفكير، وجدت أنه من الصعب أن يكون ثمة من يتذكر ذلك الاسم حتى الآن أو أنه كان يطلق على المنطاد العتيق للمطارِد" فانج"، وحتى إذا تذكره أحد فلن يكترث للأمر كثيراً.

هل سمعت بأمر الهدنة؟، لطالما كنت أرى الجنرال "ناجا" شخصا جيدا، هل تذكر حين تم أسرنا من قِبَل قوات العاصفة الخضراء ؟ كان الجنود ينكزوني بأسلحتهم ليجبروني على التحرك، إلى أن رآهم ناجا فنهاهم عن ذلك.

إنه أمر جيد حقاً أن نرى القائد الجديد للعاصفة الخضراء يتخذ مثل تلك الخطوة الحاسمة. على أية حال، الجميع متحمس جدا لتلك الهدنة ويأملون أن تنتهي الحرب، وكذلك أنا.

لقد اعتدتُ على الحياة كتاجر جوي، ولو أنك رأيتني الآن لوجدتني قد تغيرتُ

كثيراً. فقد قمتُ بقص شعري وفقاً لأحدث صيحة بحيث ينسدل إلى مستوى الذقن من أحد جانبي الوجه وإلى مستوى الأذن فقط من الجانب الآخر، كذلك قمتُ بشراء أحذية جديدة ذات رقبة عالية، ومعطف جلدي، لكنه ليس كتلك المعاطف الطويلة التي كان يرتديها أبواي والملاحون من الطراز القديم، وإنما هو أقرب إلى سترة ذات بطانة حريرية حمراء وأطراف مدببة عند الذيل، من ذلك الطراز المسمى طيات أو شيء من هذا القبيل.

والآن، في هذه اللحظة التي أكتب إليك فيها هذا الخطاب، أجلس في مقهى خلف المرفأ الجوي هنا في " بيريباتشيابوليس" وقد إنغمستُ في حياة الملاحين الجويين بكل كياني، وها أنا ذا أستمتع بكوني على متن إحدى المدن المتحركة.... كفتاة نشأت في مدينة ساكنة عجوز كأنكوراج، لم يكن بوسعي قط تخيل شكل المدن الحقيقية، أما الآن وبعدما صرت أقضي نصف أوقاتي على متنها، بتُ أحب تلك المدن كثيراً، بأناسها وصخبها وهدير محركاتها التي تجعل كل شيء فيها ينبض ويهتز حتى ألواحها وأرصفتها، وكأن تلك المدن، مثل " بيريباتشيابوليس"، عبارة عن حيوان هائل مفعم بالحياة.

أنا الآن أجلس في انتظار أبي، حيث توجه للطبقات الأعلى ليرى ما إذا كان الأطباء هنا يمكنهم أن يصفوا له أقراصاً دوائية أفضل من تلك التي وصفها له أطباء كوم أمبو - هو لم يكن راغب في الذهاب، بالطبع، لكني أقنعته في النهاية - فيما مكثت أنا هنا أنتظره، وأفكر فيك كما أفعل كثيرا، وقد فكرت أن....

لن ينجح الأمر!... هكذا قالت رين في قرارتها، ثم مزقت الرسالة وألقت بها في سلة مهملات قريبة.

إنه الخطاب الثاني عشر الذي تكتبه لثيو، لكنها لم ترسل أي منهم، فقط أرسلت إليه بطاقة معايدة في عيد الميلاد " الكريسماس"، فعلى الرغم من أن ثيو لم يكن متديناً، إلا أنه يحيا في مدينة مسيحية وربما يشارك في كل أعيادهم القديمة الغريبة. وحتى في تلك البطاقة لم تكتب سوى : كريسماس سعيد، وبضعة أسطر مقتضبة عن أخبارها وأخبار والدها.

كانت رين تخشى أن يكون ثيو ربما قد نسيها الآن، وحتى وإن كان لا زال يتذكرها

فهذا لا يعني بالضرورة أن يكون مهتماً بمعرفة أي شيء عن ثيابها أو قَصّة شعرها أو أي شيء يتعلق بها. ناهيك عن أنه، كواحد من مناهضي التحرك ومن أكثرهم تشبثاً بأفكاره، قد يصدمه إعجابها بحياة المدن المتحركة...

لكنها لم تستطع نسيانه أبدا، وكيف لها أن تنسى شجاعته على متن "السحابة التاسعة" و قُبلة الوداع التي تبادلاها على رصيف مرفأ كوم أمبو وسط الحبال والقطارات المعلقة المكدسة وصراخ عمال الشحن وهدير المحركات. إنها لم تتبادل القبلات مع أي شخص من قبل، ولم تكن تدري شيئا عن تلك اللحظة ولا كيف تجري الأمور بها : أين يجب أن يكون اتجاه أنفها، وكيف يكون التقاء أسنانهما معا.... كانت تخشى أن تكون قد أفسدت اللحظة بعدم درايتها بأي من ذلك. حينها ضحك ثيو وقال إن ما فعلاه كان مضحك جدا، أما هي فقالت أنها ربما تصير جيدة في التقبيل مع مزيد من التدريب، لكن أوان الوداع كان قد حان، وراح قائد المنطاد يصيح منادياً : "ليتوجه الجميع إلى متن المنطاد" وشرع في فك حبال ومشابك الإرساء، وهكذا انتهت لحظاتهما معا...

ومضت ستة أشهر منذ ذلك الحين، خلال تلك الفترة كتب إليها ثيو مرة واحدة فقط، رسالة تسلمتها في يناير من إحدى القوافل الجوية بمنطقة "تانهاوسرز"، يخبرها فيها أنه قد عاد أخيراً إلى موطنه بأمان، وأن أسرته استقبلته بحفاوة باعتباره "الابن الضال" - مهما كان ذلك يعني - الذي عاد إليهم.

لكن رين لم تستطع أبدا صياغة رد مناسب لرسالته. "يا له من أمر مزعج" هكذا رددت رين في ضيق، ثم طلبت كوب آخر من القهوة.

لكم واجه "توم ناتسوورثي" الموت مراراً، و لكم خاض كل أنواع الأخطار ووجد نفسه في قلب مواقف مرعبة، لكنه أبدا لم يشعر بمثل هذا الخوف الذي يجمد الدم في العروق مثلما يشعر به الآن، حيث استلقى، عارياً، على منضدة معدنية باردة في غرفة الفحص الطبي لدى أحد أخصائيو أمراض القلب على متن الطبقة الثانية بمدينة "بيريباتشيابوليس"، ومن فوقه تدلت آلة ذات عنق هيدروليكي طويل متعدد الوصلات، وقد راح رأس الآلة العملاقة يتحرك من فوقه من جانب إلى آخر، يفحص كل جزء فيه بدقة.

كان توم على يقين من أن تلك العدسات الخضراء المتوهجة في نهاية كل طرف من أطراف الآلة مأخوذة من رءوس مُطارِدين، وقد بات الحصول على تلك الأجزاء سهلاً هذه الأيام؛ وقد شعر بالسعادة أن كل تلك السنوات الطوال من الحروب قد خلّفَت على الأقل بعض الأشياء الإيجابية : تقنيات طبية حديثة وأجهزة فحص كهذه.

ولكن ما أن انخفض الرأس المعدني بالقرب من جذعه، وتناهى إلى مسامعه صرير الآلة والأزيز المنبعث من عدساتها اللامعة، حتى تلاشت من باله كل تلك الأفكار، وحلت محلها صورة المطارِد "جريك" الذي كان يطارده هو وهيستير في الأرض العراء في تلك السنة التي ماتت فيها مدينته "لندن".

وأخيراً انتهى الفحص وأطفأ دكتور " تشير نويث" الجهاز وخرج من كابينته ذات الجدران المبطنة بالرصاص.

وفي مكتبه أخبر الطبيب توم بما كان يتوقعه بالفعل : ضعف في عضلة القلب. كان هذا بسبب الرصاصة التي أطلقها عليه "بيني رويال" منذ سنوات بعيدة في أنكوراج يوم سرق منه منطاده "جيني هانيفر". والآن، يبدو أن حالته تزداد سوءا لدرجة أنها ستتسبب في موته يوما ما، ربما لم يعد يتبق له سوى عام أو اثنين، خمسة على أفضل تقدير، ليس أكثر.

زم الطبيب شفتيه وهز رأسه، ثم قال لتوم أن عليه أن يلتزم الراحة وألا يبذل مجهوداً. إلا أن توم ضحك!، إذ كيف يمكن لشخص يمتهن التجارة الجوية ويقضي أوقاته في السفر والترحال، أن يحظى براحة ولا يبذل جهدا؟!. السبيل الوحيد ليرتاح هو أن يعود إلى منزله في أنكوراج، ولكن، وبعد كل ما عرفه عن هيستير وأفاعيلها، ما عاد ذلك الخيار متاحاً... صحيح أنه، عن نفسه، لم يكن لديه ما يخجل منه، ولم يرتكب أي فعل يجعله يشعر بالعار، فهو لم يخن المدينة الجليدية ولم يبعها لصيادي " أركانجيل"، ولم يقتل مخلوقاً في شوارعها، لكنه كان يشعر بالخجل والعار بسبب ما فعلته زوجته، وحماقته التي جعلته يحيا معها كل تلك السنوات دون أن يشك ولو للحظة واحدة في الأكاذيب التي قالتها له.

و على أية حال، رين لن تسامحه أبدا لو أنه أصر على العودة إلى أنكوراج الآن، فقد كانت تتوق دوماً لخوض المغامرات، تماما مثلما كان هو في مثل عمرها، وها هي

الآن تستمتع بحياتها الجديدة في الأعالي عبر مسارات الطيور، كما أنها تحرز تقدما كبيرا كملاحة جوية، فلا يمكن له الآن أن يحرمها من هذا كله.

وهكذا عقد توم أمره، سوف يبقى مع ابنته يحلق في الأجواء ويمارس التجارة، و يعلمها كافة المهارات اللازمة للملاحة الجوية ويعرفها على دروب السماء، باذلاً كل جهد ليبقيها بعيدا عن المشاكل. و إلى أن يحين أجله وتأتيه "سيدة الموت" لتصحبه إلى "الأرض التي لا تشرق عليها الشمس"، يكون قد ترك لرين منطاد ال"جيني هانيفر" والحرية لاختيار نوع الحياة التي ترغب أن تحياها : حياة السلام والاستقرار في فينلاند، أم حياة الحرية عبر السماوات.

علاوة على ذلك، فقد كانت الأنباء الواردة من الشرق تبعث على الأمل، ولو صدقت تلك الأنباء وعقدت الهدنة بالفعل، فسوف تنفتح كافة أشكال وفرص التجارة أمامهما.

ما أن غادر توم مكتب دكتور "تشير نويث" وخرج إلى الشارع، حتى شعر بتحسن مفاجئ، وتحت سماء المساء غمره شعور عجيب بأنه من المستحيل أن يموت.

اهتزت ألواح المدينة برفق حيث كانت تتخذ سبيلها باتجاه الشمال عبر الساحل الغربي الصخري لـ"أرض الصيد العظمى". وعلى ضفاف البحر الفضي المتلألئة مياهه تحت أشعة شمس الغروب، كانت بلدة صيد تتخذ سبيلها هي الأخرى، تحت سحابة من طيور النورس. ومن على إحدى منصات المتابعة وقف توم يطالع المشهد لبرهة من الوقت، ثم توجه نحو المصعد واستقله عائدا إلى الطبقة الأساسية للمدينة، ثم مضى يتجول قليلاً عبر السوق المزدحم خلف الميناء الجوي، مسترجعاً ذكرياته عن زيارته الأولى لهذه المدينة، مع "هيستير" و "آنا فانج"، منذ عشرين عام. يومها ابتاع لهيستير وشاحاً أحمر من أحد تلك الأكشاك لتخفي به وجهها المشوه بدلاً من اضطرارها لتغطيته بيدها.... ثم إنه سرعان ما نفض تلك الذكرى عن مخيلته، هو لا يريد التفكير في هيستير، ففي كل مرة يتذكر عنها أي شيء ينتهي به الأمر والألم يعتصر قلبه حزنا لذكرى الطريقة المريرة التي افترقا بها، لهذا بات يحاول تجنب مجرد التفكير بها أو استدعاء أي ذكرى تخصها.

ثم إنه شرع يسير نحو المرفأ، وطفق يكرر على نفسه ما سيقوله لرين عن زيارته للطبيب وما دار هناك : لا يوجد ما يستدعي القلق، بل حتى لا يوجد داع لأي تدخل

طبي. هكذا راح يُذكِّر نفسه بما سيردده على مسامع ابنته. وبينما كان يمر من أمام إحدى صالات مزادات التقنيات القديمة في منطقة "بوندي شيري"، توقف للحظة مفسحاً الطريق لمجموعة من التجار، و حينها خُيل إليه أنه يعرف امرأة من بين هؤلاء التجار، امرأة في نفس عمره تقريباً، جميلة نوعاً، وقد بدا أنها نجحت في اقتناص المزاد، إذ كانت تحمل في يديها صندوق كبير وثقيل.

لم تلحظ المرأة توم بينما راح هو يفتش في ذاكرته محاولاً تذكر اسمها وأين رآها من قبل... كاتي؟ أكان هذا اسمها؟... لا.. بل "كليتي".. نعم، هو كذلك، "كليتي بوتس".

توقف توم من جديد واستدار نحوها وراح يتطلع باتجاهها. لا! لا يمكن أن تكون هي "كليتي"!...

كانت "كليتي بوتس" مؤرخة تسبقه بعام في عصبة المؤرخين، ذلك حين دُمِرَت لندن، ولقيت الفتاة مصرعها مع بقية أهل مدينته، بسبب الـ"ميدوسا"، وبالتالي لا يمكن أن تكون هي ذاتها المرأة التي رآها الآن، هنا، على متن بيريباتشيابوليس. لا بد أن ذاكرته تتلاعب به، ولكن... إنها تبدو مثلها تماما!.

ثم إنه مشى لبضع خطوات في تلك المرأة فيما كانت هي تخف خطاها صعودا عبر الدَّرَج المؤدي إلى حيث ترسو المناطيد، ثم..

"كليتي.." صاح توم منادياً، فالتفتت المرأة نحوه. إنها هي!، الآن بات متيقناً من ذلك، وراح يضحك في سعادة ودهشة وقد أخذته المفاجأة، ونادى من جديد : "كليتي، هذا أنا، توم ناتسوورثي"

ثم مرت مجموعة أخرى من التجار من أمامه فحجبت عنه رؤيتها، لكنه ما أن مروا مبتعدين ونظر من جديد باتجاهها حتى وجدها وقد اختفت تماماً، فهرع يركض نحو الدَّرَج حيث كانت تصعد، متجاهلاً الألم الذي بدأ يدب في صدره منذرا إياه، وفي ذهنه راح يحاول إيجاد تفسير لكيفية نجاة "كليتي" من الـ"ميدوسا". أتراها كانت خارج المدينة حين تعرضت للدمار؟ لقد سمع عن لندنيين آخرين نجوا من الانفجار، لكنهم كانوا جميعاً من عصبة التجار و كانوا على متن مدن أخرى بعيداً عن لندن عندما وقع الدمار. صحيح أن هيستير قد قابلت واحد من عصبة المهندسين - المهندس" بوب جوي" الرهيب - حين كانت أسيرة في "روجز رووست"، لكنه كان في

الأسفل في أحشاء لندن حين انفجرت الميدوسا.

شق توم طريقه صعودا عبر الدَّرَج المكتظ، وعند نهايته رأى "كليتي" من جديد تهرع مسرعة بين أحواض الإرساء الطويلة. في الواقع، هو لا يستطيع أن يلومها على فرارها منه، خاصة بعد الطريقة التي صرخ بها منادياً إياها، لا بد أنها لم تتعرف عليه من تلك المسافة البعيدة وظنته شخص مجنون أو ربما واحد من التجار المنافسين لها استبد به الغضب لاقتناصها المزاد منه.

هرول توم من جديد خلف "كليتي" وقد أراد بشدة أن يعرفها بنفسه ويوضح لها الأمر، فيما كانت هي تهرع بدورها صعودا عبر دَرَج آخر يؤدي إلى حوض الإرساء السابع، حيث كان منطاد صغير يرسو هناك. توقف توم عند سفح الدَّرَج ليقرأ المعلومات المكتوبة على اللافتة المثبتة هناك والتي تفيد بأن المنطاد اسمه" أركيوبتركس" وأنه مسجل في "إيرهيفن"، يقوده "كرويز مورشارد".

وهكذا، وبحرص شديد، دونما جري أو صياح أو الإتيان بأي حركة قد تثير قلق تلك التاجرة الجوية، صعد توم الدَّرَج ومضى خلفها في هدوء، وفي ذهنه راح يرتب أفكاره ؛ بالطبع كمتدربة في عصبة المؤرخين، لم يكن من الصعب على " كليتي بوتس" أن تجد لنفسها مكان على متن منطاد تجاري، ولا شك أن ذلك الكابتن "مورشارد" قد سمح لها بمرافقته كخبيرة في التقنيات القديمة، وهذا يفسر سبب وجودها في ذلك المزاد.

توقف توم مرة أخرى، لالتقاط أنفاسه هذه المرة، عند نهاية الدَّرَج، وكان قلبه الآن ينبض بعنف، بينما الـ"أركيوبتركس" ينتظر في ضوء الغسق. كان المنطاد مموهاً، حيث الزورق والجانب السفلي من الغلاف الغازي و وحدات المحركات مطلية باللون الأزرق السماوي، أما الأجزاء العلوية فقد طليت بمزيج من أشكال مموهة بالألوان الخضراء والبنية والرمادية.

وكان اثنان من طاقم المنطاد يقفان في انتظار كليتي، وكانت هيئتهما رثة تشي بخشونة أشبه ما تكون بجامعي المخلفات في الأرض العراء. وما أن دنت كليتي منهما حتى سمع توم أحدهما يبادرها بالسؤال :

"هل حصلتِ عليه؟"

"نعم" أجابت وهي تشير برأسها تجاه الصندوق الذي تحمله، فتقدم منها الرجل الثاني وحمله عنها، ثم إنه نظر من وراء كتفها نحو توم الذي كان يقترب منهم، وقد لاحظت كليتي نظراته وتغير ملامحه، فالتفتت تنظر إلى حيث ينظر الرجل.

"كليتي؟" بادرها توم ".. إنه أنا، توم ناتسوورثي، المتدرب من الدرجة الثالثة بعصبة المؤرخين. من لندن.. أحسب أنكِ لم تعرفيني لأول وهلة، لقد مر.. آ.. ما يقرب من عشرين عام، لا بد أنكِ ظننتني ميتاً..."

وللوهلة الأولى شعر توم أنها قد عرفته أخيراً وأنها سعيدة لرؤيته، لكن ملامحها تبدلت سريعاً وتراجعت خطوة للوراء وهي تنظر نحو الرجلين، فوضع أحدهما - وكان رجل طويل نحيل البنية حليق الرأس - قبضته بسرعة على مقبض سيفه، وسمعه توم يقول :

"هل يضايقكِ هذا الرجل يا آنسة مورشارد؟"

"لا بأس يا لورباك" أجابت كليتي وأشارت له أن يبقى حيث هو، ثم إنها اقتربت قليلاً من توم وقالت في لطف :

"عذرا يا سيدي، أخشى أنك تحسبني امرأة أخرى. أنا " كرويز مورشارد" قائدة ذلك المنطاد، ولا أعرف أي شخص من لندن"

"لكنكِ ..." هم توم بالاعتراض، لكنه تراجع، وراح يتفرس في وجهها وقد شعر بالحرج والاضطراب. إنه متأكد من أنها "كليتي بوتس"، صحيح أنها اكتسبت بعض الوزن - وكذلك هو أيضا - وتناثرت الشعيرات الفضية عبر شعرها - وقد كان أسود فيما مضى - وكأنما شبكة من خيوط العنكبوت قد نُسِجَت فوقه، لكن ملامحها كانت كما عرفها في الماضي.... باستثناء أن المساحة ما بين حاجبيها كانت فيما مضى تضم شعار " العين الزرقاء" المميز لعصبة المؤرخين، أما الآن فقد باتت خاوية.

ثم بدأ الشك يتسرب إلى نفس توم ويحل محل اليقين، فقد مضت عشرون عاما منذ رأى كليتي آخر مرة... ربما هو مخطئ إذن.

"أعتذر.." قالها توم أخيراً "... لكنك تشبهينها إلى حد بعيد"

"لا داعي للاعتذار" أجابته بابتسامة أخاذة ".. إنني أملك وجهاً مألوفاً وكثيرا ما

أصادف من يحسبونني شخص آخر"

"إنك تشبهينها جدا" قال توم وقد اعتراه الأمل ثانية، وكأنما ستغير رأيها فجأة أو تتذكر أنها هي كليتي بوتس. لكنها لم تفعل، بل اكتفت بأن أومأت برأسها تحية له و مضت نحو مركبتها، فيما حدق رجليها بتوم وهما يعاونانها على الصعود إلى متن المنطاد بصندوقها الثقيل.

لم يعد ثمة ما يقال، لذا اكتفى توم بأن كرر أنه "آسف"، ثم استدار يمضي في طريقه مغادرا حوض الإرساء وقد احمر وجهه خجلاً.

شرع توم يعبر المرفأ نحو مرسى منطاده الخاص، ولم يكد يخطو أكثر من عشرين خطوة حين أتاه هدير محركات "أركيوبتركس" من خلفه إذ تعود للحياة، فالتفت نحوه وراح يتابعه إذ يرتفع إلى حيث سماء المساء، إلى أن غادر المجال الجوي للمدينة وانطلق يحلق شرقاً، وهو ما رأى فيه توم أمر آخر مثير للفضول!، فقد كانت اللافتة المثبتة بجوار حوض الإرساء الذي كان المنطاد مستقرًا به تقول أنه سيبقى في بيريباتشيابوليس ليومين آخرين...!

***

3. الآنسة مورشارد الغامضة

"أنا واثق من أنها هي!.. " قالها توم في تصميم، وهو جالس مع رين إلى طاولة العشاء في ذات الليلة بمطعم " جولي ديريجبل"، ".. صحيح أنها بدت أكبر سناً، وهو أمر طبيعي، كما لم يكن شعار العصبة مرسوماً بين حاجبيها، وهو ما جعلني أشك قليلاً في أنني ربما كنت مخطئا، لكن ذلك الوشم يمكن إزالته، أليس كذلك؟"

"إهدأ يا أبي ولا تكن منفعلاً هكذا.."

"أنا لست منفعلا، أنا فقط مذهول. لو أن هذه المرأة هي "كليتي"، فكيف تسنى لها أن تبقى على قيد الحياة؟ ولماذا أنكرت نفسها مني؟".

وفي تلك الليلة لم ينم توم جيداً، كذلك رين بقيت مستيقظة في مقصورتها الصغيرة داخل "جيني هانيفر" تنصت إلى صوت خطواته إذ يقطع الممر بين مقصورتها والمقصورة الأمامية، محاولاً ألا يحدث أي صوت، إلى مطبخ المنطاد ليصنع لنفسه واحدا من أكواب الشاي الثلاثة التي يحتسيها في الصباح.

كانت رين تشعر بالقلق على أبيها، فهي لم تصدق مزاعمه بصدد ما قاله طبيب القلب، وكانت على يقين من أنه لا ينبغي له أن يسهر حتى تلك الساعة المتأخرة وينهك نفسه في التفكير بصدد الملاحات الغامضات. لكنها، تدريجياً، بدأت تفكر في الأمر من زاوية أخرى... ربما لم تكن مقابلته لتلك المرأة بالأمر السلبي تماماً، بل ربما العكس هو الصحيح، فقد لاحظت رين أن والدها بدا أكثر حيوية و "حياة" مما كان عليه طوال الشهور الماضية، وهو يحدثها بشأن تلك المرأة وهما على طاولة العشاء، وكأنما حالة الانطفاء التي غمرته عليه مذ هجرتهما أمها، قد تراجعت أخيرا وبدأ يعود إلى طبيعته القديمة المعهودة : يفكر ويحلل ويطرح الأسئلة ويصوغ الاحتمالات و...

ومع ذلك، لم تكن رين بقادرة على تحديد ما إذا كان السبب وراء تبدل حاله يكمن في الغموض الذي يلف المرأة، أم هو الحنين إلى وطنه الأم وفكرة التواصل من جديد مع مدينته الضائعة؟! أم أنه ببساطة شعر بانجذاب نحو "كليتي بوتس" هذه؟.. أيا كان السبب، فمن الجيد أن يجد أخيرا شيئاً آخر يفكر فيه غير أمها.

وفي الصباح التالي، بينما هما على مائدة الإفطار، قالت رين :

“أظن أن علينا أن نحقق قليلاً في الأمر وأن نحاول معرفة المزيد حول تلك الملاحة “ كرويز مورشارد ””

“كيف ؟..” سألها أبوها “.. لا بد أن منطادها، “ أركيوبتركس”، على بُعد مائة ميل الآن”

“قلت أنها ابتاعت شيئاً من إحدى صالات المزادات، أليس كذلك؟... يمكننا البدء من هناك إذن”.

انفرجت أسارير السيد “ بونديشيري”، ذلك الرجل الضخم المهذب اللامع، حتى بدا وكأنه صار أكثر ضخامة ولمعاناً، بمجرد أن رفع رأسه عن دفاتر حساباته ليجد توم ناتسوورثي وابنته يدخلان دكانه الصغير؛ فقد باع منطاد “جيني هانيفر” الكثير من القطع القيمة من خلال “صالة مزادات بونديشيري للتقنيات القديمة ” ذلك الموسم وحقق الرجل مكاسب لا بأس بها.

“سيد ناتسوورثي!.. ” هتف الرجل مُرَحِّباً في مرح، “.. آنسة ناتسوورثي، كم هو جميل أن أراكما” ونهض من مكانه لاستقبالهما، ومد يده يصافح توم، مشمراً عن أكمامه المطرزة بالفضة، كاشفاً عن يد مكتنزة داكنة اللون.

“كيف حالكما ؟أرجو أن تكونا بخير، هل كانت آلهة السماء كريمة معكما؟ ماذا جلبتما لي اليوم؟”

“أخشى أننا لم نجلب معنا هذه المرة سوى بضعة أسئلة!” أجابه توم، “.. جئتك اليوم على أمل أن تخبرني بضعة معلومات حول عالمة آثار مستقلة تدعى “كرويز مورشارد”. لقد ابتاعت شيئاً ما من هنا يوم أمس”

“تقصد السيدة من منطاد أركيوبتركس؟...” و وقف يفكر قليلاً، ثم قال “.. آه، نعم، نعم... أعرفها جيدا، لكنني أخشى أنني ليس بوسعي الإفصاح عن هكذا معلومات”

“نعم، بالطبع” قال توم متداركاً “آسف”

أما رين، والتي كانت إلى حد ما تتوقع تلك الإجابة، فقد أخرجت من جيب سترتها لفة صغيرة من القماش ووضعتها على المكتب أمام السيد بونديشيري.

نظر رجل المزادات بلهفة إلى اللفة ثم شرع يفتحها. وفي داخلها كانت كانت قطعة

صغيرة من المعدن المفضض المسطح، مثبت بها مجموعة من الأزرار الصغيرة لا تزال الأرقام الباهتة المكتوبة عليها ظاهرة إلى حد كبير.

"هاتف محمول قديم.." قالت رين ".. قمنا بشرائه الشهر الماضي من أحد جامعي المخلفات الذي لم يكن يعرف كنه ذلك الشيء. كان أبي ينتوي بيعه بنفسه مباشرة، لكني واثقة أنه سيسعده أن يتم بيع تلك القطعة من خلال صالة مزادات بونديشيري، لو...."

"رين!" هتف بها أبوها مقاطعاً، وقد أخذته الدهشة من دهائها. أما السيد بونديشيري فقد انكب على القطعة يفحصها وقد ثبت إلى عينه عدسة الفحص، ثم: "يا لها من قطعة جميلة"، راح يدمدم، ".. لا بد أن تجارة مثل تلك القطع سوف تنتعش الآن مع بدء إحلال السلام. يقولون أن الجنرال ناجا لم يعد لديه وقت لخوض المعارك بعدما تزوج من امرأة شابة. إنها جميلة، مثل "كرويز مورشارد"..." قال جملته الأخيرة تلك وهو ينظر إلى توم و يغمز بعينه المثبت إليها العدسة التي جعلتها تبدو أكبر كثيرا من حجمها الطبيعي، ثم استطرد : "حسن جدا، فقط ليكن ما سأقوله سر بيننا، السيدة مورشارد كانت هنا بالأمس وقد ابتاعت دفعة من "لفائف الكليست""

"وما عساها أن تفعل بمثل تلك الأشياء؟" سأله توم متعجبا.

"من يدري؟!.. " أجابه السيد بونديشيري مبتسما وقد بسط كفيه، وكأنما لسان حاله يقول : طالما حصلت على نسبتي من البيع فلا يهمني ما يفعله زبائني بالقمامة التي يبتاعونها!، ".. إنها ليست ذات استخدام، أحسب أنها اشترتها لتتاجر فيها، تلك هي مهنة السيدة مورشارد على أية حال، تاجرة تقنيات قديمة، والحق أنها تاجرة جيدة، على ما أرى؛ إنها تحلق عبر مسارات الطيور مذ كانت فتاة يافعة"

"هل ذكرت أمامك يوماً أي شيء عن موطنها؟" سألته رين بلهفة، فتمهل بونديشيري للحظة يفكر، ثم أجاب :

"منطادها مسجل في إيرهيفن"

"آه، نعرف هذا. أعني هل تعرف أين نشأت؟ أين تلقت تدريبها؟، نحن نظن أنها جاءت من لندن"

فابتسم الرجل لها، وغمز بعينه من جديد لتوم، بينما كان يضع الهاتف المحمول القديم في درج جانبي بمكتبه، وقال :

"آه، سيد نات... يا للأفكار الرومانسية التي تخطر على بال أولئك الفتيات الشابات. لا أحد يأتي من لندن أبدا يا آنسة رين!".

وبعد حين، كان توم ورين يجلسان في شرفة إحدى المقاهي التي تطل شرقاً على الأراضي الممتدة لساحة الصيد العظمى، يحتسيان القهوة. كان اليوم ربيعياً دافئاً حيث امتدت الظلال الخضراء تملأ الخطوط الطويلة المتعرجة التي حفرتها عجلات المدن المتحركة عبر الأرض اليابسة، بينما السماء تعج بأسراب الطيور. وبعيدا عند الأفق الشرقي، كانت إحدى بلدات التعدين تشق طريقها هناك وتنخر مجموعة من التلال التي بقيت بشكل أو بآخر حتى الآن لم تمسها أي من المدن.

"الغريب في الأمر أنني..." قال توم وهو يفكر بعمق "... متأكد من أنني قد سمعت هذا الاسم من قبل، لكني لا أتذكر أين. أتمنى لو كان بوسعي تذكره، كرويز مورشارد... أعتقد أن ذلك كان على مسارات الطيور، في الأيام الخوالي..."

ثم إنه صب لرين مزيد من القهوة، واستطرد قائلا :

"لا بد أنكِ ترينني أحمقاً للغاية بأن أدع الأمر يؤثر في إلى هذا الحد. ولكن كل ما هناك أن فكرة وجود شخص آخر من عصبة المؤرخين لا زال على قيد الحياة بعد كل تلك السنوات..." إلا أنه عجز عن شرح ما يدور في ذهنه ويعتمل في نفسه، فصمت. لقد أمسى في الآونة الأخيرة يفكر بشكل متزايد في أيامه الخوالي، هناك في متحف لندن، وهو ما كان يثير في نفسه الحزن الشديد، فقد كان يدرك جيدا أنه بموته ستموت معه ذكرى ذلك المكان؛ أما الآن فقد بُعِث الأمل في نفسه.... لو أن هناك حقاً شخص آخر من عصبة المؤرخين لا يزال حياً، شخص نشأ مثله بين المعروضات المغبرة بالمتحف وممراته المفعمة برائحة شمع العسل، شخص حضر دروس المؤرخين، وغفا أثناء محاضرات "أركينجارث"، وتناهت إلى مسامعه تذمرات " تشادلي بوميروي" من ممصات الصدمات الضعيفة للمبنى، شخص عاصر ذلك كله وعاش بين جنباته، هنا فقط قد تمتد ذكرى ذلك المكان وتبقى على قيد الحياة في ذهن آخرين، حتى بعد موته هو.

"ما لا أستطيع فهمه حتى الآن..." قالت رين، "ما الذي يجعلها تنكر نفسها هكذا؟. مما لا شك فيه أن الأمر سيكون في صالحها تماما لدى تجار التقنيات القديمة لو أنها قالت أنها مؤرخة وأنها تلقت تعليمها وتدريبها على يد عصبة المؤرخين في لندن، فلماذا تخفي ذلك؟!"

هز توم كتفيه، و قال "لقد اعتدتُ أنا أيضا إخفاء ذلك الأمر. عندما امتهنت التجارة الجوية أنا وأمك لم تكن لندن تحظى بشعبية آنذاك، فما فعلته عصبة المهندسين وقتها قد أضر العالم بأسره وأخل بموازينه، وأفضى إلى ظهور "العاصفة الخضراء"... أحسب أن هذا هو السبب الذي دفع كليتي كذلك لاتخاذ اسم آخر لها، فعائلة "بوتس" هي عائلة لندنية شهيرة، وقد خرج منهم الكثير من أعضاء المجلس المحلي للمدينة، وكذلك عدد من رؤساء عصبة المؤرخين منذ زمن "كويرك". بل إن جد "كليتي"، " بيسيستراتوس بوتس"، كان عمدة لندن لسنوات وسنوات. ومن ثم طالما أرادت أن تخفي هويتها اللندنية، كان لزاما عليها أن تبتعد تماما عن اسم" بوتس""

"وماذا عن تلك الأشياء التي ابتاعتها من مزاد بونديشيري؟"

"لفائف الكليست؟"

"نعم، لم أسمع عن تلك الأشياء من قبل"

"هذا بديهي، وكيف يتسنى لكِ ذلك؟.... لقد جاءت تلك الأشياء بالأساس من " الإمبراطورية الكهربائية" والتي ازدهرت قبل عصر ثقافة ال" بلو ميتال "، في حوالي 10.000 عام قبل حقبة التحرك"

"ولأي غرض تستخدم؟"

"لا أحد يعرف. كان المؤرخ اللندني " زانوسي كليست" هو أول من قام بدراستها، وقال أنها تستخدم لإنتاج نوع من الطاقة الكهرومغناطيسية. ولكن لم يعرف أحد استخداما عملياً محدداً لها. يبدو أنها كانت إحدى الاختراعات التقنية عديمة الجدوى للإمبراطورية الكهربائية"

"إذن فهي ليست ذات قيمة؟"

"هي جميلة، فقط إذا نظرت إليها بعين الفضول"

"وما الذي يدفع " كليتي بوتس" لشراء مثل تلك الأشياء إذن؟ ماذا عساها تفعل بها؟" تساءلت رين، فهز توم كتفيه، وقال :

"لا بد أن لديها مشتر ما لتلك الأشياء، على ما أحسب. ربما هي تعرف أحد جامعي تلك المقتنيات"

"أظن أن علينا أن نذهب في إثرها" قالت رين

"إلى أين؟، لقد سألت في مكتب الميناء الليلة الماضية، لكن منطادها لم يترك أي تفاصيل عن وجهته"

"سوف تتجه شرقاً.. " قالتها رين بلهجة واثقة، وكأنها صادرة عن شخص قضى موسماً كاملاً في دراسة مسارات التجارة الجوية، "الجميع يتجه شرقا الآن، إذ يبدو أن الهدنة ستنعقد بالفعل. وكذلك نحن، ينبغي علينا أن نتجه شرقاً، حتى إذا لم نعثر على " كليتي بوتس"، فسوف نجد فرصاً جيدة للتجارة. كما أنني أتوق لرؤية ساحة الصيد المركزية. كذلك يمكننا المرور على مكتب التسجيلات بمرفأ "إيرهيفن"، وهناك لا بد أن لديهم بعض التفاصيل عن المدعوة "كرويز مورشارد" و منطادها"

أنهى توم قهوته، ثم قال :

"كنت أفكر أنك ربما ترغبين في الارتحال جنوباً هذا الربيع. لا بد أن صديقك " ثيو" لا يزال في زاجوا، أليس كذلك؟ أحسب أنه يمكننا الحصول على تصريح للهبوط هناك..."

"أوه، لم أفكر في هذا من قبل" قالتها رين بلهجة من لا يكترث، إلا أن وجهها احمر خجلاً.

"لقد راقني هذا الفتى ثيو" تابع توم ".. إنه فتى جيد، خلوق، ووسيم كذلك... "

"أبي!" هتفت رين بحدة، وكأنما تحذره من التمادي، ثم إنها هدأت قليلاً وتنهدت، ثم قالت بروية وهي تمسك بيد أبيها :

"اسمعني، لقد كان ثيو يتعامل بتلك الدماثة لأنه بالفعل شخص راق، ينتمي لعائلة ثرية ويعيشون في مدينة كانت جزءا من حضارة عظيمة في الوقت الذي كان فيه أسلافنا لا يزالوا يرتدون جلود الحيوانات ويتصارعون على فتات الأشياء بين خرائب

أوروبا. فما الذي يجعل شخص كهذا يهتم بي؟"

"سيكون أحمق إذا لم يفعل" قالها والدها، "وهو ليس بأحمق"

تنهدت رين من جديد، في حنق هذه المرة. لماذا لا يفهم أبي الوضع؟... هكذا راحت تفكر... لقد كان ثيو في موطنه محاطا بالعديد من الجميلات، بل هن أجمل منها بمراحل، وربما تكون عائلته قد زوجته لإحداهن الآن. وحتى إذا لم يفعلوا، فلا بد أنه نسي كل شيء عنها... حتى تلك القُبلة التي تعني الكثير لها، ربما لا تعني لثيو أي شيء. إنها لا تريد أن تخدع نفسها بالارتحال في إثره حتى زاجوا والطرق على بابه متوقعةً أن تعود الأمور بينهما كما كانت قبل أن يفترقا....

"دعنا نرتحل شرقاً يا أبي. دعنا نذهب إلى هناك ونبحث عن "كليتي بوتس""

***

4. الليدي ناجا

أخيراً، وبعد أيام عدة قضاها يتأرجح ما بين نوبات من الألم والغياب عن الوعي، أفاق ثيو أخيرا، في غرفته البيضاء النظيفة بمستشفى زاجوا. وعبر غلالة الناموسية المفرودة من فوقه، وسُحب الذكريات المبهمة، استطاع أخيراً أن يرى تلك النافذة المفتوحة، تتسلل منها أشعة شمس الغروب من فوق الجبال، وحول سريره تجمع أمه وأبوه وأختيه "ميريام" و" كايلو".

وبينما كان يستعيد حواسه تدريجياً، أدرك ثيو أن جروحه خطيرة بحق، فعلى عكس المعتاد من شقيقتيه، لم تبادر أي منهن بمشاغبته أو السخرية من هيئته السخيفة إذ يرقد هكذا محاطاً بالضمادات، وبدلا من ذلك انحنين عليه يقبلنه في لهفة وهن على وشك البكاء، فيما راحت أمه تردد : "حمداً للإله، حمداً للإله"

أما والده فقد مال نحوه وقال في حنان :

"سوف تكون بخير يا ثيو. لقد كانت حياتك على المحك لفترة من الوقت"

"السكين.." همس ثيو في وهن، وقد بدأ ذهنه يستعيد ما حدث وكيف أنه تعرض للطعن، فتحسس معدته، والتي كانت ملفوفة بضمادات نظيفة. "..الصواريخ.... لقد ضربوا القلعة!"

"الصواريخ انفجرت في حدائق القلعة دون أضرار تذكر..." قالها والده مطمئناً إياه، "... لم يتأذ أحد، سواك، لقد أصبت بجراح بالغة يا ثيو، وفقدت الكثير من الدماء. لقد كاد الأطباء يفقدون الأمل في نجاتك، لكن السفيرة، مبعوثة العاصفة الخضراء السيدة ناجا، سمعت بما أصابك، فجاءت إلى هنا وأشرفت بنفسها على معالجتك. يبدو أنها عملت في مجال الجراحة نوعا ما قبل زواجها، إذ كانت تملك بعض المعلومات عن الأعضاء الداخلية في جسم الإنسان.... هل تعرف ما يعنيه ذلك يا ثيو؟ لقد قامت زوجة الجنرال ناجا بنفسها بمداواتك! لقد صرت شهيراً يا فتى!"

"أنت قمت بإنقاذ حياتها.." قالتها شقيقته ميريام، "... فقامت هي بإنقاذك من الموت"

"سوف تسعد كثيرا حين تعرف بنبأ تحسنك..." قالت السيدة نجوني، والدته، ثم "..

لقد تأثّرت كثيراً بشجاعتك وأبدت اهتماما كبيرا بك..". وأشارت بفخر إلى باقة من الزهور تم وضعها في أحد أركان الغرفة، كانت قد أرسلتها السيدة ناجا، ".. لقد حرصت على أن تقابلني وتخبرني بنفسها أن العملية قد نجحت".

كانت أمه تبتسم بحماسة وهي تتحدث عن السيدة ناجا، وقد بدا أنها أعجبت بها كثيراً : "إنها شخص طيب يا ثيو"

"لو أنها كذلك حقا فما الذي كانت تفعله لدى العاصفة الخضراء إذن ؟" قال ثيو

"إنه القدر يا ثيو.." أجابه والده، ".. صدقني يا بني سوف تحبها كثيرا حين تقابلها. والآن، هل أرسل إلى القلعة لأبلغها بتحسنك؟ أنا واثق أنها سترغب في رؤيتك والتحدث معك"

إلا أن ثيو هز رأسه أن لا، وقال أنه لم يستعد عافيته بما يكفي بعد.

وهكذا، كان ثيو سعيدا بحق أنه استطاع التصدي لهؤلاء الهمجيين، كما كان ممتنا للسيدة ناجا لإنقاذها حياته، ومع هذا، فقد كان يشعر بالغرابة والاضطراب أن يجد نفسه، وبعد كل ما كان، مديناً لأحد أعضاء العاصفة الخضراء.

وفي اليوم التالي، سمح الأطباء لثيو بمغادرة المشفى والعودة إلى المنزل، وخلال الأسابيع التالية كان يستعيد عافيته ببطء، محاولاً قدر الإمكان ألا يفكر في السيدة ناجا، برغم أن أبويه لم يكفا عن الحديث عنها. في الواقع كانت زاجوا كلها تتحدث عنها، فما من شخص في المدينة لم يسمع كيف أنها خلعت عنها ثيابها الأنيقة وارتدت رداء الأطباء وهرعت لتنقذ حياة ذلك الفتى " ثيو نجوني". ومع توالي الأيام والأسابيع خرجت المزيد من القصص والحكايات حولها، منها مثلاً ما تردد حول زيارتها للكاتدرائية القديمة التي تم حفرها في صخور "جبل زاجوا" في القرون السوداء، وكيف أنها أدت الصلوات هناك مع الأسقف نفسه، وقد استبشر الجميع خيراً بذلك معتبرين إياه إشارة خير... الجميع فيما عدا ثيو، الذي كان يشك في أن ذلك كله ربما ليس سوى خدعة أخرى من خدع العاصفة الخضراء.

وفي إحدى الأيام، حضر اثنين من أعضاء مجلس الملكة إلى منزل ثيو، وأخذا يطرحان عليه الأسئلة حول ما يتذكره عن المنطاد الذي أسقطه. وقد أخبراه أن الملاحة التي تمكن من التغلب عليها تخضع للاستجواب الآن، لكنها لا تبدي أي تعاون

معهم. ثم هنآه على شجاعته، فقال :

"لم تكن شجاعة مني، وإنما لم يكن لدي خيار آخر سوى ما فعلت" هكذا قال، لكنه في قرارته كان يشعر بالفخر والسرور بأن كل فرد في زاجوا بات ينظر إليه الآن كبطل، ولم يعد ذاك الفتى الضال الذي فر ذات يوم من وطنهم ليلتحق بالعاصفة الخضراء...

"أنا سعيد..." استرسل ثيو "... لأنني تمكنت من ردع هؤلاء قبل أن يتمكنوا من إيذاء أي شخص"

هنا تبادل عضوا المجلس نظرات بدت غريبة وذات مغزى، وقد هم أصغرهما بقول شيء ما، لكن زميله الأكبر سناً أوقفه، ثم انتهت المقابلة وغادرا المنزل .

لم تكن زاجوا بمدينة خلابة أو رائعة إذا نظرت إليها من مستوى الأرض، فقد كانت مبانيها متهالكة، ذات طلاء فاتح تقشر معظمه من على الجدران، وأسطح متداعية، وشوارع أرصفتها متكسرة ينمو العشب بين شقوقها. حتى قباب القلعة كانت ملطخة بالصدأ المخضر. لقد كانت زاجوا إمبراطورية مجيدة بحق، لكن ذلك كان قبل ألف عام، أما الآن فلم يعد متبق من عظمتها الغابرة سوى أطلال بعدما دمرتها المدن الجائعة.

وتحت ظلال الشجرة الوارفة عبر الشارع المقابل لمنزل ثيو، كان الرجال يتجمعون خلال فترة ما بعد الظهيرة، يتحدثون في غضب حول آخر أخبار فظائع المدن الواردة من الشمال. وكان كثير من الشباب حديثي السن ينشئون على تلك الأخبار، ومعها يتأجج الغضب والحنق في نفوسهم، للدرجة التي قد تدفع البعض منهم يوماً للانضمام إلى قوات العاصفة الخضراء، تماما كما فعل ثيو.

وفي عصر أحد الأيام، بعد حوالي شهر من ذلك الهجوم الجوي، كان ثيو جالساً يقرأ في غرفة الحديقة بمنزله، حين جاءه والداه وبصحبتهما زائر أتى لرؤيته، لكن ثيو بالكاد رفع عينيه عن الكتاب الذي في يده، فقد اعتاد كثرة الزيارات في منزله، من العمات والأعمام والأقارب، الذين كانوا لا يكفون عن إحراجه بحرصهم على رؤية ندوبه وتذكيره دوما بالطفل المشاغب الذي كان عليه حين كان في الثالثة من عمره!، أو بتقديمه لبنات أصدقائهم الجميلات. لكن هذه الزيارة كانت مختلفة نوعاً....

"عزيزي ثيو..." هتفت والدته "... هل تذكر المارشال الجوي "خورا"؟"

كان "خورا" واحد من أفضل الملاحين الجويين في أفريقيا، وقائد سلاح الجو في زاجوا، رجل فارع الطول، لا يزال يتمتع بوسامة بالرغم من كونه قد شارف على الخمسين من العمر وغزا الشيب شعره.

كان الرجل يرتدي درعه الرسمي، ومن على كتفيه تدلى المعطف التقليدي المميز للحرس الملكي الشخصي، الأصفر المرقط بالأسود والذي يحاكي جلد واحد من تلك المخلوقات الأسطورية يدعى "الفهد".

انحنى خورا تحية لثيو وكأن الفتى ند له.... منذ نعومة أظفاره كان ثيو ينظر إلى خورا باعتباره بطله الخاص وقدوته، وحين كان في التاسعة من عمره قضى موسما شتويا كاملا في صنع نموذج لمنطاد خورا، المدمرة الجوية " مويني موتابا"، مع مجسم بارتفاع بوصة واحدة لخورا نفسه واقفاً فوق سطحها. والآن ها هو ذا بطله يقف أمامه بنفسه، هنا في منزله، بحجمه الطبيعي.

كانت المفاجأة عظيمة لدرجة أن ثيو استغرق بضعة لحظات قبل أن ينتبه أن الرجل لم يأت بمفرده، فمن خلفه وقفت خادمتان أجنبيتان ترتديان ثيابا حريرية ملونة، ومن ورائهن امرأة أخرى في ثياب أكثر بساطة.

كانت المرأة نحيلة البنية قصيرة القامة إلى حد كبير، وقد أدرك ثيو على الفور من تكون، إذ كان قد رأى صورها من قبل في جرائد زاجوا...

"ثيو..." بادر المارشال خورا بالحديث، "لقد جئت لزيارتك وبصحبتي السيدة ناجا"

وفي قرارته تمنى ثيو لو يقول : لا، لا أريد مقابلتها، ليس لي شأن بها أو بقومها. لكنه ما كان بوسعه في حضرة خورا سوى أن يضبط لسانه ويحسن القول. ولكن، ما أن اقتربت مبعوثة العاصفة الخضراء نحوه ورأى وجهها الرقيق والعوينات السميكة ذات الإطار الداكن التي تضعها - ولم تكن ترتدي تلك العوينات في الصور الفوتوغرافية بالجرائد - حتى اكتشف أنه يعرفها بالفعل، ولكن ليس من الصور...

"أنتِ كنت موجودة على متن "السحابة التاسعة"!" صاح ثيو فجأة، فدهش خورا والخادمتان، وكانوا جميعا يتوقعون منه تحية أكثر رسمية لها، "... تلك الليلة، التي

شنت فيها العاصفة الخضراء هجومها هناك. أنتِ دكتور زيرو!، كنت هناك مع "ناجا" و..."

"ولا زلتُ مع ناجا" قالتها المرأة بابتسامة خافتة مضطربة.

امرأة شابة هي، جميلة، ذات مظهر صبياني نوعا، وكان شعرها الذي كان قصير ومصبوغ باللون الأخضر حين قابلها ثيو سابقاً، قد صار أطول الآن، أسود اللون. ومن عنقها كان يتدلى صليب من القصدير الرخيص، لا بد أنها ابتاعته من أحد تلك الأكشاك خارج الكاتدرائية، وقد مدت يدها تتلمسه وهي تقول : "إذن كنت هناك، معنا على متن "السحابة التاسعة" العام الماضي يا سيد نجوني؟ أخشى أنني لا أتذكر..."

هز ثيو رأسه بلهفة وقال : "نعم، كنت بصحبة رين، لقد أخذتِنا بعيدا عن المطارد فانج، وسألتِ رين عن كتاب الصفيح..."

وهنا تلاشى صوت ثيو، وقد تذكر للتو الزي الذي كانت هذه المرأة ترتديه في تلك الليلة... يبدو أنها عملت في مجال الجراحة نوعا ما.... هكذا أخبره أبوه، لكن تلك لم تكن سوى نصف الحقيقة، والآن ها هو يدرك الحقيقة الكاملة : لقد كانت جراحاً ميكانيكياً، تقوم بصنع المطارِدين لتكوين فيلق العائدين من الموت المخيف لصالح العاصفة الخضراء.

"أهذا كان أنت؟" سألته المرأة، وكانت لا تزال مبتسمة، ".. أنا في شدة الأسف، لقد وقعت الكثير من الأمور في تلك الليلة، والكثير كذلك منذ.... كيف حال جراحك الآن؟ هل تتحسن؟"

"أفضل حالاً" أجابها ثيو بشجاعة، فضحك خورا وقال :

"الشباب يتماثلون للشفاء سريعاً، لقد أصبتُ ذات يوم إصابة بالغة هناك في " باتمونخ جومبا"، في عام 07، حيث غرز لندني لعين سيفه في فأصابني في الرئة. ولا زالت تلك الإصابة تؤلمني حتى الآن من حين لآخر"

"ثيو يا بني.." قال نجوني الأب "لماذا لا تأخذ السيدة ناجا في جولة عبر حديقتنا؟"

فانصاع ثيو، وفي حرج أشار لها نحو الباب المفتوح، فتبعته السيدة ناجا ومن

ورائها، على مسافة منها، وصيفتيها، وحين التفت ثيو ينظر خلفه رأى خورا منخرطاً في الحديث مع أبيه، فيما وقفت شقيقتاه يتهامسن ويضحكن، وقد أدرك ثيو على الفور ما عساهن يتهامسن به، لا بد وأنهن يتراهن الآن أي من فتاتي السيدة ناجا سوف يقع شقيقهن في حبها، وقد كانت كلتاهن تتمتع بجمال أخاذ؛ كانت إحداهن من تلك المنطقة التي تدعى "هان" أو " شان جو"، أما الأخرى فقد بدا من ملامحها أنها لا بد قد جاءت من مكان ما من جنوب الهند، إذ كانت ذات بشرة داكنة كثيو، أما عيناها - اللتان التقتا بعيني ثيو فيما كان يحدق فيها - فكانتا شديدتي السواد، بل كانتا أكثر عينين سوداوين يراهما في حياته.

ثم إنه أشاح بعينيه سريعا، وراح يحاول إخفاء ارتباكه بأن أشار نحو الممر المؤدي إلى الشرفة المطلة على المضيق والتي تمثل القسم المفضل لديه من الحديقة.

كان الممشى الظليل يعج بأشجار مزهرة بالورود البرتقالية، وقد توقفت السيدة ناجا وانحنت تلتقط إحدى تلك الزهور التي كانت سقطت على الأرض، ثم أخذت تقلبها بين كفيها وهم يستأنفون المشي. أما ثيو فقد راح يتطلع إليها متأملا إياها، وقد لاحظ أن أناملها الدقيقة كانت مرقطة ببقع من الجلد الذي فقد صبغته الطبيعية واستحال أبيضاً، وكذلك بقع بلون الشاي.

"إنها الكيماويات" قالتها السيدة ناجا، وقد لاحظت نظرات ثيو لكفيها، "لقد عملتُ لفترة طويلة في " فيلق البعث". هذا جراء الكيماويات التي كنا نستخدمها..."

لم يقل ثيو شيئا في المقابل، لكنه في قرارته راح يتساءل... ترى كم عدد الجنود الموتى الذين حولتهم إلى مطارِدين؟.. والأهم من ذلك، كيف تحولت تلك العضو الخجول في فيلق البعث إلى زوجة لقائد العاصفة الخضراء في غضون مدة زمنية قصيرة لم تتعد ستة أشهر؟

وكأنما خمنت ما يدور برأسه من أفكار، نظرت السيدة ناجا إليه ملياً، ثم قالت : "أنا من قام بقتل المطارِد فانج في تلك الليلة. كنت قد قمت بإعادة إحياء مطارِد قديم، السيد جريك، وغذيت عقله بشفرة خاصة ليهاجمها. وقد أعجب الجنرال ناجا بما فعلت، يبدو أنه توسم في الشجاعة، و في ذات الوقت أدرك بخبرته أنني أحتاج إلى حماية، فهناك الكثيرون من أبناء العاصفة الخضراء ممن يؤمنون بفانج إلى حد

العبادة، و بالطبع كان ليسعدهم أن يرونني جثة هامدة، و..... حسناً، أنت تعرف كيف يمكن أن يصبح الجنود متأججي المشاعر. على أي حال، لقد اعتنى الجنرال ناجا بي جيدا طوال رحلة العودة إلى "تينجين"، وحين وصلنا، واستتبت له أمور القيادة والحكم، طلبني للزواج."

أومأ ثيو في خجل، وقد اعتراه الحرج أن يتحدثا في هكذا أمور خاصة. كان قد سبق له رؤية الجنرال ناجا، ذلك المحارب الشرس ذو الهيكل المعدني والأجهزة التعويضية لذراعه الأيمن المقطوع وساقيه المشلولتين، و لم يستطع أبدا تخيل أو هضم فكرة أن دكتور زيرو يمكن أن تكون قد وقعت في حب ذلك الرجل، لا بد أنها قبلت الزواج منه تحت وطأة الخوف، أو ربما طمعا في السلطة والقوة... نعم، لا بد أن هذا هو ما جعلها توافق على أن تصير زوجته.

ثم إنه حاول التفكير في قول ملائم، لكنه لم يجد ما يقول سوى : "لا بد أن الجنرال يفتقدك الآن"

"أظن أنه كذلك..." أجابت الليدي ناجا "... لكنه رجل جيد يرغب في صنع السلام بحق. إنه يتوق إلى إعادة روابط الصداقة بين زاجوا والعاصفة الخضراء، وقد أقنعته بضرورة أن أتي بنفسي وأتحدث إلى زعماء مدينتك. لا يزال هناك أعضاء في العاصفة الخضراء يكرهون ناجا بسبب مساعيه للسلام وإنهاء الحرب، ويكرهونني كذلك لقتلي زعيمتهم القديمة وإتاحة الفرصة لناجا للاستيلاء على الحكم. لهذا ارتأى ناجا أنه ربما يكون من الأفضل أن أبتعد لفترة من الوقت وأرتحل عبر نصف العالم إلى هنا. لكن يبدو أنه كان مخطئ في ذلك"

فنظر ثيو نحوها وراح يتساءل في داخله عما تعنيه بكلماتها تلك.

كانا قد بلغا حافة ممر الأشجار إلى حيث الشرفة المشمسة، ولبضع دقائق وقفت السيدة ناجا مشدوهة وقد ألجم المشهد الخلاب لسانها، فقط راحت تهمس: "اااه... ااا.... اا... يا له من منظر بديع"

وقد كان كذلك بالفعل، لدرجة أن ثيو نفسه، الذي اعتاد ذلك المكان طوال حياته، كان في كثير من الأحيان تعتريه الدهشة والذهول بمجرد أن يقف في تلك الشرفة مطلاً منها عبر الإفريز. إذ كانت الشرفة تطل مباشرة على مضيق زاجوا الذي يمتد

متعرجاً ليصب في النهر المتلألئ ذو اللون الأزرق الضارب إلى الإخضرار، فيما تنتصب الجبال شامخة من ورائه، تتوجها غاباتها الخضراء الكثيفة ذات الأشجار الباسقة نحو السماء، حيث الغيوم المنذرة بالعواصف تكلل المشهد المهيب، كجبال عملاقة معلقة في قلب السماء تلتمع في ضوء الشمس بوهج أبيض ناصع ثلجي تظلله مسحة من اللون الأزرق.

وكان عدد من الفتية راكبي الرياح يحلقون بطائراتهم في الأعالي، مذكرين ثيو برحلته الأخيرة وطائرته التي فقدها.

هنا خطر لثيو أن السيدة ناجا لم تشكره بعد على إنقاذه إياها من الغارة الجوية، وكان يحسب أن هذا هو سبب حضورها إلى منزله.

"ما الذي دفعك لترك كل هذا و الانضمام إلى العاصفة الخضراء؟" باغتته السيدة ناجا بالسؤال، فهز كتفيه في حرج وقد أزعجه تذكيره بتلك الفترة، إلا أنه أجاب :

"كل هذا الذي ترينه أمامك كان معرض للتدمير في أية لحظة، كنا نحيا تحت التهديد المستمر، صحيح أن قواتنا الجوية كانت تبذل أقصى ما تستطيع لحماية حدودنا، ومع ذلك فقد كانت المزيد من أراضينا ومزارعنا وغاباتنا يتم التهامها عاما بعد عام. كانت مدن الصحراء تزحف جنوبا وتحمل معها التصحر والخراب. لزمن طويل كنت أسمع أبي وأصدقائي يرددون تلك الأنباء ويتناقشون بصدد ما يجري، ولم أتحمل البقاء ساكناً مكتوف الأيدي، لقد أردت فقط أن أفعل أي شيء يوقف ذلك كله، وحسبت أن العاصفة الخضراء لديها الحل... كنت صغيرا آنذاك، وحين يكون المرء صغيرا فإنه لا يستطيع تقييم الأمور على النحو الصحيح ويظن أن كل شيء بسيط "

ابتسمت السيدة ناجا بهدوء، ثم سألته : "كم يبلغ عمرك يا ثيو؟"

"الآن؟ حوالي السابعة عشر..." ثم إنه صاح فجأة "انتبهي! " محذرا الوصيفة ذات البشرة الداكنة حيث انحنت بشدة فوق الإفريز المتهالك محاولة إلقاء نظرة على الجانب السفلي وقد أذهلها المشهد البديع المترامي حولهم، تماما كما أذهل سيدتها.

"انتبهي!!" صاح ثيو من جديد ".. إنه عتيق وقد يسقط بك"

لكن الفتاة لم تعره التفاتاً على الإطلاق، فيما قالت الفتاة الأخرى :

"" روهيني".." ومدت يدها تسحبها برفق، فالتفتت الفتاة نحوها ثم نحو ثيو وراحت تحدق فيه بعينين سوداوين مرتبكتين.

"روهيني لا يمكنها سماعك" قالتها السيدة ناجا، "إنها صماء بكماء، المسكينة. لقد جاءت لي كعبدة، هدية زواج من أقدم أصدقاء ناجا، الجنرال " دجو". إنني أمقت فكرة العبودية بالطبع، ولهذا فقد أعطيتها حريتها، لكنها اختارت البقاء معي، فتاة طيبة هي"

انحنت الفتاة " روهيني" لثيو، ربما لتشكره على إنقاذه إياها، أو كاعتذار له على تعريض نفسها للخطر، فقال لها :

"لا بأس..." ثم تذكر أنها لا تستطيع سماعه فحاول محاكاة ما قاله بلغة الإشارة، الأمر الذي جعل الفتاتان تضحكان.... إنهما مزعجتان كشقيقتيه إذن... لكن الأمر لم يزعجه حقا.

وبعد حين من الوقت، أتى المارشال خورا بصحبة والدي ثيو، قادمين من المستوى العلوي للحديقة، وقد بدا على ثلاثتهم الجدية، فيما حدج خورا السيدة ناجا بنظرة بدا أنها تعني شيئا، لكن ثيو لم يستطع تخمين معناها. أما الفتاتان فقد كفتا عن الضحك وانسحبتا سريعاً إلى حيث الطرف المقابل من الشرفة. ثم جاء بعض من خدم المنزل يحملون عددا من الطاولات والمقاعد، وكذلك أكواب من الشاي الأحمر المثلج وبسكويت العسل، فيما راحت السيدة نجوني تشرف على ترتيب المقاعد، وقامت بإرسال أحد الخدم إلى المنزل لإحضار مظلة، حيث ارتأت أن امرأة مثل السيدة ناجا تملك بشرة فاتحة نوعا، قد تصاب بسهولة بضربة شمس، و بالطبع هي لا تريد أن يحدث ذلك في بيتها.

"والآن.." قالها المارشال خورا بمجرد انتهاء إعدادات الجلوس، ".. لنتكلم عن العمل. ثيو، لدي مهمة لك. ربما تكون خطرة، لكنها بالتأكيد مثيرة، كما أنها عظيمة الأهمية لزاجوا، بل وللعالم أجمع. بالطبع لست في حاجة لأن أؤكد عليك أنك لست مضطرا لقبول القيام بها، فلا تقبل إلا إذا كنت تريد القيام بها حقا. لقد خدمت زاجوا بالفعل يا ثيو، وبالتالي فلن يظن أحد بك السوء لو أنك رفضت أدائها"

"ما هي تلك المهمة؟.. "، سأله ثيو، ثم التفت ينظر لوالديه. كانت أمارات الفخر تبدو على والده، أما والدته فقد اكتست ملامحها بالقلق العميق، ".. ما المطلوب مني بالضبط؟"

إلا أن خورا لم يجبه مباشرة، وإنما نهض من مقعده واتجه نحو إفريز الشرفة، ووقف يتطلع بعيدا عبر المضيق. ثم قال أخيراً : "ثيو، حينما كنت على متن منطاد هؤلاء الهمجيين يوم الغارة، هل لاحظت أي شيء غير عادي في طاقمه؟".

لم يفهم ثيو ما يرمي إليه الرجل على وجه التحديد، لكنه أجاب : "كانوا شرقيين... أتذكر أنني تعجبت حينها منهم، إذ لم أسمع من قبل عن شرقيين يحاربون لصالح "تراكشيونستات""

"ولا أنا..." قال خورا "... ولا يوجد أي شخص سمع بهذا من قبل. تلك الملاحة التي قمت أنت بأسرها تدعي أنها وزملائها مرتزقة من مدينة " بيرفيوم هاربور" الطوافة، وأنهم تم استئجارهم لصالح إحدى المدن الألمانية. وقد وجدنا بحوزتها أوراقا ترجح روايتها تلك، كذلك وجدنا تصاريح رسمية موقعة من عمدة " بنزر ستات كوبلنز" بين حطام المنطاد الآخر. لا يمكننا التحقق من كونها مزيفة أم لا، لكننا كذلك لا يمكننا الاطمئنان لصحتها بشكل تام. أيضا كانت بعض المعدات التي وجدناها لديهم بمثابة مفاجأة لنا"

هنا تذكر ثيو جهاز الاستقبال الذي رآه بالمنطاد، فقال : "جهاز الراديو الذي كان على متن المنطاد الذي قمت باقتحامه، كان من الطراز الذي تستخدمه العاصفة الخضراء"

عاد خورا إلى مقعده، ثم مال نحو ثيو، وشرع يتحدث بتؤدة ورفق : "أعتقد أن ذلك الهجوم الذي قمت أنت بإحباطه لم يكن هجوما على زاجوا، من قِبَل مدن الهمجيين المتحركة، وإنما كان محاولة من عناصر داخل العاصفة الخضراء لاغتيال السيدة ناجا"

"ولماذا؟" هتف ثيو متسائلاً، لكنه سرعان ما تذكر ما قالته له السيدة ناجا قبل قليل، فاستطرد : "أهذا بسبب مافعلته بالمطارِد فانج؟"

"لأنهم يكرهونني" قالتها السيدة ناجا

"ليس هذا فقط.." قال خورا ".. السيدة ناجا لديها من التواضع ما يمنعها من قول ذلك، لكن الحقيقة أن الخطوات الأخيرة التي تم قطعها نحو تحقيق السلام إنما يعود الفضل فيها إليها وإلى تأثيرها على الجنرال ناجا. إنه يعشقها ويلبي كل ما تطلب"

"أنا فقط أحاول إرشاده.." قالت السيدة ناجا،. وقد احمر وجهها خجلا.

"لكن في المقابل.." تابع خورا حديثه "هناك آخرون في العاصفة الخضراء لا يتحملون فكرة صنع سلام مع المدن المتحركة، و بالطبع فإن قتل السيدة ناجا من شأنه يخدم مصالحهم، خاصة إذا تم تم قتلها على يد المدن المتحركة، وقتها لن يفكر الجنرال ناجا بأي حال من الأحوال في إبرام سلام مع قوم يظن أنهم قتلوا زوجته الحبيبة. ولهذا كلفوا أنفسهم عناء اتخاذ كل تلك الترتيبات لإلصاق هجومهم بـ" تراكشيونستات". إلا أن خطتهم قد فشلت الآن ولا أحد يدري ما قد يخططون لارتكابه لاحقاً. السيدة ناجا في أمان طوال فترة إقامتها في زاجوا، لكني أخشى أنهم قد يحاولوا مهاجمة منطادها خلال رحلة عودتها إلى "تينجين". لا شك أنهم سيراقبون مسارات الطيور شرق زاجوا عن كثب في انتظار فرصة أخرى لمهاجمتها.

ولهذا فقد قمنا برسم خطة لخداع أعداء السيدة ناجا. كان من المفترض أن تستمر المحادثات لأسبوع آخر، لكننا في الواقع قد أنهينا مناقشة كافة النقاط، و استطاعت السيدة ناجا بالفعل أن تقنعنا بحسن نوايا زوجها، وقد اتفقنا على مساعدته في تحقيق السلام الذي يصبو إليه.

بعد بضعة أيام من الآن سوف تقلع سفينة تجارة عادية من ميناء زاجوا الجوي متجهة نحو الشمال الغربي عبر بحر الرمال إلى حيث مدينة "تيبستي" الساكنة، ومنها ستتوجه شمالا نحو مرتفعات " أخقار". لكنها، عند نقطة معينة في الصحراء سوف تغير مسارها نحو "شان جو". وسوف تكون السيدة ناجا على متن تلك المركبة، متخفية بالطبع، وسيرافقها واحد أو إثنين من قومها. لن يتوقع أحد أبدا أن تكون السيدة ناجا على متن تلك المركبة أو أنها تسافر عبر ذلك المسار، و بحلول الوقت الذي من المفترض أن تنتهي فيه المحادثات رسمياً ومن ثم تقلع مركبتها الأصلية، نكون قد قمنا بتسليم السيدة ناجا إلى زوجها في "تينجين""

"إنك تتحدث عني وكأنني طرد تسعى لتوصيله" قالتها السيدة ناجا محتجة، وقد

اعتراها بعض الحرج لكونها السبب في كل تلك الجلبة.

لكن خورا استأنف حديثه : "ينبغي أن يكون قائد المنطاد الذي ستسافر السيدة ناجا على متنه إفريقيا... فلو أن أعدائنا بلغهم خبر أن ملاح شرقي غادر زاجوا فسوف يعتريهم الشك، وحينها قد يكشفون خطتنا، أما إذا كانت السفينة يقودها ملاح من زاجوا فسوف يبدو الأمر طبيعيا جدا، مجرد تاجر محلي يسافر من أجل تجارته. والطبع لا يمكن أن نولي تلك المهمة لأي من كان، بل يجب أن يكون شخصا أثبت شجاعته وولائه، ويجيد كذلك بعضا من لغة الملاحين الدولية"

"أنا ؟" صاح ثيو، لكنه سرعان ما استعاد رباطة جأشه، ثم إنه نظر إلى السيدة ناجا، ثم إلى والديه، ليجدهم جميعا قد علقوا أنظارهم عليه في انتظار إجابته. وكان والده يتطلع إليه وقد جمد في مكانه، وفي يده قطعة من بسكويت العسل كانت في طريقها إلى فمه، لكن يده ظلت معلقة في الهواء بها إلى أن سقط الجزء المبلل بالشاي على ثيابه.

"هل تريدون مني أن أذهب في تلك المهمة حقا؟" تساءل ثيو، وفي تلك اللحظة تجمع في داخله مزيج من مشاعر الخوف والإثارة و راحت تعتمل في أعماقه.... أحقا ما يقولون؟.... يريدون مني أن أحلق شمالا من جديد؟... أن أرى العالم؟.... أحقا يريدون تكليفي بمثل تلك المهمة الثقيلة؟...

ثم إنه راح يتطلع من حوله عبر جنبات منزله الجميل والحدائق المشمسة، ثم عاد يحدق في وجه أبويه اللذان ارتسمت عليهما ملامح الجدية. لقد خذلهما ذات يوم حين فر من منزله ووطنه وارتحل ليشارك في حرب العاصفة الخضراء.... لا، لا بد أن والداه لن يوافقا ولن يسمحا له بالمغادرة من جديد.. أليس كذلك؟!

"أبي؟.... أمي؟" سألهما ثيو في توتر

"القرار يعود لك يا ثيو.." قالها أبوه وهو يلف ذراعه حول كتفي زوجته، ".. لقد أثبت من قبل أنك قادر على الاعتناء بنفسك، ونحن نعلم جيدا أنك تتوق للعودة إلى السماء"

"كعصفور حبيس في قفص يرنو نحو الحرية" قالتها أمه.

“سوف نفتقدك كثيراً إذا قررت الذهاب، وسيغمرنا الخوف عليك، ولسوف نصلي ونتضرع إلى الإله أن يحفظك ويردك إلينا سالماً، لكننا لن نمنعك من الذهاب، إذا كان هذا ما تريده حقا...” ثم استطرد والده “.. إنه لشرف عظيم أن يختارك المارشال بنفسه لتلك المهمة”

“لست مضطرا لاتخاذ قرارك الآن..” قال خورا “.. المنطاد الذي سيحمل السيدة ناجا لن يغادر قبل يوم الثلاثاء، في جنح الليل. أمامك الليلة بأكملها لتفكر جيدا وتتشاور مع والديك، وسوف أنتظر قرارك النهائي في الصباح”

لكن الأمر لم يكن ليستغرق كل هذا الوقت الذي منحه خورا لثيو كي يتخذ قراره. لقد أنقذت السيدة ناجا حياته، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنه وبرغم كل ما مر به خلال العام الماضي، إلا أن الرغبة في المغامرة كانت لا تزال قوية تتأجج في نفسه .

وفي أعماقه لم يستطع ثيو أن يمنع نفسه من التفكير والتساؤل حول ما إذا كان سيلتقي بـ “رين ناتسوورثي” ثانية في الشمال عبر مسارات الطيور.

وهكذا، بحلول ليل الثلاثاء، في جنح الظلام، كان ثيو يسير بجوار المارشال عبر ميناء زاجوا الجوي، الكائن على هضبة منخفضة خارج أسوار المدينة. وفي داخل مستودع المركبات الجوية جيد الإضاءة، كانت مركبة السيدة ناجا، “ بلوم بلوسوم سبرينج”، تقف في بهاء وشموخ. كان ذلك المنطاد أروع وأجمل مركبة رآها ثيو في حياته، لكنه بالكاد نظر إليها، فقد كان انتباهه مركزا بالكامل على المركبة الأخرى التي كانت تقف في حوض الإرساء المظلم عند حافة الميناء الجوي. كانت مركبة عادية ليس بها ما يميزها، وقد تم اختيارها تحديدا لهذا السبب، كونها غير مميزة أو ملفتة للنظر. لكن ثيو استطاع من النظرة الأولى أن يدرك أنها مركبة قوية، فقد كانت من طراز “آشيب 1040”، ذات وحدة محركات مدببة وأذرع توجيه طويلة ورفيعة. عادة ما تستخدم تلك المناطيد في جميع أنحاء أفريقيا كسفن للشحن والنقل، ويبدو أن تلك المركبة تحديدا قد استخدمت لفترات طويلة، إذ بدت من منظرها أنها متسخة ومتهالكة إلى حد ما. لكنها كانت في عيني ثيو أجمل وأفضل حتى من مركبة “ بلوم بلوسوم سبرينج” ذاتها، فعلى متن تلك المركبة، وتدعى “ نزيمو”، سوف ينطلق ثيو في مهمته الأولى.

انتهى ثيو من توديع أسرته، وكذلك السيدة ناجا كانت قد انتهت هي الأخرى من مراسم التحيات والتوديع، إذ وجدها واقفة هناك في انتظاره عند سفح سلم المنطاد "نزيمو" برفقة شخصين آخرين : ضابط شاب قام بتبديل زي العاصفة الخضراء الخاص به برداء عادي مما يرتديه التجار، و الخادمة الصماء "روهيني". أما الخادمة الأخرى، وتدعى "تشو لي"، فقد قال خورا أنها ستبقى في زاجوا وستتنكر في ثياب سيدتها وتحل محلها على المأدبة الرسمية الأسبوع القادم. صحيح أنها أطول قامة من سيدتها، وملامحها مختلفة نوعا، ولكن فيما عدا ذلك هما متشابهتان بما يكفي لخداع أعدائها، بحيث يظن من يراقبها أن السيدة ناجا لا تزال في زاجوا.

"ثيو..." قالت السيدة ناجا وهي تمسك بيده مصافحة إياه، ".. أنت تتذكر روهيني، أليس كذلك؟، وهذا كابتن "راسبوترا"، وقد أصر على اصطحابي كحارس شخصي"

"إنها شحنة ثمينة..." قالها راسبوترا بابتسامة بيضاء التمعت من بين لحيته السوداء، ".. لقد وعدتُ ناجا أنني لن أدعها تغيب عن عيني"

" سنكون نحن الأربعة فقط على متن المنطاد" قالت السيدة ناجا

"حين تحط في " تيبستي" لإعادة تزويد المنطاد بالوقود..." قال خورا ".. دع الجميع يظنون أن السيدة ناجا والكابتن راسبوترا مجرد ركاب معك، وأن روهيني زوجتك"

"حسناً" أجاب ثيو، وهو يسترق نظرة خاطفة نحو الخادمة الجميلة، وقد سره أن شقيقتيه لسن هنا ليضحكن ويتغامزن عليه.

"الريح تنشط الآن، يبدو أن أوان الإقلاع قد حان" قالها راسبوترا، فالتفتت السيدة ناجا نحو خورا لتحييه وقالت :

"إن وطنك جميل حقا سيادة المارشال، أتمنى أن أعود ذات يوم لزيارته حين يعود السلام إلى العالم"

"أتمنى أن يأتي ذلك اليوم قريبا" أجابها خورا وهو ينحني لها ردا للتحية، بينما النسيم يداعب ثيابهم. ثم إنه اعتدل في وقفته وقال "سيدة ناجا، إنني مدين لك بشكل خاص بتخليصنا من المطارِد فانج. لقد كنت أعرف " آنا فانج" أيام كانت على

قيد الحياة، وقد أحببتها، إن مجرد التفكير في أن ذلك الشيء الدنس كان يسير ويتحرك من وراء وجهها...."

"أعلم.." قالتها السيدة ناجا "إنني أدرك تماما ما تشعر به. لقد كان أخي كذلك مثلها... لكن عليك ألا تخشى شيء بصدد "آنا فانج"، إنها ترقد في سلام"

ثم إنها التفتت إلى جانبه نحو ثيو، ومدت كفها الصغير إليه من جديد، و:

"ثيو، هلا نقلع الآن؟"

***

5. صبي ومُطارِده

انطلق " فيش كيك" يخف الخطى عبر زقاق جانبي في أعماق الطبقات السفلية من مدينة "القاهرة". كان هناك الكثير من الزحام، حتى في تلك الساعة المتأخرة، إلا أن ذلك لم يقلقه، فهو مجرد صبي لم يتجاوز العاشرة من عمره، طوله لا يتعدى ما يعلو قليلا عن خاصرة معظم المارة الذين لم يلحظوه تقريباً فيما راح يشق طريقه بينهم، متشبثا بحقيبته التي أخفاها تحت ردائه، بما تحويه من تقنيات قديمة مسروقة.

إنه يفعلها من وقت لآخر... يتجول بين الزحام إلى أن يجد حشدا من الرجال يتجمعون أمام واحد من الأكشاك المكدسة بقطع الآلات، في السوق السفلي، فينسل بينهم فيما هم منهمكون في الجدال والفصال - إنهم يحبون الفصال دائماً - ويقف متحيناً الفرصة المناسبة، إلى أن يبلغ الجدال أشده، هنا يمد الصبي يده البيضاء النحيلة دون أن ينتبه أحد، ليقتنص ما يستطيع الوصول إليه من قطع الدوائر الكهربائية أو أجزاء الدروع، ثم يفر مبتعدا، ليتوقف من جديد، أمام أحد أكشاك الطعام هذه المرة، ليسرق ما يتيسر له من المعجنات ليلتهمها أثناء رحلة عودته عبر المتاهة الطويلة من السلالم والأزقة والطبقات الوسيطة للصيانة، وصولا إلى الأسفل حيث شبكة صرف المدينة.

كانت المدينة تتحرك باتجاه شواطئ البحر الأوسط، وقد راحت شبكة مجاري الصرف العفنة ترتج وتصدر صوت صرير شديد. كذلك كانت الظلال تخيم على كل شيء في الأسفل، باستثناء بعض البقاع التي تتناثر فيها الأضواء الحمراء الصادرة عن الأفران والمصافي المنتشرة هناك، فيما كانت الروائح الكريهة والضوضاء والأبخرة تفعم المكان لدرجة تفوق قدرة معظم الناس على التحمل، أما "فيش كيك" فقد اتخذ من تلك المنطقة البشعة مسكناً له، إذ كان يشعر بالأمان هنا في باطن المدينة، حيث لا أحد يأتي تقريباً.

توقف فيش كيك يتفقد الأجواء من حوله ليتأكد من أن أحدا لا يلاحقه قبل أن يفتح ذلك الحاجز الشبكي في جدار المصرف الرئيس ويلقي بحقيبته الثقيلة عبر الفتحة، ثم ينسل إلى الداخل.

كان الظلام يعم كل شيء في تلك الغرفة الجانبية الصغيرة التي انزلق إليها، غرفة

مظلمة وجافة تماما...

قبل مائة عام، كانت القاهرة تنطلق للصيد بعيدا عبر الأراضي الجنوبية، حيث الأمطار تهطل باستمرار، ومن ثم كانت المدينة آنذاك في حاجة إلى شبكة لصرف الأمطار. ولكن منذ أن عادت القاهرة إلى الصحراء لم تعد ثمة حاجة لتلك الشبكة، وهكذا أُهمِلَت تماما إلى أن طواها النسيان. في بعض الأحيان كان فيش كيك يسمع الرجال يتحدثون في السوق السفلي عن أن شبكة الصرف تلك يسكنها الجن والأرواح الشريرة، وهو ما كان يدفعه للتبسم، لأنهم كانوا... محقين!.

حمل الصبي حقيبته من جديد ومضى عبر الغرفة، بين ركام من أغلفة الأطعمة وزجاجات المياه الفارغة التي تكدست فوق الأرضية . وهناك، بالقرب من الجزء الخلفي من الغرفة، حيث وميض الضوء المنبعث عبر فتحة أخرى، كان ثمة شيء يتحرك.

“فيش كيك؟” أتاه الصوت الهامس...

“مرحبا يا “آنا”” أجاب الصبي وقد سعد بوجودها. ثم أضاء مصباحه، والذي كان عبارة عن كرة من الأرجون كان قد سرقها من السوق وشحنها بالطاقة من كابل بالطابق العلوي.

كانت المطارِد قابعة تنتظر في ركن الغرفة، وقد برزت مخالبها حين سمعت صوت خطواته إذ يقترب، وكانت الشفرات الطويلة الحادة لا تزال بارزة أمام وجهها البرونزي وعينيها الكفيفتان.

أما فيش كيك فقد شعر بما يشعر به دوما حين عودته إلى مخبأهما : مزيج من الفخر والضيق والحب.

فأما الفخر فلأنه استطاع إعادة بنائها بنفسه من جديد، حيث قام بجمع أشلائها المتناثرة من الصحراء وأعاد تجميعها معا كجسد واحد.

وأما الضيق فلأنه لم يستطع إصلاحها كما ينبغي، وكما كان يأمل، فدرعها الذي كان من المفترض أن يكون أملساً فضياً، بات مجعدا وملطخ كوعاء معدني قديم، وقد غطاه اللحام في عدة مواضع، فيما تم ربط أجزائه إلى بعضها البعض من خلال تثبيت

صفائح علب الحساء - بعد تحويلها إلى شرائح مسطحة - عليه باللحام. وبرغم أنه في حياته كلها لم ير مطارِدا من قبل، إلا أنه كان واثق من أن مفاصلها كان ينبغي أن تكون أكثر سلاسة وليونة وألا تصدر ذلك الصرير كلما تحركت.

أما فيما يتعلق بالحب، فما من إنسان لا يحتاج إلى شخص يحبه، وقد وجد فيش كيك ضالته في المطارِد، فهي كل من لديه الآن، وقد قامت بإنقاذه في الصحراء وراحت تخبره بما عليه فعله وكيف يمكنه إعادة بنائها. صحيح أنها تمثل صحبة غريبة، ومخيفة في بعض الأحيان، لكنها على أية حال أفضل من البقاء وحيدا.

"لقد وجدتُ بعض أدوات التوصيل..." قالها فيش كيك وهو يفرغ محتويات حقيبته في ركن الغرفة حيث اعتاد تخزين مسروقاته.

ارتجت الغرفة مع حركة المدينة، وانبعث ضوء عبر الفتحات الشبكية لينعكس على وجه المطارد الساكن وابتسامته البرونزية الباردة.

"سوف أتمم عملية تجميعك قريباً..." قال فيش كيك بلهجة من يقطع وعدا "... الليلة"

"شكرا لك يا فيش كيك. شكرا لك لاعتنائك بي"

"لا بأس"

وكان الصبي قد أدرك مع الوقت أن ذلك المطارد هو في حقيقته شخصان، أحدهما هو المطارد فانج، ذلك الكيان القاسي عديم الرحمة الذي تسيد العاصفة الخضراء لسنوات، والآن بات سيداً على فيش كيك. ولكن من حين لآخر يتبدل ذلك المطارد، حيث تأتي لحظة تسري به رجفة ويلفه صمت تام، ثم حين يتكلم من جديد فإنه يتحدث بلسان الشخص الآخر : آنا، وهي أكثر لطفا ورقة من المطارد، لكنها عادة ما تكون ذاهلة ومضطربة.

في البداية اعتقد فيش كيك أن "آنا" تلك ليست سوى نتاج لخلل ما في الدائرة الكهربائية داخل دماغ المطارد المعقدة. ولكن مع توالي الأيام والشهور، أدرك الصبي أن الأمر أبعد من ذلك، إذ كانت آنا تتذكر العديد من الأمور التي وقعت قبل زمن طويل، و كثيرا ما كانت تتحدث عن أشخاص وأماكن لم يسمع بها من قبل. وفي

بعض الأحيان كانت تردد أمورا لا معنى لها، مجرد سرد لقوائم من الصور والأسماء المتفرقة دونما رابط بينها، وكأنما هي قطع عشوائية من مئات الصور المختلطة من أحجية "بازل". وفي أحيان أخرى كانت تبكي وتتوسل لفيش كيك أن يقتلها، وهو ما لم يكن يدري كيف يفعله، وحتى لو كان يعرف، ما كان ليفعلها أبدا، فلو أنها عادت إلى شخصية المطارد فانج في اللحظة التي يقدم فيها على قتلها، سوف تفتك هي به لا محالة.

ومع ذلك، فقد أحب شخصية "آنا"، وقد سُر كثيراً حين عاد في هذه الليلة ليجد أن "آنا" هي التي في انتظاره.

توجه فيش كيك نحو ركن الغرفة، وأخرج ساقي المطارد من تحت ركام من أوراق الصحف... كان قد أعاد بنائهما منذ عدة أشهر، وكان سعيدا جدا بذلك الإنجاز على الرغم من أن الجزء السفلي من الساق اليمنى والقدم اليمنى كانا مفقودان واضطر لاستخدام ساق طاولة معدنية قديمة عوضاً عنهما. ومع ذلك لم ينجح الصبي في ربط الساقين إلى بقية جسد المطارد، حيث لم يكن قد تمكن من العثور على روابط التوصيل الملائمة. أما الليلة فقد كان حظه عظيما في السوق، والحق أن الفضل في ذلك إنما يعود لتلك الهدنة في الشرق، حيث راح التجار يتوافدون على القاهرة أخيراً من كل البقاع التي كانت مناطق للحرب حتى وقت قريب جدا، خاصة مناطق مدن "تراكشيونستات" وساحات المعارك في "ألتاي شان"، ولحسن الحظ فإن تلك الأخيرة تحديدا تعج بأشلاء المطاردين وبقايا أجزائهم.

صب فيش كيك لنفسه بعض الماء، ثم شرع يباشر عمله، وقال : "سوف نرحل من هنا قريباً"

"هل وجدت منطادا؟" سألته المطارد بلهفة؛ وقد كان أحد الأمور المشتركة بين المطارد فانج و آنا هو حثهما المستمر لفيش كيك على إنهاء الإصلاحات اللازمة في جسد المطارد والارتحال إلى مكان يدعى "شان جو"، لكن دوافعهما لذلك كانت مختلفة، ففي حين بدا من كلام " المطارد فانج" أن لديها أمرا هاما لتفعله هناك، كان كل ما تتوق إليه " آنا" هو العودة إلى وطنها...

"كنتُ أملك منطادا خاصا في الماضي، "جيني هانيفر"..." همست آنا، ".. لقد بنيته

بنفسي سراً في أركانجيل. سرقت أجزائه من ساحات العبيد التي يملكها "ستيلتون" وفررت بعيدا على متنه..."

"ليس لدي منطاد..." قالها فيش كيك، وكان قد سئم من تلك القصة التي روتها على مسامعه مرارا، "... وكيف تتوقعين أن نتمكن من الاستيلاء على منطاد؟، المرفأ الجوي على بُعد ثلاث طبقات من هنا. هذا أمر شديد الخطورة "

"لكننا كذلك لا يمكننا الرحيل إلى شان جو سيرا على الأقدام. سيستغرق ذلك وقتاً طويلاً"

أمسك فيش كيك بإحدى الساقين وانكب عليها محاولاً توصيل بعض الأسلاك والوصلات، ثم قال : "لن نضطر للسير... لقد عرفت بعض الأخبار من السوق السفلي اليوم، احزري إلى أين تتجه القاهرة حاليا؟... "برايتون". نحن متجهون للإرساء بجوار الشاطئ للتجارة مع برايتون، وسوف يتم إنزال العديد من القوارب هناك. أعتقد أن برايتون لا يزال لديها بعض من غواصاتنا. يمكننا التوجه إلى شان جو بسهولة على متن إحدى تلك الغواصات"

"عيناي... " همست المطارد وهي تلتفت نحو اتجاه صوته وتنظر نحوه بعينين لا تريان وقد تحطمت عدساتهما تماما، "... سأكون في حاجة للرؤية. إذا كنا سنتوجه إلى شان جو فعليك أن تجد لي عيونا جديدة"

كان صوتها قد تبدل الآن، صحيح أنه ظل خفيضا هامسا، لكنه بات أكثر قسوة وصرامة وأقرب إلى الفحيح، فأدرك فيش كيك أن "آنا" قد ذهبت وأنه الآن في حضرة المطارد "فانج"، فتمالك أعصابه ثم قال : "آسف، لم أتمكن من إيجاد عدستين لعينيك في أي مكان هنا، ربما نجد لك اثنتين في برايتون، أليس كذلك؟ ربما أستطيع العثور على بعض عدسات المطاردين هناك"

لكنه في أعماقه كان يعرف أنه لن يفعل. في الواقع، كانت الأكشاك في السوق السفلي تعج بأعين المطاردين المعروضة للبيع، لكنه قرر منذ البداية أنه لن يسرق أي منها لمطارِده، فهو ليس بغبي ليفعل، وقد كان يعلم جيدا أنها أقوى منه وأسرع وأكثر ذكاءً، ومن ثم فلن يكون لها حاجة به إن هي استعادت قدرتها على الرؤية، أما إذا بقيت عمياء فلن تتمكن أبدا من الاستغناء عنه، وستبقي على تمسكها به...

"ربما نجد لكِ عدستين في برايتون" قالها فيش كيك من جديد، ثم راح يباشر عمله على الساق الأخرى.

***

6. حرير بلون المطر

حلَّقت المركبة " نزيمو" شمالاً، وتحديدا إلى حيث الشمال الغربي، طوال الليل، و بحلول الفجر كانت تطير وسط رياح مواتية فوق الصحراء الشاسعة الممتدة بلا نهاية؛ وبمرور الساعات، بدأ ثيو - الذي كانت أعصابه مشدودة متوترة مع بداية الرحلة وهو يحلق فوق جبال زاجوا الوعرة - يشعر بالملل.

وكان كل شيء يسير بسلاسة وهدوء تام، حيث بقيت السيدة ناجا في مقصورتها، ومن حين لآخر كان حفيف الثوب الحريري لخادمتها الجميلة روهيني يتناهى إلى مسامع ثيو، إذ تأتي وتروح عبر الممر المؤدي لزورق المنطاد، لتلقي نظرة نحو الخارج عبر نوافذه. وقد ضبطها ثيو أكثر من مرة تقف هناك من ورائه وتحدق فيه، وبمجرد أن يلتفت ناحيتها كانت تسارع بإبعاد عينيها الداكنتين نحو السقف تتطلع إليه، وكأنما شيء ما في الأنابيب الممتدة عالياً فوق وحدة التحكم يثير اهتمامها، أو تحدق في مؤشرات قياس الارتفاع أمامه. كان ثمة شيء ما في تلك الفتاة مألوف له، وقد راح يشغل نفسه في التفكير في هذا الأمر ومحاولة استكشافه طوال ساعات الطيران الطويلة المملة نحو الشمال... ربما كانت تذكره برين؟ لكنها كانت أجمل من رين كثيرا...

أما الكابتن "راسبوترا" فقد كان ودودا وكفئاً ومهذباً كذلك، وقد بدا واثق من نفسه إلى حد بعيد ومن قدرته التامة على نقل السيدة ناجا إلى "تينجين " دون الحاجة إلى أي مساعدة من "ثيو نجوني". وفي ذلك المساء، حين نزل إلى مقصورة القيادة ليحل محل ثيو ريثما يحصل الأخير على قسط من الراحة، قال له صراحة : "انظر يا صديقي العزيز، دعنا نوضح بعض الأمور، أنا طيار أملك اثني عشر عاما من الخبرة، اكتسبتها من العمل في فريق الجنرال ناجا ذاته. أما أنت، فمن تكون؟ مجرد هاو، قائد مركبات متفجرة فاشل. أنا لا أقصد أن أكون فظاً، ولكن لقد تم توليتك قيادة تلك المركبة لأغراض التمويه ليس إلا، فقط لتأكيد أن تلك السفينة ليست سوى سفينة تجارية من زاجوا، أما الآن، هنا داخل مقصورة القيادة، أحسب أنه من الأفضل أن تترك لي تولي الأمور، أليس كذلك؟"

وفي ذلك المساء، قبل أن يتوجه إلى النوم، اعتلى ثيو الجزء العلوي من المنطاد،

ووقف على منصة المراقبة الصغيرة في مواجهة الريح، وراح يرصد الأجواء من حوله بحثاً عن أي شيء غير عادي، ولكن.... لا شيء، لم يجد ما يدعو إلى القلق عبر الصحراء الممتدة من تحتهم، لا شيء سوى بضعة قرى صحراوية تشق طريقها عبر الرمال، مخلفة ورائها سحب طويلة من الغبار، وقد بدا أنها منشغلة بأحوالها الخاصة بما يجعلها لا تعير التفاتا لمجرد منطاد عابر.

وكذلك السماء من حوله، كانت خاوية إلا من قطار سماوي يعبر نحو الجنوب، تلمع سلسلة أغلفته الغازية التي تحمله، كعقد من الكهرمان في ضوء الشمس.

تنهد ثيو، وفي قرارته تمنى لو أن ثمة خطر كان في الأجواء، كأن يهاجمهم قراصنة جويون أو جماعة الاغتيال تلك، فقط كي يتمكن من إثبات جدارته وقيمته أمام السيدة ناجا وكابتن راسبوترا. و راح يتخيل نفسه يواجه المخاطر بجسارة ويصنع عملاً بطولياً جديدا، كالذي فعله في سماء زاجوا - متناسياً بالطبع مدى الهلع الذي اعتراه يومها - يتردد صداه عبر مسارات الطيور حتى يصل إلى رين... ثم إنه راح يحاول استحضار وجه رين في مخيلته، لكنه لم يستطع، و بدلاً منه حل وجه آخر... وجه الخادمة روهيني.

وحيدة في مقصورتها في القسم الخلفي من غلاف المنطاد، ركعت "أوينون زيرو"، السيدة ناجا، على ركبتيها وحَنَتْ رأسها وضمت كفيها المرقطين في تضرع، وراحت تتلو صلواتها. ولم تكن تتوقع أو تنتظر إجابة من الرب، فهي لا تؤمن بأن الأمور تجري على هذا النحو، لكنها كانت تشعر بحضوره الجلي، منذ تلك الليلة على "السحابة التاسعة" حين ظنت أنها على وشك الموت، لكن الرب تدخل ومنحها القوة والطمأنينة والشجاعة، وها هي تقدم صلواتها إليه كأقل ما يمكن أن تقدمه في المقابل.

وهكذا، راحت أوينون تتلو صلوات الشكر للرب على الوقت الذي قضته في زاجوا ولطف الملكة والأسقف وكذلك المارشال خورا تجاهها. ثم أخذت تتلو المزيد من صلوات الشكر على شجاعة ذلك الفتى "ثيو نجوني"، متضرعة للرب ألا يصبه أي أذى خلال تلك الرحلة.

وهنا راودتها فكرة أبعد ما تكون عن الروحانية، شتتتها بعيدا عن صلواتها.... يا

للأسف، ليت الجنرال ناجا كان يتمتع بالشباب والوسامة مثل ثيو...

ثم إنها فتحت عينيها ونظرت إلى صورة ناجا التي تضعها بجوار سريرها، حيث جسده المشوه المغطى بدرع ميكانيكي ووجهه المهشم المتجهم وقد افتر عن ابتسامة عجيبة لشخص لم يعرف التبسم في حياته. وفي كل مرة كانت تنظر فيها إلى تلك الصورة كانت تتساءل في تعجب كيف يمكن لرجل مثل هذا أن يحبها.

أما هي، فلم تبادله الحب، وإنما كانت ممتنة له لحمايته إياها، وسعيدة كذلك لانتقال قيادة العاصفة الخضراء إلى يد رجل متزن عاقل مثله، ولهذا، حين طلب منها الزواج لم ترفض..."بالطبع"... هكذا أجابته، وقد سرى في أوصالها خدر وغمرها ذهول لم تفق منه إلا وهي ترتدي فستان عرسها الأحمر وتشرئب على أطراف أصابع قدميها لتقبل زوجها الجديد أمام جمع غفير من الضباط والكهنة ووصيفات العروس وقس مسيحي متوتر، جاءوا جميعا، بتكاليف انتقال ليست بالقليلة، من بعض المدن الثابتة في الأرخبيل الغربي، ليباركوا الزواج ببركات إله أوينون الجديد.

فجأة سمعت أوينون بضعة طرقات رقيقة على باب مقصورتها اقتحمت عليها تفكيرها وأخرجتها من بين أمواج ذكرياتها. ثم انفتح الباب ودخلت روهيني في خجل وصمت كما هي دوماً.

جلست أوينون إلى منضدة الزينة المحمولة الخاصة بها وفكت شعرها كي تقوم الفتاة بتمشيطه، وقد راحت أطراف شعرها تلمع على ضوء المصباح بلون بني خافت ضارب إلى الأحمر، لتذكرها بأنها تنحدر من أسلاف ربما كانوا من الأمريكيين الذين فروا إلى جزر "ألوشيان" البعيدة عقب حرب الستين دقيقة، وهو سبب آخر يجعل متشددي العاصفة الخضراء يكرهونها...

استرخت أوينون في جلستها، محاوِلةً تناسي العاصفة الخضراء ومتشدديها، وراحت تستمتع بلمسات يد روهيني الرقيقة والحركة الناعمة المُدَغدِغة لفرشاة الشعر بين خصلاتها. كانت سعيدة لأن الفتاة تطوعت بالمجيء معها في تلك الرحلة، فهي أكثر هدوءا ولطفا من باقي خادماتها، اللائي بدون مستاءات نوعاً ما حين حاولت أوينون معاملتهن على قدم المساواة، باستثناء روهيني التي قدرت لطفها وأغرمت بها في المقابل. ولهذا كان ما حدث في اللحظة التالية صادم ومفزع إلى حد مروع!.

إذ فجأة ألقت الفتاة بفرشاة الشعر من يدها وبسرعة مذهلة سحبت حزامها الملون عن ردائها و.... لفته حول عنق أوينون، وراحت تشده بقوة وتهمس بصوت كالفحيح لم تسمعه أوينون من قبل : "نحن نعلم بما فعلتِ أيتها البائس المحبة للمدن المتحركة!، نعلم كيف دمرتِ زعيمتنا الحبيبة وكيف أغويتِ ذلك الأحمق ناجا. والآن سوف ترين ما يفعله أبناء العاصفة الخضراء الحقيقية بالخونة..."

استيقظ ثيو من نومه بشكل مفاجئ، وكأن شيئاً ما أيقظه، ولم يستطع العودة للنوم مجددا. كان الجو بارد في مقصورته، كذلك لم يكن فراشه مريحاً البتة... لكم يفتقد منزله الآن. ثم إنه أضاء المصباح ونظر إلى ساعة يده، وكانت لا تزال أمامه عدة ساعات قبل بدء مناوبته على دفة القيادة بدلا من "راسبوترا"، فتثاءب واندس من جديد تحت الأغطية محاولاً النوم ثانية، لكن دون جدوى، فاستلقى متيقظا في فراشه في صمت. هنا شعر بشيء غير عادي، ثم أدرك أن المنطاد قد غير مساره، فقد تغير صوت احتكاك الريح بغلاف المنطاد، وكان قد تعلم الانتباه لمثل تلك التفاصيل أثناء فترة تدريبه بين قوات العاصفة الخضراء.

ولكن، لماذا غير المنطاد اتجاهه؟!، لم يكن من المفترض أن يحدث ذلك قبل الوصول إلى جبال "تيبستي"، وقد قدر ثيو أنهم لن يصلوا إليها قبل شروق الشمس.... ما الذي يحدث بالضبط؟!

ثم إنه راح يتخيل سرب من مركبات الهمجيين تشق الطريق نحوهم، أو أحد القراصنة الجويين يظهر لهم من بين الكثبان الرملية، فيما يحاول راسبوترا مناورته وتخطيه دون اللجوء لثيو ؛ فوثب الفتى من فراشه وسارع يرتدي حذائه ومعطفه، وكان لم يخلع عنه سواهما حين ذهب إلى النوم، وانطلق خارجا من مقصورته. وبينما هو يهرع نزولاً عبر الدرج المؤدي إلى زورق المنطاد، لمح روهيني تسير عبر الممر في الأسفل باتجاه مقصورة السيدة ناجا، فهم أن يناديها ليسألها عما يجري، لكنه تذكر أنها صماء ولن تسمعه بالطبع، كما لم يشأ أن يثير قلقها إزاء أمر قد لا يعدو كونه مجرد تصحيح سليم للمسار. لا، لن يقل شيئاً قبل أن يتحدث إلى راسبوترا. فوقف منتظرا إلى أن مرت، ثم هبط الدرجات القليلة المتبقية سريعا إلى حيث الزورق ليستجلي الأمر من الرجل : "ما الذي يحدث؟"

لكن كابتن راسبوترا لم يستطع الرد عليه أو إخباره بأي شيء، إذ كان شخص ما قد

جز عنقه بقوة وبراعة شديدة قبل حتى أن يدرك ما يحدث له، فقط كانت نظرة المفاجأة قد انطبعت في عينيه وعلى وجهه.

"كابتن راسبوترا؟!" همس ثيو في رعب، ثم لمح حركة إلى جانبه جعلته يقفز في الهواء، ثم ما لبث أن أدرك أن ذلك لم يكن سوى انعكاسه هو على زجاج النافذة.

وقف ثيو مشدوها يحدق في انعكاسه وقد اتسعت عيناه ذهولا ورعبا.... من فعل ذلك؟ أيوجد دخيل على متن الـ"نزيمو" ؟هل اقتحم أحد القتلة مركبته بذات الطريقة التي اقتحم هو بها المركبة التي شنت الهجوم الجوي فوق زاجوا؟.... لكن، لا....

ثم بدأ كل شيء يتضح أمامه جلياً، الآن فقط فهم كيف جرت الأمور؛ فقد أعادت رائحة الدم والرعب من أن يجد نفسه وحيدا مع رجل ميت، إلى ذاكرته كل الأشياء التي رآها ومر بها هو و رين على متن "السحابة التاسعة"... الآن فقط أدرك لماذا بدت روهيني مألوفة له إلى هذا الحد.

هرع ثيو ينتزع فأساً صغيرا من على خطاف مثبت إلى الجدار، وحمل نفسه على العودة إلى حيث الدَّرَج ثم صعد إلى الممر إلى حيث غرفة السيدة ناجا، وهناك سمع صوتا من الداخل يقول شيئاً ما عن الخونة، أعقبه صوت جلبة وأشياء تتساقط. هنا صرخ ثيو في قوة ليمنح نفسه بعض من الشجاعة، وانهال بفأسه على رتاج الباب المغلق محطما إياه من الضربة الأولى، وانفتح الباب، وفي الداخل، على الأرض بين أغطية الفراش المقلوبة والوسائد المبعثرة، و القوارير والزجاجات التي سقطت من على منضدة الزينة، كانت السيدة ناجا راكعة على ركبتيها تحاول بكلتا يديها التخلص من ذلك الحزام الذي لفته روهيني حول عنقها لخنقها.

التفتت الفتاة نحو الباب المحطم لتجد ثيو واقفاً هناك، فتلاشى تعبير الانتصار من على وجهها.

"أما كان لك أن تطرق الباب بدلا من ذلك؟" قالتها الفتاة

"سينثيا تويت" هتف ثيو

"مفاجأة!" قالتها سينثيا وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة واثقة، فيما راحت السيدة ناجا تصدر صوت حشرجة مريعة، أشبه ما يكون بصوت آخر مقدار من مياه

الاستحمام إذ تنسحب عبر فتحة الصرف، فتقدم ثيو خطوة للأمام رافعاً الفأس في يده، لكنه لم يكن يجيد استخدام مثل تلك الأشياء، وقد أدرك أن الفتاة قد خمنت ذلك بدورها...

"تبدين مختلفة كثيراً عما مضى..." قالها ثيو وقد استرجع في ذاكرته خبرته السابقة مع تلك الفتاة وغرورها الفارغ. وبالفعل نجح الأمر واستطاع أن يشتتها قليلاً، حيث شدت الفتاة الحزام الحريري على عنق السيدة ناجا بحدة ثم تركته من يدها، لترتمي ضحيتها على وجهها دون حراك.

"تنكر جيد، أليس كذلك؟." قالتها سينثيا وهي تبتسم في تباهي وتشير إلى شعرها الأسود، وقد كان أشقر حين كانوا على متن " السحابة التاسعة"، وكذلك بشرتها الداكنة، وقد كانت بيضاء.

كانت تبتسم في خيلاء وزهو شديدين، كما لو كان ثيو يطري عليها إطراءً عظيما، وقد كانت تلك بالفعل هي نقطة ضعفها الوحيدة : الإطراء، كان الإطراء على ذكائها يسعدها ويرضي غرورها لدرجة تجعلها لا تستطيع مقاومة لذة التباهي بذكائها والإفصاح لضحاياها عن الكيفية التي خدعتهم بها. وقد أدرك ثيو نقطة ضعفها تلك وقرر استغلالها قدر المستطاع، على أمل أن يتمكن من دفع الفتاة لمزيد من الاسترسال، في محاولة منه لكسب بعض الوقت إلى أن يلهمه الإله فكرة ما للتغلب عليها.

"كان تغيير لون الشعر والبشرة أمرا سهلا.." استرسلت سينثيا "... أما الحيلة الحقيقية فكانت تغيير لون العينين... إنني أرتدي واحدة من تلك الأغراض القديمة التي تدعى "عدسات لاصقة"" قالتها ورفعت إصبعا نحو إحدى عينيها وراحت تطرف قليلاً، و عندما فتحت عينها أخيراً وأبعدت يدها رأى ثيو عينها الزرقاء التي اعتادها قديماً تلمع في وجهها الداكن وتحدق في ثيو.

"لو أنك جريئا بما يكفي.." تابعت الفتاة "لكنت هاجمتني بذلك الفأس، لكني أرى أنك لا زلت جباناً كما كنت من قبل، أما أنا فأتوق إلى قتلك حقا، يا ثيو نجوني، ولهذا أبقيتك حتى النهاية"

"رجاءاً...." همست السيدة نجوني، وقد أفاقت من إغمائها، وراحت تشهق وتزحف

بصعوبة فوق الأرضية، وكأنها غريق يوشك الماء أن يبتلعه، "... لا تؤذه"

فركلتها الفتاة بقدمها بقوة وقالت "صه، نحن نتحدث!"

"سينثيا..." صرخ ثيو ".. لماذا تفعلين ذلك؟"

فدنت منه الفتاة وهي تتفرس فيه بعينيها متباينتي اللون، وقالت :

"تلك الكلبة من ألوشيان غدرت بزعيمتنا كي تمكن ناجا من الاستيلاء على السلطة. أو كنت تحسب حقا أن أبناء العاصفة الخضراء الذين أحبوا المطارِد فانج سوف يتركونها تفلت بفعلتها تلك دون عقاب؟"

"ولكن، لماذا هنا؟... لماذا الآن تحديداً؟.. أنتِ واحدة من خدمها وكان يمكنك قتلها في " تينجين"... كان بإمكانكِ قتل ناجا كذلك"

تنهدت سينثيا وقد نفد صبرها من سذاجته، ثم قالت :

"نحن لا نريد قتل ناجا، فهذا قد لا يفضي سوى إلى حرب أهلية ومزيد من الانقسامات داخل العاصفة الخضراء، مما سيلهينا عن مهمتنا الحقيقية : قتل أبناء المدن المتحركة. وإنما نحن نرغب في دفعه للتخلي عن تلك الهدنة. لولا تدخلك في الأمر حين قمتُ باستدعاء سفننا إلى زاجوا لكان كل شيء قد انتهى بالفعل. لكنني صبورة. والآن، في غضون دقائق معدودات سوف تلتهم النيران تلك المركبة الصدئة ولن ينجو أحد سوى روهيني، ولسوف تخبر ناجا كيف أن زاجوا خانته لصالح المدن المتحركة التي قامت بقصف المنطاد الذي يحمل زوجته وإسقاطه. لا شك أن ذلك سيكتب النهاية لأي تحالف بين ناجا وبين مدينتك، فلا أظن أبدا أنه سيجلس إلى طاولة المفاوضات لإبرام أي اتفاقيات سلام حين يسمع بما فعلوه بزوجته الصغيرة الجميلة. بل ستعود البنادق و الأسلحة لتدوي من جديد معلنة الحرب. لا بد أن زعيمتنا ستكافئنا على إنجازنا هذا حين تعود إلى "تينجين""

"من؟ أتعنين فانج؟! لكنها ماتت!"

افتر ثغر سينثيا عن ابتسامة مخيفة، ثم قالت : "هي ميتة منذ البداية أيها الأفريقي. ولهذا السبب لا يمكن بأي حال قتلها. هي فقط تنتظرنا إلى أن ننهي تلك الهدنة الغادرة، ثم تعود لتقودنا من جديد إلى النصر التام"

"أنتِ مجنونة!"

"آه، يا له من قول!، خاصة حين يصدر عن شخص يجوب الأرجاء محطماً الأبواب بفأس قذر!" قالتها سينثيا، ثم فجأة ودون سابق إنذار، رفعت قدمها وركلت ثيو ركلة قوية طوحته إلى الخلف، وانتزعت الفأس الثقيل من بين يديه، فيما طار هو عبر المدخل المحطم، ليتدحرج عبر الدرج ويسقط على وجهه في الممر السفلي، وكانت السقطة قوية لدرجة جعلته يستلقي في مكانه بلا حراك للحظات، ومذاق الدم الصدئ يتسرب إلى فمه. ومن الأعلى جاءه وقع خطوات سينثيا على طول الممر من فوقه، ثم رأى ظلها يتحرك باتجاه أنابيب الغاز.

تحامل ثيو على نفسه، وزحف جانبا ليختبئ بين الظلال، وفي اللحظة التالية توقف صوت الخطوات، ثم :

"ثيوو؟..." صاحت الفتاة ".. لا تحسب أنني سأضيع وقتي بحثا عنك. صحيح أنني كنت أتوق لقتلك، لكنني لن أكلف نفسي عناء لعب الغميضة معك. هذا لن يحدث فارقا على أية حال، فهناك قنبلة أسفل وحدة الغاز المركزية معدة للانفجار مع دقات منتصف الليل. والآن، سوف أقوم بأخذ واحدة من تلك الطائرات السخيفة التي تلهون بها في زاجوا وأحلق بها بعيدا حيث ينتظرني عدد من أصدقائي هناك في الصحراء. لقد رتبتُ كل شيء، والآن، وداااعاااا!"

ثم سمع صوت خطواتها تبتعد من جديد، في هدوء هذه المرة، وقدَّر أنها لا بد تتجه الآن إلى حيث مخرج الطوارئ على جانب غلاف المنطاد، حيث توجد هناك خزانة تحوي نصف دزينة من الطائرات، كتلك التي كان يحلق بها في زاجوا.

بقي ثيو في موضعه قابعاً ينتظر، ثم سمع صوت الفتحة في جسم غلاف المنطاد إذ تنفتح، وصوت الريح المندفع إلى الداخل يتردد بين جوانبه. هنا هب مسرعاً وانطلق إلى حيث كوة زجاجية جانبية وراح يتطلع نحو الخارج. وهناك، على ضوء النجوم، رأى ذلك الظل الشبيه بجناحي خفاش أسود يطير مبتعدا عبر الصحراء.

ترى، ماذا فعلت بباقي الطائرات؟.. كان يدرك أن سينثيا لا بد كانت تنوي تدميرها جميعا، لكنه آمل أنها ربما لم تجد أمامها متسعا من الوقت لفعل ذلك بعد التأخير الذي تسببت فيه مواجهتها مع ثيو.

نظر ثيو إلى ساعته، فوجد أنه لا زال أمامه ثمانية دقائق قبل منتصف الليل، فركض، متجاهلا الألم الذي كان يعصف بصدره وجانبه، باتجاه خزانة الطائرات، ولم يكن يعرف موضعها بالتحديد في غلاف المنطاد، ومع ذلك كان بإمكانه الوصول إليها سريعا من خلال تتبع مصدر الهواء البارد المندفع من فتحة الخروج المجاورة لها. وحين بلغ الخزانة وجد ما توقعه : كانت فارغة تماما، لقد ألقت سينثيا بباقي الطائرات عبر الفتحة قبل أن تغادر المنطاد.

ولكن - ولحسن الحظ - حين أطل ثيو برأسه عبر الفتحة، وجد واحدة من تلك الطائرات عالقة بين حبال المنطاد على بعد ياردات قليلة فقط من الفتحة، بحيث استطاع أن يمد يده ويلتقطها.

وهكذا، شرع ثيو، وهو بالكاد يلتقط أنفاسه، يربط حبال الطائرة حول جذعه. ثم إنه تذكر السيدة ناجا، وكانت الطائرة كبيرة بحيث يمكن لأجنحتها أن تحملهما معا في الهواء، خاصة وأن السيدة ناجا ضئيلة الحجم. ولكن، أتراها لا زالت على قيد الحياة؟. التفت ثيو لساعته ثانية بسرعة، فوجد أنه لم يستغرق الوقت الذي كان يتوقعه للوصول إلى الخزانة. والآن، عليه أن يعود ويحاول إنقاذ السيدة ناجا.

خلع ثيو الطائرة وتركها بجوار الخزانة، وقفز إلى الممر السفلي حيث مقصورتها، وهناك داخل الغرفة وجدها لا تزال راقدة على الأرض حيث تركها، و كانت لا تزال حية، وقد شرعت تحاول جر نفسها بعيدا حين سمعت صوت خطواته يدخل عليها، وقد حسبته الفتاة، لكنه قال لها مطمئنا وهو ينحني بجوارها : "لا بأس، كل شيء على ما يرام الآن"

"روهيني..." غمغمت

"لقد رحلت...." أجابها ثيو وهو يحاول معاونتها على النهوض والوقوف على قدميها، ثم : "هي لم تعد روهيني الآن، اسمها الحقيقي سينثيا تويت، إنها من دائرة العملاء السريين للمطارد فانج"

"تويت؟" قالتها السيدة ناجا وهي تئن، و ازدادت تجهماً، وراحت تفكر، ثم : "لا، لقد كانت تلك التي تتحدث عنها بيضاء البشرة، عميلة المطارد فانج على متن "السحابة التاسعة"... لقد أعادها ناجا إلى الوطن على متن منطاد " ريكوام فورتكس"، لكنها

اختفت بمجرد وصولنا "شان جو"... اه، ثيو، يجب أن أعود إلى الوطن. إذا لم أعد فربما تقول لناجا هي أو أي من جماعتها أن أبناء المدن قد قتلوني، وحينها ستفشل كل محاولات السلام..."

"لا تتكلمي..." قالها ثيو مخافة أن يتسبب الكلام في إلحاق مزيد من الضرر بحلقها المصاب من أثر محاولة الخنق، "... سوف آخذك إلى الوطن، أعدك. لكن علينا أولا الخروج من ذلك المنطاد"

ثم إنه تفحص ساعته من جديد وهو يقول "... يوجد قنبل...." لكنه توقف وقد أخذته الدهشة، فقد كانت الساعة تقول ان الوقت لا يزال قبل منتصف الليل بثماني دقائق!!. هنا أدرك الأمر... لقد تسبب سقوطه من فوق الدرج في إتلاف ساعته...

والآن، وقد أوشك الانفجار أن يندلع ليمزق المركبة بمن عليها إلى أشلاء، تذكر ثيو والده إذ كان يقول دوما : "لا أعرف لماذا ترتدون، أنتم معشر الشباب، تلك الساعات ذات السوار، فساعات الجيب أجمل وأفضل وأكثر موثوقية بمراحل"

***

7. صخور برايتون

منذ غادرها رين و ثيو، تدهورت أحوال برايتون كثيرا، وراحت تنحدر نحو الأسوأ. فقد اختفت "السحابة التاسعة" وقصرها، واختفت معها معظم النخبة الحاكمة للمدينة، وأمست برايتون تحت حكم الصبية المفقودون الذين كان قد تم أسرهم واستعبادهم من قِبَل شركة " شكين"، إذ تمكنوا من الفرار من زنازينهم في تلك الليلة التي هاجمت فيها قوات العاصفة الخضراء المدينة. وبين عشية وضحاها بسطوا سيطرتهم على كل شيء، مؤسسين ممالكهم الصغيرة بين جنبات الشوارع الجميلة في "كوينز بارك" و "مون بيلييه" ومتاهات ال"لينز"، وحشدوا من حولهم جيوشا خاصة من الشحاذين والعبيد المتمردين. وقد تقاتلوا فيما بينهم، وشكلوا تحالفات هشة، يسهل كسرها ببساطة لأجل زوج من الأحذية المسروقة أو نظرة شبقة لفتاة جميلة من العبيد.

ولم يكن بمقدور أحد التنبؤ بما قد يفعله أي من هؤلاء الصبية، فقد كانوا مضطربي المشاعر، تجمع طبيعتهم النفسية مابين العاطفية الشديدة والجشع والسخاء و... بل الأكثر من ذلك أن عددا لا بأس به منهم كان مصابا بشكل من أشكال الجنون. وفي المساء كانوا يخوضون المعارك عبر المتنزهات التي باتت مترعة بالقمامة، انتقاما بسبب صفقات فاشلة عقودها فيما بينهم، أو حتى جراء إهانات متخيلة.

ومع ذلك، بقيت برايتون وجهة سياحية ذات شعبية، ومقصدا لقضاء العطلات. صحيح أن زوارها من أبناء الطبقات الاجتماعية الراقية قد هجروها، وأمست فنادقها الفاخرة إما خرابا أو تحولت إلى معاقل للصبية المفقودين، كذلك لم تعد دور الضيافة الأقل تكلفة تعج بمرتاديها من الأسر التي كانت تأتي سابقاً لتمضي أوقاتا مرحة على الحوض البحري. ولكن بقي هناك نوع معين من الأشخاص رأى في برايتون الجديدة مكانا مثيرا جاذب للزيارة، مثل هؤلاء الفنانون ميسوري الحال من الطبقات الوسطى بالمدن الأخرى التي لم تمسها الحرب، والشبان المدللون الذين كانوا يفدون إلى برايتون طمعاً في بعض المغامرة قبل أن يتسلموا وظائفهم التي أتاحها لهم آباؤهم؛ وقد كانوا يشعرون بلذة عارمة وهم يصطخبون ويرقصون في النوادي والحانات، جنباً إلى جنب مع المجرمين والجنود المتمردين، وكان ابتهاجهم يتضاعف حين يقتحم أحد الصبية المفقودون وعصبته المكان. وكانوا يرون في متنزهات برايتون

الملوثة ببرك الصرف الصحي، والموسيقى الصاخبة التي لا تنتهي، والجثث التي يتم إلقائها إلى البحر عند الفجر، علامات على أن برايتون، بشكل أو بآخر، مدينة أكثر واقعية من مدنهم التي أتوا منها، مدينة عامرة مفعمة بالحياة.

والحق أن الكثير من هؤلاء قد تعرضوا للأذى على متن برايتون... فبعضهم تعرض للسرقة، بل إن منهم من تم العثور عليه ميتاً في أزقة "مولز كومب" و " وايت أور"، وقد أُفرِغَت جيوبهم ومحافظهم وقطعت أعناقهم.

ومع ذلك كان الناجون منهم يعودون إلى ديارهم في "ميلان" و " بيريياتشيابوليس" و" سانت جين لو كواتر ميل جيفو"، ليسكبوا على مسامع أصدقائهم ومعارفهم القصص والحكايا عن عطلتهم في برايتون. وكان بعض من هؤلاء موجودين على متن الرحلة التي انطلقت من على الشاطئ حيث كانت ترسو "القاهرة"، إلا أن الغالبية العظمى من المسافرين كانت لهم أغراض أخرى من زيارة برايتون، إذ كان منهم لصوص وتجار مخدرات وتجار أسلحة، وكذلك عدد من الرجال الغامضين - تبدو عليهم أمارات الدهاء والمكر - ممن سمعوا أنه يمكن شراء أي شيء من برايتون هذه الأيام.

و عند طرف القارب، حيث رذاذ البحر يتناثر ليغرق كل شيء كلما ضربت قمة القارب الأمواج، وقف فيش كيك يتطلع نحو المنتجع الذي بات على مرمى البصر، وفي داخله تمنى لو بقي هو في أمان على الشاطئ، وراح يفكر في قلق... هناك، داخل تلك الفتحة المخفية في "القاهرة"، كان من اليسير أن يرضي المطارد فانج بقطع مزيد من الوعود بأنه سيسرق إحدى الغواصات ليعيدها إلى ديارها، بمجرد الوصول إلى برايتون، أما الآن، وقد باتت برايتون أمامه، بدأ الشك والقلق يعتملان بداخله؛ إنه يدرك جيدا أن رفاقه من الصبية المفقودين يعتبرونه خائنا، ويتذكر كيف أنهم، في مواجهته الأخيرة معهم، قد توعدوه صراحة بأنهم سيقتلونه شر قتلة إن هو وقع في أيديهم، لدرجة أنه اضطر يومها للقفز إلى البحر فرارا منهم.

ومع ذلك فقد قَدَّر أن سلطات برايتون قد استعادت قبضتها على المدينة، وأنها لا بد قد قامت بالقبض عليهم جميعا وإلقائهم في الزنازين مرة أخرى، لكنه، ما أن اعتلى ظهر القارب وجلس ينصت إلى أحاديث الركاب من حوله، حتى أدرك أنه كان مخطئ تماما في تقديره، فقد صار الصبية المفقودون هم ذاتهم السلطات الحاكمة في

برايتون.

أخيرا وصل القارب إلى برايتون وبدأ يرسو في إحدى أحواض الإرساء في القسم الخلفي المتهالك من المدينة، حيث عجلات التجديف المتسخة والمماشي المهجورة، وتلك المنطقة المسماة " بلاج ألتيم"، حيث اصطفت مجموعة من غواصات الصبية المفقودين فوق رصيف معدني متسخ. وفي الجوار، على متن القارب، وقفت فتاة بدا من مظهرها أنها جاءت من مدينة ثرية، تتطلع نحو تلك المركبات وتقول لصديقها في حماسة :

"آه!، انظر لتلك الآلات الرهيبة، إنها تشبه العناكب الضخمة"

"إنها غواصات الصبية المفقودين.." قالها صديقها ".. يمكنكِ حجز رحلة ممتعة على متنها وتستمتعين برؤية المدينة من الأسفل. ولكن ليس هذا هو الاستخدام الوحيد لتلك المركبات، فهؤلاء الصبية لا زالوا قراصنة في أعماقهم، وقد سمعت العديد من القصص حول بلدات صغيرة عبرت طريق برايتون ولم تظهر ثانية أبدا..."

"أوه!" صاحت الفتاة ثانية، لكنها بدت مستمتعة جدا بفكرة أن تكون موجودة على متن مدينة يحيا بها قراصنة حقيقيون.

أما فيش كيك، والذي كان يقف على مقربة منها ومن صديقها وسمع ماقالا، فلم يشاركها الحماسة، بل ازداد يقينا بأن فكرة العودة إلى برايتون لم تكن فكرة جيدة على الإطلاق.

أخيراً دخل القارب إلى إحدى القنوات المائية الآسنة بين مركز المدينة وأطراف منطقة "كيمب تاون"، فيما راح طاقم القارب ينادون عمال الرصيف الواقفين في الانتظار على دَرَج الإرساء، وروائح الزيت والمياه المالحة تفعم الأجواء. وفي الجوار كانت جثة قطة ميتة تطفو فوق سطح المياه القذرة.

و رسا القارب، وراح المسافرون يجمعون حقائبهم ويعدلون من هيئتهم وثيابهم، ويتحققون من محافظ نقودهم. أما فيش كيك فقد انكمش على نفسه ورفع ياقة قميصه لأعلى فيما شد قبعته المتسخة للأسفل مداريا بها وجهه، وفي قرارته تمنى لو أمكنه البقاء هنا على متن القارب والعودة به إلى القاهرة.

"لا داعي للخوف..." قالتها المطارد فانج، وكانت تجلس بجواره في صمت، متسربلة بذلك الرداء الطويل الذي سرقه لها من السوق، وقد أسدلت قلنسوته فوق رأسها، و قد بدا أنها شعرت بما يعتمل في صدر الصبي من خوف، "... أنا معك" ثم أنها أغلقت أصابعها المعدنية برفق فوق ذراعه.

إنها "آنا" اليوم، فوضع كفه في كفها، وقد تسربت إلى نفسه بعض الشجاعة، حتى أنه لم يشعر بالخوف حين هبت الريح وأطاحت بقبعته من على رأسه وأرسلتها بعيدا.

وعلى بُعد طابقين منهما، في أحد الفنادق المحصنة ب"أوشن بوليفارد"، وقف أحد الصبية المفقودين، ويدعى " بريتل ستار" يحدق عبر نافذته في تلك القبعة الطائرة التي حملتها الرياح إلى الأعلى...

"ما كان هذا؟" تساءل الفتى، فنظر أصدقاؤه وحرسه إلى حيث أشار وهم يتحسسون أسلحتهم، ثم قالوا أنهم لا يدرون، فيما قالت واحدة من عبيده إنها تظن أنها ليست سوى قبعة.

"ليست سوى قبعة؟!" قالها" بريتل ستار"، "لا يوجد شيء بلا معنى، أي شيء لا بد وأن يعني شيئاً ما!. من أين أتت تلك القبعة؟ ولمن هي؟"

تبادل حراسه وأصدقائه وعبيده نظرات مُرهَقَة، فقد كان بريتل ستار مصاب بجنون الشك، وكان جنونه يتفاقم يوما بعد يوم، وفي بعض الأحيان كان أفراد عصابته يستيقظون ليلا على صوته إذ يصرخ وهو نائم بأشياء حول "جريم سباي" وشخص يطلق عليه "العم". لدرجة أن حرسه الشخصيون ورفاقه بدءوا يفكرون جدياً في أنه ربما حان الوقت للتخلص منه وتقديم خدماتهم إلى واحد آخر من الصبية المفقودين يكون أقل حساسية وأكثر تعقلا، مثل "كريل" أو " بيت بول".

اندفع " بريتل ستار"، وذيل ردائه الحريري يتدلى من ورائه فوق السجاد باهظ الثمن، إلى حيث الغرفة التي يحتفظ فيها بشاشات المراقبة. كان لدى جميع الصبية المفقودين شاشات مراقبة، كما كانوا يملكون جميعا عدد من الكاميرات الشبيهة بالسلطعون، يرسلونها عبر برايتون للتجسس على بعضهم البعض. وقد اعتاد جميع سكان المدينة أصوات خربشات الأقدام المعدنية لتلك الكاميرات داخل الأنابيب وفتحات التهوية، بل و صدى المعارك المعدنية التي كانت تدور رحاها طوال الليل إذا

ما صادفت كاميرا عصبة من الصبية كاميرات العصبة الأخرى المنافسة، حتى إذا ما جاء الفجر تكون الأرصفة أسفل فتحات التهوية قد امتلأت بأشلاء تلك الآلات، من أقدام معدنية ممزقة وعدسات محطمة.

"كل شيء يعني بالضرورة "شيئاً" ما!" راح بريتل ستار يردد على مسامع أتباعه الذين تجمعوا عند مدخل الغرفة ووقفوا يتابعونه بينما يداه تتحركان بسرعة وعصبية بين أدوات التحكم في الشاشات... "أنتِ تقولين إنها قبعة، وأنا أقول إنها علامة... ربما هي رسالة من "العم""

وكان العم يزور بريتل ستار في أحلامه كثيرا في الآونة الأخيرة، ويهمس له باستمرار، لدرجة أن الفتى بات على يقين من أن الرجل العجوز لا يزال حيا، وأنه سيصل إليهم قريبا ويعاقبهم على استسلامهم للأسر في برايتون.

ولكن لم يكن وجه العم هو ما رآه حين راح يحرك كاميراته ويقلب عدساتها بين وجوه مجموعة من الزوار الذي كانوا ينزلون الدَّرَج في "كيمب تاون"، وإنما رأى وجه آخر مألوف.... في البداية لم يكن متأكدا، لكنه شعر بشيء مألوف في ذلك الصبي الصغير الذي كان يقود شخصا معاقا يرتدي رداءا أسود. إلا أن واحدة من عبيده، وهي امرأة تدعى "مونيكا وييمز" وكانت تعمل سابقا في شركة شكين، كما كانت تملك قدرة أفضل منه على تذكر الوجوه، صاحت فجأة وهي تشير نحو الشاشة : "انظر، انظر يا سيدي، ذلك الصبي، إنه الصغير فيش كيك!"

وكان الصغير فيش كيك في تلك اللحظة يخف الخطى مصطحباً المطارِد سريعاً عبر الأرصفة المليئة بالقمامة والنفايات، تحت الأعمدة عند طرف المدينة، مروراً بالمقاهي، ثم إلى الخارج إلى حيث " بلاج ألتيم"، وهناك وجد لافتة مثبتة إلى جدار أبيض، كُتِب عليها : إلى الشاطئ. فتوجه الصبي بالمطارد إلى حيث تشير اللافتة، مرورا بالفنادق المهجورة وأحواض السباحة الفارغة، والمستودعات الضخمة لمحركات "ميتشيل و نيكسون" بالمنتجع، ثم نزلا إلى حيث تقع صفوف الغواصات.

كان المكان محاط بسياج، كذلك كانت البوابة مغلقة بقفل، لكن الأقفال لا تعني شيئا بالنسبة للمطاردين، فانتزعته فانج بسهولة وسارع فيش كيك يفتح البوابة وركض إلى الداخل بين الغواصات، وقد انتابه شعور غريب بالحنين لأيامه في جريم

سباي بينما هو يركض بين تلك المركبات المدرعة ذات الأرجل المطوية، الملطخة بفضلات الطيور، وقد بدا مظهرها وكأنها سلطعونات ضخمة من عصور ما قبل التاريخ. وكان يعرف تلك المركبات جميعا ويستطيع تمييزها بالاسم : " سي لاوث".. " ثيرموكلاين جيرل".. "هاج فيش 2".. " فيني دينيزن"... ومع هذا فقد توجه رأسا نحو المركبة الأصغر والأحدث بينهم، " سبايدر بيبي".

كانت المركبة المختارة تستقر هناك أقرب إلى الماء منهم جميعا، وقد تم وضع لوح قبالة سيقانها الأمامية استعدادا لاستقبال الزوار والغوص بهم في رحلة ممتعة تحت المدينة، وهو ما جعل فيش كيك يأمل في أن تكون المركبة مزودة بالوقود. ثم إنه التفت نحو المطارد، لكنه لم يجدها بجواره، كان قد تركها خلفه وهو يركض بين المركبات، ولم تستطع مجاراته في سرعته، بساق الطاولة المثبتة مكان ساقها الأصلية وعينيها الكفيفتان، فهرع الصبي عائدا تحت الظلال المتعرجة للمركبات وراح ينادي "آنا، تعالي إلى هنا، أحتاج إليك لفتح فرجة المركبة"

وفي غضون ذلك كانت المحركات الكهربائية لاثنين من المركبات تعوي عبر الشوارع، ثم انطلقت مسرعة عبر البوابة المفتوحة. كانت المركبتان تجريان بسرعة كبيرة، محملتان بحشد من الرجال والصبية الذين تكدسوا داخل المقصورتان الصغيرتان، فيما استقر بعضهم فوق سقفي المركبتين. وما أن رآهم فيش كيك ورأى السيوف والبنادق والمسدسات التي يلوحون بها، حتى استدار وأطلق ساقيه للريح، لكن المشكلة أن السبيل الوحيد للخروج من هذا المكان هو عبر البوابة المفتوحة التي تدفق منها هؤلاء الرجال ثم أغلقوها خلفهم بسرعة.

بدأ الصبي يئن هلعا وانطلق يجري نحو البحر، لكن اليابسين كانوا حوله في كل مكان، ومعهم صبيا كان يعرفه جيدا، صبي طويل نحيف ذو شعر أحمر، صبي يدعى...

"بريتل ستار..." قالها بريتل ستار نفسه "... أتتذكرني ؟ إنني أذكرك جيدا، أنت فيش كيك"

وكان الصبي يحمل في يده بندقية من بنادق إطلاق الحِراب... "أنت ذلك الصبي الواشي، أليس كذلك؟، الذي أخبر شكين بموقع جريم سباي. لا تحسب أنني نسيت، لم ينس أي منا ما اقترفته، والآن حينما أعود بك إلى الصبية المفقودين ويعرفون أنني

تمكنت من الإيقاع بك فسوف يمنحونني الاحترام والتقدير، ومن يدري، ربما يستثنيني العم من العقوبة حينما يأتي إلى هنا لمعاقبتنا، ربما...."

ولم يتمكن الصبي من استكمال كلامه، ففي تلك اللحظة، وعلى نحو مباغت، ظهرت المطارد فانج من خلف "بريتل ستار" ودون سابق إنذار أمسكت به من ذقنه وشعره الأحمر ولفت رأسه بعنف، لدرجة أن صوت انكسار فقرات عنقه قد أحدث دوياً أشبه بدوي إطلاق النار. وكان آخر ما رآه الصبي هو انعكاس وجهه المشدوه على قناعها البرونزي، بينما تقلص إصبعه على زناد البندقية، لتنطلق الحربة الفضية نحو السماء، تلتمع في ضوء الشمس، مخترقة سحب الدخان الصادر عن المحركات إلى حيث الهواء النقي من فوق المدينة.

وانطلق الرصاص من كل حدب وصوب، يمطر الأجواء بين المركبات، ولم يجد فيش كيك من مفر له سوى أن يلقي بنفسه على الأرض بجوار جسد بريتل ستار الذي كان لا يزال ينتفض. ومن موضعه رأى الصبي الحربة إذ تنطلق بسرعة مطردة نحو السماء قبل أن تبدأ سرعتها في التباطؤ، وقد خيل إليه للحظة أنها قد توقفت في الهواء. ثم بدأت الحربة في السقوط من جديد نحو الأرض وفي ذات اللحظة أبرزت المطارد فانج مخالبها وشرعت في إعمال القتل في عصابة بريتل ستار، الواحد تلو الآخر، وبرغم عينيها الكفيفتين، كانت تصل إليهم ببراعة شديدة من خلال روائحهم وصوت بنادقهم التي راحوا يطلقون النار منها عليها.

ولم تمض لحظات حتى سقطت الحربة فوق سطح الأرض، ومعها سقط آخر القتلى.

أعادت المطارد فانج مخالبها إلى عمدها، ومدت يدها تعاون فيش كيك على النهوض، وهي تسأله برفق ما إذا كان قد أصابه أذى.

"أنا؟" قالها فيش كيك في دهشة ،"لقد حسبتُ أنك تحولتِ إلى..."

"الآخر لا يزال غافيا، على ما أحسب" أجابته المطارد بذلك الصوت الهامس وهي تمسح على ردائها الذي كان الدخان ينبعث من موضع به حيث أطلق أحدهم الرصاص عليها.

"ما كنت أظن أن بإمكانكِ فعل هذا..." قالها فيش كيك بحرج وهو يتأمل الدماء

التي لطخت كفيها وأكمامها. وعلى الأرض بجواره كان " بريتل ستار" راقد وقد همدت حركته تماما وكف جسده عن الانتفاض؛. وتذكر فيش كيك كيف كان هذا الصبي لطيفا معه في الأيام الخوالي في جريم سباي.... "كنتُ أحسب أن ذاتك "الأخرى" فقط هي من تقدم على فعل أشياء من هذا القبيل"

"كنت أشطر أحيانا لقتل بعض الأفراد. لقد نسيت ذلك تماما، لكنني الآن أتذكر. وقد كنت أؤدي مهامي تلك بنجاح، أيام كنت أعمل لصالح عصبة مناهضة التحرك. وقد فعلت ذلك في "ستينز" ذات يوم لإنقاذ توم وهيستير..."

"أنتِ تعرفين توم وهيستير؟" سألها فيش كيك وقد استولت عليه الصدمة لسماعه هذين الاسمين منها، ربما أكثر من صدمته لوفاة بريتل ستار وعصبته.

إلا أن المطارد لم تحر جوابا وإنما أخذته من معصمه وسارا نحو المركبة التي سبق وانتقاها، وصعدا عبر الدرج المؤدي إلى فتحة الدخول ثم شرعت تفتحها بقوة.

وهنا بدأت تهمس لنفسها بصوت كالفحيح بكلمات عن "شان جو" و"أودين". و أدرك فيش كيك أن "آنا" القاتلة اللطيفة قد توارت من جديد، لتحل محلها المطارِد فانج.

***

8. على الخط الفاصل

كانت رين نائمة تحلم بثيو، لكنها حين استيقظت لم تتمكن من تذكر أي شيء كان يقوله أو يفعله في حلمها؛ كانت التفاصيل واضحة جلية أثناء الحلم، لكنها تبخرت تماما في اللحظة التي فتحت فيها عينيها، لتجد والدها جالس بجوارها يهزها برفق ويناديها...

"ماذا هناك؟" غمغمت رين في نعاس وضجر، في فراشها على متن "جيني هانيفر"، متدثرة بالأغطية والفراء، فبالرغم من أن فصل الربيع كان قد حل، إلا أن الطقس كان لا يزال باردا في الأعلى عبر مسارات الطيور.

نهضت رين في فراشها وراحت تدعك عينيها محاولة طرد النعاس منهما، وكان الوقت لا يزال ليلا والسماء غارقة في الظلام.

"ما الأمر؟..." تساءلت رين، وقد بدأت تفيق وتدرك الموجودات من حولها، "... هل ثمة شيء على غير ما يرام؟ أتشعر بتوعك؟"

"لا، لا.." هتف توم مطمئنا إياها، ".. أنا آسف لأنني أيقظتك، ولكن هناك مشهد يلوح في الأفق لا ينبغي أن يفوتك"

وكان توم مقتنع تماما أن هناك من الأمور والمشاهد في العالم تحوي من الجمال والروعة، أو الفائدة التعليمية، ما لن تسامحه ابنته أبدا إن هو فوت عليها مشاهدتها. وكان يتذكر دوما المرة الأولى التي رأى فيها " باتمونخ جومبا"، وكذلك حين وقعت عيناه لأول مرة أيضا على سلسلة براكين " تانهاسر"،... وقد حسب أن رين ستشعر بذات الإثارة والحماسة التي شعر بها لدى رؤيته لتلك المناظر الخلابة. وهكذا، وفي أكثر من مرة خلال رحلتهما شرقا، كان يهرع إلى مقصورة رين ليجرها من فراشها كي تشاهد معه شروق الشمس في هذا الموضع أو ذاك، أو تشهد إحدى المدن الجميلة إذ تقترب. إلا أن رين، والتي كانت لا تزال مراهقة بعد، فلم تكن دائما بذلك الحماس الذي توقعه أو إنتظره.

ولكن في هذه المرة تحديدا كان الأمر مختلفا، وما أن توجهت رين متذمرة إلى حيث سطح المنطاد وأطلت من النافذة الأمامية، حتى غفرت لوالدها إيقاظه إياها...

كان منطاد جيني هانيفر في تلك اللحظة يحلق على ارتفاع منخفض، ومن تحته امتد السهل الخالي من أي علامات أو آثار على امتداد البصر. وإلى الجنوب كانت غيمة بيضاء من الضباب معلقة فوق مستنقعات "راست ووتر" وبحر "خازاك"؛ ولكن لم يكن هذا ما أيقظ توم ابنته من أجله، فهناك، إلى الأمام، منتصبة كجبال تحيط بقممها سحب الضباب، وقف أكبر عدد من المدن المتحركة، أكثر من كل المدن التي رأتها رين في حياتها. كانت نوافذها مضاءة، و فتحات أفرانها تتوهج كجواهر متلألئة في ظلام ما قبل الفجر. كذلك كان عدد من المدن والبلدات التي أبهرت رين بجمالها يوما، تأتي وتروح، لكنها الآن قد تضاءلت وتقزمت بجوار ذلك الجمع المهيب من ال" زيجورات" (2) المدرعة الضخمة عند الحافة الشرقية من الجمع. كانت تلك ال" زيجورات"، ذات الارتفاع الشاهق الذي يصل لعشرة أو خمسة عشر طبقة من المنازل والمصانع، ترتكز إلى طبقة أساسية يصل اتساعها إلى ميل كامل، وكانت جميعها محاطة بدروع فيما يشبه فرسان العصور الوسطى، محمية ببنادق تنتصب كالأشواك، وقد امتدت عبرها جسور لرسو السفن الحربية الجوية.

وكان الجيني هانيفر قد بلغت الخط الفاصل الذي يرسم الحدود الشرقية لسيادة "الداروينية البلدية"، وراح يحلق فوق واحدة من المتنزهات الشاسعة لمدن "تراكشيون ستات".

***

قبل نحو أربعة عشر عام، بينما كانت رين لا تزال تتعلم الحبو، وتزعج والديها بوضع كل ما تطوله يدها من حجارة وخنافس أو حلي صغيرة، في فمها، كانت العاصفة الخضراء قد انطلقت من معاقلها في جبال شان جو وراحت تنشر الحرب والدمار عبر ساحة الصيد العظمى. وكانت أساطيلهم الجوية وجيوشهم من المطاردين يتدفقون نحو الغرب في إثر المدن المتحركة التي كانت تفر من أمامهم فراراً، مدمرين أي مدينة لا يسعفها القدر بالهروب بالسرعة الكافية. إلى أن قام "أرمينيوس كروز" عمدة " تراكشيون ستات فايمر " بإرسال مبعوثيه إلى إحدى عشر مدينة أخرى من المدن الناطقة بالألمانية، وعرض عليهم إقامة تحالف فيما بينهم لمواجهة العاصفة الخضراء قبل أن تقوم تلك الأخيرة بطرد كل المدن والبلدات المتحركة من الطرف الغربي لساحة الصيد إلى البحر.

وهكذا ولد تحالف المدن المتحركة الألمانية " تراكشيون ستات جيزيل شافت"، وأقسمت المدن الاثنا عشر، والتي سرعان ما انضمت إليها مدن أخرى، أنهم لن يلتهموا أي مدن متحركة إلى أن يتم الخلاص من العاصفة الخضراء وسحقها، وإنما سيكتفون فقط بإلتهام السفن والمستوطنات الثابتة، إلى أن يجعلوا العالم آمن من جديد لحياة" الداروينية البلدية " والتي يؤمن كل شخص متحضر بأنها أكثر القوانين التي تم سنها اتساقاً مع الطبيعة وأكثرها عقلانية وإنصافا.

وهكذا تم التحالف، ووقف في مواجهة العاصفة الخضراء يقاتل بضراوة إلى أن أجبروا قواتها المريعة على التقهقر، ووصلت الحرب إلى طريق مسدود.

وهكذا انقسم العالم إلى قسمين يفصلهما مساحة عريضة من الأرض تمتد عبر ساحة الصيد من جهة الأطراف الجنوبية لمستنقعات " راست ووتر" إلى حدود الأراضي الجليدية. وفي جهة الشرق من تلك المساحة الفاصلة راحت العاصفة الخضراء تكافح لغرس عدد من المستوطنات الثابتة الجديدة في أراض ظلت لقرون مرتعاً للداروينية البلدية.

أما في الغرب، فقد استمرت الحياة كما كانت إلى حد بعيد، حيث المدن المتحركة تلتهم البلدات، والبلدات تأكل القرى. وكان الاختلاف الوحيد هو أن معظم عمد ورؤساء تلك المدن والبلدات كانوا يرسلون جزءا من صيدهم إلى تحالف مدن التحرك الألمانية لإطعامهم.

وعلى مر السنين، دارت رحى المعارك بمختلف أشكالها، وراح كل طرف من الطرفين - تحالف المدن المتحركة والعاصفة الخضراء - يحاول كسر الحد الفاصل مع الطرف الآخر، و مضت الحرب بين كر وفر وشد وجذب، وأمست منطقة المستنقعات الفاصلة تتقلب بين الأيدي مرة بعد مرة، على حساب آلاف الأرواح، ومع كل مرة تهدأ فيها رعود المعارك وتهمد نيرانها قليلاً، تعود الأرض الفاصلة بين الطرفين المتناحرين كما كانت من قبل، نهر يابس من الأرض الخراب تمتد متعرجة عبر القارة.

أما الآن، فقد جدت أمور غيرت المشهد نوعا ما : الهدنة....

كانت الهدنة متماسكة، وبدا أن الأمور تسير على نحو جيد، لدرجة أن بعض المدن التجارية الجريئة والمعاقل الصناعية من الغرب، قد جاءت إلى حيث الأرض الفاصلة

لتستكشف الوضع بنفسها، و تدريجيا بدأت بعض التجمعات التجارية في التشكل حول تكتلات "تراكشيون ستات".

وكان الجيني هانيفر يحلق الآن فوق إحداها، وقد هبط توم بالمنطاد إلى ارتفاع منخفض، تحت الغطاء الرمادي للأدخنة المنبعثة من المدن، فيما راحت رين تتأمل الطبقات العليا من تلك المدن والبلدات التجارية، ثم إلى الأسفل حيث البلدات الأصغر التي كانت تتنقل على طول المرتفعات الرملية بين الممرات الضيقة العميقة التي صنعتها مسارات المدن الكبرى.

ثم إنها لمحت عدد من بلدات جامعي المخلفات تحوم هناك، وكذلك بعض الضواحي السريعة المتقاتلة، والتي قال توم أنها تدعى : " الحَصَّادات".

وكذلك السماء، كانت تعج بالعديد من المناطيد الأخرى وبالونات الأجرة وقطارات السماء.

وفجأة دوى هدير عدد من الآلات الطائرة فوق الجيني هانيفر...

"الخنازير الطائرة!" قالها توم متذمرا من تلك المركبات القديمة وطياريها الذين لا يحترمون تقاليد مسارات الطيور، أما رين فكانت مبتهجة جدا، وقد ذكرتها تلك الآلات بمركبات "النمس الطائر" وملاحيها الجسورين، الذين رأتهم يجوبون السماء بجرأة أثناء تواجدها على متن "السحابة التاسعة".

مرت إحدى المدن الحربية، وتدعى "مورناو"، وكانت عبارة عن برج مدرع ضخم مدجج بالبنادق ومنصات الإطلاق. وكانت طبقاتها عبارة عن مثلثات طويلة ذات قمم مدببة. كانت مدينة ضخمة ذات مظهر قوي بالفعل لدرجة أبهرت رين، ولكن، ومع أول شعاع للشمس عبر السماء، وجدت رين أن هناك خمس أو ست مدن أخرى مشابهة تمتد على طول الحدود الغربية لراست ووتر، وكان بعضها يبدو أكبر من مورناو.

لكن توم لم يكن ينوي التوجه إلى أي من تلك المدن، بل كانت وجهته لمكان أكثر هدوءا. فعلى بعد بضعة أميال من مورناو، بعيدا في السماء، كانت تلك المدينة الشبيهة بقرص من الكعك تسبح في الأعالي، محملة بالمباني خفيفة الوزن، و دعامات الإرساء، تحملها سحابة ملونة من أغلفة الغاز.

وكانت رين قد سبق وأن زارت تلك المدينة مرارا، خلال رحلتها القصيرة عبر مسارات الطيور، أحيانا بين سحب الشمال الباردة، وفي أحيان أخرى وسط سماوات الجنوب الحارة. والآن، ها هي المدينة تطوف فوق تلك التجمعات من المدن المدرعة، وقد شعرت رين لدى رؤيتها كما لو أنها عائدة أخيراً إلى الديار... "إيرهيفن".

راح موظف مكتب المرفأ ذو الوجه الطويل يفكر مليا حين سأله توم عن المنطاد "أركيوبتركس"، ثم إنه توجه نحو صف من أدراج حفظ الملفات، وعاد بعد دقائق وهو يحمل دفترا باليا قال أنه يحتوي على تفاصيل كافة المركبات المسجلة لديهم...

"كرويز مورشارد، قائدة المنطاد" قال الرجل وهو يحدق من وراء نظارته المثبتة على أنفه في صورة مشوشة للملاحة، مثبتة إلى ورقة تحمل تفاصيل ال" أركيوبتركس"... "آه، نعم، تذكرت الآن، امرأة جميلة هي، تبتاع التقنيات القديمة"

"أي نوع من التقنيات القديمة؟" سأله توم

"وفقا للسجلات الجمركية، تبتاع القطع المغناطيسية والأدوات غير الضارة والأشياء من مخلفات الإمبراطورية الكهربائية. لكنها كذلك تبتاع بعض الإمدادات الطبية وقليل من الماشية. لقد كانت فتاة يافعة حين سجلت مركبتها لدينا، منذ ثمانية عشر عاما!"

"السنة التي أعقبت دمار لندن!" قال توم، ثم فك الصورة وأخذها بين يديه يتفحصها. كانت صورة قديمة، تم إلتقاطها منذ زمن طويل حين كانت صاحبتها لا تزال شابة ذات شعر مموج يحيط برأسها كسحابة من الظلام.

"إنها كليتي بوتس بالفعل!" غمغم توم

"ماذا قلت يا سيدي؟" سأله الموظف وقد ضغط بيده على إحدى أذنيه نحو الأمام ليسمع بشكل أفضل، وقد بدا أنه يعاني من الصمم إلى حد ما، فيما مد يده الأخرى ينتزع الصورة من يد توم.

"أعتقد أن اسمها الحقيقي هو بوتس" أجاب توم

إلا أن الموظف هز كتفيه وقال "أيا كان اسمها، فلا بد أن آلهة السماء تحبها حقا، فمن تمكنوا من الاستمرار في التجارة الجوية لثمانية عشر عاما ليسوا بكثر" ثم،

وليبرهن على ما قال، حول الموظف الدفتر باتجاه توم ورين ليطلعهما على سجل الرحلات، وبالفعل وجدا أمامهما قائمة طويلة بأسماء المناطيد، كان العديد منها قد تم وضع علامة باللون الأحمر فوقها، و بجوار كل من تلك الأسماء المشطوبة سُطِرت ملاحظات بسيطة من قبيل : "مفقود" أو " تحطم" أو "إنفجر".

وقد أخبرهما الموظف أن السيدة مورشارد قد اشترت سفينتها الجوية تلك من مدينة " هيلسنكي" المتحركة، على حسب ما يعتقد، وحينما دس توم عملة ذهبية تحت غلاف الدفتر، تذكر الموظف فجأة أنها اشترتها تحديدا من ساحة "أون ثانك" للمناطيد هناك. أما من أين أتت السيدة مورشارد نفسها بالأساس، أو من أين حصلت على المال الذي استطاعت به شراء منطاد، وما هو عملها بالتحديد، فهذا مالم يكن للموظف علم به. وبكل أسف قد توفي السيد " أون ثانك" العجوز واحترقت جميع سجلاته قبل عشر سنوات، حيث قام أحد مساعديه بإشعال سيجارة داخل غلاف الغاز لأحد المناطيد وكان به تسرب، مما أدى لاندلاع حريق رهيب التهم كل شيء. "وحتى الآن لا تزال آثار الحريق بادية على حواف ميناء هيلسنكي الجوي" قالها الموظف، وقد أسهب في المعلومات على أمل الحصول على قطعة نقدية أخرى، لكنه لم يتحصل على شيء آخر.

وخارج المكتب الصغير، كانت الحياة قد بدأت تدب في الشارع الرئيس، وشرع أصحاب المحلات في فتح أبوابهم وإخراج بضائعهم وطاولاتهم من الخضروات والفواكه والزهور والجبن والثياب و... فيما راح توم يجول ببصره بين أركان الشارع المصطخب، مسترجعا في ذاكرته ذاك المساء قبل نحو عشرين عاما، وهو يسير خلف آنا فانج في ذات الشارع بين نفس الحوانيت. كانت تلك زيارته الأولى لإيرهيفن، وتذكر كذلك كيف انسلت هيستير بجانبه وقد رفعت يدها تخفي وجهها عن أنظار المارة...

"آه، يا للآلهة!" صاحت رين فجأة من ورائه وهي تخطو خارج مكتب المرفأ وتشير بيدها تجاه شخص ما يقف على رصيف قريب.

"انظر من هناك!"

ولأول وهلة ارتبك توم وقد تداخل الواقع مع ذكرياته، لدرجة أنه حسب للحظة أن

ابنته ربما تشير له نحو هيستيري وقد جاءت إلى هنا بحثا عنهما، لكنه أصيب بخيبة أمل حين التفت إلى حيث تشير ليجد أمامه ملاحة رشيقة ترتدي بذلة طيران جلدية وردية اللون.

صاحت رين وأخذت تنادي بحماسة وهي تقفز في مرح : "آنسة تومبلي، آنسة تومبلي!"

فالتفتت الملاحة، التي كانت مستغرقة في الحديث مع أحد رفاقها، وراحت تنظر حولها في دهشة، ثم عبرت الرصيف بخفة نحو مصدر النداء كي تعرف من الذي يناديها بكل تلك الحماسة...

"إنها أورلا تومبلي ،.." قالت رين لوالدها ".. كانت تعمل في برايتون"

فما أن دنت الملاحة منهما حتى تحولت ملامح الحيرة على وجهها إلى ابتسامة وقد تعرفت على رين فورا؛ لم تكن هي ورين على معرفة وثيقة، لكن كل منهن كانت مسرورة لرؤية الأخرى وقد نجت من المعركة في "السحابة التاسعة".

"رين، أليس كذلك؟" قالتها الآنسة تومبلي وهي تصافحها، "العبدة الصغيرة من قصر العمدة؟ لقد حسبت أنك قد لقيت مصرعك في تلك المعركة، أو تم أسرك من قِبَل العاصفة الخضراء. كما أنا مسرورة لرؤيتك بخير وأمان. أحسب أن السيد الذي بصحبتك هو زوجك؟"

"بل والدها" أجابها توم، وقد احمرت وجنتاه قليلاً، "أنا والد رين"

"آه، وأنا التي كنت أحسب رين واحدة من هؤلاء الصبية المفقودين!" صاحت الآنسة تومبلي في دهشة "مجرد يتيمة مسكينة بلا أم ولا أب جاءت من مكان ما من البحر الغربي..."

"بلا أم نعم، ولكن ليس بلا أب... " قالت رين "إنها قصة طويلة. على أية حال أنا سعيدة بأن أراك بخير حال يا آنسة تومبلي، لقد ظننت أنه تم إسقاط مركبتك"

"الحق أنها كانت ليلة مريعة.." قالتها الملاحة وهي تهز رأسها وقد تذكرت المعارك التي اندلعت حول "السحابة التاسعة"، "... لكنهم كانوا يحتاجون لما هو أكثر من مجرد طيور مطاردة و مركبات "أرواح الثعالب" القديمة كي يتمكنوا من إسقاط

مركبتي. لقد قمت بإعادة تشكيل فريق " النمس الطائر"، وصرنا نعمل الآن لصالح " أدلاي براون" عمدة مانشستر. إنه قادم بمدينته إلى الحدود وقد أرسلنا قبله كحرس"

أومأت رين، وكانوا قد مروا بالفعل بمدينة مانشستر قبل أسبوع باتجاه الجنوب الشرقي. مدينة ضخمة قبيحة الشكل هي، تعج بالرافعات، وكانت منهمكة في تركيب عدد من الألواح الجديدة اللامعة المضادة للطائرات فوق طبقاتها العليا.

"ولكن ما الذي أتى بكما إلى هنا؟" تساءلت أورلا تومبلي، وكانت تنظر إلى توم، لكنه لم يحر جوابا، وراح يتساءل في داخله بدوره ما إذا كانت تلك الآلات التي اعترضت طريق الجيني هانيفر أثناء توجههم إلى هنا هي من مركبات الآنسة تومبلي، وما إذا كان يتعين عليه أن يشكوهم إليها أم لا، إلا أن الآنسة تومبلي كانت جميلة جدا لدرجة أنه لم يستطع أن يقدم على ذلك.

ثم إن رين أجابتها : "لقد جئنا نبحث عن صديقة قديمة لأبي، تدعو نفسها "كرويز مورشارد". هل سمعت بها من قبل؟"

"تقصدين عالمة الآثار؟" قالت تومبلي "لقد رأيتها ذات مرة في قصر العمدة برايتون. كانت تأتي لشراء التقنيات القديمة من بيني رويال. في الواقع أعتقد أنهما كانا مرتبطان في وقت ما، لكن بعد ذلك إرتبط اسم بيني رويال بالعديد من النساء، حتى أنا!"

"ولكن، لقد ظننت أنك والبروفيسور بيني رويال كنتما بالفعل...."

"أوه، فقط في خيال زوجته يا عزيزتي، وعلى صفحات النميمة والشائعات بجريدة برايتون "باليمبسيست"" قالتها أورلا ضاحكة، ثم ".. لقد كنت ألاطف ذلك المحتال العجوز قليلاً، فقط كي أضمن تجديد تعاقده مع فريقي. ولكن، لأصدقكِ القول، حين تناهت إلي أخبار ما فعله في تلك الليلة وشجاعته في المواجهة، تمنيت لو كنت حبيبته بالفعل. من كان يظن أن عجوز متهالك كبيني رويال يمكنه أن يتغلب على المطارد فانج!"

"أهذا ما يردده الناس حقا؟" قالتها رين ضاحكة

“أولم تسمعي بالأمر؟” صاحت أورلا في دهشة عارمة، كما لو كانت رين قد قالت لها أنها لا تعرف أن الأرض كروية أو أن بذلات الطيران ذات الياقات العالية باتت من الموضة القديمة...

“لقد كان حديث الناس لموسم كامل هنا على الخط الفاصل، البروفيسور بيني رويال البطل العظيم، إنه يعتاش الآن على سيرة مآثره التي يرويها في كل مكان على متن جميع مدن “تراكشيون ستات””

“البروفيسور بيني رويال هنا؟!” صاح توم

“على متن مورناو تحديدا، في الوقت الحالي... عليك أن تسأله عن صديقتك كرويز مورشارد، لا بد أنه يعرف كل شيء عنها. أظن أنه يتناول إفطاره الآن في “موونز” في الطبقة الثانية على متن مورناو”

“نعم يا أبي..” هتفت رين في مرح “.. دعنا نذهب إليه ونسأله”

وضع توم يده فوق صدره في موضع الجرح الذي أصابه به بيني رويال قبل سنوات طوال . بالطبع هو لا يرغب في تناول الإفطار مع الرجل الذي أطلق عليه النار وكاد يودي بحياته، ومع ذلك، فقد تصرف بيني رويال معهم بشكل جيد على متن “كوم أمبو”... ثم إنه تذكر على نحو ما أن بيني رويال قد حدثه ذات مرة عن ملاحة كان يعرفها، وكانت لها جولات داخل حطام لندن... أتراها هي كرويز مورشارد؟

“سوف أخذكما إليه بنفسي” قالت أورلا تومبلي.

وقد كان، حيث قادتهما إلى مركز مدينة إيرهيفن حيث تتجمع بالونات الأجرة لنقل الأفراد إلى البلدات والمدن في الأسفل. وخلال رحلتهم داخل صندوق البالون إلى حيث مورناو، راحت رين تثرثر بحماس حول “ النمس الطائر” ومآثرهم وكيف أن آلات الطيران الصغيرة تلك راحت تلقي بنفسها أمام المدمرات الجوية العملاقة التي كانت تقصف برايتون. لكن توم لم يكن ينصت إلى أي مما تقول، بل كان منهمكا في التفكير في لغز “كليتي بوتس”... ترى، أين يقع ميناء مركبتها الأصلي؟ ولماذا تهتم بشراء أجزاء التقنيات القديمة والمستلزمات الطبية والماشية ؟ لماذا تشتري ماشية؟...

ثم خطرت له الإجابة بينما هو يسترجع في ذهنه ما ذكره موظف الميناء... إجابة عجيبة هي، بل جامحة، بعيدة عن المنطق، لدرجة أنه هو ذاته لم يكن ليصدقها أو يجرؤ على التفكير في أنها قد تكون صحيحة، وكان يخشى أن تكون تلك الإجابة نابعة من حنينه إلى لندن لا من التفكير الموضوعي والتقييم العقلاني للأمور....

ثم إنه تمالك نفسه وقرر الانتظار إلى أن يقابل بيني رويال ويستمع إلى ما سيخبره به فربما كان بيني رويال يتذكر شيئاً ما عن ال"أركيوبتركس" وقائدته من شأنه أن يدعم نظرية توم بشكل أو بآخر.

وهكذا، وجد توم نفسه يتوق لمقابلة قاتله مرة أخرى.

***

---

(2) - زيجورات / زاقورات : عبارة عن هيكل معماري ضخم مدرج يتكون من عدة طبقات، قاعدته إما مربعة أو مستطيلة، يعود أصله إلى عصر السومريين و الأكاديين والبابليين والاشوريين. وكان يتم إستخدام ذلك الطراز المعماري في بناء المعابد في العراق وسوريا وإيران، لكنه عرف كذلك في حضارات أخرى مثل حضارة الأزتيك والحضارة الأمريكية ماقبل كريستوفر كولومبوس. وعادة ماكان يعد ذلك البناء في الوجدان الديني لأبناء الحضارات القديمة بمثابة درجا صاعدا إلى السماء.

9. إفطار في "موونز"

حط البالون الطائر أخيراً على منصة الإرساء خارج ميناء الدخول في مورناو، حيث كان هناك الكثير من الحراس والأسئلة. كان الحراس يتعاملون بتهذيب مع الوافدين، لكنهم بدوا مترددين في السماح لشخصيات بدت لهم مريبة مثل توم ورين، بالصعود إلى الطبقة الثانية، وحتى حين تعهدت "أورلا تومبلي" بضمانهما وأبرزت للحراس سيفها المرصع الذي قُدِّم لها كمكافأة لها على إسقاطها لثلاث مدمرات جوية للعاصفة الخضراء في معركة "خليج البنغال"، ظل الحراس مترددين. فقالت أورلا وقد نفد صبرها : "إنهما صديقان قديمان للبروفيسور نيمرود بيني رويال"

وكان ذلك القول كافياً لتختفي المعاملة المتحفظة معهما وتحل محلها معاملة ودود لطيفة، وقام أحد الحراس بإجراء مكالمة هاتفية لقائدهم، وبعد دقيقة واحدة كان توم ورين و الآنسة تومبلي داخل مصعد يأخذهم نحو الأعلى.

خلال أيام السلام هذه، اعتادت مورناو فتح ألواح دروعها الدفاعية طوال ساعات النهار للسماح لضوء الشمس بافتراش طبقات المدينة. ومع ذلك بدت الطبقة الثانية كئيبة نوعا، وقد لاحظ توك ورين منذ خروجهما من المصعد أن هناك مساحات كاملة من الطبقة خاوية على عروشها، حيث انهارت شوارع بأكملها جراء الصواريخ والقنابل، أما المباني التي بقيت صامدة فقد تم وضع شرائط لاصقة على زجاج نوافذها على شكل علامة X، حتى بدا مظهرها مضحكا. وعلى جدرانها احتشدت الملصقات والشعارات في كل إنش مربع منها؛. ولم يكن المرء في حاجة لإتقان اللغة الألمانية الحديثة كي يدرك فحوى تلك الملصقات، إذ كانت بالطبع عبارة عن دعوات لشباب "مورناو" للتطوع في الجيش.

وقد لاحظت رين أن معظم شباب المدينة قد لبوا النداء بالفعل، إذ كان أغلبهم يرتدي الزي الرسمي الأنيق ذو اللون الأزرق الداكن، أما القلة القليلة الذين لم يكونوا يرتدون تلك الأزياء فهم إما أفراد فقدوا ذراعا أو ساق أو أجزاء من الوجه، أو كانوا ممن يتنقلون فوق كراسي متحركة، وكانوا جميعا يتقلدون الميداليات والنياشين التي تعلن بوضوح أنهم قد أدوا واجبهم وحاربوا ضد العاصفة الخضراء. وكان عدد لا بأس به من النساء الشابات كذلك يرتدين الزي الرسمي، ولكن لم يكن عددهن مماثل

للرجال.

"من غير المسموح للنساء في مورناو بالمشاركة في القتال، لكنهن يؤدين دورهن بالعمل في المصانع و حي المحركات، فيما يحمل رجالهن السلاح ويقاتلون" قالت أورلا تومبلي مفسرة.

ثم إنهم عبروا ميدانا يدعى " والتر مورز بلاتز" متوجهين نحو ذلك المقهى الطويل الضيق " موونز".

وعلى بُعد بضعة شوارع، انفتح لوح في درع المدينة للسماح لأشعة شمس الربيع الساطعة بالدخول، لكن ذلك لم يعد ذو جدوى بالنسبة للأشجار والحشائش في المتنزه الصغير بوسط الميدان، إذ كانت كلها ميتة، وقد تحول لون أوراقها الذابلة إلى البني، بعد كل تلك السنوات من الحرمان من ضوء الشمس.

ومن خلال الأغصان العارية راحت رين تجول ببصرها عبر النافورات الصامتة ومنصة الفرق الموسيقية التي كساها الصدأ، وفي أعماقها أيقنت إن هذه المدينة بلا شك هي أكثر المدن التي زارتها كآبة وحزنا.

لكنها ما أن خطت عبر الباب الأمامي للمقهى خلف أورلا، حتى بدا لها الأمر وكأنها قد خطت خارج مورناو كلها إلى حيث مدينة أخرى مختلفة كليةً. فقد كان أثاث المقهى القديم غير المتناسق يحمل لمحة فنية لا تخطئها العين، وكانت الجدران مغطاة بلوحات ورسومات وصور فوتوغرافية لأشخاص بدا أنهم يستمتعون بوقتهم، وقد ذكرت تلك الأشياء رين ببرايتون، وكانت على صواب، إذ كان هناك نوع من التعمد في إحداث ذلك التشابه ؛ فقد كان هناك جيل كامل من الشباب على متن مورناو عاشوا حياتهم كلها في أتون الحرب والصراع وأداء الواجب، وقد سمعوا كثيرا عن الحرية والمتعة التي يحياها الناس في مدن أخرى، فتاقوا لتذوقها، وكان الكثير منهم يحلم بأن يصير شاعرا أو كاتبا أو فنانا يوما ما، وهكذا كانوا يتوافدون أثناء إجازاتهم من قوات الدفاع إلى هذا المقهى ويبذلون كل ما في وسعهم ليبدون من المنتمين للحركات الرومانتيكية والبوهيمية.

لكنهم في الواقع لم يكونوا موفقين تماما في هذا، بالطبع، فقد ظل شيء ما فيهم خشنا، سواء في وضعيات جلوسهم المستهترة فوق الكراسي الجلدية القديمة، أو في

ملابسهم غير الرسمية الشبابية، حيث كانوا يحاولون دوما ارتداء أزياء فضفاضة حرة، لينتهي بهم الأمر وقد ارتدوا ملابس ضيقة منمقة، وحتى في هيئة شعرهم الطويل المسترسل الممشط بعناية.

أما القلة من الفنانين الحقيقيين بين هؤلاء، مثل الرسام " سكودا جايست"، فقد كانوا مخيفين على نحو ما.

ولهذا، حين وصل "نيمرود بيني رويال" إلى مورناو، استقبلوه بحفاوة بالغة، فهو بالنسبة لهم الرجل الذي صنع ثروته من خلال خوض المغامرات المثيرة وكتابة كتب تروي سيرة تلك المغامرات، والذي كان يوما عمدة على برايتون، أكثر المدن التي تعج بالفن ودروبه. وفي نفس الوقت فهو، على خلاف "جايست "، لم يكن يسخر منهم أو من قصائدهم ولوحاتهم، بل على العكس، كان دائم الثناء على جهودهم البسيطة في الفنون، ولا يمانع أبدا في أن يبتاعوا له المشروبات والوجبات.

وفي ذلك الصباح كان بيني رويال يجلس في المقهى في منتصف وجبة إفطار عامرة، حين دخل عليه توم ورين. وكان يجلس حرفيا في منتصف الوجبة، إذ استقر فوق أريكة، في مساحة بالطابق العلوي من المقهى، محاطا من جميع جوانبه بطاولات صغيرة تعج بصنوف من اللفائف واللحم المطهو والفواكه والكرواسان وفطائر الطحالب والبيض المقلي والفطر والخبز المحمص وطبق الكيدجيري (3) والأومليت والمربى والجبن. ومن وعاء صنع القهوة انبعث البخار يتراقص متصاعدا قبالة أشعة الشمس المتسربة من النوافذ ذات الشرائط اللاصقة. ومن حول بيني رويال احتشد عدد غير قليل من شباب الفنانين في مورناو، فوق الأرائك الأخرى، ومنهم من افترش الأرض، يستمعون إليه إذ يصف كتابه الذي يعكف على وضعه حاليا..."ثم جاءت اللحظة التي واجهت فيها ذلك المطارِد المخيف فانج.."، كان يتحدث بفم ملئ بخبز الطحالب، ".. إنها أحداث مؤلمة تلك التي أسطرها على الورق، خاصة و أنني، أعترف، كنت خائف بشدة، بل كنت أرتجف رعبا، فأنا لم أسع أو أخطط أبدا لقتالها. أنا لا أريد أن أصور نفسي كبطل، أبدا، بل على العكس لقد وجدت نفسي في مواجهة ذلك المطارد بمحض الصدفة بينما كنت أركض عبر الحدائق بحثا عن طريقة للفرار من وجه العاصفة الخضراء..."

أومأ جمهوره والشغف يفعم أعينهم، وكان بعضهم قد خدم في حصون مورناو

وواجه المطارِدين، وقد استدعت عقولهم ذكرى تلك المعارك المخيفة التي خاضوها في العام 14 حين شنت العاصفة الخضراء هجوما جويا على المدينة وقامت بإنزال فرق العائدين من الموت هؤلاء بالمناطيد فوق الطبقات العليا. وها هم الآن يتوقون لمعرفة كيف تمكن ذلك السيد العجوز الشجاع من التغلب على المطارِد الأكثر شناعة وإرعابا بين المطاردين جميعا.

فجأة توقف بيني رويال عن الحكي، وقد بدا وكأن الكلمات قد فرت من بين شفتيه، وانفتح فمه في ذهول، تاركاً شوكة الطعام من يده، فالتفت مستمعوه الواحد تلو الآخر ينظرون إلى حيث يحملق، ليجدوا الوافدين الجدد يقفون عند المدخل.

"اثنان من أصدقائك القدامى أتوا ليرونك يابروفيسور" قالتها أورلا تومبلي وهي تبحث لنفسها عن موضع للجلوس بين الحاضرين

"توم!" قالها بيني رويال وهو يهب واقفا ".. ورين كذلك، فتاتي الصغيرة" ثم إنه تقدم نحوهما محييا في حفاوة وقد فتح ذراعيه.

لقد فاجأه ظهورهما المباغت هذا، لكنه كان سعيدا حقا برؤيتهما؛ فلطالما شعر بالذنب حيال إطلاقه النار على توم في الماضي، لكنه بإنقاذه لرين من بين الصبية المفقودين ومساعدتها على الطيران بمنطاد "أركتيك رول" إلى كوم أمبو والسماح لها ولأبيها بالاحتفاظ بمنطاد "جيني هانيفر"، شعر أن ذلك ربما يكون بمثابة تعويض عن ذلك الحادث المؤسف الذي وقع في أنكوراج قديما. ومع اختفاء زوجة توم الرهيبة، بات من دواعي سرور بيني رويال أن تكون أسرة ناتسوورثي من بين أصدقائه.

"أحبائي! " صاح بيني رويال مبتهجاً وعانق كل منهما على حدة، "لكم أنا سعيد لرؤيتكما، لقد كنت تواً أروي لأصدقائي عن مغامراتنا على "السحابة التاسعة" والتي ستكون موضوع كتابي القادم. لقد تعاقدت مع دار نشر محترمة هنا في مورناو، دار "ويردروب آند سبور"، لنشره وقد دفعوا لي دفعة مالية هائلة مقدما لقاء دوري المتواضع في إسقاط المطارِد فانج وصعود الجنرال ناجا إلى السلطة، ذلك الرجل المحب للسلام. وسوف يظهر كلاكما في الكتاب، بالطبع، أو لم تكن رين عبدتي السابقة الوفية، هي التي قادت ال"أركتيك رول " عبر" السحابة التاسعة" لإنقاذي في وقت كان كل أمل لدي في النجاة قد تبخر؟!"

"أو كان الأمر كذلك؟" قالت رين "لا أتذكر أن الأمور جرت على هذا النحو..."

"يا لها من فتاة متواضعة!" صاح بيني رويال وهو يلقي نظرة خاطفة من فوق كتفه نحو أصدقائه الشباب، ثم التفت نحو رين ثانية وغمغم : "لقد اضطررت لتغيير بعض الحقائق قليلا لإضفاء بعض الإثارة على الأحداث كما تعلمين"

تبادلت رين و والدها النظرات وهزا كتفيهما، وفي أعماقها راحت تفكر كيف أنه لمن المتعب حقا أن يكون المرء "نيمرود بيني رويال" وأن يعيد بناء ماض لنفسه قائما على شبكة من الأكاذيب، لا بد لمن يفعل ذلك أن يستغرق الكثير جدا من الوقت في إعادة ضبط وتكييف حكاياته لضمان اتساقها وتناسبها، ولا شك أنه يحيا في خوف مقيم من أن يأتي اليوم الذي ينهار فيه كل هذا الصرح الهش الذي بناه. ومع ذلك فإن المزايا والعوائد التي تعود عليه من وراء تلك الأقاصيص جعلته يشعر بأن الأمر يستحق كل هذا العناء. وقد كان مظهره يشي بالفعل بأنه قد أصاب ما تمنى وأن أموره تزدهر، إذ كان يرتدي واحدا من تلك الأزياء التي يصممها بنفسه بحيث تجعله مميزا، والتي تبدو أقرب إلى زي رسمي دون أن تكون كذلك حقا : سترة قصيرة لونها أزرق سماوي ذات أكمام عريضة عند الكتف وأعلى الذراعين، وضيقة عند الكوع والمعصم، تحتها صدرية حمراء، وكلاهما مغطى بأزرار فضية لامعة، ووشاح أرجواني، وبنطال بنفسجي مزدان بتطريز ذهبي، وشريط قرمزي اللون يلتف حول وسطه بعرض ست بوصات؛ وكذلك حذاء ذو رقبة عالية واسعة ذو شُرَّابات ذهبية تتدلى إلى جانبيه. وقد راحت رين تتفحص الرجل، و رأت أنه، بالمقارنة ببيني رويال الذي عرفته على متن برايتون، قد تحسن ذوقه كثيرا.

أفسح بيني رويال موضعا لرين وتوم للجلوس على أريكته الخاصة، ودعاهما لتناول الإفطار بصحبته، فيما راح يقدم إليهما أصدقائه. ولم تكن رين معتادة على التعرف على و مخالطة كل هذا العدد من الناس في وقت واحد وبتلك السرعة، لكنها استطاعت حفظ اسم أو اثنين من بين ذلك الحشد الكبير : " سامبفورد سبيني"، ذلك الرجل الذي يجلس مرتديا نظارة طبية و رداء مدني، وقد عرفت أنه مراسل صحفي لصحيفة " ذا سبيكيلوم" والذي يعد حاليا ملفا شخصيا عن بيني رويال، و مصورته الآنسة "كروبوتكين"، وهي امرأة شابة هادئة ترتدي نظارة هي الأخرى وتمسك بكاميرا ضخمة.

ثم مر برين عدد آخر من الأسماء والرتب لكن أي منها لم يعلق في ذهنها. فقد شخص واحد أثار اهتمامها إلى حد بعيد... شاب طويل نحيل كان يقف بمفرده بجوار المدفأة، وقد بدا أن بيني رويال لا يعرفه، مع الأسف.

لم يكن الفتى وسيما كبعض الضباط الشبان الآخرين، وكان يرتدي معطفا أزرق قديم متسخ من أثر السفر، ولكن كان هناك شيء ما فيه جذاب إلى حد بعيد، لدرجة أنها لم تستطع إبعاد عينيها عن وجهه الذي يشي بالذكاء، وقد ارتسم عليه تعبير ساخر.

صب بيني رويال بعض القهوة لضيوفه، ودارت بعض أحاديث مهذبة حول الهدنة والطقس وما شابه، وكذلك حول الدفعة المالية الهائلة التي دفعها ناشرو كتاب بيني رويال الجديد له. ثم إنه سأل توم : "كيف حال منطاد "أركتيك رول" العتيق؟. وما الذي دفعك للإتيان إلى هنا؟"

"لقد عاد اسمه "جيني هانيفر" من جديد الآن" أجاب توم ،".. أما عن سبب مجيئنا إلى هنا، فقد جئنا بحثا عن شخص ما، امرأة"

"حقا؟.." قالها بيني رويال مضيقا عينيه في تفكر، وقد كان يعتبر نفسه خبيرا محنكا في الجنس اللطيف، "... وهل أعرفها أنا؟"

"أعتقد ذلك... اسمها "كرويز مورشارد""

"كرويز!" صاح بيني رويال، "... نعم، وحق بوسكيت، أنا أعرفها جيدا. يا الآلهة العظيمة، لكن قد مرت حوالي عشرون عاما منذ قابلتها أول مرة "

(في تلك اللحظة، خط الصحفي " سبيني" شيئا ما في دفتر ملاحظاته)

"لقد اتصلت بي حين جاءت إلى "السحابة التاسعة" أكثر من مرة.. " استرسل بيني رويال "... إنها لا تزال تحلق بمنطادها "الأركيوبتركس" هذا، ولا تزال تمثل لغزا كبيرا كما كانت دوما..."

" ولماذا هي لغز يا سيدي؟" سأله واحد من أبناء مورناو الجالسين من حوله.

"لأنه لا أحد يعلم شيئا عن أصلها ولا من أين جاءت.." أجاب بيني رويال ".. أتريد أن أروي لك ما أعرفه عنها؟ إنها حكاية غير عادية..."

"آه، نعم، من فضلك يابروفيسور.." هتفت رين "ولكن، لتخبرنا فقط بالحقيقة ولا شيء غيرها، الحقيقة دون تبديل أو إضافة تفاصيل مثيرة"

"أوه، نعم، رجاءً..." صاح نصف الحضور في لهفة، وأيدهم النصف الآخر باللغة الألمانية حين ترجم لهم أصدقائهم الناطقون بالإنجليزية ما يقال.

"حسناً" قال بيني رويال، إلا أن طلب رين هذا قد جعله يتوتر نوعا، "ربما ينبغي علي أن أؤكد أولا أن ما سأرويه الآن هو حكاية غريبة إلى حد كبير، صحيح أنني قد سمعت على مدار حياتي ما هو أكثر غرابة، ولكن... ظلت كرويز مورشارد عالقة في ذهني دوما، ربما بسبب جاذبيتها الشخصية غير العادية، وربما بسبب الطريقة التي قابلتها بها... كان ذلك في هيلسنكي منذ نحو حوالي تسعة عشر عاما. كانت المدينة تطارد بقايا المدن بالقرب من "ألتاي شان"، وكنت أنا في منطقة الأحشاء في زيارة لإحدى المشرفات هناك - وكانت امرأة شابة ساحرة الجمال تدعى " نوتيلا أيس بيرج" - حين جاءت الآنسة مورشارد إلى متن المدينة ومعها اثنين من رفاقها، اللذان كانا فظي المظهر ولكنهما كانا شديدي الولاء لها لدرجة مؤثرة. جاء ثلاثتهم عبر السهل الأجرد "التندرا"، وكان فكا المدينة مفتوحان في تلك الأثناء كي يتمكن طاقم الصيانة من تنظيف الأسنان الضخمة، وطلبوا من رئيس منطقة الأحشاء أن يحصلوا على مأوى. كان الطلب غريبا، وأكاد أجزم أنه قد تسبب في حالة من الارتباك والقلق، فقد كان هذا في العام التالي عقب خراب لندن، كذلك كان متطرفو العاصفة الخضراء قد ارتكبوا العديد من الفظائع، وباتت مدن ساحة الصيد الشرقية أكثر توترا وترقبا. وفي ظل تلك الظروف، كانت هيلسنكي لتلقي بالآنسة مورشارد ورفاقها إلى العراء مباشرة خوفا من أن يكونوا مخربين أو جواسيس، لولا أنني، ولحسن الحظ، كنت أمر من هناك في ذلك الوقت، فتدخلت في الأمر وقمت بضمانها. والحق أن جمالها قد أسرني بشدة، و شبابها كذلك، فقد كانت في ذلك الوقت في مثل عمر رين تقريبا"

هنا التفت الجميع وراحوا يحدقون في رين، التي احمر وجهها خجلاً.

"ثم إنني اصطحبت الآنسة مورشارد إلى حيث الطبقة العليا بالمدينة، بل إنني عرضت عليها أن تقيم في جناحي بفندق "أوسيما" في حال وجدنا مكان ملائم لإقامة رفيقيها المشعرين هذين، لكنها قالت : لست بحاجة إلى إحسان يا سيدي، فلدي الكثير

من المال، وقد جئت إلى هذه المدينة أساساً لشراء منطاد، فإذا كنت تريد مساعدتي حقا فربما يمكنك تقديمي إلى أحد تجار المناطيد المستعملة الأمناء.

وبالفعل قمت بأخذها مباشرة إلى حيث العجوز "أون ثانك" تاجر المناطيد. أتعلمون، لقد كانت تملك المال بالفعل، إذ كانت تخبئ العشرات من العملات الذهبية في حزام خفي ملفوف حول خاصرتها، وكذلك كان كل من رفيقيها. وبينما هي تفاصل مع "أون ثانك" حول السعر المطلوب، ألقيت نظرة سريعة على العملات فميزتها على الفور وعرفت منشأها... كانت عملات لندنية، حيث كل قطعة نقش عليها صورة "كويرك"، إله لندن المنكوبة. ولكم أن تتخيلوا مدى ذهولي ودهشتي حينها، فقد زالت لندن تمام، وقد شهدت وميض انفجارها المروع بأم عيني!... هنا سألتها : كيف حصلتِ على تلك العملات اللندنية يا عزيزتي؟، فنظرت لي الآنسة مورشارد في ارتباك للحظة، ثم قالت أنها بالأساس عالمة آثار وأنها كانت تنقب بين أطلال لندن!"

وكان أصدقاء بيني رويال ينصتون إليه في شغف وإثارة، وراحوا يتهامسون فيما بينهم بكلمات باللغة الألمانية الحديثة، أما توم فقد ظل جالسا في موضعه وقد إنحنى قليلاً للأمام يتابع ما يرويه بيني رويال بلهفة.

"ولكن يا هر (4) بيني رويال، خرائب لندن مسكونة بالأرواح!" قالتها سيدة شابة ترتدي فستانا مزدانا بمئات العيون الزرقاء.

"فعلاً.." أجاب بيني رويال "... خلال الأشهر الأخيرة التي أعقبت دمار لندن، توجهت عشرات من ضواحي جامعي المخلفات شرقا كي تلتهم البقايا الممزقة للمدينة، لكن أي منها لم يعد"

"ذلك لأن الأساطيل الجوية التابعة لجماعة مناهضي التحرك القديمة قد رصدتهم وهم يقتربون من الحطام وقامت بقصفهم وتمزيقهم إلى أشلاء" قالها صوت تشوبه نبرة سخرية مستترة، فنظر الجميع نحو مصدر الصوت، ليجدوا ذلك الشاب الذي لفت نظر رين منذ البداية، وكان قد دنا قليلاً ليقف عند حدود الدائرة المحيطة ببيني رويال، وراح يستمع باهتمام لما يقال، ويداه في جيبي معطفه، وعيناه تلتمعان، وقد إتسع ثغره إلى جانبي وجهه في إبتسامة سخرية واضحة.

"هكذا قيل لنا يا سيدي" قالها بيني رويال مؤيدا وهو يحدق في وجه الشاب

“هكذا قيل لنا، ولكن، أو لم نسمع جميعا شائعات مخيفة عن المكان؟”

فأومأ الحاضرون وراحوا يهمهمون، وقد بدا أن جميعهم بالفعل قد تناهت إليهم تلك الأقاويل.

“كانت كرويز مورشارد...” تابع بيني رويال حديثه “... من النوع العقلاني الذي يفكر بشكل علمي في الأمور، مثل صديقنا هنا، ولهذا لم تعر التفاتا للأقاويل حول الأشباح. ومع ذلك فقد رأت أشياء داخل لندن شاب لها شعر رأسها! فقد أخبرتني أنها ما أن نزلت هي ورفاقها بين الأنقاض حتى انطلق شعاع غامض من البرق من بين الحطام أحرق منطادهم، أتبعه شعاع آخر منبعث من المعدن الميت للمدينة فأصاب جميع المستكشفين وأحرق أحد أعضاء فريقها محيلاً إياه إلى رماد، كما لو كان ذلك الشعاع ينجذب للأجسام الدافئة. وهنا أصاب باقي فريقها الذعر وحاولوا الفرار، لكن الأنقاض بدت وكأنها تلتف حولهم لتسجنهم بداخلها، فلم يستطيعوا فكاكاً. وقد مات العشرات منهم خلال أسبوع بينما كانوا يكافحون للخروج والعودة إلى العراء. ولم يكن شعاع البرق هو ما قتلهم، وإنما... أشياء أخرى، أشياء جعلت حتى امرأة شجاعة جسور مثل الآنسة مورشارد يشحب وجهها وتهرب الدماء منه بينما هي تتحدث عنها وتصف ما حدث. أشياء دفعت الرجال للجنون لدرجة أنهم راحوا يلقون بأنفسهم من فوق التلال المرتفعة من الحطام، بدلا من مواجهتها”

“أية أشياء يا بروفيسور؟” سألته نفس المرأة الشابة ذات الفستان المزدان بالعيون

“أشباح!” أجابها بيني رويال بصوت هامس “.. أعلم يا فراويولين (5) “هينبليك” أنك ستقولين أنه لا يوجد شيء من هذا القبيل، وأن أحدا لا يعود من الأرض التي لا تشرق عليها الشمس، ولكن الآنسة مورشارد قد أقسمت لي أنها قابلت أشباح بين الشوارع الخربة للندن. وبما أنها هي الشخص الوحيد الذي سار بين جنبات تلك الشوارع ثم عاد ليروي لنا ما رآه، فأعتقد أن علينا أن نأخذ بكلامها”

ساد الصمت، وبدا وكأن قشعريرة قد سرت بين الحاضرين، والتصقت الآنسة هينبليك بالجالسين بجانبها، فيما قال شاب ذو يد خشبية ويرتدي عدد من النياشين، بهدوء : “إنه مكان مسكون بالفعل. حين حلَّقتُ ضمن ال” آبفيهرتروب” (6) هناك، رأيت أطلال لندن من على مسافة بعيدة، وكانت أضواء غامضة تلتمع هناك في الليل.

حتى قوات العاصفة الخضراء كانت تخشاها، فبالرغم من أنهم أقاموا العديد من المستوطنات والمزارع والغابات وطواحين الهواء عبر ساحة الصيد الشرقية القديمة، إلا أنهم لم يجرؤوا على الاقتراب من لندن، ولهذا بقيت الأرض على مسافة مئات الأميال حول لندن خاوية على عروشها"

هنا شعر توم أن الوقت قد حان ليدلي بدلوه في الأمر ويعرض نظريته التي قضى الأيام القليلة الماضية يقلبها في ذهنه ويفكر فيها، فقال، وقد سرت رعشة خفيفة في أوصاله : "أعتقد أن الآنسة مورشارد ربما كانت تخدعك بشكل أو بآخر. أظن أنها جاءت من لندن بالفعل، بل في الحقيقة أنا أعرفها جيدا حين كانت تدعى "كليتي بوتس"، إنها أحد أعضاء عصبة المؤرخين في لندن، وأحسب أنها قد نجت بشكل أو بآخر من "الميدوسا"، وربما اختلقت قصتها حول الأشباح التي تجوب لندن والأضواء التي تنبعث منها فقط كي تبعد الناس عن المدينة وتخيف جامعي المخلفات الذين قد يحاولون نهب حطامها. ومن يدري، ربما كان هناك آخرون من أبناء لندن قد نجوا من الانفجار، وأنها تحلق على متن ذلك المنطاد " أركيوبتركس" من وإلى خرائب لندن كي تجلب لهم المؤن والإمدادات اللازمة"

كان شباب مورناو من التهذيب بحيث لم يصرح أي منهم بعدم تصديقهم لتلك النظرية، لكن وجوههم قد وشت بما يدور في رءوسهم، وقد أدركت رين ذلك. فقط كان الشاب الساخر بسيط المظهر هو الوحيد الذي بدا مهتما بما قاله والدها.

"إمدادات طبية، ماشية..." استرسل توم ".. هذا ما أخبرنا موظف الميناء في إيرهيفن أنها تشتريه..."

هز بيني رويال رأسه وقال : "نظرية لا بأس بها يا توم، لكنها بعيدة، ألا ترى هذا معي؟. بفرض أن أحد نجا من الانفجار المروع، فلماذا ظلوا يحيون بين أنقاض المدينة على بعد مئات الأميال خلف خطوط العاصفة الخضراء؟" شعرت رين بالحرج لأبيها، وتمنت لو أنه كان قد باح لها بنظريته الجنونية تلك قبل أن يجهر بها أمام الجميع هكذا.... يا لأبي المسكين، هكذا راحت تفكر، إنه يفتقد مدينته القديمة حقا، حتى بعد كل تلك السنوات، ولهذا شطح بخياله إلى هذا الحد.

انتهى الإفطار وبدأ الجمع ينفض، وراحت الأحاديث الجانبية تدور هنا وهناك، فيما

أخذ توم يتحدث بحماسة إلى بيني رويال، وتولت الآنسة هينبليك شرح ما يقال لبعض من أصدقائها الذين لا يتحدثون الإنجليزية. وقد راح بعضهم ينظر إلى توم في ارتياب، والبعض الآخر في سخرية.

التفتت رين تبحث عن أورلا تومبلي، لكن لم تجدها، وإنما وجدت ذلك الشاب الغريب يقف خلفها على مقربة منها.

"خيال والدك خصب، ربما كخيال بروفيسور بيني رويال" قالها الشاب

"أبي نفسه من لندن" أجابت رين "وطبيعي أن يهتم بما حدث هناك"

هز الشاب رأسه وقد بدا متفقا معها فيما قالت. كان الشاب أفضل مظهرا مما حسبته رين في البداية، وكان أصغر سنا كذلك، لا يتجاوز الثامنة عشر أو التاسعة عشر، ذو بشرة صافية شاحبة ولحية وشارب ناميين على ذقنه وشفته العليا.

ومع ذلك كانت عيناه الزرقاوان الجليديتان تبدوان وكأنهما تنتميان لوجه أكبر سنا بكثير. وقد راح يحدق بهما في والد رين وقال : "إنني أود التحدث إليه، ولكن ليس هنا" ثم صمت مفكرا للحظة، ثم مد يده إلى جيب معطفه وأخرج بطاقة مربعة سميكة ذات لون كريمي وناولها إلى رين. كانت الكتابة المائلة المنقوشة عليها عبارة عن عنوان في الطبقة العليا من مورناو، ال" أوبرانج".

"والدي سيقيم حفلا غدا، في العصر.." قال الفتى ".. يجب أن تأتيا، كلاكما، وهناك يمكننا التحدث على إنفراد"

ثم إنه راح يتفرس في ملامحها للحظة بينما هي تقرأ البطاقة، وحين رفعت رأسها نحوه كان قد استدار مبتعدا باتجاه الدرج، ورأت أطراف معطفه تتماوج بينما هو يهبط، وشعره يتلألأ ملتمعا كالذهب في ضوء المصباح، قبل أن يختفي عن ناظريها.

استدارت رين بدورها عائدة إلى والدها، لكنه كان منشغلا في التحدث مع الصحفي " سبيني"، محاولاً ألا يفصح عن الكثير من الحقائق، إذ كان الصحفي يسأله عن علاقته بالبروفيسور بيني رويال وكيفية معرفته به. فتركتهما رين واتجهت إلى حيث كانت تجلس أورلا تومبلي...

"من كان هذا الشاب؟" سألتها رين ".. ذلك الذي قاطع البروفيسور أثناء حديثه

عن لندن؟"

"هذا؟.." قالتها الملاحة وهي تتلفت حولها بحثا عن الشاب، قبل أن تكتشف أنه رحل، ثم قالت "اسمه "فولف كوبولد"، ابن المارشال "فون كوبولد"، المحارب القديم الذي جعلوه عمدة لمورناو عندما بدأت هذه الحرب. انظري، إنهما في تلك الصورة فوق المدفأة... فولف مقاتل شجاع هو الآخر، ووسيم كذلك، ألا ترين هذا؟"

وكانت رين تراه كذلك بالفعل، لكن خجلها الشديد منعها من الاعتراف بذلك، وقد حاولت ألا يظهر الخجل والاضطراب على وجهها بينما الملاحة تقودها عبر الغرفة التي كانت لا تزال مزدحمة، لتريها الصورة التي كانت تقصدها. كانت الصورة تظهر المارشال، والد فولف، واقفا في شموخ وصلابة، وعلى شفته العليا شارب أبيض كبير، كما لو أن طائر القطرس واقف فاردا جناحيه هناك. وبجوار الرجل المهيب وقف الشاب الذي كانت رين تتحدث معه قبل قليل، لكنه بدا في الصورة أصغر سنا؛ لا بد أن تلك الصورة قد التقطت قبل خمس أو ست سنوات، حيث كان يبدو فيها كتلميذ برئ... ترى، ما الذي حدث له منذ ذلك الحين وحتى الآن جعله كئيبا قاتما هكذا؟!

"سوف يصير مارشال حربي هو الآخر حين يتقاعد أباه أو يموت" قالت أورلا، "وإلى أن يحين ذلك، فإنه يتولى الآن منصب عمدة إحدى ضواحي مورناو الحَصَّادة. ومن حين لآخر يأتي إلى "موونز" عندما يكون في زيارة لمورناو للقيام ببعض الأعمال العائلية. لكنه في الواقع من النوع الانعزالي، لم يتسن لي الحديث معه قط"

هنا أخرجت رين بطاقة الدعوة وناولتها لأورلا، فأطلقت الأخيرة صفيرا خافتا، ثم قالت : "رين، يا عزيزتي، إنك ترتقين سريعا نحو القمة!، بالكاد قضيتِ ساعة على متن تلك المدينة، وها أنت مدعوة إلى حفل المارشال بذاته!"

***

---

(3) - الكيدجيري: عبارة عن طبق من السمك المطبوخ والأرز المسلوق والبيض والبقدونس ومسحوق الكاري، يعود أصله إلى الهند، ثم إنتقل إلى المملكة المتحدة.

(4) - هر / Herr :سيد بالألمانية.

(5) - فراويولين Fräulein : آنسة بالألمانية.

(6) - قوات الدفاع باللغة الألمانية Abwehrtruppe.

10. الملاك الأسود

آه، ما هذا؟..... هنا، في عرض الصحراء، حيث الأفق المتماوج يبدو سائلا كالمياه، ظهر شيء صلب. في البداية كان مجرد كتلة صغيرة جدا، مثلث داكن يلمع فوق السراب الفضي الممتد عبر الكثبان الرملية، ثم بدأت الرؤية تزداد وضوحا... نصل.. بل زعنفة كزعنفة سمك القرش.. بل هو مركب شراعي، أسود، يجوب وسط ريح الصحراء! أنصت.. ها هو صوت الرمال تحت عجلاته... انظر!... ها هو انعكاس أشعة الشمس يتلألأ كالألماس على نوافذه.

إنه أشبه ما يكون بلوح تزلج مائي، لكنه كبير جدا في حجم يخت، مثبت إليه عجلة في كل من أرجله الطويلة، ومن فوقه ارتفع صاري طويل. إنه سفينة رملية تمخر عباب الرمال بدلا من الماء... وسيلة التنقل الصحراوية المفضلة لجامعي المخلفات وصائدي الجوائز. ولا عجب أن تأتي تلك السفينة عبر تلك المسافة إلى حيث هذا المحيط الصحراوي، فهناك، في الاتجاه الآخر، يمكنك أن ترى الإقليم 94، حيث ذلك الحشد من البلدات، تتراقص مداخنها وطبقاتها العلوية خلف ستار من الحرارة المتماوجة فوق الكثبان.

إنه حدث نادر، أشبه ما يكون بتجمع تجاري في أعماق الصحراء، حيث البلدات تأكل البلدات؛ فقد ضلت ضاحية كبيرة بطيئة من تلك الضواحي التي تفترس قرى الصيد على طول الساحل البعيد، طريقها إلى بحر الرمال، فقامت عدد من البلدات المفترسة السريعة ذات العجلات الضخمة والفكوك الهائلة، و الشهية المفتوحة، باصطيادها، إذ حاصروها في ركن من الرمال يدعى "خليج بيتومن" تحيط به الجبال، ثم قاموا بتمزيقها إربا. وعلى مدار يوم أو نحو ذلك، انهمك المفترسون في أكل وهضم فريستهم، لدرجة أنهم توقفوا مؤقتا عن مهاجمة وافتراس بعضهم البعض، وساد سلام مؤقت قلق غير مستقر. وجاء التجار يتنقلون من بلدة ومدينة مفترسة إلى أخرى، وظهرت المناطيد وراحت تجوب السماء وتلتقط ما تستطيع من التقنيات القديمة المتاحة. وحتى بلدات جامعي المخلفات انتهزت الفرصة و جاءت تزحف بالقرب منهم محاولة بيع أجزاء الخردة التي عثروا عليها بين الرمال.

راحت الأشرعة السوداء للسفينة المجهولة تهتز وتتراقص كبتلات زهرة

الخشخاش، بينما يمضي بها قائدها عبر الرياح، ثم انعطف بها ودار في بطء عبر منحنى طويل ليلحق بمجموعة أخرى من السفن الرملية التي تحيط بتجمع البلدات.

وكانت بلدة " كوتلرز جولب" قد توقفت عند منحدرات مجموعة من الكثبان الرملية الضخمة على بعد نصف ميل من الحشد المنهمك في القضم والهضم، وأوقفت محركاتها، لكنها أبقتها على وضع الاستعداد للتحرك في أي لحظة في حال أبدت أي من البلدات المفترسة أي بادرة لاستهدافها كنوع من الحلوى بعد الوجبة الدسمة. كانت تلك البلدة عبارة عن جسم طويل منخفض نوعا، ذات طبقة واحدة وعجلات رملية ضخمة، وكانت مكونة بشكل أساسي من المحركات والمواسير السميكة والمداخن وأنابيب العادم، فيما احتلت منازل سكانها المساحة القليلة المتبقية، وقد بنوا مساكنهم الصغيرة من الطين والجص بين الأنابيب و وحدات المحركات.

ومن المرائب الكائنة في بطن البلدة، خرجت مجموعة من السفن الرملية، فيما حلقت سفينة تجارية جوية ذات خطوط بيضاء وسوداء، تدعى "هامباج"، وراحت تقترب من البلدة رويدا عبر الكثبان إلى أن هبطت في مينائها، وهو عبارة عن مساحة خالية بالقرب من مقدمتها، حيث كان زوجان من المباني الطينية قد انهار مؤخرا.

كان قائد السفينة الجوية "هامباج" تاجر يدعى "نابستر فارلي"، وقد كتب شعار "فارلي وولده" على وحدة محركات سفينته، لكن في الواقع، لم يكن " نابستر فارلي" الصغير سوى طفل لا يتجاوز عمره الثلاثة أشهر، و بالطبع لم يكن له أي دور بعد في إدارة أعمال والده. وكان "فارلي" يأمل أن يمنحه الزواج والإنجاب الاحترام الكافيين ليتخلص من وضع التنقل الدائم بين تلك البلدات التجارية الصحراوية الضئيلة، ويقيم في إحدى المدن الكبرى، لكنه لم يجلب له حتى الآن سوى الإزعاج والنفقات، ولو لم يكن في حاجة إلى زوجته لمعاونته في قيادة السفينة، لكان قد ألقى بها وبوليدها منها منذ أشهر.

و بحلول المغيب، بينما الشمس تغوص جهة الغرب، و الظلال تستطيل من أمامها، كان "فارلي" يسير عبر ممرات "جولب" المتداعية برفقة رئيسة البلدة "جراندما جريفي".

الحق أنهما يشكلان ثنائيا غريبا، فقد كان "نابستر فارلي" عبارة عن شاب هزيل

تقشر جلده عند الأنف من أثر حروق الشمس، كذلك كان قارئ شغوف بكتب الأعمال، وقد قرأ في أحدها، " كيف تنجح في التجارة الجوية" لدونييه لارد، أن رجل الأعمال الناجح ينبغي أن يرتدي دوما ثيابا مميزة بحيث يتذكره عملاؤه دائما. ولهذا، وبرغم الحر الشديد، كان يرتدي معطفاً أرجوانيا وقبعة من الفراء وبنطال أصفر فضفاض.

أما "جراندما جريفي" فقد غطت جسدها بالعديد من طبقات الشالات والأردية والتنانير والجلاليب، حتى بدت وكأنما إحدى الخيام البدوية بالصحارى العميقة قد تحررت من أوتادها وراحت تتجول. ولكن إذا ما اقتربت منها قليلاً ودققت النظر في تلك المساحة بين كتفيها العريضين وتحت قبعتها الواسعة، فسوف ترى، من وراء الغلالة الواقية من الذباب، وجها سمينا مصفر البشرة وعينين صغيرتين عمليتين، وقد راحت تلتمعان وهما تتفحصان السيد "فارلي"...

"لدي شيء للبيع.." قالت " جراندما" بأحرف متآكلة ".. نعم، عثرت عليه في أعماق الصحراء قبل بضعة أسابيع، شيء قي" (تقصد قيِّم)

"حقا؟" قالها فارلي وهو يمسح عنقه بمنديل ويلوح مبعدا الذباب، "ليس شيء من آلات التقنيات القديمة، أليس كذلك؟ فأسعار التقنيات القديمة قد انخفضت كثيرا منذ بدأت تلك الهدنة..."

"بل هو قي(م) أكثر من التقنيات القديمة" دمدمت "جراندما جريفي"، "... لقد سقطت إحدى المركبات ورأى صبيتي النيران تتصاعد، فتوجهنا نحو موقع سقوطها، وكانت بلدتي أول من وصل إلى حيث الحطام، لكننا لم نجد الكثير، فط (فقط) بعض الدعامات وأجزاء من المحرك، وهذا الشيء (القيم)"

ثم إنها قادته عبر سلم معدني نحو الأعلى، ومنه إلى حيث أحد الأبراج المبنية بالطوب اللبن، المنتصبة بين الأنابيب والمواسير المتشابكة في مؤخرة البلدة.

وفي الداخل، صعدا عبر مزيد من السلالم، حيث راحت "جراندما" تلهث وترتج بينما هما يتوجهان نحو الأعلى. وكانت أطراف أثوابها مزدانة بالعديد من التعاويذ : عظام فك بشري... يد قرد... قطع جلدية... فقد كانت المرأة مشهورة بممارسة السحر، وقد استخدمته جيدا في قيادة قومها والسيطرة عليهم. وحتى فارلي، شعر بالتوتر بينما هو يتبعها عبر الدَّرَج، وراح يلمس الميدالية المنقوش عليها صورة إله التجارة،

المعلقة حول رقبته، من تحت ربطة العنق.

أخيراً وصلا إلى غرفة علوية، حارة، مفعمة - مثل بقية البرج - بضباب بني ورائحة خفيفة من الدهون المحترقة. وفي منتصف الغرفة كان شخص ما يرقد فوق الأرض المعدنية وقدماه مقيدتان.

في البداية حسبه "فارلي" صبي، ولكن ما أن رفع رأسه ونظر إليه من بين خصلات الشعر المتسخ على وجهه، حتى أدرك التاجر أن هذا الشخص امرأة، امرأة شابة. كانت ترتدي خِرقا، وعلى عنقها تبدت آثار كدمات، بينما كاحلاها العظميين متورمين من أثر احتكاك الأغلال بهما.

"آسف يا جراندما.." قال فارلي ".. أنا لا أشتري عبيدا" ولم يكن فارلي لديه اعتراض أخلاقي على تجارة العبيد، لكن العظيم " نابيسكو شكين" كان قد كتب في مؤلفه، " الاستثمار في البشر"، ينصح من يرغبون في الانخراط في تجارة العبيد ألا يشتروا سوى العبيد الأوفر صحة. وقد أدرك فارلي من الوهلة الأولى أن ذلك الصيد الهزيل الملقى أمامه على وشك الموت.

"إنها أكثر أهمية بكثير من مجرد عبد" قالت جراندما جريفي بصوتها الخشن، ثم إنها عبرت الغرفة باتجاه أسيرتها ثم جرتها من شعرها ورفعت وجهها نحو "فارلي": "من تحسبها تكون؟"

أخرج "فارلي" عدسة أحادية من جيبه العلوي وراح يحدق من خلالها يتفحص الأسيرة و يتأمل عينيها اللوزية ولون بشرتها التي بدت، من تحت ركام الأوساخ وحروق الشمس، عاجية.

ثم إنه هز كتفيه وقد مل من تلك اللعبة، وقال : "لا أعلم يا جراندما، ربما هي من سلالة نصف شرقية، ربما من" شان جو"؟ أو "آينو" ؟، "إنويت"؟

"من "ألوشيان" " ثم إنها تركت رأس أسيرتها يسقط، وعادت إلى فارلي. ثم وقفت قليلاً تلتقط أنفاسها، وقالت : "هل أدركت من هي أيها التاجر الشاب؟ إنها زوجة ذلك الجنرال، ملكة العاصفة الخضراء!"

لم يقل فارلي شيئا، لكنه اعتدل في وقفته وأخرج يديه من جيبيه، وراح يلعق

شفته وقد لمعت عيناه... لقد سمع بقصة سقوط منطاد السيدة ناجا في بحر الرمال، أيمكن أن تكون هي؟، ربما، لقد سبق ورأى صورة لها ذات مرة في صحيفة "إيرمان جازيت"، وقد حاول جاهدا تذكرها، لكنها كانت في تلك الصورة ترتدي فستان زفافها، وعلى كل حال فهؤلاء الشرقيين يبدون جميعا متماثلين في عينيه.

"لقد وجدنا هذا عليها" قالتها جراندما، ومن بين طبقات ثيابها أخرجت خاتماً ذهبياً مزخرف على شكل ورقة شجر البلوط، "انظر كذلك إلى هذا الصليب حول عنقها، إنه من صناعة زاجوا"

أخرج فارلي منديلا حريريا ووضعه على أنفه وهو يدنو من المرأة، ثم : "هل أنتِ السيدة ناجا؟" سألها بصوت عال جدا وببطء، فنظرت إليه وأومأت بوهن أن : نعم، ثم سألت : "ماذا حل بثيو؟"

"إنها تتحدث عن فتى من زاجوا كان مسافر معها" قالتها جراندما مفسرة، "... لقد وضعناه في حُفَر المحرك. إنه ميت الآن على الأرجح. والآن أيها التاجر، السؤال هو : ماذا سنفعل بها؟، لا يمكنني الإبقاء عليها هكذا، كما أنها أضعف من أن أبيعها كعبدة عادية، وفي ذات الوقت لا بد وأنها ذات قيمة لشخص ما، إيه؟.. إنها ملكة العاصفة الخضراء"

"آه، بالفعل" قالها فارلي وهو يفكر

"كنت أفكر كذلك في أننا ربما يمكننا سلخها والاستفادة من جلدها..." قالت جراندما جريفي "... قد يجلب جلدها هذا مبلغا جيدا، أليس كذلك؟ يمكننا تحويله إلى بساط جميل، أو نصنع منه بعض الوسائد ..."

"أوه، جراندما جريفي، لا !!" صاح فارلي "إن رأسها هو الجزء الثمين فيها!"

"أتقصد أن نصنع منه ثقالة للورق أو شيء من هذا القبيل؟"

انحنى فارلي نحو جراندما وقال وهو يشير بإصبعه إلى رأسه : "ما تعرفه من معلومات هو المهم. يمكنني أن آخذها إلى إيرهيفن، وهناك سأقدمها إلى تحالف مدن التحرك الألمانية "تراكشيون ستات". أحسب أنهم سيدفعون مبلغا جيدا مقابلها"

"إذن فأنت ستشتريها كلها، كم ستدفع لي؟"

"آه، حسناً، بالطبع، سيكون علي تحمل تكاليف النقل، وكذلك بعض النفقات الأخرى. لقد تسببت تلك الهدنة اللعينة في كساد السوق، ولكن، دعيني أفكر..."

"كم ستدفع؟"

"عشرة دولارات ذهبية"

"عشرين"

"خمسة عشر"

"يمكنني أن أصنع بعض التعاويذ من أصابع يديها وقدميها وأبيعهم..."

"حسناً.." هتف التاجر بسرعة "سأدفع العشرون دولارا ذهبيا" ثم أخرج حافظة نقوده وراح يعد العملات في يدها قبل أن ترفع السعر أكثر.

تمكنت السفينة الرملية ذات الأشرعة السوداء من إيجاد موضع لها في إحدى مآرب " كوتلرز جولب"، وقام قائدها، الذي كان متسربلاً بمعطف وغطاء للرأس، بطي أشرعتها، ثم قفز عنها. وقد بدا من مظهره أنه مجرد خادم أو ربما أحد أفراد الطاقم، حيث وقف ينتظر في هدوء وصبر إلى أن نزلت امرأة من السفينة لتنضم إليه، ثم صعدا معا عبر الدرج وانطلقا عبر الممرات المعدنية التي تربط أفران البلدة، متجهين نحو مجموعة من المقاهي وأكشاك البيع بالقرب من مؤخرة البلدة. وعلى طول الطريق كان المتسولون يمدون إليهما بأطباق التسول طمعا في بعض المال، لكنهم سرعان ما كانوا يتراجعون بمجرد أن تلوح منهم نظرة إلى وجهيهما، حتى الكلاب فرت من أمامهما.

كانت المرأة طويلة، شديدة النحول، تحمل بندقية طويلة على كتفها، ترتدي ثيابا سودًا بالكامل : حذاء طويل أسود، بنطال أسود، صدرية سوداء، ومعطف أسود طويل راح يتطاير من خلفها مع الرياح، كأجنحة سوداء.

في مكان كهذا، حيث الجميع ملثمون، أو يغطون رءوسهم بشكل أو بآخر، كان من المتوقع أن ترتدي تلك المرأة لثاماً أسود كذلك، إلا أنها بقيت عارية الرأس، كاشفة عن شعر أشيب معقوص إلى الخلف، و كأنما أرادت أن يرى الجميع كم هي بشعة الخلقة، حيث إمتد قطع طولي شنيع من الجبهة إلى الفك، و كأنما هي صورة تم تمزيقها

لنصفين، فيما التوى فمها في ابتسامة سخرية أبدية، إضافة لأنفها المهشم، بينما عينها الوحيدة وسط ذلك الخراب تتطلع من حولها، رمادية، باردة كبحر الشتاء...

اسمها "هيستير شاو"، إمرأة متمرسة على القتل هي، ظهرت في الصحراء منذ ستة أشهر، حيث حملها مرافقها، وهو مطارِد يدعى السيد "جريك"، إلى حيث "الحول"، وهي واحدة من البلدات التي تجمعت هناك لتلتهم حطام "السحابة التاسعة". وقد طلب "جريك" من أهل البلدة حينذاك رعايتها، فأطاعوا دون جدال، إذ لم يشأ أي منهم الدخول في مواجهة مع مطارِد، وبالفعل استدعوا الطبيب لفحصها، لكنها كانت سليمة تماما فيما عدا بضعة جروح وخدوش، وحالة من الصدمة والاكتئاب قال الطبيب أنها عادة ما يمر بها الناجون من الكوارث.

"هل فقدت عزيز لها مؤخرا يا سيد جريك؟" سأله الطبيب

"فقدت كل شيء" أجابه المطارِد.

وهكذا، بقيت المرأة لأسبوع أو أسبوعين في واحدة من الحجرات المغطاة بأستار الخيش تحت سطح المدينة، فيما كان المطارد يعتني بها، و يطعمها وجبات الخبز واللبن التي كان يعدها لها بيديه المعدنيتين. وقد راح الناس يراقبونهما ويتهامسون حولهما محاولين تخيل نوع العلاقة التي يمكن أن تربط بين تلك المرأة القبيحة المصدومة وذلك الرجل العائد من بين الأموات.

وفي أحد الأيام، جاء رئيس منطقة محركات المدينة لزيارة جريك...

"أيها المطارِد، أريد منك أن تقتل أحد الأشخاص، "الشيخ" حاكم المدينة، هو رجل عجوز بدين، يستحوذ لنفسه على الكثير مما نجده بين حطام المدن. اقتله لأجلي وسوف أمنحك حياة مرفهة مريحة في أعلى طبقات المدينة، وسوف أمدك بأفضل الأطعمة وفراش من ريش النعام لتلك الـ.. اااه.." وراح الرجل يحاول إيجاد الكلمة المناسبة لوصف هيستير، حين أجابه جريك :

"لن أقتل"

"ولكنك مطارِد!، بالطبع يمكنك قتل أي من كان!"

"لا أستطيع، لقد تم إعادة ضبط دماغي"

قطب رئيس المحركات جبينه، وبدأ يفكر في إلقاء ذلك المطارد عديم الفائدة خارج البلدة، ولكن... كيف؟. ثم إنه هز رأسه في ضيق وهم بالانصراف، حين سمع المرأة المشوهة تقول له بهدوء : "سوف أقتله أنا لأجلك"

"أنتِ؟!"

"أنا هيستير شاو، أبي هو "ثاديوس فالانتاين" العميل السري والقاتل الشهير. تريد قتل شيخك هذا؟ حسناً، اعطني سلاحا ودلني على مكانه"

"لكنكِ مجرد إمرأة!" قالها الرجل معترضا.

وهكذا، أخذت هيستير مذراة وعتلة، وانطلقت عبر الدرج نحو الطبقة العليا من "الحول"، واقتحمت أبواب منزل " الشيخ"، ثم دخلت فقتلته، وقتلت حراسه، وكلابه، و راحت كالطاعون تجوب الغرف المفعمة بالدخان تنشر الموت، ثم خرجت ولم تترك ورائها أي شيء ينبض بالحياة. لقد كانت أقرب للمطارِدين ربما من مطارِدها جريك نفسه، الذي وقف ساكنا يراقبها.

وبالأموال التي حصلت عليها من رئيس المحركات قامت بشراء سفينة رملية وبضعة بنادق، ثم غادرت هي والمطارد "الحول" إلى الأبد، فتنفس سكان البلدة الصعداء.

ومنذ ذلك الحين، تحولت هيستير إلى واحدة من أساطير الصحراء : المرأة صائدة المكافآت ومرافِقها المطارِد الذي لا يقتل.

و حتى "ثيو نجوني" سمع نسخة مشوهة من القصة بينما هو يعمل في حُفَر المحركات بـ" كوتلرز جولب"، لكن الرجل الذي قصها عليه كان يتحدث باللغة العربية جزئيا، وكان يتكلم عن المطارِد بوصفه "الجني" وهيستير شاو بوصفها " الملاك الأسود". ولهذا فقد كانت المفاجأة عارمة بالنسبة لثيو حين رفع رأسه في ظهر ذلك اليوم ورآهما يسيران عبر الممشى الذي يقود إلى الطابق الذي يعلو المنطقة التي يعمل بها.

للوهلة الأولى، لم يستطع ثيو تذكر أين رأى هذين الاثنين من قبل، وقد باتت ذكرياته عن "السحابة التاسعة " بعيدة جدا، بل وحتى سقوط المنطاد "نزيمو" بدا

وكأنه وقع منذ زمن طويل، فقط كانت لديه رؤى مشوشة وهو يجر السيدة ناجا عبر فتحة في جدار مقصورتها بينما النيران تشتعل في أنحاء المركبة، وكيف أنهما قفزا منها وتعلقا في أحد الحبال عند مراوح التوجيه بينما المنطاد يهوى في عرض الصحراء... لكن كل ذلك الآن يبدو له وكأنه قد وقع لشخص آخر، أو كأنه قرأ عنه ولم يعايشه.

ومنذ ذلك الحين وهو يكدح في العمل، في دوام يبلغ ثماني عشرة ساعة يومياً، يتعرض للجَلْد والضرب والإيذاء، ولا يحصل سوى على قدر قليل من الماء وقدر أقل من الطعام. وقد بدأت الكوابيس تطارده مؤخرا، حتى وهو مستيقظ، ولهذا فقد حسب أنه مجرد كابوس آخر حين أدرك أن هذه المرأة التي تسير على الممشى فوقه في ضوء الشمس هي والدة رين، فهز رأسه وراح يمسح العرق عن عينيه، وحين فتحهما من جديد كانت لا تزال هناك، والمطارد الرهيب بجانبها.

"سيدة ناتسوورثي!" صرخ ثيو، وترك مقبض جاروف الوقود الذي كان يدفعه باتجاه الأفران من يده، فانتبه مشرفو العمل، وعلى الفور هرعوا نحوه وشرعوا يوسعونه ضربا وتنكيلا بهراواتهم وسياطهم، حتى سقط فوق الأرضية، لكنه كان واثقا من أن والدة رين قد سمعته، إذ رأى وجهها الرهيب يلتفت نحوه ويحدق به للحظة قبل أن يسقط.

"اتركوه" صاح المطارِد بصوته المعدني، وكان أعلى حتى من صوت محركات البلدة، فتراجع المشرفون على الفور وخيم صمت مطبق على منطقة المحركات، لدرجة أن ثيو كان في مقدوره سماع صوت الأنفاس المتلاحقة للرجال من حوله. ثم إنه حاول النهوض على قدميه، لكنه لم يستطع، وسقط على ركبتيه فوق السطح الرملي الساخن.

"سيدة ناتسوورثي" صاح الفتى مجدداً وقد التقت عيناه بعيني المرأة هذه المرة.

ولم يكن يتوقع منها أن تمد له يد العون، وكان يدرك أنها بمجرد أن تبتعد سيعاود المشرفون لينكلوا به حتى الموت؛ إنما أراد فقط أن تعرف أنه موجود هنا، فربما تخبر رين ذات يوم بما حدث له وصار عليه...

"لقد التقينا من قبل، هل تتذكرين؟ على متن "السحابة التاسعة""

"أنا أعرفك" قالها المطارد جريك

"أما أنا فلا" قالت هيستير، وقد أصابها سماع كنيتها القديمة إذ تُنادى بها على هذا النحو، بالاضطراب. وراحت تحدق في ذلك الصبي الملقى تحتها في خندق العمل، صبي أسود هزيل ككومة من العصي المحترقة، وقد تكشفت أسنانه فيما قدرت هيستير أنه ابتسامة، بينما الدماء تسيل فوق وجهه جراء الضرب المبرح الذي تلقاه. ثم إنها سألت جريك : "من هذا؟"

"إنه ذلك الفاني الذي يدعى ثيو، كان مع ابنتك على "السحابة التاسعة ""

"أهو حقا؟" وراحت هيستير تستعيد في ذهنها ذكرى مبهمة حول فتى كان برفقة رين حين التقيا لآخر مرة. وتمنت لو لم يكن ناداها، إنها تحاول نسيان ماضيها، وقد جاءت إلى " كوتلرز جولب" فقط طلبا لبعض المؤن والمياه العذبة، وما كانت ترغب في العودة للوراء.

كذلك لم تكن هيستير ترغب في التورط في أي متاعب، ولكن ما أن استدارت لتبتعد، حتى أمسك جريك بذراعها وقال : "لا يمكنك تركه هنا"

"ولماذا؟"

"سوف يموت"

"الجميع يموتون"

"لا يمكنك تركه هكذا"

"اللعنة عليك يا جريك، ماذا فعلت بك تلك الشمطاء من العاصفة الخضراء حتى جعلتك لينا هكذا؟! "

"لا يمكنك تركه هنا"

"لكنك لن تستطيع أخذه من هنا" صاح صوت من داخل الخندق، رئيس أفران البلدة، " داز جريفي"، وقد جاء من مكتبه في الداخل ليرى سبب ذلك الهرج. ولم يكن ممن يخشون المطاردين، فهو الحفيد المفضل لـ"جراندما جريفي"، وقد علقت حول عنقه السمين عشرات التعاويذ التي صنعتها لحمايته من الرصاص والعين الشريرة؛

وكان كل ما يكترث به هذا الفتى هو الحفاظ على سير العمل بسلاسة ودقة في منطقة المحركات.

جذب " داز جريفي" ثيو من طوق العبيد الحديدي الذي يحيط بعنقه وألقى به إلى الخلف حيث جاروف الوقود، وقال مزمجرا : "إنه ملكنا، لقد عثرنا عليه و انتشلناه من بين حطام مركبة محطمة. "جراندما" قالت أننا يمكننا أن نفعل ما نشاء بـ..."

وقبل أن يكمل كلامه كانت هيستير، بحركة واحدة سريعة، قد سحبت بندقيتها من على كتفها وفتحت زر الأمان وأطلقت رصاصة فأردته قتيلاً، ليسقط في بركة من دمائه، وتمائم جلب الحظ السعيد التي يعلقها في رقبته تصلصل بقوة، ثم تحولت إلى مرافقيه ورجاله، وبسرعة خاطفة أردتهم جميعا قتلى، لدرجة أن أصوات الطلقات وصداها قد تداخلت معا وراحت تتردد كالطبول بين جنبات منطقة المحركات؛ ثم هرعت عبر الدرج نحو الأسفل ومدت يدها إلى ثيو، لكنه كان يرتجف ولم يقو حتى على الوقوف، فنزل المطارد ورفعه مخرجا إياه من موضعه في الخندق، ثم حمله كالطفل وصعد من جديد إلى الممشى ومن ورائهما هيستير وبندقيتها لا تزال في يدها جاهزة للاستعمال ثانية.

ووسط الصمت المهيب الذي أعقب إطلاق النار، كان باستطاعة هيستير سماع همهمات الناس وقد هرعوا يفرون من أمامها.

ولسبب ما، بينما كانت تركض من خلف جريك إلى حيث سفينتها الرملية، وقد أبرز المطارد مخالبه وراح يقطع حبال الإرساء، تذكرت هيستير الوقت الذي قضته وتوم على متن مدينة "ستينز" وكيف راحا يركضان هربا من تجار العبيد هناك، وكيف أنقذتهما آنا فانج. ثم إنها رفعت بندقيتها وأطلقت رصاصة تحذير عبر المرآب وهي تهرع نحو سفينتها، وفي قرارتها راحت تلعن نفسها لعاطفيتها تلك، فهذه البلدة ليست " ستينز" وثيو ليس توم... على أية حال هي لا ترغب في التفكير في الأمر.

سمع "نابستر فارلي" صوت الطلقات والصراخ بينما كان يعد منطاده للإقلاع، فأطلق سبة في سره وراح يسرع الخطى على أمل ألا يعطله شيء عن مغادرة البلدة. وكان صبية "جراندما" قد قاموا بنقل السيدة ناجا إلى منطاده قبل بضع دقائق.

و كان "فارلي" يرتجف من الإثارة وهو يفكر في الثمن الذي سيحصل عليه حين

يتوجه بها إلى حيث المنطقة الفاصلة، ولو أنه بقي مدة أطول هنا فقد تعيد "جراندما جريفي" التفكير في بيعها، لذا فمن الأفضل له أن يهم بالمغادرة الآن. ولهذا لم يتوجه إلى الخارج لمشاهدة سفينة الرمال تلك وهي تهرع عبر الصحراء، وإنما أمر زوجته بأن تضع الرضيع جانبا وتسارع بتشغيل المحركات، وصفعها صفعة قوية حين لم تتحرك بالسرعة الكافية، صارخا فيها أن : "شغليه أيتها الفرسة الكسول!... دعينا نترك تلك البلدة الرملية لصراعاتها، لدينا عمل لنؤديه!"

***

11. فولف كوبولد

كان توم مترددا بشأن قبول دعوة "فولف كوبولد"، فهو يعرف حدوده وموضعه في الحياة جيدا، ولهذا كان يرى أنه لا مكان له على طبقة " أوبرانج" التي تكلل "مورناو" كتاج مزخرف، وقد استغرق الأمر من رين ساعات طوال في محاولة إقناعه...

"إنك حقا في حاجة للتحدث مع ذلك ال"فولف"" قالت رين ".. لقد بدا مهتما بما كنت تقول عن "كليتي بوتس". أنا واثقة أنه يعرف شيئا ما"

إلا أن توم هز رأسه رافضا، وقال : "أنا لست واثقا فيما قلته أنا نفسي، لقد كانت مجرد فكرة، ولا دليل لدي يؤيدها. حتى بيني رويال لم يقتنع بما قلت، الرجل الذي يزعم أن مناطق المخلفات والنفايات القديمة كانت يوما مراكز حضارية عظمى، وأن القدماء كان لديهم آلات تدعى "آي بود" حيث يمكنهم تخزين آلاف الأغاني على اسطوانات متناهية الصغر، لم يصدق نظريتي ويراها خيالية، إذن ربما هي بالفعل مجرد أحلام يقظة"

يئسَت رين من أن تقنعه بهذه الطريقة، فقررت أن تجرب حيلة أخرى : "ألا ترى أن حضورنا لذلك الحفل قد يكون مفيدا لي؟، أن أجرب الاختلاط بالطبقات الاجتماعية العليا؟. أورلا قالت أن لديها صديق يمكنه أن يعيرك رداءا رسميا لحضور الحفل"

وبعد جهد، وشد وجذب، تمكنت رين أخيرا من إقناع والدها. وهكذا، في عصر اليوم التالي، كانا يتوجهان إلى أعلى مورناو، حيث استقلا مصعدا إلى " أوبرانج"؛ وقد بدا توم محرجا في ردائه المستعار هذا، أما رين فقد ارتدت زي المِلاحة الجوية المعتاد الخاص بها، وقد شعرت أنه أكثر ملائمة لها، كذلك كانت تعرف جيدا أنه لا يوجد ما يمكنها شرائه من بازارات إيرهيفن يتناسب مع الأزياء الأنيقة التي سترتديها السيدات الثريات في ذلك الحفل. لكنها ما أن ركبت المصعد وأخذت تنظر حولها تتأمل الركاب معها، حتى بدأت تشك في صحة قرارها هذا، خاصة حين راح بعض الضباط الوسيمين ذوي الأزياء الزرقاء والسيدات ذوات القبعات والعباءات الأنيقة، ينظرون إليها بتعجب، ويتهامسون: من هذه الفتاة الغريبة؟!

وقد تنفست الصعداء حين توقف المصعد أخيراً، فتأبطت ذراع توم وخرجا إلى حيث ضوء الشمس.

كانت الطبقة العليا، " أوبرانج"، كبقية مورناو، مغطاة بسطح مصفح، تم فتح أجزاء كبيرة منه للسماح لضوء الشمس والهواء بالدخول.

سارت رين بصحبة أبيها بين جموع المدعوين عبر شارع " أوبردن ليندن" ذو الرصيف الزجاجي الذي يمكن للمشاة النظر من خلاله نحو الأشجار في المتنزه بالطبقة الأسفل؛ لا بد أنها كانت جميلة وارفة في الأيام الخوالي قبل الحرب، أما الآن فقد كانت الأشجار جميعها ميتة، وقد اعترى رين شعور غريب من منظر الأغصان العارية الممتدة نحو الأعلى.

ثم وصلوا أخيراً إلى حيث منطقة متنزهات واسعة تحيط بال "راث هاوس"، مبنى البلدية لمورناو ذو الطابع القوطي. وعلى العشب المتناثر والطحالب التي كست الأرض هنا وهناك، بدأت حفلة المارشال، حيث نُصِبَت الأجنحة والخيام الملونة الزاهية، وامتدت صفوف من الأعلام الملونة بين جذوع الأشجار الميتة و الأعمدة التي دمرتها المعارك، و ارتفعت المصابيح الصينية المميزة التي سيتم اضائتها لاحقا حين تغرب الشمس ويحل الظلام.

كانت هناك حشود هائلة من القوم يتجولون هنا وهناك، خاصة وأن المارشال كان قد دعا عددا من عُمَد ورؤساء وأعضاء بلديات المدن الأخرى في التحالف. وبدأت فرقة موسيقية تجلس فوق منصة مزدانة بالأعلام، في العزف، واندمج المدعوون في رقصات رسمية ذات حركات وخطوات معقدة، حتى بدت أقرب إلى قواعد الرياضيات التطبيقية منها إلى الرقصات الشمالية القديمة التي تعلمتها رين في فينلاند.

وفي تلك اللحظات تمنت رين لو أنها أنصتت لأبيها وظلا بمنأى عن هذا كله، فهي لم تكن معتادة على مثل تلك الحفلات الضخمة، ولم تحضر شيئاً كهذا سوى مرة واحدة، حين كانت على متن "السحابة التاسعة "، وقد كانت هناك كعبدة تدور بين الحاضرين بصواني المأكولات والمشروبات.

تلفتت رين من حولها، وكانت تفكر جديا في الفرار من الحفل والعودة إلى حيث المصاعد، حين رآها "فولف"، وكان واقفا مع جمع من الضباط بالقرب من الفرقة الموسيقية، فتركهم واتجه نحوها محييا إياها. وكان قد تأنق قليلاً، ولكن حتى في ذلك الزي الرسمي والوشاح القرمزي الذي ارتداه، كان لا يزال مظهره متواضعا، وإلى

جانب خاصرته تدلى سيف بدا رخيصا وأكثر ثقلا من السيوف المزخرفة الفاخرة التي كان يتمنطق بها الرجال الآخرون.

افتر ثغر الفتى عن ابتسامة تكشفت منها أسنانه الحادة، وهو يدنو منهما، وقال مُرَحِّباً : "أصدقائي!" وانحنى لتوم محييا، ثم تناول يد رين وطبع عليها قبلة، "سعيد للغاية بحضوركما"

ولم تكن رين معتادة على أن يقبل أحد يدها، وقد علت وجهها حمرة الخجل وانكمشت قليلاً؛ ثم إن إبهام فولف لمس ذلك النتوء البارز في ظهر يدها، وشم العلامة التجارية لشركة شكين للعبيد، الذي وُشِمَت به يوم تم أسرها على متن برايتون، فانتزعت يدها سريعاً في خزي، إلا أن فولف أخذ ينظر إليها بفضول ليس إلا، وقد بدا من نظراته أن كونها كانت عبدة لا يشكل أي فارق لديه.

"يبدو أنك عشتِ حياة مثيرة يا فراويولين ناتسوورثي" قالها الفتى وهو يأخذها من ذراعها ويقودها وتوم عبر الحديقة المزدحمة.

"ليس تماما، يا سيد فون كوبولد، لكني أحسب أنني قد استمتعت كثيرا خلال الستة أشهر الماضية..."

"رجاءً.." قاطعها كوبولد "نادني فولف... أو على الأقل السيد كوبولد. "فون" لقب شرفي قديم، والداي يستخدمانه، لكني ليس لدي سعة لذلك الهراء"

ثم إنه مال قليلا نحو رين وهمس "لا داعي للانزعاج من وجودك بين أولئك النساء السخيفات في أزيائهن السخيفة، فمعظمهن يعيش في مدن أكثر أمناً واستقرارا من مورناو منذ بدأت الحرب، ولم يعدن إلى هنا إلا حين توقف صوت المدافع. انظري إليهن، كل منهن تبدو كطفلة ضخمة الحجم، إنهن لا يعرفن شيئا عن الحياة الحقيقية"

شعرت رين بالسرور لرفقته، وللنظرات الحاسدة التي راحت نساء مورناو يرمقنها بها وهي تسير معه، لكنها في ذات الوقت كانت منزعجة لكونه قادراً على تخمين مشاعرها بسهولة.

"أرجو أن تغفر لي إحضارك إلى هنا" استطرد فولف موجها كلامه إلى توم "لقد وجدت أنها ستكون فرصة جيدة لنتحدث.... لم أكن أدرك مدى السخاء الذي تبذله

عائلتي في الترفيه منذ بدأت تلك الهدنة الحمقاء سوى الآن. تعالا، سوف نذهب إلى الداخل..”

ثم تقدمهما إلى حيث ما وراء منصة الموسيقى نحو الجدران المدرعة لـ”راث هاوس”، لكنهم توقفوا فجأة في منتصف الطريق، حيث توجهت نحوهم سيدة أنيقة رائعة المظهر، في ثوب حريري رمادي من قماش جامد متماسك ذو أطراف حادة، وكأنها هي الأخرى مصفحة كمدينتها.

“فولف يا عزيزي.. ” قالت المرأة بلطف “... الجميع يسألني ترى من يكونوا أصدقائك؟”

انحنى فولف في تأدب ثم أشار نحو رين ووالدها قائلا : “أمي، دعيني أقدم لك توم ناتسوورثي، ملاح جوي، وإبنته رين. توم، رين، أقدم لكما والدتي “آنيا فون كوبولد””

“سعيدة بمعرفتكما” قالتها والدته، برغم أن ملامحها كانت تشي بعكس ما قالت، وراحت تنظر إلى توم ورين لأعلى وأسفل، وقد بدا على وجهها الألم، وكأن مجرد رؤيتها لأناس عاديين يؤلمها جسديا. “لقد بدأ فولف يعتنق تلك المفاهيم الديمقراطية منذ ولاه زوجي قيادة” هاروبارو “، حتى لم يعد في مقدور المرء أن يتنبأ بمن سيحضرهم إلى المنزل... ملاحون، يا له من أمر مثير!..”

ثم إنها تركتهم وابتعدت متجهة نحو مجموعة من أعضاء مجلس البلدية وزوجاتهم للترحيب بهم.

“دعكما منها..” قالها فولف وهو يحدق فيها إذ تبتعد “.. إنها لا تعرف شيئا عن الحياة على الخط الفاصل. إنها تهجر مورناو ما أن تبدأ المعارك وترتحل إلى باريس حيث تستمتع بالإقامة في فنادق الطبقات العليا هناك، ولا تكترث بأي شيء سوى الثياب والأطعمة”

وكان الفتى يتحدث بصوت عال كفيل بأن تسمعه والدته، وقد سمعه بالفعل عدد لا بأس به من الضيوف، وراحوا يلتفتون نحوه وينظرون لبعضهم البعض في دهشة وإستنكار.

أما توم، والذي تملكه حرج شديد، فسأله في براءة : ""هاروبارو" ؟ هل هذا اسم الضاحية التي تحكمها؟ لا أعتقد أنني سمعت بها من قبل..."

توقف فولف عن التحديق في ظهر والدته وعاد ينظر إلى توم مبتسما، وقال: "إنها صغيرة جدا يا سيدي، بل هي أصغر من أن تكون ضاحية، مجرد مكان صغير خاص دخل في حوزة مورناو أثناء الحرب، لكنه ملكي على أية حال، و لدي أحلام بصدده، أحلام وآمال كبيرة"

ثم استأنف ثلاثتهم المسير نحو "راث هاوس"، وراحت رين تتساءل في داخلها عن كنه ذلك المكان المدعو "هارو بارو". لقد كانت الضواحي التي شاهدتها خلال رحلتهم شرقاً، بشعة المنظر : كتل قصيرة قبيحة مدرعة، تشبه قمل الخشب؛ ومع ذلك فقد كان فولف يتحدث عن ضاحيته تلك بشغف وعاطفة شديدين، ربما بنفس الفخر الذي يتحدث به الملاحون عن سفنهم، حيث لن تسمع منهم أبدا كلمة سيئة واحدة عنها، حتى ولو كانت مجرد زورق سماوي خرب.

وما أن دخلوا إلى المبنى وأغلق فولف الباب حتى تلاشت أصوات الحفل الصاخب في الخارج، واصطحب الفتى ضيفيه إلى حيث غرفة واسعة هادئة تحفها أعمدة معدنية رفيعة تحمل السقف، حتى شعرت رين وكأنها دخلت إلى غابة معدنية.

جلس ثلاثتهم فوق المقاعد، وقرع فولف جرس مستدعيا الخادم وطلب منه بعض المرطبات، ثم صمت للحظة وراح يتفحص توم و رين، كما لو كان غير متأكد مما إذا كان قد أحسن صنعاً بإحضارهما إلى هنا. ثم إنه تكلم أخيراً، وقد عاد وجهه متجهماً كما كان في اليوم السابق حين كانوا يستمعون لقصة بيني رويال في"موونز"...

"لندن... لقد فهمت أنك أنت نفسك كنت لندنياً يا هر ناتسوورثي، أليس كذلك؟"

أومأ توم، وقال أنه كان متدرب في عصبة المؤرخين، وأنه كان خارج المدينة حين وقع انفجار الميدوسا.

"يا له من أمر مثير!" قالها فولف حين انتهى توم من حكايته، ثم راح يتحدث من جديد، بحذر هذه المرة :

"أنا أيضا لدي ما أقوله بصدد لندن، ولهذا أتيت أمس لسماع ما قاله العجوز بيني

رويال. انظر..." ومد يده إلى جيبه ثم أخرج قرصا معدنيا صغيراً ألقاه إلى توم، "... إذا كنت حقا ما تزعم يا سيد ناتسوورثي فسوف تعرف ما هذا"

قلَّب توم القرص بين يديه. كان في حجم عملة معدنية كبيرة، عليها شعار منقوش. إنه لم ير شيئا كهذا منذ ما يقرب من عشرين عام، لكنه عرفه في الحال. وحين رفع رأسه مرة أخرى تجاه كوبولد، رأت رين الدموع تترقرق في عينيه.

"إنه رأس مسمار ربط مختوم، من أحد دعائم الطبقات في لندن..." قالها توم في تأثر، "... وتحديدا من إحدى الطبقات الدنيا، على ما أحسب، فهو مصنوع من الحديد، بينما مسامير الربط في الطبقات العليا كلها من النحاس..."

ابتسم فولف ابتسامة عريضة وقال : "إنه تذكاري من لندن"

"أنت كنت هناك؟!" سأله توم

"لفترة وجيزة، منذ نحو عامين، قبل أن أتولى حكم ضاحيتي، حيث كنت قد أقنعت والدي بالسماح لي بالانضمام إلى إحدى حملات قوات الدفاع في عمق أراضي مناهضي التحرك، وكنا ننوي تدمير مركز صناعة المطارِدين الخاص بهم، ولكن لسوء الحظ لم نتمكن من الوصول إلى هناك إذ تعرضنا لهجوم اضطررت على إثره للهبوط في السهول القريبة من "باتمونخ جومبا". كنت وحدي، وقد حاولت إيجاد ملاذ لنفسي بين حطام لندن. كنت خائف بالطبع، خاصة و أنني سمعت الكثير من قصص الأشباح التي تجوب ذلك المكان القديم المروع، لكن قوات مناهضي التحرك كانوا يبحثون عني، ولهذا بدا لي من الأفضل أن أجرب حظي وأختبئ في الحطام بين الأشباح بدلاً من الوقوع في أيدي هؤلاء. وهكذا رحت أجوب بين الحطام والدمار بحثاً عن ماء وطعام ومكان أحتمي به..."

ثم إنه صمت لهنيهة، ومن الخارج تناهت أصداء ضعيفة للموسيقى المصطخبة في الخارج عبر ممرات المبنى القديم.

"كان المكان غريب حقا..." تابع فولف "... حقل من الخراب والحطام.. لم أر سوى أقصى الطرف الجنوبي الشرقي منها. كانت الخردة والحطام ملتوية بشكل رهيب لدرجة يصعب معها تصديق أن ذلك المكان كان يوما ما مدينة عظيمة، ومع ذلك كنت من حين لآخر أرى أشياء مألوفة هنا وهناك : باب، طاولة، رؤوس المسامير تلك والتي

كانت متناثرة في كل مكان. وقد احتفظت بذلك المسمار الذي تحمله كي أريه لأصدقائي في حال تمكنت من العودة إلى الوطن، كدليل على أنني زرت حطام لندن.

ومع حلول الليل، وكنت قد توغلت شمالاً نحو الداخل، حيث تنتصب الأطلال عالية، حدث شيء... لست متأكدا منه تماما. إذ لاحظت وجود حركة ما بين الحطام. كانت حركة دقيقة ومدروسة بحيث لا يمكن أن تصدر عن حيوان. وقد بدا الأمر حينها وكأن هناك من يتتبعني. وبعد حين، بدأت أسمع أصوات صاخبة.. بكاء وعويل مروع، فسحبت مسدسي وأطلقت رصاصتين بين الظلال، فتوقفت الأصوات. وفي ذلك الصمت بدأت أميز صوتا آخر، وكأنه صوت آلة ما، لكنه كان آت من مسافة بعيدة جدا ولم يكن واضحا بحيث أتيقن منه.

ثم إنني جلست بين الحطام طلبا لبعض الراحة و... فقدت الوعي. لاحقًا لاحت لي ذكرى وكأن شخص ما جاء من خلفي، لكني لست متأكدا، ربما كان مجرد حلم.

وحين أفقت... وجدت نفسي راقدا في العراء على بعد عشرة أميال غرب الحطام، تحت غطاء من أوراق الشجر داخل إحدى خطوط المسارات القديمة، بعيدا عن أعين دوريات مناهضي التحرك، وقد تم تضميد جروحي وامتلأت قِربتي بالماء وحقيبتي بالخبز والفاكهة.

"ومن فعل ذلك؟" سأله توم بلهفة

فنظر إليه فولف بحدة وقال : "أنت لا تصدقني، أليس كذلك؟"

"أنا لم أقل هذا"

إلا أن فولف هز كتفيه وقال "أنا لم أخبر أي أحد من قبل بأي من هذا... كل ما أعرفه أن هناك من يحيا داخل حطام لندن، وهم ليسوا من مناهضي التحرك وإلا كانوا قتلوني حين واتتهم الفرصة؛ لكنهم بالتأكيد لديهم سر يخفونه ويحرسونه جيدا"

نظرت رين إلى والدها، وقد بدت لها قصة فولف أكثر إرعابا مما رواه بيني رويال... "ومن يمكن أن يكون هؤلاء؟" تساءلت رين، إلا أن توم التزم الصمت.

"كثيرا ما كنت أتساءل..." تابع فولف "... وقد حاولت استقصاء الأمر، ورحت أسأل بعض الفتية على متن "هاروبارو " ممن كانوا من جامعي المخلفات سابقا وعاشوا

حياة قاسية في بعض الأماكن السيئة ورأوا الكثير من الأمور الغريبة. إلا أي منهم لم يسمع بأن أي من جامعي المخلفات يعيش هناك في خرائب لندن. ولكني سمعت أكثر من مرة بعض الأقاويل حول "جايست لوفت شيف"، المنطاد الشبحي، ذلك المنطاد الذي قيل لي أنه يعبر الأرض القاحلة في صمت حين تهب رياح الغرب، و يحلق إلى حيث أراضي مناهضي التحرك، دون وجود أي إشارة أو رمز يدل على أصله، كما أنه لا ينتمي إلى أي وحدات معروفة سواء لدينا أو لدى مناهضي التحرك"

"أشباح من جديد..." غمغمت رين

"أو ربما ال"أركيوبتركس"" قال توم، وقد بدا صوته مرتجفا قليلاً. كان يحاول إخفاء مشاعره، لكنه في ذات الوقت كان متحمسا بشدة إزاء ما ذكره فولف وما قد يعنيه هذا كله، "ال"أركيوبتركس" هو ما يحلق عائدا إلى لندن"

مال فولف قليلاً للأمام نحو توم وقال : "إنني أصدق نظريتك يا هر ناتسوورثي. أصدق فكرة وجود ناجين من الميدوسا، وأنهم ربما يحيون مختبئين داخل حطام المدينة"

"ولكن، لماذا؟..." تساءلت رين "ما الذي يدفع أي شخص للعيش هناك هكذا وسط الخراب؟ لا يوجد شيء متبق هناك، أليس كذلك؟"

"لا بد أن هناك شيء ما" أجاب فولف "شيء يستحق منهم أن يبقوا هناك لحراسته. لقد قمت ببعض التحري بنفسي حول"كرويز مورشارد" منذ سمعتك تسأل عنها، فوحدات الاستخبارات لدينا تحتفظ بملفات عن غالبية المركبات التي تعبر السماوات هنا، والحق أن ملاحظاتهم حول السفينة الجوية التجارية "أركيوبتركس" مثيرة للاهتمام بالفعل.. يبدو أن تلك السيدة مورشارد كانت تشتري الكثير من أجزاء التقنيات القديمة خلال السنوات الماضية"

"لقد عرفت أنها تعمل حاليا كتاجرة للتقنيات القديمة" قال توم

"حقا؟ لا يبدو لي أنها باعت الكثير من تلك القطع التي تشتريها، فماذا فعلت بها إذن؟ ربما هي تشتري تلك الآلات والأجزاء وتأخذها إلى لندن، فما الذي اشتهرت به لندن قديما؟"

"الهندسة..." قالها توم، مُقِراً، على مضض، وتذكر ذلك الرجل الذي رآه برفقة "كليتي" عند حوض الإرساء في "بيريباتشيابوليس"، رجل حليق الرأس.... "والمهندسين"

أومأ فولف، وهو يتطلع إلى توم بتمعن، ثم قال "فماذا لو أن بعض من هؤلاء المهندسين بمدينتك قد نجوا من الكارثة؟ ماذا لو أنهم يحيون الآن بين حطام المدينة؟ وماذا لو أنهم يقومون ببناء شيء ما هناك؟ شيء عظيم الأهمية لدرجة أنه يستحق منهم لن يعيشوا لما يصل إلى عشرين عاما بين الخراب والأنقاض، فقط كي يحفظوا سره!. شيء من شأنه أن يغير العالم!"

هز توم رأسه أن : "لا، لا، لا يمكن أن تعمل "كليتي" لصالح عصبة المهندسين..."

"كليتي التي تعرفها ربما لا تفعل، ولكن من يدري ما قد يكون قد مر بها والتغيرات التي طرأت عليها، لقد مضت عشرون عام"

ثم نهض فولف وتوجه نحو النوافذ وفتح أحدها، فاندفعت أصوات الحفل إليهم، ثم : "تعالا" قالها وهو يشير إليهما أن يتبعاه وخرج إلى الشرفة. وفي الأسفل كانت الحفلة لا تزال في أوجها، وقد انتشر ضيوف والديه بثيابهم اللامعة عبر الحديقة كالزهور والفراشات الملونة، بينما وقف فولف يحدق بهم جميعا وقد اكتسى وجهه بتعبيرات أقرب ما تكون للكراهية؛. ثم قال:

"الهدنة لن تدوم طويلا، ولكن طالما هي قائمة فلا بد أن نستفيد نحن منها أقصى استفادة"

ما الذي يعنيه ب"نحن"؟. تساءلت رين في سرها. لقد طغى ما قاله كوبولد على حلم والدها، لكنها لم تكن واثقة من أي شيء، ولم تكن واثقة كذلك مما إذا كانت معجبة بهذا الشاب الجذاب.

"لقد فكرت كثيرا في العودة إلى لندن..." تابع فولف "... لكن الحرب قد شغلتني تماما. أما الآن، فإني أرى أن الفرصة قد سنحت أخيراً لتحقيق ذلك. لقد استقصيت عنك يا سيد ناتسوورثي ويبدو لي أنك ملاح بارع، ويتراءى لي كذلك أن مركبتك القديمة تلك ربما تكون ملائمة لرحلة قصيرة خلف خطوط العدو..."

"أتعني أن نذهب إلى لندن؟.." سأله توم ".. لكن هذا مستحيل، لن نفلت من دوريات العاصفة الخضراء أبدا.."

"بالطبع لا يمكنك العبور من هنا.. " أجابه فولف وهو يتطلع من حوله عبر الحقل والمباني على أطراف ال" أوبرانج"، ثم عبر الأراضي القاحلة خارج البلدة باتجاه أراضي العاصفة، "... جيش ناجا التاسع بأكمله متمترس هناك في الخارج بين الأوحال، ينتظر أي بادرة تحرك منا. حتى إذا لم يقوموا بقصف منطادك، فسوف يعتقد جيشنا نحن أنك تتاجر مع العدو وسوف يفتحون هم النار عليك. ولكن، هناك مناطق بعينها هنا في الشمال الشرقي أقل حماية"

ثم إنه التفت نحو توم وعلى وجهه ابتسامة صبيانية نوعا وقال : "هاروبارو يمكنها العبور بك. كثيرا ما آخذ ضاحيتي للصيد في الأرض القاحلة، وسوف آخذك إلى حيث حدود العاصفة الخضراء، حيث يمكن لملاح ماهر مثلك أن ينسل عبر الحد الفاصل ويتتبع آثار المسارات القديمة نحو الشرق. لا بد أن هذا هو السبيل الذي تسلكه "كليتي بوتس" عبر كل تلك السنوات"

"وهل سترافقنا في تلك الرحلة يا سيد كوبولد؟" سألت رين

اإلتفت إليها والدها وقال : "بل أنت لن تأتي معنا يا رين. هذه الرحلة محفوفة بالمخاطر، أنا نفسي أعتقد أنه لا ينبغي لي أن أذهب"

ضحك فولف وقال : "بالطبع ستذهب يا سيد ناتسوورثي. يمكنني قراءة ذلك في عينيك. إنك تتوق بشدة لمعرفة ما يدور في لندن، وسوف آتي معك، فحالة السلام تلك جعلتني أشعر بالملل، كما أنني أتشوق لمعرفة ما يكمن هناك بين الحطام. لا تقلق، سوف أتكفل بكل الترتيبات وسوف أدفع لك جيدا مقابل ما قد تلاقيه من متاعب. لنقل خمسة آلاف من العملات الذهبية، أحولها لك على حساب مصرفي في بنك "إيرهفن؟"

"خمسة آلاف؟" هتف توم

"أنا من عائلة شديدة الثراء "، قالها فولف "وإنني لأفضل أن أرى ثروات فون كوبولد يتم إنفاقها على رحلة استكشافية كهذه، عن أن تُهدَر في إقامة الحفلات. بالطبع في مقابل هذا أرى أنه يحق لي أن أصر على أن ترافقنا رين كمساعد طيار. إنها

شابة شجاعة إلى حد بعيد وسنحتاج لمساعدتها" ثم إنه ابتسم لرين التي احمر وجهها.

"لست متأكدا بعد من أنني سأقوم بتلك الرحلة" قالها توم، لكنه في داخله كان يعرف أنه سيفعل. ثم كيف له أن يرفض مثل ذلك العرض السخي؟ إنه لم يملك مالا وفيرا قط، ولم يكن يرغب في تكوين ثروة أبدا، لكنه يتمنى لو استطاع تأمين مستقبل رين، وهذا المبلغ الذي يعرضه الفتى كفيل بأن يجعلها امرأة ثرية؛ وإذا كانت رين ستمتهن التجارة الجوية بعد رحيله فلن يضيرها أبدا أن يصير اسمها معروفا عبر مسارات الطيور بأنها الملاحة التي ذهبت في رحلة استكشافية إلى داخل لندن.

ولكن... كان هناك أمر آخر هو ما يدفعه حقا لقبول ذلك العرض... هو يتوق بالفعل للعودة إلى مدينته واستكشاف ما تبقى منها، أن يرى بنفسه إن كان ثمة شيء، أو شخص، قد نجا. وهو يتوق كذلك لأن يصحب رين معه كي تتعرف بنفسها على المكان الذي بدأت منه مغامرات والدها.

لهذا كله كان من السهل عليه إيجاد المبررات أمام نفسه للخروج في تلك الرحلة واصطحاب رين، والتهوين من كل المخاطر التي قد يواجهونها، وراح يقول لنفسه أنه وهيستير قد حلقوا بالجيني هانيفر إلى أماكن أسوأ بكثير في أيام شبابهما...

"هكذا إذن.." قال فولف ".. قم بتحريك منطادك إلى ميناء مورناو الجوي. سوف نلتقي خلال يوم أو اثنين لمناقشة الترتيبات. ولكن رجاءا لا تخبر أي شخص بوجهتنا، أي من كان، فالعاصفة الخضراء و المدن كذلك لديهم عيون في كل موضع "

ثم إنهما تصافحا وعاد ثلاثتهم إلى الحفل المقام في الحديقة، حيث أصوات الضحك والموسيقى. وكان بيني رويال قد وصل إلى الحفل، محاطاً بعدد من النساء الشابات الجميلات، وقد أخذ يلوح بمرح لتوم ورين بمجرد أن رآهما.

استأذن فولف من ضيفيه وذهب للتحدث إلى والده، وقد بدا متوترا نوعا وهو يقف بجوار المارشال العجوز. وقد شعرت رين أنها تزداد إعجابا به ؛ هي أيضا كان لديها مشاكلها مع أسرتها، لكنها رأت أن تجربة فولف في الحرب وما لاقاه خلالها ربما جعلته عصبيا وصعب المراس أحيانا، لكنه في داخله - أو هكذا تراه - ربما كان خجولا ولطيفا، تماما مثل ثيو. و راحت تتساءل في اعماقها عما قد يكون عليه السفر مع هذا

الشاب نحو الشرق، ثم إنها ضغطت على ذراع والدها وهمست : "لو أنك قررت السفر فسوف آتي أنا أيضا، مثلما قال فولف كوبولد. لا تحسب أنك تستطيع جعلي أبقى هنا، لذا لا تحاول حتى مجرد مناقشة الأمر"

ضحك توم ونظر لابنته، ورأى فيها قوة أمها وعنادها، ثم قال : "حسناً... سوف نرى"

أما فولف كوبولد ووالده فلم تجر المناقشة بينهما بذات اليسر.... فمع توالي الأيام وكر السنوات لم تعد الصداقة التي كانت موجودة بينهما أيام كان فولف صغيرا، قائمة، فقد كان لكل منهما طريقته في التفكير التي تختلف كلية عن الآخر، ومع ذلك لم يكف المارشال عن محاولة استغلال كل فرصة للتحدث إلى ابنه ومحاولة إقناعه بتغيير نظرته للحياة.

وهكذا، أخذ الرجل ابنه بعيدا عبر صف من الأشجار الميتة والأعشاب البنية الجافة والشجيرات الذابلة، تلك الحدائق التي كانت قبل الحرب أحد معالم مورناو المتألقة، ثم عبرا جسر المشاة من فوق بحيرة التجديف - التي باتت جافة الآن بالطبع وغطى الصدأ قاعها - ومنه صعدا بضع درجات إلى حيث تعريشة ذات أعمدة، حيث كان تمثال لإحدى الإلهات يقف مطلاً عند حافة الطبقة.

"لقد كانت تلك البقعة أحد أماكنك المفضلة حين كنت يافعا.." قالها المارشال العجوز وهو يمسِّد شاربيه كعادته حين يكون متوترا، ".. وكنت دوما مفتونا بهذا التمثال"

"لا أتذكر" قالها فولف

"آه، نعم.."

كان وجه التمثال مبللاً، كما لو كانت الإلهة تبكي دموعا خضراء، فأخرج المارشال منديلا من جيبه وشرع يمسح وجهها، وقال : "لطالما أردت أن تعرف من تكون هذه المرأة... إنها القوة واللطف والنبل، هذا هو الأمر، هكذا يمثل تمثال هذه المرأة "مورناو" "

ثم إنه انشغل بتنظيف باقي التمثال الذي كسته الطحالب في أكثر من موضع، فقط

كي يتحاشى التقاء عينيه بعيني ابنه، واستطرد : "يجب أن تعود يا فولف، والدتك تفتقدك"

"والدتي ستذهب إلى باريس من جديد بمجرد أن تتداعى هذه الهدنة. وعلى أية حال، ما الذي يهمك في الأمر؟ الجميع يعلم أن زواجكما لم يعد سوى تمثيلية منذ سنوات"

"حسناً، أنا أفتقدك"

"أنا واثق بأن هذا ليس صحيح"

"حين اقترحت عليك أن تتولى قيادة تلك الضاحية الحَصَّادة قصدت أن يكون ذلك لمدة شهر أو اثنين، لم أقصد أبدا أن تعيش هناك إلى الأبد!. أنت تنتمي إلى هنا يا "فولفرام"، اللعنة!... يجب أن تستعد لتولي زمام الأمور في مورناو، فأنا مجرد محارب عجوز، وها قد عاد السلام. مورناو الآن في حاجة للشباب لقيادتها، شباب ذوي بصيرة ورؤية للمستقبل"

"هذا السلام لن يدوم" قال فولف

"و كيف لك أن تكون واثقا هكذا؟ أعتقد أن ناجا يريد السلام حقا، لقد حاربتُ ضده على مدار ستة أسابيع عند منحدرات " باشكير"، وكان جنوده يقاتلون كالنمور، لكنه أمرهم أن يطلقوا سراح كافة السجناء في المدن التي استولى عليها. كما أنه لم يستخدم "الأقداح المتفجرة" أبدا إلا إذا اضطرته الحاجة. وعندما علم أنني أصبت على يد أحد قناصيه، أرسل لي هدية عبارة عن سترة من الدروع الواقية، من التقنيات القديمة. ربما يكون ناجا عدوى، لكني أحبه أكثر من معظم أصدقائي"

"يا له من أمر مؤثر" قالها فولف متثائبا بلا اكتراث، وكان قد سمع تلك القصة مرات عدة من قبل، "... ولكن لا يزال يتعين علينا إبادة مناهضي التحرك هؤلاء"

"هراء!" قالها والده بصرامة "تحالف مدن التحرك الألمانية لم يتم تأسيسه لإبادة أي أحد، وإنما أقيم فقط للدفاع عن المدن المتحركة ضد العاصفة الخضراء، وليبق ناجا ومناهضو التحرك يحيون في سلام وسط جبالهم الرهيبة، طالما تعهدوا بعدم مهاجمتنا"

التفت فولف نحو والده في غضب، لكنه لم يقل شيئا، وبدلا من ذلك سار إلى حافة الشرفة وراح يرنو ببصره إلى الخارج بين الأشجار الميتة، ثم جهة الشرق عبر الانهيارات والحطام ومظاهر الدمار التي خلفتها الحرب، ومن ورائها راح يتطلع نحو السهول مرتحلا بخياله إلى حيث لندن التي تنتظره في مكان ما هناك.

ساد الصمت، ثم قال المارشال فون كوبولد بعد حين : "مانشستر ستأتي شرقاً، لقد أبلغني عمدتها، السيد براون، بشكل رسمي..."

"آه، راعينا المالي"

"هذا صحيح، مانشستر ساعدتنا في تمويل حربنا... إنه يخطط لعقد مؤتمر على متن مدينته بمجرد وصولها إلى المنطقة الفاصلة. وسوف يلتقي جميع رؤساء مدن التحالف ليقرروا الخطوة التالية؛ إنني أخطط لاقتراح إقامة سلام دائم مع العاصفة الخضراء، وأود أن تكون معي يا فولفرام، أن تكون بجانبي حتى يعرف الجميع أنك خليفتي..."

"يتعين علي العودة إلى هاروبارو غدا أو بعد غد، لدي أعمال ينبغي أن أقوم بها هناك"

"مع هذين الملاحين المتشردين ؟"

هز فولف كتفيه ولم يجب، فاستدار المارشال دون كلمة واحدة، ومضى باتجاه الدرج بخطى مترددة قليلاً، ثم هز رأسه وخف خطاه مبتعدا عبر الدرج ثم الجسر عائدا أدراجه إلى الحفل. لقد خاض معاركا لا تحصى ضد العاصفة الخضراء، واشتبك في قتال مرير مع المطاردين وجها لوجه عند درجات منزله في الشتاء الأحمر عام 14، وانتصر عليهم جميعا، لكنه إاهزم في معاركه مع إبنه.

وقف فولف وحيدا يراقب أبيه إذ يبتعد، ثم، بعد حين، انتابه شعور خفي بأنه مراقَب هو الآخر، فتلفت من حوله، لكن لم يكن ثمة شيء سوى تمثال الإلهة يحدق فيه بعينيه الباردتين الهادئتين... بالرغم مما قاله لأبيه، إلا أنه كان يتذكر بالفعل كيف كان يحب ذلك المكان وهو بعد طفل صغير، وكيف كان يفضل الجلوس على ركبتي التمثال ويتطلع إلى الأعلى متأملا وجه الإلهة بينما أبيه يقص عليه قصص عن ماضي مورناو المجيد.

وهنا، سحب فولف سيفه من غمده ورفعه لأعلى، ثم انهال به على العنق النحيل للتمثال وضربه ثلاث ضربات غاضبة، والشرر يتطاير من أثر احتكاك نصل السيف بالحجارة، إلى أن فصل الرأس عن باقي التمثال، ثم قام بركله عبر الدرج ليسقط إلى البحيرة الفارغة، ثم استدار ومضى بسرعة عائدا عبر الحدائق ليبدأ التجهيز لرحلته.

***

12. سفن الرمال

بدا لثيو أن السماء تمطر، صحيح أنه كان في الداخل فلم يشعر بقطرات المطر على جلده، كما لم يكن بإمكانه رؤية لأن الظلام كان يلف السماء، لكنه كان في مقدوره سماع صوت القطرات الخفيف. كان صوت المطر منعشا بعد تلك الأيام الشنيعة القاحلة التي قضاها على متن " كوتلرز جولب"، وقد راح يهدهده ويتداخل في أحلامه المفككة لينسجها معا.

لكنه، خلال الفترات الوجيزة التي كان يستيقظ فيها ويعود إليه وعيه، كان يدرك أن ذلك الصوت ليس صوت أمطار، وإنما هو صوت الرمال تحت عجلات سفينة الرمال السوداء.

"لا تخف" قالها صوت

"رين؟"

"هل كانت معك حين أسرك صبية "جراندما جريفي" ؟ هل كانت رين وتوم معك؟"

"لا، لا" قال ثيو وهو يهز رأسه "لقد حلقا بعيدا، إنهما في الشمال، على مسارات الطيور. لقد أرسلت لي رين بطاقة معايدة في الكريسماس... لقد كنت آمل أن أجدها حين نصل إلى الشمال..."

وتذكر ثيو المركبة نزيمو وتحطمها، فقال وهو يحاول النهوض "السيدة ناجا... ماذا حدث للسيدة ناجا؟"، وهنا شعر بيد تلمس وجهه، يد لطيفة خجول، ثم بقبلة تنطبع فوق جبينه، ثم قال الصوت :

"لا تخف يا ثيو، حاول أن تخلد إلى النوم"

ونام ثيو، ثم صحا من جديد بعد فترة، وهذه المرة رأى المرأة التي تجلس بجوار فراشه، إنها والدة رين. ومن فوق رأسها كان مصباح من الأرجون يتأرجح جيئة وذهابا ليسكب الظلال السوداء على جدران المقصورة. وحين كانت الظلال تخفي وجه هيستير كان ثيو يتخيل وكأن رين هي من تجلس إلى جواره.

وحين لاحظت هيستير أنه يرمقها، قالت بقسوة "لقد أفقت إذن، أليس كذلك؟،

حسناً، من الأفضل أن تستجمع شتات نفسك وتنهض، لا مكان للكسالى على سفينتي"

كانت تحدثه بقسوتها التي عرفها عنها، وكأنما أرادت بذلك ألا يتذكر معاملتها اللطيفة الحانية التي أسبغتها عليه أثناء مرضه.

حاول ثيو التحدث، لكن فمه كان جافا بشدة، أكثر جفافا من خليج " بيتومن" فمدت هيستير يدها ورفعت رأسه بقسوة ودفعت بكوب من الصفيح نحو شفتيه، قائلة : "لا تشرب كثيرا... لا يمكنني هدر المياه المتبقية. لقد صعدت على متن " كوتلرز جولب" للتزود بالمياه والطعام، ولكن بفضلك أنت اضطررت لمغادرتها قبل الحصول على أي منهما. ذلك الفتى الذي أطلقت عليه النار كان حفيد "جراندما جريفي" المفضل، لاشك أنها الآن ليست في أفضل حالاتها المزاجية"

كان صوت الرمال تحت عجلات السفينة المسرعة لا يزال يتردد، وراح ثيو في النوم من جديد، فتركته هيستير وصعدت الدرج المؤدي إلى قمرة القيادة حيث كان جريك واقفا عند ذراع المقود وعيناه الخضراوان تتوهجان. كانت السفينة تتخذ سبيلها غرب بحر الرمال عبر السهول الصخرية الجافة. وفي الطرف المقابل جهة الشرق كان شريط من الضوء الشاحب يلوح في الأفق.

"إنه لا يزال يتحدث عن شخص يدعى السيدة ناجا" قالت هيستير "... أعتقد أنها كانت معه حين وحده جامعو المخلفات. هل سمعت من قبل عن تلك السيدة ناجا؟"

"هناك سفن خلفنا" قالها جريك

"ماذا؟.. اللعنة!" وكانت هيستير تتوقع بالفعل أن تقوم الساحرة العجوز رئيسة " كوتلرز جولب" بإرسال رجالها خلفهم بعد كل ما حدث، وكانت سمعة تلك المرأة في السحر الأسود كفيلة بأن تجعل رجالها يخشونها أكثر بكثير من خشيتهم من المطارد أو من هيستير.

راحت هيستير تمشط الأفق إلى أن رأت السفن التي خرجت في اثرهم، بأشرعتهم الحادة الطويلة الرفيعة كأسنان الأسماك؛ وكانت تتوقع أن ترسل المرأة خلفهم سفينة أو اثنتين، أو حتى ثلاثة - وهو ما كانت تخشاه - لكنها فوجئت بست سفن متباينة الأحجام تسعى ورائهم.

ارتفعت الشمس من وراء التلال، وتمكنت نقاط المراقبة على أعمدة السفن الست من رصد الشراع الأسود أمامهم، و انطلقت واحدة من المركبات بأقصى سرعة لها، مخلفة لسان من اللهب.

ولم تمض دقائق حتى اندفع نفث من الدخان من واحدة من السفن الأصغر حجما، ورأى جريك وهيستير، على بعد بضع مئات من الياردات خلفهم كتلة من النار والرمال المتطايرة.

"سيلحقون بنا قريبا..." قالها جريك بصوته الخالي من أي انفعالات،"... لو أنهم ضربوا إطاراتنا ونحن نسير بهذه السرعة سيتم تدمير مركبتنا"

"اللعنة" قالتها هيستير ثانية، ثم إنها اندفعت تركض نحو الأسفل إلى حيث خزانة الأسلحة، وأخرجت شيئا كانت قد سرقته من أحد اللصوص الذين قتلتهم في جبل "حقر". كان ما أخرجته عبارة عن بندقية آلية، أطول منها، ذات زخارف فضية تزين مقبضها المصنوع من خشب الجوز. لو كان اللص صاحب تلك البندقية في كامل وعيه وقتها فلربما ظل حيا، فهي بندقية جيدة بعيدة المدى، يمكنها إصابة هدفها على بعد عدة أميال.

قامت هيستير بتلقيم البندقية بطلقات نحاسية، وملأت جيوبها بالمزيد من الطلقات، ثم توجهت إلى ثيو للتحقق من أنه لا يزال غافيا، وكان كذلك بالفعل، إذ تكور على نفسه كطفل وديع ضعيف. وقفت هيستير تتأمله للحظة، ثم حملت نفسها على الخروج. لو لم تكن حريصة لوجدت نفسها تمنحه الاهتمام والرعاية، لكنها كانت تعرف جيدا أن المرء إن سمح لنفسه بالاهتمام بالآخرين فسوف يفتح الباب أمام جميع صنوف الآلام كي تنال منه.

وبخطى سريعة صعدت هيستير الدرج نحو الأعلى، ثم خرجت عبر الفتحة العلوية إلى العراء. كانت الرياح عاصفة محملة بالرمال، وكانت سفن "جراندما جريفي" قد صارت على مسافة أقرب، و بدأ إطلاق النيران. كانت أولى السفن التي أطلقت النار هي أصغرها وأسرعها، حيث كانت تدنو بسرعة من الجانب الأيمن لسفينة هيستير لدرجة أنها استطاعت رؤية الرجال على متنها وهم يصوبون نحوها أحد المدافع العلوية الدوارة، ثم أطلقوا النار، و اندفعت سحابة من الدخان الأبيض، فيما شعرت

هيستير بالطلقة وهي تمرق بجانب أذنها قبل أن تنفجر بين كومة من الصخور على بعد مائة ياردة.

مسحت هيستير أنفها في كمها ثم رفعت بندقيتها الآلية وثبتتها على إفريز قمرة القيادة، ثم قالت لجريك وهي تدفع بنظارتها الواقية إلى الأعلى فوق جبهتها وتحدق من خلال المنظار العلوي للبندقية : "كان الأمر ليكون أسهل لو أنك توليت أنت أمر هؤلاء"

"لا أستطيع" قال جريك ".. قلت لك مرارا أن دكتور زيرو وضعت حاجز ما في دماغي يمنعني من القتل"

"لكم أتمنى أن أرى دكتور زيرو هذه الآن..." قالتها مزمجرة وهي تحاول التركيز على تلك الجماعة من الرجال المنشغلين في ضبط مدفعهم الدوار، "... لقمت أنا بوضع حاجز في دماغها"، ثم إنها ضغطت الزناد، وأطلقت سبة حين ارتد مقبض البندقية ليصطدم بكتفها بقوة مع إطلاق النار.

ارتدت فوارغ الطلقات إلى الوراء، بينما انطلقت الرصاصة، لكنها لم تصب هدفها، فهيستير لم تكن يوما قناصة ولا تجيد إطلاق النار، هي فقط تجيد القتل.

ولحسن الحظ لم يكن الرجال على المركبة الأخرى بأفضل حالا منها، حيث أطلقوا الطلقة تلو الأخرى لكن أي منها لم تصب هدفها، فيما سارعت هيستير بإخراج مزيد من الذخيرة من جيبها وتلقيمها لبندقيتها، وكانت على وشك إخراج الذخيرة من الجيب الثاني كذلك، حين انحرفت المركبة الأخرى فجأة عن مسارها.

"أفعلتها أنا ؟هل أصبتهم؟!" تساءلت هيستير في حيرة، فقد خرجت مركبة العدو عن السيطرة تماما، وظنت هي أنها ربما أصابت سلكا مهما بإحدى طلقاتها أو اخترقت واحد من إطارات المركبة.

ثم وعلى مقربة منها انحرفت مركبة أخرى ذات ثلاث عجلات، لتصطدم بالمركبة الثالثة الشبيهة بيخت صغير مدرع، لتنقلب كلاهما و تتقلبان فوق الرمال بعنف وتتطاير أشلائهما من صواري وعجلات وأشرعة في كل حدب وصوب. أما المركبة الأولى، قائدة الهجوم، التي انحرفت عن مسارها، فقد انقلبت هي الأخرى مخلفة سحابة كثيفة من الرمال اختفت ورائها المركبات الثلاث المتبقية للحظات. ولكن ما

أن خفت ستار الرمال حتى ظهروا من جديد، ومن جديد بدأ إطلاق النار، هذه المرة من مدفع بخاري مثبت فوق مركبة كبيرة الحجم، راح يطلق وابل من الرصاص حول هيستير، فأطلقت سبة وسارعت بالنزول في الفتحة إلى داخل مركبتها.

"إنهم يحاولون أسر مركبتنا وليس تدميرها" قال جريك "لقد فقدوا ثلاث مركبات، و بالطبع لن ترغب "جراندما جريفي" في أن يعودوا إليها دون مكسب ما"

"حسناً، يا له من أمر يبعث على الإرتياح" قالت هيستير وهي تنظر إليه وقد انكفأت على نفسها عند كاحله بينما الرصاص يتطاير على دروعه.

"وماذا ستصنع إذن حين يتمكنون منا؟" سألته هيستير

"لن يصل الأمر إلى ذلك"

"وماذا إن حدث؟"

"حينها سوف أدافع عنك وأحميك كيفما استطعت..." قالها المطارد بتؤدة "... سوف أنزع عنهم أسلحتهم، سأقيدهم، سأقف حائلا بين نصالهم وجسدك. لكنني لن أقتلهم"

"وماذا لو قتلوني هم؟"

"حينها سوف أنفذ ما وعدتك به في " الجزيرة السوداء""

أطلقت هيستير بضع رصاصات أخرى على مركبة العدو، لتخطئ الهدف من جديد وتمتلئ الأشرعة العلوية للمركبة بالثقوب من أثر الرصاص، لكن حرير السليكون المصنوعة منه تلك الأشرعة كان قويا بما يكفي.

"لماذا فَعَلَت ما فعلته بك؟..." صاحت هيستير، وكانت تقصد دكتور زيرو، "... أعني، لقد استخدمتك لتدمير ذلك ال"آنا فانج"، حسناً هذا مفهوم، ولكن لماذا حالت دون عودتك إلى وضعك الطبيعي كمطارِد بمجرد الانتهاء من مهمتك؟"

"أنا واثق أن دكتور زيرو لديها أسبابها لزرع الضمير في"

"حسناً، إنني أفتقد جريك القديم"

"وأنا أفتقد هيستير القديمة"

"ماذا تقصد بذلك؟"

لكنها لم تجد متسعا من الوقت لسماع اجابة، إذ اقتربت المركبة الأخرى في تلك اللحظة حتى صارت بمحازاة مركبتها، وبسرعة انطلقت الخطافات عبر المسافة الفاصلة بين المركبتين، فألقت هيستير بالبندقية الآلية من يدها وسحبت مسدسها استعدادا للقتال.

ومن جديد انطلق وابل الطلقات يصطدم بالأجسام المعدنية محدثا دويا كضربات المطرقة، ليتسلل إلى أحلام ثيو ويدوي بين جنبات الحقول الخضراء الهادئة التي كان يتجول فيها، منتزعا إياه منها، فاستيقظ وقد غمره الاضطراب.

ظل ثيو مستلقيا كما هو على فراشه للحظة محاولاً استجماع شتات نفسه واستيعاب أين هو وما الذي يحدث. كانت النوافذ بالحائط من فوقه مغلقة يتسلل ضوء خافت من بين خصاصها، ولكن فوق رأسه على مسافة قليلة كان ثمة حبل ذهبي تم مده من الجدار إلى الآخر المقابل، وهو ما أثار استغراب الفتى، فما الذي يدفع أي شخص لمد حبل كهذا؟، أتراه حبل لنشر الغسيل؟ لو أنه كذلك فإن هذا الحبل لهو أجمل حبل غسيل رآه في حياته، حبل لامع ومتألق. ثم إنه مد يده ليلمسه، ليجد أن أصابعه قد مرت عبره!. هنا أدرك ثيو أن ذلك الذي يمتد فوقه ليس حبلا، بل خط مستقيم من الضوء. فنهض جالساً في فراشه وراح ينظر فوقه، وكان هناك المزيد من الخطوط الممتدة في جميع أنحاء المقصورة. ومن لحظة لأخرى كان شيء ما يصطدم بهيكل المركبة مخلفا خطا آخر من ضوء الشمس. هنا استوعب ثيو ما يحدث وأن تلك الخطوط الضوئية تتوغل إلى مقصورته عبر ثقوب أحدثتها طلقات رصاص في الجدران.

تحامل ثيو على نفسه، وكان لا يزال يترنح من أثر النعاس والدوار، و انسل من فراشه إلى أرضية المقصورة التي كانت تهتز من تحته مع انطلاق المركبة فوق الأرض الصحراوية الوعرة، ثم راح يزحف نحو السلم المعدني في الجزء الخلفي من المقصورة، بينما أصوات الصياح ودوي الرصاص وصوت إطلاق البنادق يخترق مسامعه.

وبمجرد أن بلغ ثيو سفح السلم، فوجئ برجل يسقط أمامه ميتا وقد اشتعلت

عمامته من أثر الشرر المتصاعد من مسدس هيستير، وحين رفع رأسه لأعلى رأى كتلة من الأجساد المتناحرة تحجب ضوء الشمس.

هرع ثيو يعتلي الدرج المؤدي إلى السطح، وهناك، حيث الضوء الساطع الذي يعمي العيون، كانت المعركة الحامية دائرة على أشدها، بينما كانت مركبة بنية اللون خشنة المظهر تجري بمحاذاة سفينة الرمال، مربوطة بها بواسطة حبال ممتدة وخطافات، ومنها قفز عدد من الرجال عبر الفجوة بين المركبتين، وقد حسبوا أن بإمكانهم التغلب على امرأة ذات عين واحدة ومطارد لا يقتل، لكنهم سرعان ما اكتشفوا أنهم كانوا مخطئين، إذ لقي ثلاثة منهم حتفهم، فيما راح الرابع يتصارع مع جريك الذي انتزع بندقيته وألقى به بعيدا عن هيستير. أما الخامس فكان في تلك اللحظة يحاصر هيستير، التي ألقت سلاحها الفارغ من الطلقات وأمسكت بسكين، وراحت تحاول تسديد طعنة في الرجل كلما اندفع لمهاجمتها، وكان يحمل سيفا أطول وأثقل بكثير من سكين هيستير، لكنه لم يجرؤ بعد على الاقتراب منها بما يكفي لاستخدامه.

وعند الفتحة وقف ثيو، دون أن يلحظ أحد وجوده، والقتال والصحراء يدوران من حوله، بينما الضوء والحرارة يسقطان فوق رأسه كشلاَّل. وعلى الأرض عند قدميه، فوق سطح المركبة، كان فأسا ملقى هناك والضوء ينعكس على نصله، فمد ثيو يده وحمله، ثم هوى به فوق الحبل الممتدة بين المركبتين، ولحسن الحظ كان الحبل قديما فانقطع بسهولة بعد بضع ضربات، فترنحت سفينة الرمال وبدأت تتحرر من قيود السفينة الأخرى، بينما هرع ثيو نحو الخطاف الثاني رافعا فأسه...

"ثيو!" صرخت هيستير، فالتفت ثيو ليجد أحد مهاجميهم يقف عند صاري السفينة الأخرى مصوبا مسدسه ذو الخطم الطويل نحوه، وقد افتر ثغره عن ابتسامة عريضة، وضغط الزناد لتنطلق الطلقات صوب ثيو الذي شعر بوخزة كوخزات الدبابير في ذراعه، وفي اللحظة التالية اخترقت سكين عنق الرجل، فسقط سلاحه من يده قبل أن يسقط هو نفسه من فوق مركبته إلى حيث الفجوة الرملية بين المركبتين.

التفت ثيو نحو هيستير، وكانت هي من قذف السكين في عنق الرجل، وها هي الآن قد جُرِّدَت من سلاحها ووقفت دون أي وسيلة للدفاع أمام مهاجمها. وبدون تفكير طوح ثيو بالفأس نحو الرجل قبل أن يهاجمها، وكان ظهره لثيو فلم يره، فباغتته الضربة وألقت به جانبا ليصطدم بالإفريز بقوة ويسقط منه إلى الرمال، ولحق

به الرجل الآخر الذي كان يصارع جريك إذ أطاح به المطارد إلى اليابسة.

ورأى ثيو الرجال إذ ينهضون على أقدامهم وسط الرمال وهم يترنحون من الألم، ويلوحون للمركبات المتبقية، التي ما أن رأت ما حدث وما لحق بهم من خسارة، حتى استدارت وانطلقت مبتعدة في الاتجاه الآخر.

"أبليت بلاءا حسنا " قالت هيستير، فأومأ ثيو، وكان لا يزال يشعر بالدوار، لكنه كان سعيدا وفخورا بأنه استطاع الظفر باحترامها.

"هل أنت على ما يرام؟" سألته، فنظر ثيو نحو ذراعه، حيث اللدغة التي شعر بها منذ قليل. ولم تكن تلك بلدغة من دبور بالطبع، ولكنها طلقة لم تصبه سوى بخدش بسيط سطحي.

نزل ثيو على ركبتيه، وأخذ يراقب هيستير وقد التقطت الفأس وراحت تقطع باقي الحبال لتحرر مركبتها من المركبة الأخرى التي أمست بلا قيادة. ثم إنها التفتت نحو ثيو وقالت بغلظة : "أيها الغبي! لماذا تدخلت في الأمر؟ أنا لم أنقذك لتقتل نفسك الآن"

ومع ذلك، فقد شعر ثيو أنه خلف تلك القسوة والازدراء، يوجد شيء من اللطف الفظ، وتذكر تلك الطريقة الحانية المترفقة التي أسبغتها عليه حين كانت تجلس إلى جوار فراشه لرعايته؛ وأدرك عند تلك اللحظة أن هيستير، رغم كل شيء، ليست مختلفة كثيرا عن رين.

بدأت عاصفة الغبار التي أثارتها المعركة تهدأ، وانطلقت المركبة السوداء عبر الرمال بسرعة بطيئة نوعا الآن، حيث امتلأت أشرعتها بالثقوب. ثم مرت عبر ظلال مجموعة من التكوينات الصخرية الشاهقة التي راحت النسور تحلق فوق قممها. وكان بعض من تلك الأبراج الصخرية يبدو وكأنه تماثيل تآكلت بفعل الرياح، أو ربما كانت كذلك فعلا، ولم لا، فجميع أشكال الحضارات القديمة قد تركت بصماتها فوق الأرض العتيقة، بل إن بعضها ترك أشياءً غاية في الغرابة.

وعلى امتداد الصحراء أمامهم تناثرت تلك الشواهق الصخرية، وقد نحتتها الرياح حتى باتت أشبه ما يكون بالناي وقد راح النسيم يتخللها عازفا موسيقاه الحزينة عبرها. وبين ظلالها المتقاطعة، بدأ ثيو يشعر بالأمان من جديد.

أبطأت سفينة الرمال من سرعتها تدريجياً إلى أن بلغت مكانا ظليلا بين مجموعة من أشجار الأكاسيا القزمة. و ألقى جريك بالمرساة وطوى الأشرعة، ثم قفز من على متن المركبة وشرع يتسلق الصخور بسرعة وسلاسة، كسحلية فولاذية، إلى أن بلغ القمة، فوقف لهنيهة، ثم عاود النزول من جديد وقال إن ملاحقيهم قد ارتدوا على أعقابهم ولا يوجد أي شيء يتحرك في الصحراء، ثم عاد يعتلي المركبة التي أنَّت تحت ثقله. وما أن رآه ثيو عائدا حتى تراجع قليلاً نحو الخلف، وكان يمقت المطاردين.

"لن أؤذيك..." قالها جريك وقد شعر بما يعتمل في صدر الفتى، "... حتى لو أردت ذلك فلن يمكنني فعله"

"ولماذا؟" سأله ثيو، وقد تذكر أن المطارد لم يقتل المهاجم الذي تصارع معه، وإنما اكتفى بإلقائه بعيدا عن المركبة، "... هذا ما صُنِع المطاردون لأدائه، إيذاء البشر، أليس كذلك؟" التمعت الأسنان الفولاذية لجريك محاولاً التبسم، ثم : "ليس في رأي دكتور زيرو"

"دكتور زيرو؟ أهي من صنعتك؟"

"لا، لقد صُنِعتُ بواسطة الإمبراطوريات البدوية، أنا أقدم بكثير من العاصفة الخضراء، بل وأقدم من الداروينية البلدية كلها. أنا آخر المطاردين من سَرية "لازاروس". لكن أوينون زيرو هي من أعادت بنائي، ولا بد أنها قد غيرت شيئا ما في تصميمي، وهكذا صرتُ إذا فكرت فقط في قتل أي من الفانين، تتداعى أمامي صور كل الفانين الذين آذيتهم وقتلتهم، فلا أقدر على قتل المزيد"

"دكتور زيرو هنا" صاح ثيو بلهفة متذكرا وعده لها بحمايتها، "إنها على متن " كوتلرز جولب"، هي تدعى السيدة ناجا الآن. قالوا أنها سيتم بيعها لذلك التاجر "فارلي" ... ينبغي علينا أن نعود! ينبغي أن نساعدها!"

خرجت هيستير من المقصورة حاملة بعض الطعام، وقالت وهي تنظر نحوه ببرود : "لسنا مضطرين لفعل أي شيء من هذا أيها الفتى، لن نعود، وإذا كنت تقصد "نابستر فارلي" فقد رأيث مركبته تغادر " كوتلرز جولب" بينما كنا نفر من هناك، وبالتالي فأي ما كان ذلك الذي اشتراه فقد أخذه معه ورحل"

أصدر جريك صوت هسيس، كغلاية، ثم قال : "يمكننا أن نذهب في إثره"

"لا تبدأ أنت أيضا في هذا الهراء!" صاحت هيستير بغضب، "بحق كل الآلهة يا جريك، إنها الجَرَّاح التي استأصلت قدراتك، فما الذي يعنيك بها إذا تم أسرها أو استعبادها؟"

هنا سمع ثيو أصوات جلبة تصدر من داخل جمجمة جريك المصفحة، وتساءل في سره عما إذا كانت تلك أصوات الأفكار إذ تسري في دماغ المطارد!.

"لو أنني استطعت العثور عليها.." قال جريك ".. فسوف أجعلها تخبرني لماذا فعلت بي هذا. يمكننا التوجه شمالاً، وهناك نبيع تلك المركبة ونشتري منطادا.. إن منطاد نابستر فارلي بطئ ومحركاته من طراز ". WIDMERPOOL - 12" وهي ليست كفء، وبالتالي يمكننا أن نلحق به بالرغم من أنه يسبقنا"

أشاحت هيستير بوجهها عنه وقالت غاضبة وهي تركل حواجز سفينتها الرملية بقدمها : "أنا أحب الصحراء، إنها واضحة وبسيطة ونظيفة، يمكنني أن أحيا وأتكسب هنا"

"ومن قال لك أنك حية؟ أنت لست حية، مثلي تماما"

"حقا ؟.. " قالتها هيستير وهي تحدق في المطارد بنظرة نارية، وكانت تجيد التحديق بقوة بعينها الواحدة، ربما أكثر مما يتسنى لغالبية الناس ممن يملكون عينين اثنتين، ".. حسناً، أوليس هذا ما كنت ترغب فيه؟ أولم ترغب دوما في أن تجعل مني مطاردا؟ كي نتمكن من البقاء سويا؟"

ثم إنها التفتت نحو ثيو وقالت "جريك يريد أن يجعلني مثله. هذا هو السبب الوحيد الذي جعله يمكث معي منذ أن انهارت "السحابة التاسعة ". ولما لم تعد لديه القدرة على قتلي بنفسه، فإنه ينتظر أن يفعلها أحد جرذان الصحراء من القتلة نيابة عنه، ثم يأخذ جثتي إلى أصدقائه القدامى في العاصفة الخضراء ليحولوني إلى مطارد"

"أوه!" صاح ثيو مرتعبا. إن فكرة إحياء الجثث في نظره لهي أسوأ مصير يمكن أن يصيب إنساناً، أما هيستير فقد كانت تتحدث عن الأمر وكأنه لا يعني شيئا:

“لا يهم، سوف أكون ميتة، ويمكنه حينها أن يفعل ما يشاء بما يتبقى مني”

“لا” قال جريك، ولو كان بمقدوره أن يهمس لقالها بصوت خفيض،

لكنه، كمطارد، كان كل ما ينطق به يصدر عنه بذات النغمة وطبقة الصوت: حادا وعاليا، محاطا بصدى كصدى احتكاك المعادن، وقد كان يتمنى لو أن أوينون زيرو قد فعلت أي شيء لمعالجة ذلك الصوت بدلا من التركيز على دماغه فقط... “حين يأتيكِ الموت سوف آخذ جثتك بالفعل لتحويلها إلى مطارد، مثلما اتفقنا منذ زمن. لكني بوسعي الانتظار إلى أن يحدث ذلك بشكل طبيعي. أما الآن، وطالما لا زلتِ على قيد الحياة، فإنني أريد أن أراكِ حية وسعيدة، لكن هذا لن يتحقق إذا ظللتِ هنا في تلك الفيافي”

جلست هيستير وأخفت وجهها في كفها. كانت لا تزال لم تتجاوز منتصف الثلاثينات، لكنها باتت تبدو أكبر سنا بعشر سنوات، وقد غزا الإرهاق والتعب ملامحها. وفي تلك اللحظة شعر ثيو بالأسف تجاهها، وتمنى لو تسنى له أن يحاوطها بذراعيه مواسيا، لكنه كان يعرف جيدا أنها لن تتقبل ذلك قط، فنظر نحو جريك، لكن المطارد بقي صامتا وقد قال كل ما لديه.

“، سيدة ناتسوورثي” قال ثيو برفق “.. ليست دكتور زيرو فقط من يحيط بها الخطر. بل الكثير جدا من الناس، فالهدنة تتوقف عليها وعلى عودتها سالمة. لا أحد يدري ما قد يقدم الجنرال ناجا على فعله إذ لم تعد إليه، إنه يحبها.”

“هو أحمق إذن” غمغمت هيستير “... لا ينبغي للمرء أن يحب، فالحب لا يجلب سوى المتاعب” ثم إنها نظرت لثيو و قالت “أنا لا يعنيني هدنتك تلك، ولا يعنيني الجنرال ناجا أو زوجته”. ثم إنها قفزت من السفينة إلى حيث الرمال وسارت مبتعدة، وراحت تجمع غصون الأكاسيا الجافة لإشعال النار.

وبرغم أن ظهرها كان باتجاه جريك وثيو، إلا أنها كانت على يقين أنهما يراقبانها. وعبر جسدها سرت قشعريرة وإحساس بالبرودة، على الرغم من حرارة الجو، وكأنها أصيبت بحمى، لكنها كانت تعرف جيدا أن ذلك ليس بحمى.

في البداية، حين وجدت نفسها وحيدة مع جريك، انتابها رعب شديد، وقد تذكرت خططه المريعة بصددها ورغبته في تحويلها إلى مطارد، وتصورت حينها أنه سوف

يقتلها فورا لا محالة. ولكن بعد حين، عندما علمت أنه لم يعد بقادر على القتل، أدركت أن جريك هو الشخص الذي تنتمي إليه... أولم يكن هو الذي تولى رعايتها وحمايتها لسنوات منذ حاول والدها " ثاديوس فالانتين" قتلها؟ أولم يكن هو من اعتنى بها حين كانت طفلة، قبل وقت طويل من لقائها مع توم؟. ثم ها هي حياتها مع توم قد انتهت، وعادت من جديد برفقته هو، جريك.

على أية حال، هي الآن سعيدة بأن وجدت أخيراً من تستطيع التحدث معه والبوح له بما لم تبح به لمخلوق قط، وبالفعل،. وعلى مدار الأشهر الماضية، حكت لجريك مالم تحكه لأحد، حكت له عن لقائها الأول بتوم وكيف وقعت في حبه، وحدثته عن المنطاد "جيني هانيفر"، وعن رين، بل وأخبرته كذلك كيف خانت أنكوراج، ثم قتلت "بيتور ماسجارد"، وكيف أنها دفعت ابنتها للابتعاد عنها.

ولم يحاول جريك إصدار أحكام أخلاقية عليها مثلما يفعل البشر تجاه بعضهم البعض، بل أنصت لها في صبر وتقبل. وقد شعرت هيستير بالارتياح حين روت له كل ما كان، وتخلصت من عبء ما عاشت تحمله على كاهلها من أسرار، و سُرَّت بأنها ستتمكن أخيرا من نسيان ما مضى في حياتها السابقة لتعود كالصفحة الخاوية، تماما كصفحة الصحراء الممتدة أمامها بتلالها الصخرية الحمراء، اخيرا لن تتمكن ذكرياتها من إيلامها بعد اليوم.

ولكن، ها هو ذا الفتى ثيو قد هبط على حياتها كدفقة من المطر فوق الصحراء القاحلة، ليحرك المياه تحت سطح أيامها اليابسة، وفي داخلها بدأ الأمل يصحو من جديد، لينبت أحلاما صغيرة، حاولت وأدها، لكنها لم تستطع... أحلام تتعلق برين وتوم، فقد كان ثيو لا يزال على اتصال بهما، وربما يخبرهما يوما بأنه التقاها في بحر الرمال. وكانت تتمنى في قرارتها لو يذكرها بالخير لديهما؛ وراحت تتخيل زوجها وابنتها، في إحدى المرافئ البعيدة، ينصتان إليه وهو يحكي لهما كيف أنها فعلت شيئا جيدا، ولو لمرة واحدة، عل هذا يحدث نوعا من التوازن في أعينهما في مقابل كل الأشياء السيئة التي صنعتها.

وهكذا، استدارت هيستير وهي تحكم ربط حزمة الفروع التي جمعتها وآبت عائدة بإتجاه المركبة.

“حسناً أيها المطارِد العجوز” قالت هيستير وهي تدنو من المركبة، “.. حسناً، لنبيع تلك المركبة القديمة ونشتري منطادا”.

***

13. وقت الرحيل

من على متن المركبة " جيني هانفير"

ميناء مورناو الجوي

الحادي والعشرون من مايو

(عزيزي ثيو،

أكتب إليك وأنا على وشك الإطلاق في رحلة جديدة، وقد ارتأيت أن أرسل لك ذلك الخطاب نظرا لكون تلك الرحلة ربما تكون محفوفة بالمخاطر، وقد خشيت أن أموت بها وأختفي دون أن تعلم عني شيئا، فتظن حينها أنني لا أتواصل معك لمجرد أني لا أكترث بذلك.

لقد التقينا بشاب ثري من مورناو يدعى "فولف كوبولد"، وقد كلفنا بالقيام برحلة استكشافية، ونحن الآن منشغلون في الإعداد لها، حيث قضينا الأسبوع الماضي في ميناء مورناو نعد العدة ونقوم بتخزين المؤن والإمدادات اللازمة، ونرسم الخطط والخرائط المطلوبة.

وقد غادرنا السيد كوبولد الآن متوجها شمالا إلى حيث ضاحية تدعى" هارو بارو"؛ والحق أنه شخصية مهمة جدا هنا في موطنه، لدرجة أن بإمكانه أن يصدر الأوامر لمركبات قوات الدفاع كي تقله إلى أي مكان يشاء، وهو ما جعلني أتساءل عن حاجة شخص مثل هذا بنا كي يقوم بتلك الرحلة، لكني أعتقد أنه من النوع الذي يفضل الاعتماد على نفسه دون اللجوء للامتيازات التي يمنحها إياه منصبه.

ومن المفترض أن نلحق به نحن غدا إلى "هارو بارو" تلك لنبدأ في رحلتنا، ولهذا فسوف أترك هذا الخطاب في مكتب التبادل التجاري للميناء على أمل أن يعطوه لواحد من قادة المركبات المتجهة غربا ليمرره بدوره لغيره، وهكذا، وإذا حالفني الحظ، فسيصل الخطاب إلى زاجوا ومن ثم إليك قبل إنقضاء العام.

أما عن الرحلة وتفاصيلها، فالحقيقة أن الأمر معقد نوعا، لكني سأحاول أن أشرحه لك.... يبدو أن هناك بعض الأفراد قد نجوا من دمار لندن، وربما لا يزالوا يعيشون هناك بين أنقاضها ؛ ولا أكاتمك أن تلك الأنباء جديدة تماما بالنسبة لي، فأنا لم أكن

أعرف حتى أن لندن لا زال لها أنقاض، بل كنت أحسبها دوما قد تفحمت عن بكرة أبيها ولم يتبق منها شيء، ولكن من الواضح الآن أنه لا زال هناك الكثير مما تبقى من أطلال وبقايا متناثرة في الأرض العراء غرب تحصينات العاصفة الخضراء في" باتمونخ جومبا".

لقد ذهب "فولف كوبولد" إلى هناك ذات مرة، وهو الآن يريد العودة واستكشاف الأمر، وقد وافق أبي على نقله إلى هناك، ليس فقط من أجل الأموال التي سيدفعها لنا مقابل الرحلة، ولكن لأجل الأيام الخوالي، حين كان يحيا في لندن. كذلك أرغب أنا الأخرى في الذهاب إلى هناك، فالأمر يبدو شديد الإثارة، بل إنه ذلك النوع من المغامرات التي لطالما حلمت بخوضها أيام كنت أقبع في أنكوراج. لقد طالعت الصور القديمة للندن، وسمعت الكثير من الحكايات عنها من أبي، لكن أن يسمع المرء عن مكان ما شيء، وأن يراه رؤى العين شيء آخر.

تخيل أنني سأذهب إلى هناك بالفعل! وسأمشي بين أنقاض ذات الشوارع التي سار بها أبي وهو بعد صغير!... أنا ابنة رجل لندني، أي أنني أنا أيضا، على نحو ما، لندنية، على الأقل جزئيا، وإنني لأتوق حقا لأن أرى ذلك المكان، ربما مثل أبي.

للأسف لم يعد لدي متسع من الوقت لكتابة المزيد، فقد انتهى أبي من استلام باقي المؤن، وقد وعدته أن أعد المحركات للإقلاع قبل أن يعود. آمل أنه بحلول الوقت الذي تتسلم فيه هذا الخطاب، أن أكون قد عدتُ بأمان لأحلق من جديد عبر السماوات المألوفة، أما إذا لم يحدث ذلك، فلتبحث عني في لندن.)

ثم إن رين ترددت للحظة، ثم كتبت بحرص في نهاية الرسالة :

مع حبي

رين.

ثم إنها قامت بتجفيف بقايا المداد من على الرسالة، ثم شرعت في قراءتها مرة أخيرة قبل إرسالها، لكنها سرعان ما تراجعت وقد أدركت أنها إن فعلت فسوف تضطرب وتتوتر وقد تقوم بتمزيق الرسالة، مثلما فعلت في جميع خطاباتها إلى ثيو تقريبا. وهكذا قامت بطيها سريعاً ووضعتها في مظروف.

قبل بضعة أيام، بينما كانت تستعرض قائمة الأسعار في نافذة محل للتصوير الفوتوغرافي في مورناو، ظهر أمامها صديق بروفيسور بيني رويال، الصحفي " سامفورد سبيني" وعرض عليها التقاط صورة فوتوغرافية لها مجانا. وبالفعل جلست رين في ضوء الشمس بالقرب من الميناء بينما راحت زميلته الآنسة "كروبوتكين" تلتقط عشرات الصور لها من زوايا مختلفة، بينما سبيني يدردش معها بسرور ويستمع باهتمام لما ترويه رين حول مغامراتها في برايتون. وقد بذلت قصارى جهدها كي لا تفضح أي من أكاذيب بيني رويال، ومع ذلك فقد تمكن سبيني أكثر من مرة من التقاط ما يتناقض في روايتها للأحداث مع ما رواه بيني رويال.

"إنه يميل للمبالغة قليلا.." أقرت رين في النهاية، وقد بدا الصحفي راضيا تماما.

وقد وصلتها الصور الفوتوغرافية النهائية في صباح اليوم الذي جلست تكتب فيه رسالتها، فأخذت تتأملها، وقد بدت في الصور أكثر نضجا وجدية، لذا أخذت واحدة منها وأرفقتها مع الرسالة داخل المظروف ثم أغلقته، وقد راقتها فكرة أن ترسل صورتها لثيو كي يظل يتذكرها في حال لم يلتقيا ثانية.

وهكذا انطلقت رين عبر المرفأ المزدحم والرسالة في يدها تشق طريقها نحو مكتب الميناء. لكنها لم تكن قد ابتعدت كثيرا حين وجدت والدها عائدا من مستودع المؤن والتجهيزات حيث كان يقوم بتسوية حساب المشتريات، وقد قدرت رين أن فاتورة التجهيزات لا بد وأنها ضخمة إلى حد ما، حيث لم يتم إعادة طلاء المركبة وإصلاحها وتزويدها بالوقود فحسب، بل قام أباها أيضا بشراء بوصلة جديدة ومقياس للارتفاع، بالإضافة إلى ملء مستودعها بالطعام المعلب وزجاجات المياه، كما ابتاع أيضا عددا من الحبال وقماش المناطيد وصمامات احتياطية وخراطيم للمياه وقطع غيار احتياطية للمحركات، ولفائف هائلة من شِباك التمويه، وغير ذلك من الأغراض التي ارتأى توم أنهم قد يحتاجونها خلال رحلتهم إلى تلك المنطقة الخطرة.

ومع ذلك، مهما بلغ سعر تلك الإمدادات الضخمة، فهو لا يمثل الكثير في مقابل المبلغ الذي سيدفعه فولف كوبولد لهما، ربما لهذا لم يبدُ والدها مصدوما أو متجهما إزاء الفاتورة الضخمة التي تكبدها.

لوحت رين لوالدها، ثم تذكرت الخطاب في يدها فحاولت إخفاؤه خلف ظهرها.

"ما هذا؟" سألها توم

"إنه مجرد خطاب" قالت رين".. كنت سأطلب من أحد قائدي البالونات أن..."

إلا أن توم أخذ الخطاب من يدها ونظر إلى العنوان، ثم صاح : "رين!، بحق كويرك العظيم! أنت لا يمكنك إرسال ذلك الخطاب. لو أن سلطات مورناو اكتشفت أنك تراسلين شخصا ما في زاجوا فسوف يحسبونك جاسوسة، وسينتهي بنا المطاف في السجن"

"ولكن مورناو ليست في حرب مع زاجوا، زاجوا تقف على الحياد!"

"لكنها تبقى إحدى مناهضي التحرك" أجابها توم وهو يحوطها بذراعه حول كتفها عائدا بها إلى " جيني هانفير"، "آسف يا رين، لا يمكن"

وبعد حين سمعا صوتا عاليا ومألوفا يأتيهما من حوض الإرساء المجاور....

".. بالطبع، لقد اعتدت أن أقود مركباتي بنفسي، وقد صرت خبيرا في الطيران نوعا، وخضت عبر الأعاصير وما إلى ذلك، لكنني لا أحب أن أشغل نفسي بالطيران للتنقل عبر تلك المسافات الصغيرة بين المدن. أتذكر حين كنت في "نوفو مايا" حين...."

إنه بيني رويال بالطبع، يتحدث إلى طاقم إحدى مركبات الأجرة الجوية الباهظة، وقد وقف أفراد الطاقم في انتظار أن يصعد إلى متن المركبة. ولم يكن بيني رويال بمفرده، بل كان برفقة امرأة أنيقة من سيدات الطبقة الراقية في مورناو، ترتدي ثيابا ربما يفوق ثمنها قيمة منطاد ال" جيني هانفير"، وقد وقفت تنصت إلى الرجل باهتمام كبير، حتى أنها بدا عليها الانزعاج حين قطع حديثه وراح ينادي : "توم، رين... كيف حالكما يا أصدقائي؟، أقدم لكما صديقتي السيدة "كلينجروثوس". نحن في طريقنا إلى ايرهيفن، لقد تلقينا دعوة للعشاء مع "دورنيبيه لارد" تاجر المناطيد الشهير، على متن يخته السماوي هناك"

"إيرهيفن!" صاحت رين ".. إذن أيمكنك أن ترسل ذلك الخطاب نيابة عني؟ فقط اتركه في مكتب ميناء ايرهيفن واطلب منهم أن يعطوه لأي سفينة متجهة إلى أفريقيا"

نظر بيني رويال إلى المظروف وهي تدسه بين يديه ومعه عملة فضية لدفع رسوم إرساله.

"زاجوا؟" قالها بيني رويال بصوت خفيض، "يا إلهي.."

"أعلم أن سلطات مورناو لن يعجبها ذلك إذا اكتشفته، لكنك لست خائفا منهم، أليس كذلك؟"

"بالطبع لا!" هتف بيني رويال دون تردد وهو يلقي نظرة خاطفة على مرافقته ليتأكد من أنها سمعته ورأت كم هو شجاع وخدوم. ثم إنه دس الخطاب في جيب معطفه الداخلي وغمز بعينه إليها في مكر وقال : "لا تخش شيئا يا رين. سوف أحرص على أن يصل خطابك للشاب نجوني حتى لو اضطررت لتسليمه إليه شخصيا" ثم إنه نظر إلى توم وقال : "لقد علمت في مكتب الميناء أنك ستغادر مورناو الليلة"

فأومأ توم أن نعم. وكان يعلم أن بيني رويال لديه فضول لأن يعرف إلى أين سيتجه ال" جيني هانفير"، لكنه لم يكن لديه النية لإخباره.

"لقد سمعت شائعات تقول أنك تعمل حاليا لصالح كوبولد الشاب ؟"

"لقد تحدثنا نوعا" قال توم بلا اكتراث

فأومأ بيني رويال، وقال مبتهجا "عظيم، عظيم.... حسناً، ينبغي علينا التحرك الآن كي لا نترك السيد "لارد" في الإنتظار، أليس كذلك يا عزيزتي؟"

ثم إنه انحنى محييا توم ورين، وتمنى لهما رحلة سعيدة، و بينما صديقته تتوجه نحو المركبة وهو من ورائها، التفت نحوهما من جديد وقال : "لا تفوتا عدد يونيو من صحيفة " ذا سبيكولوم". سوف يكون متوفرا في كافة متاجر بيع الجرائد المحترمة. المقال الرئيس بها سيكون عني بقلم " سبيني""

فلوح له توم وهو يتساءل في قرارته أين سيكون وابنته بحلول يونيو؛ صحيح أن تلك الصحيفة تصدر بعدة لغات وتباع في جميع المدن، لكنه لا يعتقد أنه قد يجد منفذ بيع لها بين أنقاض لندن!"

***

14. الجنرال ناجا

على بُعد عشرين ميلاً، في أقصى الطرف الغربي لأراضي العاصفة الخضراء، وقف الجنرال "جيانج شيانج ناجا" عند حافة أحد الحصون الأمامية وشرع، عبر عدسات المنظار، يتفحص أضواء مورناو. وقد راح أحد مساعديه يضبط أذرع التحريك في حامل المنظار، وببطء بدأت الآلة تتحرك لتكشف لناجا أضواء باقي المدن والبلدات الأصغر، وعدد لا يحصى من الضواحي المجاورة لمورناو.

"المزيد من المدن تصل يومياً تقريبا من جهة الغرب" قالها أحد الضباط الموجودين في الحصن، "... استخباراتنا تقول أنه حتى مانشستر، أحد آخر المدن المتحركة العظمى، تتحرك الآن باتجاه تجمع مورناو. سيادة القائد، إنهم يستعدون لشن هجوم علينا"

"هراء يا كولونيل " يو"" قال ناجا وهو يلتفت نحو الضابط، "إنهم حفنة من البلدات التجارية يحاولون استغلال الهدنة، وقد جاءوا للتجارة مع المدن المحاربة"

"نعم، كي يبيعوا لهم أسلحة حديثة وإمدادات!" قالها "يو" في إصرار "تلك الهدنة تمنح هؤلاء الهمجيين الفرصة لالتقاط الأنفاس وإعادة تنظيم صفوفهم والتسلح من جديد"

"وتمنحنا نفس الفرصة كذلك" قالتها ضابط تقف بجواره، الجنرال " زاو"، وهي تبتسم. امرأة قصيرة هي، ذات وجه أصفر مغضن ككيس جلدي قديم؛ وكانت قد فقدت ثلاثة أبناء لها في حرب العاصفة الخضراء، وقد مضى وقت طويل منذ أن رآها أي شخص تبتسم.

"لقد مر ما يزيد عن شهر الآن..." قالت الجنرال "زاو"، "ولم يُقتَل أي شخص على الحدود. وحتى لو انتهكت تلك البلدات الهدنة غدا، فإن الأمر يستحق المحاولة"

وكان ناجا لا يزال واقفا يستمع إلى الحديث الدائر بين ضباطه، وكذلك ينصت للأحاديث الدائرة بين الجنود في التحصينات المجاورة، بل وحتى همس النسائم إذ تتخلل عباءته المصنوعة من فراء الذئب، وتغريد طائر بعيد، كان ينصت إلى ذلك كله. ترى، أهو عندليب ذلك الذي يغرد بعيدا؟ ليته يعلم، كان ليسره كثيرا لو أخبر زوجته

حين تعود من أفريقيا، أنهم سمعوا صوت تغريد عندليب هنا، على خط المواجهة!، لكنه للأسف أمضى حياته بين الحروب والمعارك، لدرجة أنه لم يتمكن يوما من ملاحظة أشياء مثل الطيور والعصافير وأنواعها. لو أنه استطاع إحلال سلام دائم، فسوف يهتم في مستقبل أيامه بالتعرف على تلك الأشياء : الطيور والأشجار والزهور؛ ولسوف يصطحب أوينون عبر المروج الخضراء ليستمتعا معا بمنظر الطيور وأشكال الطبيعة، وحينها سوف يكون قادرا على إخبارها باسم كل نوع منها.

"هذا !.. " قالها ناجا على حين غرة وهو يتحرك، ودروعه الميكانيكية تحدث صلصلة عالية مع حركته، ووضع كفه المعدنية، ككف مطارد، على كتف الكولونيل " يو"، وتابع : "هذا ما كنا نحارب من أجله يا "يو وي شان". نحن لم نخض تلك الحرب لسحق المدن، بل خضناها كي نتمكن من سماع تغريد العصافير مرة أخرى. وطالما أن خمسة عشر عاما من الحرب لم تمكننا من ذلك، فربما يتعين علينا الآن تجريب سبيل آخر، كالتفاوض مع الهمجيين" ثم إنه لوح بذراعه باتجاه المساحة الفاصلة الواقعة خلف السياج، حيث الحُفَر التي خلَّفتها القذائف الهائلة، والكمائن التي نُصِبَت للمدن، وبقايا الضواحي المحطمة، وملايين من عظام الضحايا، وقال "كان من المفترض أن نجعل العالم أخضر من جديد، لكن كل ما فعلناه حتى الآن أننا حولناه إلى خراب وأوحال"... كان هذا مما قالته له زوجته ذات يوم، لكنه كان أفضل وأقوى تأثيرا حين صدر منها.

لاحقاً، بينما كان على متن منطاده في طريقه إلى "فوروارد كوماند"، شعر ناجا باشتياق شديد لزوجته.. لو أنها كانت معه الآن لدعمته وهونت عليه ذلك الطريق الشاق الذي وضعته عليه، ولساعدته على اجتيازه ؛ لقد بات نصف قومه يحسبونه قد فقد عقله ليقدم على محاولة صنع سلام مع المدن المتحركة، وفي كثير من الأحيان كان هو نفسه يتساءل عما إذا كانوا محقين في ظنهم هذا!. ولكن، أي خيار آخر كان لديه؟، فقد ساءت أحوال العاصفة الخضراء وتدهورت لدرجة لم يكن يتخيلها إلا عندما استولى على السلطة، حينها أدرك مدى السوء الذي أمست عليه العاصفة تحت قيادة المطارِد فانج. حيث كان قد تم إلقاء القبض على كافة القيادات المتمرسة التي اعتادت إدارة شئون جماعة مناهضة التحرك القديمة، و زُج بهم إلى السجون، وحل محلهم مجموعة من الشباب المتطرفين الذين لم يكونوا بالحنكة الكافية لأداء مهامهم الجديدة وتسيير شئون قومهم. وهكذا بات الشغل الشاغل للعاصفة وقتئذ

ضمان توفير الطعام والمؤن والمعدات للجنود المحاربين على خط الجبهة، أما في الداخل فكان كل شيء يتداعى، سواء في الأراضي الأصلية للعاصفة أو في المناطق المحررة التي كافح ناجا ورفاقه من أجل إجلاء المدن المتحركة عنها؛ ولم يكن من بين هؤلاء الحكام الجدد من يعرف أي شيء عن أنواع المحاصيل التي يمكن زراعتها في تلك الأراضي، ولا كيفية تنظيم شئون النقل أو الصرف أو البنى التحتية في المستوطنات الثابتة الجديدة، ولا حتى كيفية توفير الأموال اللازمة لتمويل أي شيء.

والآن، ربما كان إيقاف هذه الحرب بمثابة فرصة لضبط كل تلك الأمور، وربما كان في مقدور الإدارة القديمة التي أطلق ناجا سراحهم من سجون " تاكلا ماكان" إصلاح الوضع وإعادة الأمور إلى نصابها الصحيح. لكن المهمة ضخمة، بل هي عارمة بالنسبة لمحارب جاهل بشئون الإدارة مثله....

ومع هذا، فقد كان على يقين بأنه إن استطاع التحدث إلى أوينون والإفضاء لها بما يعتمل في صدره، فسوف تُهَوِّن عليه الكثير وتهدئ من شكوكه ومخاوفه.

ومن نافذته، كانت السماء بلونها الأبيض تحيط بكل شيء من حوله، فأغمض عينيه وراح يتنسم عبير زوجته ويستشعر دفء جسدها الصغير. ترى أين هي الآن؟، ليته لم يسمح لها بالتطوع للذهاب في تلك المهمة في زاجوا، لكنها أرادت أن تقوم بها حقاً، وكان هو يعلم أن لا أحد أجدر من الصغيرة زيرو بإقناع السلطة في زاجوا بالانضمام لجانبه، بمظهرها البريء وأسلوبها المسالم البعيد كل البعد عن العدائية والحرب، وكذلك إلهها القديم الغريب هذا الذي يؤمنون به هناك.

كانت "فوروارد كوماند" عبارة عن مدينة متحركة معطلة، تقبع فوق تل منخفض شمال "راست ووتر" خلف جدران دفاعية صُنِعَت من سلاسل عجلاتها المهملة. وكانت المدينة فيما مضى جزءا من خط الجبهة للعاصفة الخضراء خلال معارك العام السابق. أما الآن، وبعدما تم إجبار تحالف المدن المتحركة الألمانية "تراكشيونستات" على التقهقر إلى ما وراء المستنقعات، تحولت المدينة المعطلة إلى مستوطنة كاملة، وانتشرت مجموعة من منازل المدنيين على المنحدرات أسفلها، وعبر الحقول المحيطة بها جرت محاولات لزراعة بعض المحاصيل الجذرية، لكنها للأسف باءت بالفشل الذريع، فيما تناثرت طواحين الهواء عبر السهوب، وقد راحت الأذرع الطويلة

لكل منها تدور، وكأنها عملاق أحمق وقف يلوح في غباء.

أخيرا وصل المنطاد إلى وجهته، وعلى حوض الإرساء، وقف عدد من الضباط يتجادلون، وبصحبتهم خادمة داكنة البشرة تعرف عليها ناجا بصعوبة. ومن على بعد عشرين باردة كان بإمكانه أن يخمن أنهم يحملون أخبارا سيئة.

"صاحب السعادة، هناك أنباء من أفريقيا..." قالها أحد الضباط "،... هذه خادمة زوجتك يا صاحب السعادة، الفتاة البكماء، "روهيني"..."

"لقد جاءت سيرا على الأقدام، وحدها" قالها آخر

"زوجتك يا صاحب السعادة، هوجمت مركبتها بواسطة المركبات الحربية للمدن المتحركة، بعد يوم واحد من مغادرتها زاجوا. لا بد أن الزاجوانيين غدروا بها. صاحب السعادة... السيدة ناجا قد لقيت مصرعها"

ولاحقا، في إحدى غرف مجلس القيادة بالقلعة، أخبرته الفتاة بكل شيء، كتابةً، وراح أحد مساعدي ناجا يقرأها على مسامعه : ثلاثة من المركبات الحربية للمدن المتحركة تربصت بمركبة زوجته وهاجمتها بغتة، وقد كافح طاقم سفينتها للدفاع عنها، لكنهم هُزِموا.

عندما كانت لا تزال فتاة صغيرة، كانت "سينثيا توايت" تحلم بأن تصير ممثلة، وقد كان والداها من الممثلين الهواة، من مدينة أدنبرة المتحركة، لكنهما كانا مناهضين للتحرك، ولهذا فقد فرا من موطنهما سعياً وراء الحياة الشاعرية الجميلة التي تخيلا أنهما سيحيانها في إحدى المدن الساكنة في "شان جو". ولطالما شجع الوالدان ابنتهما على التنكر والتمثيل اعتقادا منهما أنها بذلك قد تصير نجمة لامعة ذات يوم.... وكم كانا على حق!.

ثم ظهرت جماعة العاصفة الخضراء، وبسرعة تصدرت المشهد في مقاطعات مناهضي التحرك، وبرغم أن والدي سينثيا كانا من مناصري مناهضة التحرك، إلا أنهما أخِذا بذلك الصعود المفاجئ لهذا الفصيل الراديكالي المتطرف، وقد كانا يتحليان بالتسامح وتقبل الآخر، لهذا لم يتقبلا أبدا تلك الدعوات المتطرفة للعاصفة... "ليس كل سكان المدن المتحركة همجيين" هكذا راحا يقولان لابنتهما بمرارة أخذت تزداد يوما بعد يوم مع تزايد الشعارات الشرسة التي راحت العاصفة الخضراء تطلقها عبر

مكبرات الصوت التي نشرتها في كل ركن في جميع أنحاء مستوطنتهما.

لكن سينثيا، على عكس أبويها، كانت ترى الأمر مثيرا مفعما بالمتعة، وكانت تُسَر كثيرا لمنظر الأعلام والأزياء الرسمية لجنود العاصفة، وأغاني الحرب الحماسية التي راحت تتعلمها وتغنيها في المدرسة، كذلك فقد أحبت المطارد فانج كثيرا بمظهرها القوي اللامع.

ومع الوقت ضاقت سينثيا ذرعا بما يردده أبواها، وسئمت من نحيبهما المستمر، فقامت بالإبلاغ عنهما باعتبارهما عناصر موالية للمدن المتحركة.

وهكذا تم إلقاء القبض على الأبوين، و انتقلت الفتاة للعيش في دار الأيتام تديرها حكومة العاصفة في "تينجين"، وهناك تم تجنيدها للعمل في جناح المخابرات، إلى أن استطاعت الانضمام إلى شبكة التجسس الخاصة بالمطارد فانج. كان هذا حينما اكتشفت سينثيا أنها ورثت عن والديها حب الفن والتمثيل، فراحت تستخدم أدوات التنكر وتنتحل الأسماء والشخصيات وتغير من صوتها وسلوكياتها مع كل شخصية تتقمصها، وكانت تستمتع بذلك كثيرا، وتبرع فيه. فقط كان الشيء الوحيد الذي يؤلمها أنها لن تلقى التصفيق الذي تستحق على أدائها المتقن.

ولكن، في هذا اليوم، كانت الدموع التي انهمرت على وجه ناجا وهو يستمع للفظائع التي ارتكبتها المدن المتحركة بحق زوجته، بمثابة التكريم الذي انتظرته طويلا؛ فلم يحدث أن بكى ناجا علناً من قبل، وقد استبد الذهول بمساعديه وضباطه إزاء ذلك، حتى الجنرال "جو"، الذي وضع خطة قتل السيدة ناجا وساعد سينثيا على التسلل إلى منزلها والعمل به، بدا مضطربا حين سمع نحيب صديقه القديم ورأى الدموع تقطر من وجهه. فرغم كل شيء، هو قد دبر قتل أوينون كي يوقظ صديقه من أحلامه السخيفة بصدد السلام مع المدن المتحركة، لا لكي يحطمه.

"كفى!" صاح الجنرال "جو" رافعا كفه ليوقف الرجل الذي يقرأ ماكتبته سينثيا، "ناجا، لا داعي لأن تسمع المزيد من هذا. هناك نقطتان واضحتان تماما في هذا كله، أولا أننا لا يمكننا الوثوق بأي شكل في الزاجوانيين، وثانيا، تلك الهدنة التي عقدت مع الهمجيين ينبغي أن تنتهي. كتيبتي جاهزة لشن هجوم غدا، إذا أمرت بذلك"

"وكتيبتي كذلك" قالها عدد آخر من الضباط في صوت واحد

“فلندمر كل المدن!” صاح ضابط آخر، مرددا واحد من الشعارات القديمة للعاصفة الخضراء.

“لا” صاح ناجا بغضب، فسادت الدهشة كل من في الغرفة، وراحوا يغمغمون. حتى سينثيا كادت أن تنسى أنها تلعب دور فتاة صماء بكماء، وكادت تصيح في تعجب.

“لا” قالها الرجل المسكين من جديد وهو يضرب الطاولة بيده الميكانيكية “أوينون ما كانت لترغب أبدا في أن يسقط العالم في أتون الحرب من جديد بسببها”

“ولكن يا ناجا..” هتف الجنرال “جو”، “ينبغي أن نثأر لها”

“زوجتي لم تكن تؤمن بالانتقام... بل كانت تؤمن بالمغفرة. لو أنها كانت بيننا الآن لقالت أن تصرفات بعض من أهل المدن المتحركة لا تعني أنهم جميعا غير أهل للثقة. ينبغي أن نستمر في مساعينا من أجل تحقيق السلام، لأجل روحها”

ثم إنه نظر نحو سينثيا، التي خفضت عينيها في تواضع، وقال : “ماذا عن تلك الفتاة؟ كيف يمكن أن نكافئها؟ إنها شجاعة ومخلصة”

ظلت سينثيا في موضعها دون حراك، متململة قليلاً إزاء اضطرارها للانتظار لحين يقوم أحدهم بكتابة ما قاله ناجا لها، بحكم كونها صماء، لكنها لم تمنع نفسها من التبسم قليلاً وهي تدون إجابتها بدورها، وكانت تدرك في سرور ورضا أن جميع من في الغرفة حسبوها تبتسم امتنانا للجنرال ناجا إزاء وصفه لها بالفتاة المخلصة.

وحين انتهت من الكتابة، كانت المكافأة التي طلبتها تتمثل في :

“فقط أرغب أن يُسمَح لي بخدمة الجنرال ناجا كما سبق وخدمتُ زوجته الحبيبة”

***

15. الضاحية الخفية

مع خيوط الفجر الأولى، كان منطاد " جيني هانفير"يحلّق فوق المستنقعات بالمنطقة الفاصلة، حيث المدن والبلدات المتجمعة حول مورناو قد غابت وراء الأفق الجنوبي الغربي، فيما عدا مدينة واحدة بقيت ظاهرة للعيان، عبارة عن هيكل مصفح، تدعى "بانزرستات فينترتور"، كانت تجوب شمالا في نوبة حراسة. وكانت كل من تحالف المدن المتحركة الألمانية "تراكشيونستات" و العاصفة الخضراء قد اعتادت مراقبة تلك المنطقة، لكن كلا الطرفين كان على يقين من أن الطرف الآخر لم يقوم بشن هجوم عبر تلك المنطقة الموحلة المليئة بالمستنقعات، والتي تزداد قبحاً في ضوء النهار.

ولم يكن ثمة شيء تحت الضباب سوى آثار المسارات الضخمة للمدن، وقد امتدت بعض المسارات الأقدم، والتي كانت أشبه بالخنادق، بعرض مائة ياردة نحو الشرق، و امتلأت قيعانها بالصخور والبرك.

ومن مقعده في الأعلى أمام أدوات القيادة بالجيني هانيفر، راح توم يتأمل تلك المسارات، وقد خُيل له أنه تمكن من تمييز آثار مسارات لندن، تلك التي راح يتتبعها ذات يوم برفقة هيستير، وها هو سوف يتتبعها من جديد عما قريب كي يصل، إذا شاء "كويرك"، إلى موطنه.

"حسناً..." قالت رين وهي تجفف شعرها بمنشفة، آتية من مطبخ المنطاد حيث كانت تغسل شعرها في الحوض، "... لا أرى أي ضواحي هنا"، وراحت تتنقل من نافذة إلى أخرى، تتطلع عبر المنحدرات الطينية الملتمعة في ضوء الفجر الرمادي، ورائحة الليمون المميزة لغسول الشعر الخاص بها تفوح في المنطاد... "لا أرى شيئاً ! "

"فلنتحلّ بالصبر قليلا" قالها توم، لكنه في داخله لم يستطع منع نفسه من القلق والتوتر. فهذا الفتى "فولف كوبولد" لا يبدو من النوع الذي يتأخر عن مواعيده...

وهكذا راح توم يدور من جديد بالمنطاد، الذي بدا خفيفا رشيقا وهو ينطلق في الهواء، وكأنه سعيد بعودته إلى السماوات. وكانت عنابر المنطاد فارغة تماما، بناءً على تعليمات فولف، وقد افترض أنه سيعود من رحلته إلى خرائب لندن محملاً بالغنائم. ولكن... أين هو الفتى؟

فجأة انطلق من جهاز الراديو صوت طقطقة وصرير، وكان قد تم ضبطه على تردد بعينه حدده فولف، لذا فقد افترض توم أن تلك الضوضاء ستعقبها إشارة من "هاروبارو".

اندفع توم نحو الراديو يخفض صوته قليلاً، فيما هرعت رين عائدة إلى النوافذ، لكن الأرض من تحتهم كانت كما هي... "لا أرى أية ضواحي هنا" قالت رين "لا بد أنها لا تزال بعيدة في الأفق"

"لا يمكن" أجاب توم وقد أجفل قليلاً مع ازدياد قوة الإشارة. "قوة التردد تشي بأننا فوق الضاحية مباشرة"

هنا رصدت رين حركة داخل واحد من المسارات الواسعة على بعد ميل نحو الشرق، إذ راحت بِرَك المياه داخل المسار ترتج ثم تنسكب على الجوانب، والأشجار والشجيرات النامية على أطرافه تهتز وتتحرك قبل أن يسقط بعضها فوق الآخر. وفي اللحظة التالية بدأ قاع المسار نفسه يرتفع لأعلى!، ثم انشق لينبثق من تحته حفَّار لولبي هائل ينتصب فوق هيكل مدرع، وقد اندفعت منه سحابة رمادية من العادم نحو السماء.

"يا لكويرك العظيم!" همس توم وقد انحبست أنفاسه من المشهد العجيب.

في متحف العجائب - الـ" ووندر كامر" - بالقصر الشتوي في أنكوراج، كان ثمة صَدَفة محفوظة لشيء يدعى "سلطعون حدوة الحصان"؛ وحين حاولت رين في وقت لاحق أن تصف تلك الضاحية "هاروبارو"، لم تجد خيرا من تلك الصَدَفة لتشبهها بها. كانت الضاحية صغيرة، بالكاد يصل عرضها لنحو مائة قدم، أما طولها فكان حوالي ثلاثة أضعاف ذلك، مغطاة بالكامل بهيكل مدرع، كذلك واجهتها الأمامية كانت عبارة عن درع عريض حيث كان الحفَّار - الذي تم سحبه إلى الداخل لاحقا - منتصب فوق سطحه. وكان الدرع يغطي الفم الواسع القبيح للضاحية، حيث يتم رفعه حين ترغب "هاروبارو" في تمزيق إحدى البلدات الصغيرة التي تصيدها، أو ابتلاع أحد حصون العاصفة الخضراء. أما مؤخرة الضاحية فكانت مدببة ضيقة، محمية بألواح متقابلة من الدروع.

وكان عدد من الألواح المدرعة مفتوح الآن، ولمحت رين العجلات الثقيلة من

تحتها، وساحة هبوط معدنية راحت تخرج ببطء على بكرات هيدروليكية، بينما أخذت أضواء إشارات الهبوط تومض للمنطاد.

"أهذا هو المكان الذي يفترض بنا أن نهبط فيه؟" تساءلت رين، فأجابها توم بأنه يفترض ذلك، ثم قال في دهشة واضحة :

"لقد قال كوبولد أن ضاحيته ذات طبيعة خاصة، لكني لم أكن أتخيلها كذلك!..."

والحق أن المكان لم يرق لتوم من الوهلة الأولى، لكنه قال لنفسه أن هذا ليس سوى مجرد خطوة أولى نحو لندن، ثم شرع يعيد توجيه الجيني هانيفر للهبوط بحرص إلى حيث المنصة المعدنية.

وفي الأسفل، كان فولف كوبولد في انتظارهما للإجابة على كل أسئلتهما. وكان قد مر حوالي أسبوع مذ رأته رين، وقد نسيت خلال تلك الفترة كم أن الفتى أخّاذ، أما الآن فقد جعله ضوء الفجر الرمادي وأضواء الهبوط والريح التي راحت تمضغ طرف ردائه، أكثر وسامة وحيوية مما رأته سابقا.

القراصنة... إنهم دوما نقطة ضعف رين التي لم تستطع الخلاص منها، خاصة إذا كانت لهم تلك الابتسامة الودود المرحبة مثل فولف. أما مدينته فلم تكن ودود جميلة على الإطلاق!، بل كانت - من تحت دروعها - عبارة عن كتل من المنازل الرمادية الكئيبة ذات نوافذ ضيقة، وحتى أناسها بدوا شاحبين باهتين، بينما هم يهرعون جيئة وذهابا، يحملون حقائب المسافرين، فيما راح جامعو المخلفات وبقايا المدن يتجولون بزيهم المميز ونظاراتهم الواقية أو أقنعة الغبار.

"لا، "هاروبارو" ليست جحرا بالمعنى المفهوم.." قالها فولف ردا على شيء ما سأله توم عنه، ".. فنحن مثلا لا يمكننا شق طريقنا عبر الصخور الصلبة القاسية، فذلك من شأنه أن يستغرق وقتا طويلاً جدا للحفر، لكن هناك لحسن الحظ الكثير جدا من آثار مسارات المدن التي تعبر من هنا، وعادة ما تكون قيعانها طرية مليئة بالصخور الزيتية اللينة والطمي، وهو ما يمثل تربة مثالية لنا يسهل علينا إخفاء هذه الضاحية الصغيرة فيها"

ووقف توم و رين يتابعون رجال فولف وهم يسحبون الجيني هانيفر إلى حيث منصة الإرساء، ثم تبعا الفتى عبر ممر بين المباني، ومنه إلى الشارع الرئيس

بالضاحية، وصولاً إلى الدَّرَج المؤدي إلى الطابق الثاني من المباني والمساكن الضيقة المتكدسة أسفل السطح المدرع، ثم إلى مجموعة أخرى من السلالم التي تؤدي إلى طبقة سطح المدينة في الأسفل، ومن تحتها غرف المحركات التي انبعثت حرارتها عبر الرصيف إلى نعالهم. وبين أنابيب الهواء المتشابكة، كان هناك كوة تحمل صورة ل "تاتشر" الإلهة ذات الأذرع الثمانية، والتي تلتهم كل مالا ينتمي إلى الداروينية البلدية.

"هل هذه هي زيارتكم الأولى لإحدى المدن الحَصَّادة ؟" سألهما فولف وهو ينظر إلى ضيفيه بينما يسيران إلى جواره ،"... نحن لا نتمتع بأي مظاهر للرقة هنا كما هو الحال في المدن الكبرى، ومع ذلك فالمكان جيد. لقد كانت تلك إحدى بلدات جامعي المخلفات في الماضي، إلى أن وقعت في أسر مدينة صيد وسط الصقيع في "فروست بارينز". وقد ارتأوا وقتها أنها قد تكون ذات فائدة في الحرب، فأتوا بها وسلموها إلى مورناو، فأعطاني والدي إياها. وقد قمت بتجنيد أشخاص من ضواحي حَصَّادة أخرى لمساعدتي على تحويلها إلى ما هي عليه الآن، إنهم خشنوا الطباع هنا، لكنهم أوفياء.

كان المكان برمته مفعما برائحة كرائحة المواقد، حيث الحرارة والمعادن الساخنة؛ وفي داخلها قالت رين لنفسها أنها لو اضطرت يوما للعيش تحت الأرض في مكان كهذا، فلن تهدر أي فرصة للخروج إلى السطح وتنفس هواء نقي من وقت لآخر. ولكن يبدو أن سكان تلك الضاحية لا يفضلون حتى الخروج إلى حيث ساحة الإرساء، بل بدا لها أنهم لا يجدون غضاضة أو مشكلة في العيش في الظل، وحتى هؤلاء الذين تضطرهم أعمالهم للخروج إلى ضوء النهار، كانوا يخفون أعينهم خلف نظارات شمسية ونظارات واقية ويلفون أنفسهم جيدا ضد البرد في سترات محكمة ويضعون الكوفيات و واقيات الأذن.

"لا يوجد الكثير من النساء هنا.." قالها فولف، وقد حانت منه التفاتة جانبية نحو رين - ولم تفهم حينها ما إذا كان قد قال ذلك بقصد الاعتذار عن عدم توفر رفقة أنثوية لها خلال تواجدها على متن ضاحيته، أم هو تلميح منه بسعادته لوجود ملاَّحة جميلة مثلها هنا، أو ربما قصد المعنيين- "... لا توجد أُسَر تحيا هنا، فالحياة على متن هاروبارو شاقة خشنة، لذا أرجو ألا تؤاخذوا رجالي إذا راحوا يلتفتون نحونا"

وبالفعل، كان رجاله يتلفتون نحوهم، وقد انفرجت أفواههم وتدلت ذقونهم في وجوههم الخشنة بينما عمدتهم يقود ضيوفه صعودا عبر سلم متحرك إلى حيث مبنى

البلدية، وهو عبارة عن مبنى هلالي الشكل يستقر فوق ركائز متينة، ويطل على الساحات المنهارة. كان المكان قبيحا وضيقا، لكن فولف حرص على فرشه جيدا وتزيينه بالمعلقات والمفارش لإخفاء حوائطه المعدنية، كذلك كان هناك عدد من الأعمال الفنية المنتقاة بعناية موزعة هنا وهناك، وحين قام الخدم بإغلاق النوافذ في الداخل واختفى منظر الآلات، شعرت رين بأجواء منزلية دافئة نوعا ما.

اصطحبهما فولف إلى حيث غرفة طعام طويلة ضيقة، ذات سقف مطلي باللون الأزرق تتخلله بضعة سحب بيضاء، وكأنه تذكير بالسماء في الخارج.

"لا بد أنكما لم تتناولا طعام الإفطار بعد؟" سألهما دون أن ينتظر منهما إجابة، حيث أشار لهما بالجلوس إلى المقاعد حول مائدة الطعام، وقد حرص على أن يجلس توم على رأس المائدة تحيةً له.

ثم دخل رجل آخر إلى الغرفة، رجل عجوز قصير شاحب الوجه، ذو ندوب ونظارات سميكة، فحياه فولف بحرارة وسحب مقعدا من أجله.

"أقدم لكما "أودو هوسدورفر"، كبير الملاحين هنا.." قال فولف "... إنه يتولى زمام الأمور هنا في غيابي، وهو واحد من أفضل الرجال الذين عرفتهم"

حياهما " هوسدورفر" بهزة من رأسه؛ وفي قرارتها قالت رين أنه إذا كان هذا الرجل هو أحد أفضل الرجال الذين يعرفهم فولف فإنها لا ترغب في مقابلة الباقين!، فقد بدا لها " هوسدورفر" هذا شريرا خبيثا؛ لكن من الواضح أن فولف يحبه حقا، ولولا أنها قد تعرفت على أسرته لحسبت الرجل أباه. ولم تفهم رين ما الذي يجعل فولف يكن كل هذه المحبة والثقة لمثل هذا الرجل الذي يبدو كجامعي المخلفات، أكثر مما يكنه لأبيه الحقيقي.

دخل عدد من الخادمات ذوات أعين بارزة متورمة كالكدمات، ورحن يضعن الأطباق والصحائف وأواني القهوة في صمت. ثم رفع كوبولد كوبه وقال مبتسما : "أصدقائي، لكم أنا سعيد لوجود وجوه جديدة على مائدتي! كذلك يسعدني أن أقول أن لدينا اليوم قهوة طازجة حقيقية حصلنا عليها من إحدى بلدات جامعي المخلفات التي التهمناها يوم الثلاثاء الماضي"

"ما زلتم تمارسون الصيد والافتراس؟" سأله توم متفاجئا ".. لقد حسبت أن

"تراكشيونستات" قد تعهدوا بألا يأكلوا البلدات والمدن لحين انتهاء الحرب"

ضحك فولف ثم قال : "إنها مجرد فكرة عاطفية سخيفة"

"أراها فكرة نبيلة" قال توم، فنظر إليه فولف بتمعن وهو يرتشف قهوته، ثم وضع الكوب جانبا، بشيء من الغلظة مما أحدث صوت قعقعة من ارتطام الكوب بالمائدة، ثم قال :

"ربما هي فكرة نبيلة يا سيد ناتسوورثي، لكنها لا تنتمي للداروينية البلدية"

"ماذا تعني؟"

"أعني أنني عشت على متن مورناو، ورأيت بنفسي كيف قيدت مدن التحرك العظيمة نفسها بقواعد ومحاذير تافهة" ثم إنه غرس شوكة الطعام في قطعة من السمك المدخن، ورفعها مشيرا بها لتوم، قبل أن يضعها في فمه "... لقد انتهت المدن الكبرى، وحتى لو فازوا في هذه الحرب، هل تظن أن مدن " تراكشيونستات" سوف تعود للصيد من جديد كما يجدر بمدن التحرك الحقيقية أن تفعل؟ بالطبع لا، حينها سيصيحون : أوه، لا يجدر بنا أن نصيد مدينة "بريمن" فقد وفرت لنا الغطاء اللازم أثناء الحرب... ليس حري بنا أن نطارد "فاجنهافن" الصغيرة بعد كل ما فعلته لنا خلال المعارك... وهكذا، ولهذا لا يمكنهم هزيمة مناهضي التحرك كما ترى، إنهم يصرون على مساعدة بعضهم البعض، وبمجرد أن تبدأ في مساعدة الآخرين أو الإعتماد عليهم، فإنك تتخلى بذلك عن حريتك. لقد نسيت تلك المدن القوانين الجميلة البسيطة التي ينبغي أن تبقى في قلب حضارتنا : "المدينة الكبيرة تطارد وتلتهم المدينة الأصغر". تلك هي الداروينية البلدية، التعبير الأمثل عن الطبيعة الحقيقية للعالم : البقاء للأقوى"

"ومع ذلك فأنتم جزء من هذا التحالف.." قال توم ".. أنتم تقاتلون في ذات الحرب"

"في الوقت الحالي، لأن هذا مناسب لنا، إذ ينبغي قبل أي شيء سحق العاصفة الخضراء، لكني لن أدع قومي ينسون ولو للحظة أننا أحرار، ولهذا نحن نصطاد بمفردنا ونلتهم كل ما يمكن لفكي الضاحية استيعابه"

بدا توم غير راض، وتمنت رين ألا يكون على وشك قول أي شيء آخر يثير حفيظة فولف، لكنه غمغم "إذن، فقد جعلت ضاحيتك "هاروبارو" لا تختلف كثيرا عن ضاحية للقراصنة"

إلا أن فولف لم يبد عليه الانزعاج، بل ضحك وقال : "شكرا لك يا هر ناتسوورثي! لطالما اعتبرت القرصنة أكثر أشكال الداروينية البلدية نقاءً!"

"لكنك تتولى منصب العمدة لذلك المكان بشكل مؤقت، أليس كذلك؟" سألته رين "... أعني، أنك وريث لحكم مورناو بالأساس..."

هز فولف كتفيه وهو يلتهم قطعة السمك، ثم قال "لن أخذ مكان والدي أبدا، حتى وإن توسل لي. ما الذي يحملني على تولي حكم مكان ممل مثقل بالتجار والنساء العجائز، بينما يمكنني أن أبقى هنا حرا، أمارس الصيد؟، هذه الضاحية ومثيلاتها هم المستقبل. حين يتم سحق مناهضي التحرك، وتُجْهِز المدن الكبرى على بعضها البعض، سوف ترث "هاروبارو" وأمثالها الأرض"

"آه!، حسناً، لم أفكر في الأمر على هذا النحو" قالتها رين متلعثمة. إنها تراه مخطئ تماما، لكنه بدا لها واثقا من نفسه لدرجة جعلتها تعجز عن التفكير في أي حجة تقارع بها حجته.

ضحك فولف من جديد، وقال : "آسف بشدة، ما كان يجب أن أتحدث في السياسة على مائدة الإفطار. إنني حتى لم أشرح لكما تفاصيل رحلتنا حتى الآن. سوف ننطلق في وقت قريب، عبر المنطقة الفاصلة، وإذا سار كل شيء على ما يرام فسوف نصل إلى حدود خطوط الدفاع الأمامية للعاصفة الخضراء بعد منتصف الليل. لقد وجدت مكانا مناسبا للإقلاع بالمنطاد دون أن يتم رصده. وإلى أن نبلغ ذلك الموضع أرجو أن تعتبرا نفسيكما في موطنكما، أنتما ضيفاي" قالها وهو يومئ برأسه وعيناه مثبتتان على رين. أما توم فقد راح يتساءل في داخله عما إذا كان لا يزال أمامه فرصة للانسحاب من تلك الرحلة، أو على الأقل ليجد عذرا ملائما لإعادة رين إلى مورناو، بعيدا عن ذلك الشاب الجذاب الخطر.

لكنه في ذات الوقت يريد أن يجعلها ترى لندن...

على أية حال، قد فات أوان التراجع، وعبر الجدران الرفيعة تناهى إليهم صوت

ألواح الدروع المفتوحة التي تغلف الضاحية، إذ تنغلق، وبدأ أزيز محركاتها في الارتفاع وقد عادت للعمل من جديد.

وهكذا، شرعت "هاروبارو" تزحف على طول قاع المسار، تزيد من سرعتها تدريجياً، بينما اندفعت مثاقبها نحو الأرض وراحت تحفر عميقا، إلى أن غاصت تحت الطين والأوحال وتحولت إلى مجرد كتلة متحركة غير مرئية، كجرذ يجري تحت بساط، شرقاً باتجاه الشمس المشرقة.

***

16. فيش كيك فوق قمة العالم

أتذكرون فيش كيك الصغير ومطارِده؟ حسناً، لم يعد الكثيرون يتذكرون شيئاً عنهما، صحيح أن موت "بريتل ستار" وسرقة المركبة "سبايدر بيبي" كانت بمثابة مفاجأة لبرايتون، لكن سرعان ما انخرط الصبية المفقودون في صراعاتهم الحامية فيما بينهم للاستيلاء على العبيد والمنازل، ومع توقف إطلاق النار في معركة " فرايس بييس"، لم يعد ثمة من يتذكر الأحداث الغريبة التي أفضت إلى كل تلك الاضطرابات.

وبعد بضعة أيام، اكتشفت إحدى البلدات الطوافة التي كانت تعبر شرق البحر الأوسط، أن كميات كبيرة من الوقود اختفت من خزاناتها؛ وادعى قبطان إحدى الغواصات التي كانت تتخذ سبيلها في الأعماق أنه رأى مركبة غريبة تسبح من فوقه وقد عكس ضوء الشمس في الأعلى ظلها بوضوح. لكن الرجل كان معروفا بأنه سكير، ولهذا لم يكترث الكثيرون بما قال، وحتى القلة الذين صدقوه هزوا رؤوسهم وقالوا أن الصبية المفقودين لا بد قد عادوا إلى سيرتهم الأولى كلصوص، وأن تلك المركبة هي لهم.

وهكذا، أبحرت "سبايدر بيبي" نحو الشمال إلى الشرق، ثم عبرت منطقة الصيد العظمى من خلال إحدى المسارات العميقة التي غمرتها مياه الفيضانات، وقد أخذت المركبة تتقافز فوق النتوءات التي تملأ المسار، بينما الأرض برمتها ترتج تحت ثقل المدن المتحركة. ثم تسللت عبر مستنقعات راست ووتر وشقت طريقها أخيرا وصولا إلى بحر خازاك. كان هذا البحر ساحة للمعارك قبل وقت ليس ببعيد، وقد امتلأ بالضواحي الغارقة والمناطيد التي سقطت به، ترقد جميعها فوق قاعه الطيني؛ وقد قام فيش كيك بسرقة خزانات الوقود الصدئة من تلك الضواحي والمناطيد، ثم توجه بالمركبة إلى حيث الشاطئ الصخري ل"الجزيرة السوداء" لإعادة شحن بطاريتها، ثم عاد بها من جديد إلى أعماق المياه متجها نحو الشرق.

كانت المركبة قد تجاوزت آخر الحدود المرسومة في خرائط الصبية المفقودين، قبل أسابيع، لكن المطارِد فانج كانت تملك في ذهنها خارطة واضحة لتلك المنطقة.

ومن وراء بحر خازاك امتد نهر واسع يجري نحو الأسفل من بين التلال الشرقية؛

وراح فيش كيك يتحرك بالمركبة وفقا لتوجيهات المطارد متتبعا مسار النهر، مرورا بالقواعد الجوية للعاصفة الخضراء، وتحت الجسور التي تنوء بحملها الثقيل من قوافل الشاحنات والقطارات المدرعة، فيما انتشرت الطوافات على طول النهر تحسبا لقيام أي من المدن بمحاولة التسلل إلى معاقل العاصفة عبر المياه باستخدام القوارب. لكن "سبايدر بيبي" انسلت من تحتهم جميعا، وعبرت أراضي العاصفة الخضراء كالشبح.

"لماذا لا تظهرين نفسك لهم؟... " سأل فيش كيك المطارد فانج، بينما كان ينظر عبر المنظار إلى حيث المدن الثابتة والمستوطنات والمزارع، واللافتات التي تحمل شعار الصاعقة الخضراء المميز لقوات العاصفة، ترفرف في ثقة فوق الحصون والمعابد، "إنهم قومك، أليس كذلك؟، وحين يعرفون أنك على قيد الحياة..."

"لقد خانوني.." قالتها المطارد بصوتها الشبيه بالفحيح، ".. لقد خذلني الفانون، إنهم يتبعون ناجا الآن، علي أن أعيد العالم أخضر من جديد دون عون منهم "

"لكني سأكون معك، أليس كذلك؟" سألها فيش كيك في قلق، "... يمكنني مساعدتك"

لم تحر المطارد جوابا. ولكن، في وقت لاحق، بينما كان يرقد قليلاً، استيقظ ليجدها تجلس إلى جواره. كانت "آنا" هي الحاضرة في تلك اللحظة، وقد راحت تمسد شعره بيدها الباردة، وتهمس : "إنك فتى طيب يا فيش كيك. أنا سعيدة بك. كنت أود لو يكون لي ابن، كنت سأحب أن أراه يكبر ويلعب... لم أرك تلعب من قبل يا فيش كيك، أتود أن تلعب لعبة؟"

احمر وجه فيش كيك خجلا، ودمدم : "لكني لا أعرف أية ألعاب. إنهم لم... في معقل اللصوص... أعني، لا أعرف كيف...."

"يا لك من مسكين يافيش كيك... ويا لـ"آنا" المسكينة"

هنا، ألقى فيش كيك بنفسه إلى حضنها، فجلس فوق ساقيها ولف ذراعيه حول جسدها المعدني، واضعا رأسه فوق صدرها الصلب، ينصت إلى أصوات الآلات الغريبة في داخلها، وهمس بهدوء "أمي"، فقط كي يتعرف على شكل تلك الكلمة ومذاقها في فمه. هو لا يتذكر أنه قالها يوما لأي أحد.... "أمي" قالها من جديد، وبكى.

أخذت المطارد تربت عليه وتمسح رأسه بيديها القاسيتين، ثم راحت تهدهده وتردد من بين شفتيها أغنية صينية قديمة للأطفال كانت آنا فانج تسمعها في طفولتها، منذ زمن بعيد، على مسارات الطيور.

وظل كلاهما على هذا الوضع إلى أن راح الصبي في النوم، ولم يستيقظ إلا حين عادت " المطارد فانج" لتتولى السيطرة على الجسد المعدني، و هبت من جلستها ليسقط فيش كيك أرضا ويستيقظ من غفوته.

وهكذا، راحت المركبة " سبايدر بيبي" تشق طريقها، تعبر أميال و أميال، تسبح تحت النهر، وتغوص في المستنقعات، ثم تفرد سيقانها المعدنية الثمانية لتسير عبر الوديان الخاوية، تشق طريقها نحو الشرق.

وذات ليلة، حين خرج فيش كيك إلى الأعلى ليتنفس بعض الهواء النقي، فوجئ بجبال شان جو تلتمع تحت ضوء القمر على طول الأفق الممتد أمامه، كابتسامة بيضاء عريضة....

كان النهر ضحلاً، مليئا بالصخور والأحجار التي جرفتها فيضانات الربيع من سفح التلال، وكانت " سبايدر بيبي" تتحرك فقط في جنح الظلام، تتلمس الطريق على ضوء النجوم، وتتخفى مع خيوط الفجر الأولى في الغابات الكثيفة بين أشجار الصنوبر والورد التي غطت ضفاف النهر. ومع اقترابهما من الوجهة المنشودة، وتحركهما البطيء نحوها، كان صبر المطارد فانج قد بدأ ينفد، وقد راحت تنصت في مقت وغضب- وقد أخرجت مخالبها - لأصوات مناطيد العاصفة الخضراء التي تمر فوق المركبة.

أما في الأوقات التي كانت تتحول فيها إلى "آنا"، كانت تستمتع بوجودهما بين الغابات والأشجار المتكاثفة، وفي أكثر من مرة أمسكت بيد فيش كيك وراحت تمضي به عبر الممرات الهادئة المفعمة برائحة الراتنج، بل وفي أحيان كثيرة كانت تتحول إلى فتاة طفولية مرحة وتبدأ في إلقاء أكواز الصنوبر التي تطالها عليه... "إننا نلعب.." هكذا كانت تهمس في مرح وإثارة بينما فيش كيك يجري من ورائها ويضحك في جزل ويلقي عليها أكواز الصنوبر بدوره.

"فيش كيك، هذا هو اللعب!"...

وكان الصبي يحب الأوقات التي تتحول فيها إلى "آنا" و ينتظرها باشتياق ليشعر بالحياة والسعادة والمرح، بينما كان يكره المطارد فانج، و"آنا" كذلك كانت تكرهها... "إنها تخيفني.." هكذا قالت له "آنا" ذات مرة ".. تلك الأخرى، إنها باردة شرسة، حين تحضر لا أستطيع حتى سماع أفكاري"

كذلك المطارد فانج، كانت تخشى "آنا" كثيرا بدورها، وفي كل مرة تستعيد السيطرة على جسد المطارد، كان أول سؤال تسأله دوما : "كم من الوقت استمر ذلك العطل ؟ ما الذي فعله ذلك "الخَلَل"؟ ماذا قالت؟". كان هذا هو اسم "آنا" بالنسبة للمطارد فانج : "الخَلَل"، "هذا الجزء في داخلي تالف تماما، إنني أحتاج إلى إصلاح".

"لا أعرف كيفية إصلاحه" هكذا كان يجيبها فيش كيك، "لا أعرف أي شيء عن أدمغة المطاردين". و لو كان يعرف لكان قد أقدم على تعطيل الجزء الخاص بالمطارد لتبقى "آنا" طوال الوقت، وحينها كانا سيأخذان الـ" سبايدر بيبي" و ينطلقان بعيدا إلى حيث الجبال الخاوية ليعيشا هناك سعداء، معا: الصبي المفقود الذي يتوق إلى أم، والمرأة الميتة التي كانت تتمنى لو كان لها إبن. لكنه كان يعلم جيدا أن ذلك الحلم لا يمكن له أن يصير حقيقة، وأنه إذا حاول مساعدة "الخَلَل" وعلمت المطارِد فانج بذلك فسوف تقتله لا محالة.

وهكذا توجه فيش كيك بالمركبة شرقا إلى الشمال متبعاً توجيهات المطارِد، عبر النهر الذي صار أكثر انحدارا وضيقا، إلى أن خرجت المركبة ذات ليلة إلى سطح المياه تحت شلال طويل، وهنا أدرك الصبي أن المركبة لا يمكنها المضي لأبعد من ذلك، فشعر بالارتياح. لكن المطارد فانج لم تستسلم أو تيأس ولو للحظة واحدة، إذ فوجئ بها تقول : "علينا أن نغادر المركبة ونكمل طريقنا سيرا"

"سيراً؟ إلى أين؟"

"إلى "أودين"، كي أتحدث إليه"

"وكم يبعد عن هنا؟"

"مائتان وأربعة وتسعون ميلا"

"لا يمكنني المشي كل تلك المسافة" صاح فيش كيك محتجاً

"فلتبق هنا إذن" قالتها المطارد، ثم غادرت المركبة دون كلمة أخرى، وشرعت تتلمس طريقها عبر المنحدرات الصخرية المبتلة بجوار الشلال. فهرع فيش كيك يملأ حقيبته ببعض المؤن، وانطلق وراءها، وحين تسلق سلم المركبة وخرج إلى الأعلى وجدها هناك تنتظره عند المنحدرات، وكانت لا تزال المطارد فانج، وقد بدا أنها ارتأت أن الصبي قد يكون ذو نفع لها. "توجد صومعة نُسَّاك في"زان شان".." قالتها المطارد ".. سوف نمضي إلى هناك".

كانت "زان شان" عبارة عن بركان ضخم شاهق الإرتفاع، و كان فيش كيك يقود المركبة عبر منحدراته السفلية لأيام دون أن يلحظ ذلك؛ كان ضخما لدرجة أنه بدا وكأن العالم برمته يشكل قاعدته، شاهقاً لدرجة أن قمته قد اخترقت السحب والغيوم وتوارت من فوقها. وعبر حقول الحمم البركانية كانت آثار المسارات الضيقة تمتد بمحاذاة الأضرحة التي انتشرت على طولها، تعلوها رايات الصلاة وقد راحت ترفرف وسط الرياح، حاملة صلوات وتضرعات البشر إلى عوالم آلهة السماء.

"هذا جبل مقدس" قالتها المطارد وقد تحولت إلى "آنا" من جديد، ثم انحنت ورفعت فيش كيك لتحمله بين يديها حيث كان الطريق شديد الانحدار شحيح الهواء، وقد كان الصبي على وشك السقوط من الإعياء.

وفي داخله تساءل فيش كيك: ترى لماذا عادت آنا الآن تحديدا؟ أهو صوت الرايات المرفرفة هو ما أيقظها؟.

"لا أحد يعلم كيف تكوَّن ذلك الجبل هنا..." قالت "آنا" "... ربما الآلهة هي من وضعته في هذا الموضع، ربما القدماء. شيء ما مزق الأرض واندفعت منه الدماء الحمراء الساخنة لتُكَوِّن "زان شان" وكل الجبال الفتية هنا، بينما حجب الرماد والدخان ضوء الشمس، واستمر الشتاء لعقود. ولكن الآن انظر كم هي جميلة"

"لكنكِ لا يمكنكِ رؤيتها"

"أنا أتذكرها، لقد كنت أحب تلك الجبال حين كنت على قيد الحياة. لكم هو جميل أن تعود إلى الوطن"

وبعد يوم وليلة، رأى فيش كيك أضواء أمامه تتلألأ عبر الغسق والثلوج المتساقطة، فاستأنفا المسير، حيث مرا بحقل به عدد من الماشية المشعرة تقف وقد

غطى الثلج ظهورها. ومن خلفها كان منزل صغير ذو سقف متدرج وقد التفت حوافه عند الأركان وكأنها ورق محترق.

كان المنزل مبنيا من الحجر البركاني الأسود المتساقط عند السفح، بينما صنعت أبواب النوافذ والشرفة ذات الأعمدة من الخشب المطلي باللون الأحمر والذهبي والأزرق، مما أعطاه مظهرا مبهجا. ومن بعيد جاء كلب وراح يتقافز مرحبا بالضيوف، لكنه ما إن شمَّ رائحة المطارد حتى انكمش على نفسه وراح يطلق أنينا.

"ما هذا المكان؟" همست آنا

"ألا تعرفيه؟!" سألها فيش كيك "أنت من جئت بنا إلى هنا"

"لم آت إلى تلك البقعة من قبل. فقط كنت أتتبع الطريق المرسوم في عقل الجانب الآخر مني، المطارد"

نظر فيش كيك إلى المنزل مفكرا، ثم قال : "لقد قالت المطارد أن هناك صومعة هنا وأن علينا أن نصل إليها. أتراه ما قصدته؟"

لكن آنا لم تكن تدري. وكان على الباب عينين ذهبيتين لدرء الشرور، وتوجه فيش كيك إليه وراح يطرق بقبضته الصغيرة فوق الألواح الخشبية بينهما، ثم توقف عن الطرق وقد سمع حركة من وراء الباب، ثم ساد الصمت، فطرق من جديد. وكان المساء قد حل وراحت غيومه تتشكل كأشباح تطل عليهما من الأعلى من فوق الجبل.

إنفتح الباب أخيراً، ومنه أطل شخص يرتدي رداءا أحمر من نسيج سميك، امرأة، ذات وجه داكن اللون وعينين كبيرتين غائرتين، أما شعرها فكان عبارة عن شعيرات قصيرة جدا تغطي جمجمتها.

"نحن في حاجة إلى طعام وماء.." قال فيش كيك، ".. رجاءً يا سيدتي"

إلا أن المرأة لم تكن تنظر إليه على الإطلاق، وإنما وقفت تحدق مشدوهة في المطارد، وقد راحت شفتاها تتحركان دون أن تصدر عنهما أي كلمات، بل مجرد أنين مكتوم، ثم إنها غطت وجهها بيسراها ثم يمناها، ليكتشف فيش كيك أن يدها اليمنى مبتورة وقد ثبت مكانها خطاف معدني لامع. "آنا؟.." أخيرا نطقت المرأة، ثم تراجعت

خطوة إلى الوراء، حيث الظلام داخل المنزل الصغير، و"...لا، أنت لست هي!.... لقد حاولتُ، حاولت كثيرا.. لكن، أنت لست..."

"ساذيا" همست المطارد وهي تمر من جوار فيش كيك نحو المرأة وقد مدت ذراعيها المعدنيين لتلفهما حول المرأة المرتعبة، فصرخ فيش كيك وقد حسب للحظة أن المطارد فانج قد عادت وأنها على وشك قتل المرأة، لكنه شعر بالارتياح حين رآها تعانقها فقط، ثم بدأ يشعر بشيء من الغيرة.

"ساذيا" همست آنا من جديد، وراحت تتحسس خطوط وجه المرأة بأصابعها المعدنية، ثم ".. لم أركِ منذ.. آه، منذ تلك الليلة في باتمونخ جومبا. الثلوج... النيران... و.. فالانتاين... أوه، ساذيا، لكم تقدمتِ في العمر!، و يدك، ما الذي حدث ليدك؟"

فنظرت ساذيا إليها، ثم إلى فيش كيك، ثم شهقت وفقدت وعيها لتسقط دون حراك فوق الأرض.

"لقد كانت صديقتي وتلميذتي.." قالت المطارد وهي تنحني لتحملها، وقد رفعت وجهها البرونزي الأعمى نحو فيش كيك، "ما الذي تفعله هنا؟ ما الذي حدث لها؟"

هز فيش كيك رأسه في توتر، إذ كيف له أن يعرف أي شيء عن تلك المرأة الناسكة ساكنة الصومعة؟!، المطارد هي من تعرفها وليس هو. ثم إنه قال : "علينا أن نحصل على بعض من الطعام ثم نذهب من هنا قبل أن تفيق"

"لا! علينا أن نساعدها! أريد أن أتحدث معها!"

"ولكن، ماذا إن حضر النصف الآخر منكِ؟ نصفك الآخر لن ترغب في الحديث، وإنما في القتل فقط..."

"إذن سيتعين عليك أن تراقب حضورها، فإذا شعرت بأنها على وشك الظهور، عليك حينها أن تحذر ساذيا. وعلى أية حال ربما لن تأتي على الإطلاق"

ثم إنها راحت تصفع وجه ساذيا كي تعيد إليها وعيها، وهي تقول : "الذكريات يا فيش كيك، كل أنواع الذكريات الجديدة هي ما تجعلني أزداد قوة. أستطيع أن أشعر بذلك. والآن، ساعدني، أين فراشها؟"

كان هذا السؤال سهل، فالصومعة كانت عبارة عن غرفة واحدة، وكان الفراش في

الركن البعيد منها، سرير كبير مغطى بالفراء والبطاطين، ومن تحته فجوة بها شعلة من نار وقودها روث الماشية.

وضعت آنا ساذيا فوق الفراش وبرفق قامت بتغطيتها. وكانت ساذيا قد بدأت تفيق تدريجيا، ثم إنها نظرت نحو "آنا"، وهمست : "آنا، أهذا أنت حقا؟"

"أعتقد ذلك"

"آنا، لقد كان كل هذا خطأي أنا..." قالتها ساذيا وقد بدأت تنتحب "كان ينبغي أن أدعك ترقدين في سلام، لكني لم أحتمل فكرة موتك، لذا عقدت صفقة مع " بوب جوي""

"ومن هو بوب جوي هذا؟" سألتها آنا

"مهندس، هو من قام بإعادتك. لقد وعدني بأنك سوف تستعيدين نفسك من جديد، لكنك لم تتذكريني، لم تتذكري أي شيء، بل قلتِ أنكِ لستِ آنا..."

"ششش..." همست آنا وهي تمسك بيد ساذيا وتضغطها على شفتيها البرونزيتين الباردتين، ".. لقد أعدتني يا ساذيا، حبك أعادني من جديد..."

"أوه.. أوه..." وبكت ساذيا من جديد و أخفت وجهها في البطانية، فيما وقف فيش كيك يتابعهما ويترقب عودة المطارد فانج. لكن آنا لم تتبدل، وبدأ الأمل ينتعش تدريجيا في الصبي أن يكون هذا اللقاء مع صديقتها القديمة قد منحها القوة لإبقاء المطارد فانج بعيدا إلى الأبد.

وقضى فيش كيك ليلته تلك نائما على الأرض وقد افترش البساط، مستشعرا الدفء المنبعث من موقد التدفئة، بينما أصوات ساذيا وآنا تدور من حوله إذ تتحدثان عن أماكن لم يزرها وأشخاص لم يقابلهم، ومن حين لآخر كانتا تتكلمان بلغات لا يعرفها.

ومرت بضعة ساعات، ثم استيقظ الصبي على ضوء شمس الصباح وصوت مضخة رتيب. فجلس قليلاً حيث هو وراح يفرك عينيه ليطرد النعاس منهما، ثم نهض وخرج من الصومعة.

كانت المطارد تجلس في الشرفة وقد أسندت ظهرها إلى حائط دافئ بفعل أشعة

الشمس، وراحت، بقناعها الأعمى، تتبع الأصوات التي كانت ساذيا تصدرها وهي تضغط على مقبض المضخة مرارا في الركن الآخر من المنزل؛ وقد بدا ذلك عملا شاقا بالنسبة لشخص بيد واحدة، لذا هرع فيش كيك نحوها ليعاونها. وحين انتهيا من ملء الدلو الجلدي الكبير، أمسك كل منهما بإحدى مقبضيه وحملاه إلى الداخل.

"لا بد أنك تتساءل عن الغرض من كل تلك المياه" قالت ساذيا ".. حسنا، إنها من أجل استحمامك"

أجفل فيش كيك وصاح معترضا، حتى أنه كاد يسقط الدلو من يده. إنه لم يستحم من قبل، ولا يجد سببا الآن لتغيير ما اعتاد عليه. لكن ساذيا والمطارد لم يقبلا منه أية أعذار، ومعا قامتا بخلع ملابسه المتسخة عنه وألقتا به في حوض الاستحمام الزنك الخاص بساذيا، وراحتا تسكبان الصابون على جسده وتدعكانه جيدا، ثم غسلتا شعره الملبد المتسخ.... إنه أسعد يوم في طفولة فيش كيك بأكملها، ولسوف يتذكره لبقية حياته.

مرت الساعات وارتفعت الشمس عاليا إلى وسط السماء لتبدد الغيوم، ومن حول منزلها النائي التمعت الأرض المكسوة بالثلوج النقية، ومن قمم الجبال المحيطة كانت نفحة من الريح الجليدية ترتفع إلى حيث السماء الماسية.

قامت ساذيا بغسل ملابس فيش كيك، وكانت قد أعطته بعض من ثيابها: سروال من القماش وقميص من الصوف، ليرتديها ريثما تجف ثيابه.

وفي الخارج توجه فيش كيك إلى حيث كومة من جذوع الأشجار قام سكان الوديان المحيطة بإحضارها كهدية لساكنة الصومعة، فسحب بعض منها وراح يقطعها بالفأس ويشقها من أجل ساذيا، ثم ساعدته آنا على حمل الجذوع التي قطعها ونقلها إلى خلف المنزل، وبعدها اصطحبته ساذيا إلى الحظيرة المسيجة، حيث توجد الماشية. وقد شعر فيش كيك بالخوف من تلك الكائنات الضخمة في بادئ الأمر، لكن ساذيا طمأنته وأكدت له أن تلك الحيوانات لطيفة جدا ولا داعي ليخشاها. فوقف يراقبها قليلا، وبالفعل بدأ يرى أنها لطيفة ومسالمة، بل ومضحكة كذلك، بآذانها السوداء المشعرة التي راحت تحركها لتبعد عنها الذباب، وألسنتها الوردية اللون التي كانت تلفها حول كميات القش التي راح يلقمها إياها.

وهكذا، راح فيش كيك يعاون ساذيا في شئون المزرعة، و يتابعها بينما تقوم هي بحلب الأبقار، ثم يحمل عنها السطل إلى حيث المنزل، وقد حرص على ألا تنسكب منه قطرة من الحليب.

وفي تلك الأثناء، توجهت آنا إلى حيث الساحة خلف المنزل وسحبت قطعة من الأخشاب، ثم أخرجت أحد مخالبها وراحت تنحت الخشب. وحين انتهت عادت إلى المنزل ودست القطعة المنحوتة في يد فيش كيك.... كانت عبارة عن حصان خشبي صغير ذو رأس مرفوع وذيل متطاير من خلفه.

"ما هذا؟" سألها فيش كيك وهو يقلبه بين يديه في دهشة.

"إنه لك.." قالت آنا ".. إنه لعبة لتلهو بها. لقد اعتاد والدي أن يصنع لي بعض الألعاب حين كنت طفلة صغيرة"

وقف فيش كيك يتأمل الحصان بين يديه... لو أنه كان طفلا عاديا لكانت لديه الكثير من الألعاب، ولأمضى ساعات ما بعد الظهيرة مستلقيا يصنع عوالمه الخاصة من دمى الحيوانات ومجسمات المدن، كبقية الأطفال... لو أنه عاش طفولة عادية لاعتبر نفسه الآن أكبر من أن يلعب بحصان خشبي صغير. لكنه لم يكن يوما كباقي الأطفال، بل كان من الصبية المفقودين، ولم يعرف معنى اللعب أو الألعاب.

وبكى فيش كيك، بكى، فقد كان الحصان بديعا بحق وقد أحبه بشدة وتعلق به...

وفي وقت لاحق، خرج هو وساذيا وسارا إلى حيث النهر، ذلك التيار الأبيض من المياه التي تجري من تحت جسر متهالك مصنوع من الخيزران، وصولا إلى الوديان المليئة بالأشجار. وراح الاثنان يمشيان الهوينى ويلقيان بالأحجار إلى مجرى النهر، بينما كلب ساذيا يتبعهما وقد أخذ ينبح ويتقافز. ووجد فيش كيك ساري قديم لإحدى رايات الصلاة، قد حملته المياه مع ذوبان الجليد في الربيع الماضي، من عند أحد الأضرحة في الأعلى في "زان شان"، فالتقطه وألقاه إلى النهر أيضا، ثم وقفا يتابعاه والمياه تحمله بعيدا. و كانت الشمس توشك على المغيب، وقد امتلأت الوديان بالظلال واستطال ظل الجبال الملتمعة كالكهرمان.

"يجب أن تبقى هنا يا فيش كيك" قالت ساذيا

"لا أستطيع.." أجابها الصبي، غير راغب حتى في مجرد التفكير في أمر رحيله، ".. المطارد..."

"هي أيضا يمكنها البقاء هنا"، ثم إنها نظرت بعيدا، إلى ما وراء الجبال، حيث ماضيها المضطرب، وتابعت "... بعدما فقدت يدي، تولت المطارد فانج زمام الأمور في " روجز رووست"، واستولت العاصفة الخضراء على السلطة. جن جنوني، ورحت أحاول إخبار الناس بأن تلك ليست "آنا" حقا، لكن أحدا لم ينصت لي؛ وأرادت العاصفة الخضراء حينها أن تقوم بإعدامي، إلا أن عدد من الضباط - وكان ناجا واحدا منهم - أشفقوا علي، وحالوا دون موتي، وقاموا بترتيب كل شيء بحيث تم نقلي لأحيا هنا. أظن أن المطارد فانج قد وقعت بنفسها على القرار، ولهذا عرفت مكاني واستطاعت أن تصل إلى هنا. أما الآخرون فأحسبهم قد نسوا أمري تماما الآن... أنا غير مسموح لي بمغادرة ذلك المكان أبدا، لكن سكان الوادي يعتنون بي جيدا، و كثيرا ما يحضرون إلي الحطب والعسل والشاي، وفي المقابل أتوجه أنا إلى زان شان إلى حيث الأضرحة كي أصلي إلى آلهة السماء والجبال من أجلهم"

"ولكن ألا تشعرين بالوحدة هنا؟" سألها فيش كيك

"بالطبع، ولكن رغم ذلك، فإن هذه الحياة هي أفضل بكثير مما أستحقه بعد كل الأشياء التي اقترفتها في شبابي.

بإمكانك البقاء هنا يا فيش كيك، سيكون لك مكان هنا، إلى أن تصير مستعدا للمضي قدما في حياتك، أو إلى أن تبلغ من العمر ما يؤهلك للانتقال إلى حيث القرى في الأسفل وتؤسس لحياتك الخاصة هناك... أنت لا زلت طفلاً صغيرا حالياً"

ثم إنهما آبا عائدين إلى المنزل، حيث كانت المطارد تقف في الخارج جامدة كتمثال، تتطلع نحو الجبال، وحين سمعت صوتهما يقتربان التفتت نحو مصدر الصوت وهمست : "يجب أن أذهب الآن"

"لا!" صاحت ساذيا، وكذلك فيش كيك : "لا!"، وقد شعر أن ذلك الوقت السعيد الهانئ الذي قضاه هذا اليوم على وشك توديعه. وفي داخله كان يتساءل في قلق عما إذا كانت المطارد فانج قد عادت من جديد، لكن "آنا" كانت لا تزال هي الحاضرة.

"لقد كنت أفكر.." قالت آنا في تؤدة "... ذلك المهندس الذي قام ببعثي، لا بد أنه لا

زال حيا، أليس كذلك؟"

"دكتور بوب جوي يحيا حياة هانئة الآن" قالت ساذيا بمرارة ".. لقد منحته العاصفة الخضراء فيلا خاصة به، تقع عند رأس الخليج في "باتمونخ جومبا""

"سوف أتوجه إلى هناك إذن، وسأطلب منه أن يفحص دماغي وأن يدمر ذلك الجزء الآخر مني، المطارد فانج لا يجب أن تبقى موجودة. من يدري ما الذي تخطط له!"

"هي ترغب في الحديث مع شخص ما يدعى "أودين"" قال فيش كيك "ولهذا أتت إلى هنا"

"ومن هو أودين؟" سألته آنا، ثم ".. أنا لا أثق بها وبما تخطط له؛ سوف أذهب إلى بوب جوي وسأجعله ينهي وجودها إلى الأبد، فإذا لم يستطع فسيكون عليه أن يدمرنا كلانا"

"أوه، "آنا"!" صاحت ساذيا في لوعة واندفعت نحوها لمعانقتها، لكن "آنا" تراجعت عنها، وهمست :

"لا يمكنني البقاء هنا... لو أن المطارد فانج عادت للسيطرة علي فربما تقوم بقتلك. ينبغي أن أغادر الآن، قبل أن تعود ذاتي الأخرى"

راحت ساذيا تبكي وتتوسل لآنا أن تبقى معها، لكن فيش كيك كان يعرف أنه لاجدوى من توسلاتها وأن آنا لن تغير رأيها؛ لقد قطع رحلة طويلة معها ويعرف جيدا أن شخصية "آنا" لا تقل عنادا عن المطارد فانج. فوقف في صمت، وراح يتحسس جيبه، قابضا على الحصان الخشبي الصغير الذي وضعه به، ثم قال :

"وأنا أيضا قادم معك"

"لا يا فيش كيك!" صاحت كلتا المرأتان في آن معا، المرأة الحية والأخرى الميتة، في تناغم مثالي. لكنه قال بلهجة تفيض بالإصرار :

"أنتِ في حاجة لي معك... وحتى ذاتك الأخرى، المطارد فانج، في حاجة لي. كم تبعد المسافة عن ذلك المكان، " باتمونخ جومبا" ؟ بضعة أميال سيرا على الأقدام على ما أحسب، لا يمكنك قطع كل تلك الرحلة وحدك وأنت فاقدة للبصر.."

وبرغم إصراره على مرافقتها، كان يتحدث باكيا، فهو لم يكن راغب أبدا في مغادرة ذلك المكان، لكنه كذلك لا يرغب أن تتركه المطارد ورائها وترحل. لهذا راح يتحدث، قابضا على حصانه بيده، محاولاً أن يبدو شجاعا قدر الإمكان... "أنا قادم معك"

***

17. موطن العاصفة

خيم المساء على الأرض القاحلة. وقد راحت "هاروبارو" تتحرك ببطء شرقا طوال اليوم، تتوقف أحيانا بلا حراك تحت الصخور اللينة حين تمر إحدى الدوريات الجوية في الأعلى، وتخرج إلى السطح في أحيان أخرى حين تكون السماء صافية، كي تتخلص من عوادمها، مطلِقة سحب من الدخان يتصاعد من فتحاتها بالقسم الخلفي منها.

لطالما كان السفر تحت الأرض داخل واحدة من تلك الضواحي المختبئة، واحدة من أكثر المغامرات إثارة، لكنها سرعان ما تصبح مملة حين تتحقق فعلياً.... هكذا راحت تفكر رين في ضجر بينما هي تسير بخفة عبر شوارع "هاروبارو" الملوثة الخانقة، بين مواطنيها الذين لم يكفوا عن التحديق فيها أثناء سيرها. و كانت تخشى أن تكون قصة شعرها وملابسها، التي جعلتها تبدو كامرأة بالغة عصرية في مورناو، قد جعلتها غريبة في أعين هؤلاء القوم الذين يحيون حياة الجحور.

والحق أنها كانت تفضل البقاء آمنة في مقر البلدية، لكن فولف كوبولد قد دعاها للانضمام إليه عند الجسر. وقد دعا والدها كذلك، لكن توم كان يشعر بأنه ليس على ما يرام، ولم تشأ رين أن يظن فولف أنهما لا يكترثان بدعوته أو يقدرونها، فقررت أن تذهب بمفردها . وهكذا، ها هي تمر عبر النوافذ الزجاجية لـ"ديلفرز أرمز" ثم تنعطف يسارا إلى حيث شارع " بيربنديكيولار" حيث الدَّرَج المؤدي إلى عمق الضاحية.

كان الجسر عبارة عن بناء متحرك يمتد عبر ساحات "هاروبارو"، ذو عجلات ضخمة مشحمة عند طرفيه، تجري على قضبان، بحيث يمكن تحريك الجسر إلى الأمام نحو فكي الضاحية لمتابعة عمليات الصيد والافتراس، أو إلى الخلف للإشراف على العمال، وقد تدلت منه مجموعة من السلاسل تتأرجح مع حركة الضاحية.

وعند أسفل الدَّرَج المؤدي إلى الجسر، جلس رجلان في نوبة حراسة؛ وقد هب أحدهما يعترض طريق رين حين همت بالتحرك عبره، إلا أن زميله قال : "مهلاً، دعها، إنها فتاة جلالته"

"أنا لست فتاة أي أحد" صاحت رين معترضة، لكنهما لم يسمعاها، فقد كان صوت انجراف الصخور وانسحاقها على بدن الضاحية يصم الآذان. كذلك كان شيئاً ما في

الوجهين القاسيين لجامعي المخلفات هذين ما جعل صوت رين يخرج ضعيفا وطفوليا. وقد شعرت بأعينهما تتفرس فيها بينما تتخذ طريقها عبر الدَّرَج، وسمعت أحدهما يصيح بشيء ما للآخر ثم ضحكا.

"رين!" صاح فولف بسعادة حين ظهرت أمامه عبر الفتحة الأرضية المؤدية إلى الجسر، ثم وقفت لاهثة، ومذهولة، وهي تتطلع من حولها نحو كل تلك الرافعات والمقابض ومفاتيح التشغيل، وصفوف المؤشرات والمقاييس، و أنابيب التحدث ونقل الصوت التي تتدلى كالهوابط من السقف المعدني المنخفض.

نهض فولف من على كرسيه الدوار وتقدم ليحييها، وتنحى جانبا بخفة ليفسح الطريق لـ" هوسدورفر" وعدد من الملاحين الذين كانوا يهرعون من أمامه حاملين خرائط ملفوفة، أو أوامر ما لغرف المحركات...

"سعيد أنكِ استطعتِ النزول إلى هنا. كيف حال السيد ناتسوورثي؟"

"بخير... إنه يحظى الآن ببعض النوم بعد العشاء، على ما أتمنى". وقد كان والدها يشعر بأنه ليس على ما يرام منذ أن جاء إلى متن تلك الضاحية، وقد بدا شاحبا وواهنا، ولهذا فقد شددت عليه قبل أن تخرج بأن يخلد إلى النوم والراحة، لكنها كانت تعرف والدها جيدا، وكانت تدرك أنه، على الأرجح، يجلس الآن في مكتبة فولف، يعكف على دراسة الخرائط والرسوم البيانية لمسار الرحلة.

أخذها فولف من ذراعها وقال : "أنت تشعرين بالقلق عليه"

"أعتقد أن جو "هاروبارو" حار وخانق بالنسبة له" قالت رين، ولم تشأ أن تخبره بمشكلة أبيها الصحية الخاصة بالقلب، فأبيها لا يدخر جهدا في إقناع كل من حوله، وإقناع نفسه كذلك، بأنه بخير، وقد شعرت رين أنها ستكون بمثابة خيانة له إن هي أخبرت فولف بوضعه الصحي، لذا اكتفت بأن قالت وهي تبتسم : "سوف يكون على ما يرام"

"جميل".

ثم إنه قادها إلى مكان بالقرب من كرسيه، إلى حيث أداة نحاسية كبيرة مغطاة بالمقابض والرافعات تتدلى عبر السقف، وفي الجزء السفلي منها منظار، فقربه فولف

إليها حتى وصل إلى المستوى الملائم لها كي يتسنى لها النظر عبره.

"أعتقد أنكِ ستودين رؤية ذلك المنظر" قالها فولف

وكانت رين قد نست أن هناك شيء يسمى "منظر"!، فقد كانت الساعات على متن "هاروبارو" تمضي ببطء شديد، حتى خيل لها أن أياما قد مضت عليها منذ رأت السماء أو الأرض. لكن ها هي الآن، وبمجرد أن نظرت عبر عدستي المنظار، قد رأتهما من جديد. حيث بدت السماء شديدة الزرقة، صافية تقريبا، يزينها هلال لامع في الأعالي، يطل على الأرض حيث جدران الخنادق العميقة التي خلفتها مسارات المدن، وقد اكتست بالعشب. وكانت "هاروبارو" تمر عبر إحدى تلك المسارات.

"أين نحن؟" سألته رين

"بالقرب من موطن العاصفة" أجاب فولف

"إذن لماذا لا أرى حصونا أو قلاع، ولا حتى مستوطنات؟"

فضحك فولف، ثم قال : "، لم يعد لدى العاصفة الخضراء ما يكفي من القوات لحماية الأراضي الجديدة التي تحتلها، لذا فقد اكتفوا بإقامة أبراج مراقبة مدرعة هنا كل بضعة أميال، بالإضافة إلى بعض الدوريات الجوية يطلقونها من حين لآخر"

"إذن فسوف يكون من السهل العبور بالجيني هانيفر؟"

"غاية في السهولة . لقد قمت بإجراء بعض التحويلات التي ستبقي نقاط المراقبة الخاصة بالعاصفة الخضراء مشغولة"

قطبت رين جبينها في قلق، إنه لم يذكر أي شيء عن إجراء أي تحويلات حين كانوا يضعون خطة الرحلة على متن مورناو. لكن و قبل أن تتمكن من سؤاله عما يعنيه، جاء " هوسدورفر" وأخذ يتحدث هو وفولف باللغة الألمانية، ثم بعد بضع كلمات ابتسم الفتى ابتسامة عريضة وهو يضرب على كتف الرجل، فيما راح الأخير يلقي الأوامر عبر أنابيب التحدث، بلغة لم تستطع رين تمييزها.. أتراها السلافية ؟... الروما ؟...

وبعد لحظات بدأت الضاحية تهتز وترتجف وتغير مسارها.

"حين نتحرك ببطء على هذا النحو..." قال فولف موجها حديثه لرين وهو يخبط على كتفها، وكان لا يزال مبتسم ابتسامته العريضة، وقد بدا مستمتعا "..أقوم بإرسال فريق لاستطلاع الأجواء أمامنا، وقد عاد بعضهم للتو وأبلغونا أننا بتنا تقريبا عند خطوط العاصفة الخضراء. يجب أن تحضري والدك الآن، سوف نتحرك خلال ساعة"

كانت مسارات لندن العميقة، التي مر عليها الآن عشرين عاما، عند حدود العاصفة الخضراء، مفعمة بالطين والرمال والحجارة وبقايا الحديد وبطاريات الصواريخ...

قبل الآن بحوالي عشرة أعوام، حاولت مجموعة من الضواحي الحصادة المرور عبر تلك المسارات، لكنها لم تلبث أن تحولت إلى أنقاض، وتم أخذ بقايا هياكلها المقلوبة المترعة بثقوب الرصاص والقنابل التي انهالت عليها، لتتحول في النهاية إلى جزء من التحصينات الحدودية، وقد كتبت عليها الشعارات الغاضبة للعاصفة الخضراء : أوقفوا المدن!.. لنجعل العالم أخضر من جديد... سنطهر الأرض بدماء الهمجيين المتحركين!

وفي بطارية الصواريخ الكائنة بالمسار رقم 16، خُيلَ لواحدة من الجنود أنها سمعت هدير محركات أرضية، فذهبت تستطلع الأمر عند الحاجز، لكنها لم تجد شيئاً غير طبيعي. وكانت دوريات الاستطلاع هذا الصباح قد أكدت أن جميع الهمجيين ملتزمون بأماكنهم لم يبرحوها. فقالت لنفسها أن صوت المحركات هذا ربما يعود لإحدى مركبات العاصفة الخضراء تنقل مجموعة من الجنود إلى أحد مواقع الاستطلاع في المنطقة الخالية بين الجبهتين. ثم عادت الجندية إلى الداخل متأففة - وكان المسار 16 قد تحول مع الوقت إلى مجرى للصرف - حيث كان طبق من المكرونة الساخنة ينتظرها، وموقد للتدفئة يبعث الحرارة، وبضعة رسائل من عائلتها في "زان سكار".

كان توم راقدا في فراشه يحلم بلندن، حين دخلت عليه رين لتوقظه... كان في حلمه قد وصل بالفعل إلى موقع حطام مدينته، وغمرته سعادة عارمة حين وجدها ليست بالسوء والدمار الذي حسبها عليه، بل كان كل ما تغير بها أن الطبقة الثانية باتت مفتوحة إلى السماء تغمر الشمس شوارعها في "بلومزبري"، وكانت "كليتي بوتس" واقفة هناك تنتظره عند الدرجات المؤدية إلى المتحف... "لماذا انتظرت كل هذا الوقت كي تعود إلى الوطن؟" سألته وهي تمد يدها لتمسك بيده.

"لا أعلم"

"حسناً، ها أنت هنا الآن"، ثم راحت تقوده عبر الأجواء المألوفة، حيث هياكل الديناصورات في القاعة الرئيسة بالمتحف، برؤوسها العملاقة وقد التفتت نحوه تتطلع إليه وتصدر أصوات تحية له.

"الآن يمكنك قضاء بقية حياتك هنا" قالت كليتي، فنظر نحوها، ومن خلفها رأى انعكاسه على إحدى ألواح القصدير القديمة المعلقة في واحدة من خزانات العرض، ليجد نفسه وقد عاد شابا صحيح البدن، وليس ذلك المتقدم في السن المريض الذي أمسى عليه.

"أبي؟" صاحت كليتي!، ليجدها وقد تحولت إلى رين، فاستيقظ على مضض، وسط الظلام الخانق لـ"هاروبارو"، ومد يده يتحسس بحثا عن أقراص دوائه الخضراء.

"هل أنت بخير؟" سألته رين، "لقد وصلنا إلى الخط الفاصل تقريبا. فولف يقول أن علينا الاستعداد.."

شعر توم بتحسن طفيف لمجرد التفكير في أنهم على وشك مغادرة هذا المكان، كذلك ساعده ذكرى حلمه الجميل هذا على مزيد من التحسن، فنهض وارتدى ملابسه سريعاً ولحق برين إلى حيث المستودع بالقرب من مؤخرة الضاحية، حيث كان الجيني هانيفر في الانتظار.

وكان فولف هو الآخر في انتظارهما هناك : "ضعا أغراضكما على متن المنطاد واستعدا للتحرك بمجرد عودتي"

"إلى أين أنت ذاهب؟" سأله توم وقد فوجئ بأنهم لن يقلعوا فورا.

"إلى الجسر، نحن لم نعبر الخط بعد يا سيد ناتسوورثي. لقد أعددت خطة لإلهاء قوات العاصفة وصرف انتباههم بعيدا عنا ريثما نعبر المنطقة"

ثم إنه غادر مسرعا عبر إحدى شوارع "هاروبارو" الضيقة، فيما راح توم ورين ينقلان أغراضهما وحقائبهما إلى زورق المنطاد، ثم خرجا إلى المستودع ووقفا متجاورين في انتظار عودة فولف، وسط الضوضاء والصخب الدائر في المستودع.

وفجأة، عادت محركات الضاحية للعمل وازداد صوتها ارتفاعا حتى باتت وكأنها

تصرخ، وتشبثت رين بذراع والدها، بينما الضاحية تندفع نحو الأمام، وصاحت :

"ما الذي يحدث؟"

ولم يكن توم يعرف على وجه اليقين، إلا أن كل شيء كان ينبئ بأن الضاحية تندفع بسرعة رهيبة. وكانت جميع محركاتها، سواء الأساسية أو الفرعية، تعمل الآن بأقصى سرعتها، وراحت "هاروبارو" تجري على طول المسار متجهة لأعلى، لتتقوس التربة والنباتات من فوقها أثناء صعودها إلى السطح، أمام أعين جنود العاصفة الخضراء المذهولين، الذين راحوا يطلقون وابل من الصواريخ، لتتفجر على الدروع الصلبة للضاحية دون أن تصبها بأي ضرر.

ومع تقدم "هاروبارو"، راحت الحواجز ونقاط التحصين وقاذفات الصواريخ تتطاير، بينما الضاحية تخترق الحدود الأمامية لأراضي العاصفة.

ومن الضاحية انفتحت عدة منافذ لتخرج منها فرق من جامعي المخلفات الشرسين، حاملين بنادق وسكاكين، واندفعوا نحو الجنود المتمركزين في نقاط التحصين، الذين راحوا يهرعون في ذعر إلى مخابئهم. بينما اندفعت الضاحية نفسها جانبا محطمة جدران المسار، لتنهار أحد أبراج المراقبة.

وبعد لحظات، ركض فولف عائدا إلى المستودع وهو يصيح : "هيا، هيا" وراح يصدر أوامره بلغة الروما " الغجر" وبالألمانية للرجال المنتظرين بجوار أبواب المستودع، فاندفعوا نحو المقابض النحاسية وشرعوا يفتحون الأبواب، لتندفع روائح اليابسة الرطبة والبارود من الخارج، ونظر توم ورين إلى بعضهما البعض متسائلين في حيرة عما يجري في الخارج.

وفي الخارج، حيث الوهج الأحمر للحرائق المنتشرة في كل حدب وصوب، دارت المعركة المستعرة عبر الجدران المتهدمة للمسار، بينما "هاروبارو" لا تزال تتقدم على طريقها، ولهذا فقد كان المشهد الدائر يمر سريعا أمام من هم بداخلها، ومع ذلك كان يمكنهم رؤية كتل الثكنات المُدمَرة والأسلاك الشائكة المتشابكة كشبكة العنكبوت قبالة النيران، والملامح الخارجية للأجساد المتقاتلة بين الطين، ووميض إطلاق النيران، وشرر تقارع السيوف، والانهيارات...

"إلى متن المنطاد، فورا" صرخ فولف وهو يدفع رين على سلم الجيني هانيفر،

تصرخ، وتشبثت رين بذراع والدها، بينما الضاحية تندفع نحو الأمام، وصاحت :

"ما الذي يحدث؟"

ولم يكن توم يعرف على وجه اليقين، إلا أن كل شيء كان ينبئ بأن الضاحية تندفع بسرعة رهيبة. وكانت جميع محركاتها، سواء الأساسية أو الفرعية، تعمل الآن بأقصى سرعتها، وراحت "هاروبارو" تجري على طول المسار متجهة لأعلى، لتتقوس التربة والنباتات من فوقها أثناء صعودها إلى السطح، أمام أعين جنود العاصفة الخضراء المذهولين، الذين راحوا يطلقون وابل من الصواريخ، لتتفجر على الدروع الصلبة للضاحية دون أن تصبها بأي ضرر.

ومع تقدم "هاروبارو"، راحت الحواجز ونقاط التحصين وقاذفات الصواريخ تتطاير، بينما الضاحية تخترق الحدود الأمامية لأراضي العاصفة.

ومن الضاحية انفتحت عدة منافذ لتخرج منها فرق من جامعي المخلفات الشرسين، حاملين بنادق وسكاكين، واندفعوا نحو الجنود المتمركزين في نقاط التحصين، الذين راحوا يهرعون في ذعر إلى مخابئهم. بينما اندفعت الضاحية نفسها جانبا محطمة جدران المسار، لتنهار أحد أبراج المراقبة.

وبعد لحظات، ركض فولف عائدا إلى المستودع وهو يصيح : "هيا، هيا" وراح يصدر أوامره بلغة الروما " الغجر" وبالألمانية للرجال المنتظرين بجوار أبواب المستودع، فاندفعوا نحو المقابض النحاسية وشرعوا يفتحون الأبواب، لتندفع روائح اليابسة الرطبة والبارود من الخارج، ونظر توم ورين إلى بعضهما البعض متسائلين في حيرة عما يجري في الخارج.

وفي الخارج، حيث الوهج الأحمر للحرائق المنتشرة في كل حدب وصوب، دارت المعركة المستعرة عبر الجدران المتهدمة للمسار، بينما "هاروبارو" لا تزال تتقدم على طريقها، ولهذا فقد كان المشهد الدائر يمر سريعا أمام من هم بداخلها، ومع ذلك كان يمكنهم رؤية كتل التكنات المُدمَرة والأسلاك الشائكة المتشابكة كشبكة العنكبوت قبالة النيران، والملامح الخارجية للأجساد المتقاتلة بين الطين، ووميض إطلاق النيران، وشرر تقارع السيوف، والانهيارات...

"إلى متن المنطاد، فورا" صرخ فولف وهو يدفع رين على سلم الجيني هانيفر،

"ينبغي أن ننطلق قبل وصول التعزيزات الحربية"

"كل هذا فقط كي تغطي عبورنا للحدود؟" صاح توم "أنت لم تقل أنك ستفعل ذلك..."

"لقد قلت أنني سأدبر طريق العبور، ولم أقل كيف. حسبتك فهمت أنه لا بد من إثارة بعض الاضطرابات كي نتمكن من ذلك"

"لكن الهدنة..." صاحت رين

"الهدنة ستستمر، هم لا يعرفون أننا ننتمي لتحالف "تراكشيونستات"."

"وماذا عن كل هؤلاء المساكين.."

"هؤلاء ليسوا بشرا.." قالها فولف وهو يستحثها على الإسراع إلى داخل المنطاد، مبتسما ابتسامته العريضة، وكأنما رقة مشاعرها أضحكته، "... هؤلاء طحلبيون، مناهضو التحرك، لقد اختاروا العيش كالحيوانات على الأرض اليابسة، والآن سيموتون كالحيوانات..."

انعطفت "هاروبارو" يمينا، فيما كانت مؤخرتها وأبواب المستودع المفتوحة تشيران جهة الشرق من موطن العاصفة. وانكب توم على لوحة التحكم، فيما راحت يداه تتحركان بسرعة عبر المقابض والرافعات، وشعرت رين بمحركات المنطاد إذ تعود للحياة، إلا أن صوت محركات "هاروبارو" و المعركة الدائرة في الخارج قد طغوا على صوت محركات المنطاد.

انطلقت بضع رصاصات على إطار بوابات المستودع، لكن معظم دفاعات العاصفة الخضراء كان قد تم القضاء عليها.

"هيا، انطلق، الآن" صاح فولف في توم وهو يلكزه بقوة بين كتفيه، فنظر توم لرين، ثم أمسك بأذرع التحكم وقام بتحرير المنطاد من مشابك الإرساء، وبسرعة بدأ الجيني هانيفر في الارتفاع، ثم اتخذ وجهته للأمام عبر بوابة المستودع، ثم شرقا عبر المسار المفعم بالدخان.

تركت رين مكانها وانطلقت نحو المقصورة الخلفية، وعبر النافذة الطويلة ألقت نظرة أخيرة على "هاروبارو" التي كانت في تلك اللحظة تسحق حصنا آخر من

حصون العاصفة، قبل أن تغوص من جديد إلى أعماق المسار متجهة نحو الغرب.

وانطلق الجيني هانيفر يحلق عاليا، بينما أغصان الأشجار في أرضية المسار تخدش عارضته. ثم سرعان ما تلاشى وهج الحرائق وتوارى خلف الضباب، ولم يعد ثمة صوت سوى الصوت المألوف لمحركات المنطاد.

"أراهن أن أي من هؤلاء الطحلبيين لم يلاحظنا" قالها فولف، فأجفلت رين وقد فوجئت به يقف وراءها، وحين التفتت نحوه وجدته يبتسم لها بلطف.

"وحتى إذا لاحظونا، فلا بد أن رجالي قد قتلوهم الآن. سوف يقوم " هوسدورفر" بدك عدد آخر من دفاعاتهم ثم يعود أدراجه قبل أن تصلهم التعزيزات. وسوف تحسب العاصفة الخضراء أن تلك مجرد واحدة من بلدات جامعي المخلفات الجشعة، بلدة صغيرة جائعة للمعادن ودماء الطحلبيين، ولن يبحثوا عنا"

"أنت لم تقل لنا أن أي من ذلك سيحدث..." قالتها رين بجفاء "قلت أن عبورنا للحدود الفاصلة سيكون يسيرا، ولم تذكر أي شيء عن وقوع معارك"

"لقد كان ذلك يسيرا بالفعل، أنت لا تعرفين شكل المعارك الحقيقية وما تكون عليه أيتها الملاحة الجوية"

لم تعلق رين، و مضت من أمامه عائدة إلى مقصورة القيادة، حيث كان توم يراقب الأفق عبر النوافذ الأمامية الكبيرة، لكن لم يكن ثمة شيء سوى الضباب، ومن حين لآخر كانت إحدى التكوينات الأرضية أو الصخرية عند جدران المسار، الذي كانوا لا يزالون يحلقون عبره، تتداعى، وحينها كان توم يقوم بتعديل المسار بشكل بسيط ملتفا من حول الجزء المنهار بحنكة.

وقد حسدته رين على وجود شيء يشغله ويركز تفكيره عليه، أما هي فكان كل ما يركز على تفكيرها الآن هو المعركة التي دارت والأشخاص الذين رأتهم يتقاتلون، وقد غمرها شعور بالذنب لكونها جزء من ذلك كله. ولكن لم يكن شعور الذنب فقط ما يسيطر عليها، بل الخوف كذلك، الخوف الذي راح يتفاقم بداخلها، برغم ما قاله فولف، فقد كانت واثقة من أن العاصفة الخضراء سوف تعرف أن ال"جيني هانيفر" قد اخترق حدودهم، وفي أية لحظة سوف تفاجأ بصواريخ أو طيور مطاردة تخرج لهم من بين الضباب لتهاجمهم، وسوف يكون هذا آخر ما تراه.

"أنا آسف" قالها توم، وقد بدا صوته مضطربا بائسا، مثلها تماما.

".. حين قال أنه يعرف مكانا يمكننا العبور منه حسبت أن..." قالت رين ".. كيف استطاع الإتيان على فعل كهذا؟ كل هؤلاء البشر الذين ماتوا!.."

"إنها الحرب يا رين" قال توم ".. وفولف في النهاية هو جندي مقاتل"

"الأمر يتجاوز ذلك يا أبي، أحسبه يستمتع بالأمر"

"بعض الناس يحبون ذلك بالفعل" قالها، وكان قد رأى كيف التمعت عينا فولف حين بدأت المعركة، إنه نفس البريق الذي رآه في عيني هيستير في تلك الليلة في "وعاء الفلفل" حين قتلت حراس "شكين".

ثم إنه قال لابنته "إن لفولف بعض الأفكار الغريبة، لكنه عاش حياة غريبة كذلك، إنه لا يزال يافعا ولم يعرف في حياته سوى الحرب. لكني أحسبه شاب يتمتع بالرقي مقارنة بتلك الحياة هناك تحت الأرض"

"لا بد أن يكون عميقا جدا تحت الأرض كي يبدو كذلك"

إبتسم توم، ثم تابع : "لقد كنت أعرف رجلا يدعى "كريسلر بيفي"، عمدة قرصان، يترأس ضاحية شرسة ك"هاروبارو"، لكنه كان يتوق لأن يصبح رجلا راقيا، فولف على النقيض منه، إنه شاب راق يتوق لأن يصير قرصانا، لكن رغم ذلك يوجد جانب طيب فيه، لقد عاملنا جيدا، أليس كذلك؟، والآن بعدما صار بعيدا عن ضاحيته ربما يظهر هذا الجانب من جديد"

أومأت رين بحذر، وكأنما تتمنى لو تقتنع بما يقول والدها. وكذلك توم، تمنى في داخله لو أنه هو نفسه يقتنع بما يقول. لقد بات على يقين الآن أنه قد أخطأ يوم قبل عرض فولف، وراح يفكر في ابنته وما قد يحدث لها إن هو أصابه مكروه خلال تلك الرحلة، هو لا يريد تركها وحيدة مع فولف كوبولد.

ولكن، ما أن حلق الجيني هانيفر، وانطلق ميلا بعد ميل، دون أن يصيبهم مكروه أو تظهر أية صواريخ أو طيور مطاردة باتجاههم، حتى بدأ يشعر بالأمل من جديد، وراح يسترجع إحساس السلام الذي غمره في حلمه بمتحف لندن. هو لم يرق له ما فعله كوبولد، لكنهم على الأقل قد انطلقوا في طريقهم الآن.

ومن موضع ما عبر الأفق، من وراء تلك السهول المظلمة، كان يشعر بلندن إذ تجذب الجيني هانيفر وركابه نحوها، كنجم مظلم.

***

18. ذاك الحطام الهائل

وبعد بضعة ساعات بدأت الغيوم تنقشع قليلاً، ولأول مرة منذ بدأت الرحلة تتمكن رين من رؤية المناظر الطبيعية التي يحلقون فوقها - أو بالأحرى بينها - بشكل واضح، إذ كان توم لا يزال يطير على ارتفاع منخفض قدر الإمكان محاولاً إخفاء المنطاد بين جنبات الممرات العميقة لمسار لندن القديم والتكوينات الطينية الجافة التي تكونت فيه.

وعلى امتداد بصر رين، كانت الأرض حولها لا تختلف كثيرا عن السهول التي كانت المدن تعبرها في الطرف الآخر من الخط الفاصل. وكانت العاصفة الخضراء قد أفرغت السهوب الشرقية من المدن المتحركة، لكنها لم تبن بعد مستوطناتها الخاصة.

ومن حين لآخر كانت الأضواء البعيدة لبعض الحصون أو المزارع تتبدى من خلال الشقوق في جدران المسار، تلمع من بعيد عبر الأرض التي نمت فوقها الأعشاب المتشابكة، لكن لم يكن ثمة مناطيد تحلق هناك.

كان مسار لندن الرئيس يتجه مباشرة نحو الشرق، وقد امتد بعرض مئتي قدم وعمق مماثل - كباقي مسارات المدينة الأشبه بالخنادق - وقد قام توم بتوجيه منطاده على طول المسار وانطلق عبره طوال اليوم، إلى أن بدأت الشمس في المغيب، فقرر الهبوط به والإنتظار لحين ساعات النهار .

وفي وقت لاحق، وبينما كانت رين وفولف يجلسان في صمت على سطح المنطاد، فيما ذهب توم ليأخذ قسطا من الراحة، نظرت رين إلى السماء ورأت عشرات من مناطيد العاصفة الخضراء تمر من فوقهم على إرتفاع عال جدا، متجهين غربا. ثم تناهى إلى مسامعها الصوت الرتيب لأجنحة سرب من الطيور المطاردة يتجه غربا هو الآخر، فأشارت لفولف نحوهم، لكنه قال : "لا داعي للقلق، إنها مجرد تحركات روتينية للقوات"

وبقدر ما كانت غاضبة منه في الليلة الماضية، إلا أنها كانت تشعر بسعادة الآن لوجوده معهم، كانت سعيدة بثقته العسكرية ويقينه بصدد تلك الأمور. ومع ابتعادهم عن هاروبارو، بدا لها أكثر لينا و رقة، مثلما قال أبوها، حتى صوته وتعبيرات وجهه صارت أكثر رهافة ولطفا، وحين طلبت منه رين أن يفعل شيئا ما، أطاع دون تردد،

وكأنه بذلك يقر ضمنيا أنها، على متن جيني هانيفر، هي الخبير والقائد.

وكان فولف مصيبا بشأن الطيور المطاردة، إذ لم يقترب أي منهم أو يهبط إلى إرتفاع منخفض بما يمكنه من رؤية المنطاد.

ثم عاد الجيني هانيفر للتحليق من جديد، ومر اليوم التالي على ذات المنوال، بإستثناء أن توم حط بالمنطاد بالقرب من بركة ماء عميقة صافية، فخرجت رين لتسبح فيها قليلاً.

كان الماء باردا، وعلى صفحته تلألأت الإنعكاسات الضوئية، فإستلقت رين على ظهرها فوق الماء وراحت تطفو، وشعرت بلباس السباحة الخاص بها ينتفخ ويطفو من حولها، فأغمضت عينيها وراحت تستمع إلى الصمت؛ وفي تلك اللحظات بدت لها حياتها القديمة، في فينلاند، وعلى متن برايتون، بعيدة جدا.

فجأة سقطت بعض الحجارة من الجدارالصخري للمسار إلى الماء محدثة حلقات متداخلة بإتجاهها، ففتحت عينيها ونظرت نحو الأعلى لتجد فولف هناك يتسلق بين الأشجار المنبثقة من الجدار، وقد رأى رين فلوح لها وقال : "أنا فقط ألقي نظرة"

سبحت رين سريعا إلى الشاطئ الصخري وبسرعة بدلت ملابسها خلف المنطاد، وقد حرصت على أن يكون بينها وبين فولف كي لا يراها، ثم خرجت إليه وهي ترتجف والماء يتساقط من شعرها، لكنها لم تجده حيث تركته، وحينما تسلقت المنحدر إلى أعلى الممر، وجدته هناك مستلقيا فوق حافة مكسوة بالعشب، يحدق من خلال منظار صغير عبر أراضي العاصفة.

"ما الذي تراه؟"

"لا شيء ذي بال"

ثم إنه ناولها المنظار فنظرت عبره جنوبا، حيث كان سهل ذو عشب بني يمتد بإتجاه تلال زرقاء بعيدة، فيما انتشرت مجموعة من توربينات الرياح السخيفة المنظر، وقد راحت تدور في ضوء الشمس فوق مستوطنة ثابتة صغيرة. و إلى أقصى الشرق، كان ثمّة شيء يتحرك، وقد حسبته للوهلة الأولى مدينة طويلة منخفضة الإرتفاع، ثم أدركت بعد حين أنه لا يمكن أن يكون كذلك...

"قطار إمدادات..." قال فولف "إنه يتجه غربا محملا بالمؤن لجيوش العاصفة. لقد مدوا خطوط للسكك الحديدية على طول الطريق من جبال " شان جو" وحتى "راست ووتر". هكذا استطعتُ العودة من لندن إلى موطني، مختبئاً داخل إحدى عربات الشحن دون أن أخشى افتضاح أمر وجودي، فغالبية تلك القطارات لا يعمل بها بشر"

"ولا حتى السائق؟" سألته رين وهي تتأمل القاطرة الكهربائية السوداء التي تتقدم القطار، وكانت عبارة عن كتلة حديدية سوداء دون نوافذ، أشبه ما تكون بثور ضخم.

"المحرك هو نفسه سائق القطار، المطارِد " مارك 11 X"، من صنع " بوب جوي". إنه مزود بعقل بشري لواحد من المنشقين البؤساء أو ربما لجندي أسير قامت العاصفة الخضراء باستخدام دماغه وإعادة إحياء مخه وتحويله إلى محرك للقطار... إنهم لا يستحقون أي تعاطف يا رين، هؤلاء الطحلبيون لا يستحقون أي تعاطف، إنهم متوحشون حقا، ولا يمكن للحياة أن تحتملنا معا، إما نحن أو هم"

وقد فهمت رين أنه يلمح بحديثه لما وقع في تلك الليلة في معركة تغطية الاقلاع، ربما كان يقصد تقديم نوع من الاعتذار، أو ربما هي محاولة منه لتبرير ما جرى؛ وراحت من جانبها تحاول التفكير في رد مناسب، لكنها لم تجد.

"انظري.." قال فولف ".. إنه يبطئ سرعته الآن"، ثم أخذ منها المنظار ووضعه أمام عينيه، ".. لا بد أن هناك جسر أو نقطة ضعيفة في القضبان هناك. سيكون هذا ذا نفع لنا في حال احتجنا للفرار على متنه"

"ماذا تقصد بذلك؟"

فابتسم فولف نحوها ثم قال "أعني أنه إذا حدث أي شيء لمنطادك فسوف نضطر للعودة إلى الوطن سيرا على الأقدام، ولكن إذا تمكنا حينها من التسلل إلى متن تلك القطارات فسوف يوفر علينا ذلك أسابيع من السير"

فأومأت رين دون أن تعلق على كلامه، وقد أدركت أنه يحاول إخافتها نوعا ما أو زعزعة استقرارها النفسي، لكنها قررت ألا تسمح له بذلك؛ ثم إنها قالت بعد حين وهي تشير إلى موضع عند القضبان : "انظر، الأشجار قريبة جدا من مسار القطار هناك عند تلك البقعة، يمكن الاختباء هناك عند الحاجة لحين وصول القطار"

فضحك فولف في سعادة وقد بدا أنه سُر لشجاعتها، ثم قال "أنتِ تروقين لي يا رين، لا توجد فتاة في مورناو كلها يمكن أن تقدم على القيام بمثل تلك الرحلة وتبقي على هدوئها وثباتها هكذا. أنتِ... كيف يمكن أن أقولها؟.... تتمتعين بدم بارد"

"لا بد أنني ورثته عن أمي"

(لقد اقتربنا) قالها توم وهو يعيد تشغيل المحركات في تلك الليلة، وكانت رين قد توجهت إلى المقصورة الخلفية لتحظى ببعض النوم، أما فولف فقد بقي في المقصورة الرئيسية يقطعها جيئة و ذهابا، ومن حين لآخر كان يتوقف محدقا عبر النوافذ الأمامية في الظلام الممتد أمامه، منتظرا بفارغ الصبر اللحظة التي ينظر فيها ليجد لندن وقد بدأت تلوح في الأفق.

"نحن قريبون منها ..." قالها فولف بصوت خافت، وكأنه يقولها لنفسه، "بتنا قريبين جدا الآن"

واستمر المنطاد في رحلته عبر السماء، وقد أيقظت أصوات محركاته الطيور في مرتين، فأجفلت وأخذت ترفرف حول المنطاد، ترتطم أجنحتها بزجاج نوافذه، فأجفل توم هو الآخر مرتعبا، حتى أنه صرخ في المرة الثانية، فهرع فولف إليه يستطلع الأمر.

"لا بأس، كل شيء على ما يرام.." قالها توم في خجل، ".. إنها مجرد طيور عادية. كنت قد دخلت في قتال مع سرب من الطيور المطاردة قبل سنوات بعيدة، ومنذ ذلك الحين صرت أتوتر بشدة من الطيور"

"أنت رجل شجاع يا سيد ناتسوورثي" قالها فولف متنفسا الصعداء.

"شجاع؟!.." قالها توم ضاحكا "انظر إلي، إنني أرتجف كورقة!"

"حتى الرجال الشجعان يشعرون بالخوف، لكن الأشياء التي فعلتها والمغامرات الرائعة التي خضتها في شبابك، والتي روت لي بعض منها، تثبت أنك شجاع"

"لم تبد تلك المغامرات رائعة أبدا في حينها، لقد كنت أرتجف هلعا في معظمها. الحظ فقط هو ماكان يبقيني على قيد الحياة بعدها.. في كل مرة حاولت فيها فعل شيء، كانت الأمور تسير على نحو خاطئ"

واستمرت الرحلة، وبعد بضعة ساعات عادت رين لتتولى القيادة مكان أبيها ريثما ينال قسطاً من الراحة، فترك لها مقعده وتوجه نحو ماكينة صنع القهوة وقام بتشغيلها، ثم توجه نحو فولف، الذي كان قد غفا أخيرا على مقعده بجوار النافذة، و هزه برفق ليوقظه : "أتريد بعض القهوة؟"

"كم الساعة الآن؟..." سأله الفتى مقطباً "... هل بلغنا منطقة الأنقاض؟"

"ليس بعد"

"أبي.." صاحت رين من مقعد القيادة "أبي، إنظر!"

فهرع توم إليها، وقد نسي أمر القهوة تماما، ووقف بجوارها، ومال قليلاً فوق لوحة التحكم ليلقي نظرة عبر النوافذ الأمامية.

كانت السماء شاحبة، وقد بدأت الخيوط الأولى للفجر تتبدى من وراء الجبال البعيدة؛ وعلى مسافة أقرب، كانت كتلة سوداء بلا نوافذ جاثمة تسد الطريق عبر خندق المسار. وللحظة تساءل توم مذعورا عما إذا كانت العاصفة الخضراء قد أقامت حصنا لها هنا لحراسة أطلال لندن.

"إنها عجلة" قال فولف في انبهار وهو يتطلع إلى المشهد أمامهم من فوق كتف رين.

ثم قامت رين بسحب رافعة التوجيه إلى الوراء، فارتفع المنطاد، وبدأ في التحليق متجاوزا تلك الكتلة، و أدرك توم أن الفتى كان على صواب. كانت الكتلة متآكلة وقد كستها الحشائش، لكنها كانت بلا شك واحدة من عجلات لندن. ومن ورائها امتدت منطقة العراء الموحلة وقد تناثرت عبرها المزيد من الأشكال الداكنة، أو بالأحرى المزيد من العجلات والمحاور الملتوية، وكتل معدنية منصهرة غريبة الشكل، كانت جميعها قد تطايرت عبر اليابسة من المدينة المنفجرة.

وكانت آثار المسارات تمتد عبر ذلك كله، كطرق تم تدميرها، تؤدي جميعا إلى جبل من الخردة والأنقاض، بدأت ملامحه تلوح لهم أخيراً من بين الضباب.

حبس توم أنفاسه، وفي مخيلته تداعت عليه ذكريات آخر مرة رأى فيها لندن.. محطمة... مشتعلة... دمرتها الانفجارات، في ذاك الصباح عقب انفجار الميدوسا.

وكانت هيستير معه حينها، وانطلقا على غير هدى على متن الجيني هانيفر بعيدا عن مشهد المدينة المحتضرة، وراحت تقدم له العزاء والسلوى وتساعده على تجاوز آلام ما حل بموطنه. والآن، ها هو ذا يرى أنقاض مدينته من جديد.

"هل نهبط هنا؟" سألته رين، ففرك توم عينيه سريعا ثم نظر نحو فولف، فقال الأخير:

"ليس بعد، هذا ليس سوى الطرف الشرقي من الأنقاض، ولا يوجد شيء هنا سوى بعض العجلات والجنازير وبقايا بضعة ضواحي محترقة جاءت إلى هنا بحثا عن مخلفات، فقامت جماعة مناهضي التحرك بقصفهم بالقنابل"

"أو ربما انفجرت بفعل الأشباح.." قالتها رين ممازحة، ثم ندمت على قولها هذا، فقصص الأشباح السخيفة تلك التي سمعتها في "موونز" ورأتها مثيرة للضحك حينها، لم تعد تبد كذلك على الإطلاق الآن، هنا في ذلك الموضع.

ومضى المنطاد يحلق عبر أجواء حطام لندن التي لفها الصمت، وعلى جانبي المنطاد كانت أنقاض المدينة تتبدى خاوية على عروشها: مبان متداعية ذات نوافذ متكسرة خاوية تقبع في الظلام كأسطول من سفن تسكنها الأشباح.

"حسنا، سوف نتوجه ناحية الشرق قليلا" قال توم

وبعد حين بدأ المشهد من تحت الجيني هانيفر يتبدل سريعا إذ كان المنطاد قد بلغ منطقة الأنقاض الرئيسة، حيث الأرض مغطاة تماما بركام من الخردة والحطام، وكذلك بقايا ضاحية محترقة كانت لندن تتغذى عليها في أحشائها حين وقعت الكارثة، فتفحمت هي الأخرى وتحولت عجلاتها ومجموعة من محركاتها إلى كتلة منصهرة داخل الخراب الأكبر للمدينة؛ فيما برزت الأشجار النامية من بين شقوق أعمدة طبقة سطح المدينة.

وأمام الحطام المكدس كتل مدبب القمة، رصد توم مساحة خاوية مسطحة، شبه مغطاة بالألواح المتدلية، فحلق من حوله متفقدًا إياه، ثم، وبحرص وتؤدة، هبط بالمنطاد في تلك البقعة بين الظلال.

"يا إلهي!" همست رين بمجرد أن استقر المنطاد وأطفأ توم المحركات

وساد الصمت.

فتح فولف كوبولد فتحة الخروج فانبعث الهواء البارد الرطب ورائحة الأرض المبتلة تفعم الزورق.

"لا أحد في الجوار..." قال فولف ".. لا أحد في استقبالنا.."

وكان توم في تلك اللحظة يشعر بقلبه إذ يتقافز بين ضلوعه، فراح يجاهد لتهدئة نفسه قليلاً، لكن دون جدوى، فقام بابتلاع إحدى أقراص الدواء خضراء اللون الخاصة به خلسة، ثم تحجج بانشغاله بإرساء المنطاد وتأمينه وإغلاق وحدات محركاته وتغطيته بالغطاء التمويهي الذي أحضره معه من مورناو و....، فقط كي يبقى قليلاً داخل المنطاد لحين يستعيد السيطرة على انفعالاته،

فيما خرج رين وفولف إلى الخارج سريعاً.

وكان المنطاد أكبر من أن يتم إخفائه بالكامل تحت ذلك الغطاء، لكن لحسن الحظ كان الموضع الذي أخفى فيه توم منطاده أسفل الألواح المتدلية، بالإضافة إلى الشبكة التمويهية خاصته، كافيان تماما لإخفائه عن المناطيد المارة أو الطيور المطاردة.

وهكذا، جمع ثلاثتهم الأغراض التي سيحتاجونها : الحقائب القماشية، المصابيح، البندقية القديمة التي لم يستخدمها توم مطلقا من قبل وكان يحتفظ بها في الخزانة فوق مقعد القيادة.

وفي الخارج كانت السماء تتحول إلى اللون الرمادي، وأضواء النجوم تتلاشى مع بزوغ الفجر . وجلس توم ورين يحتسيان بعض الشاي، فيما أخذ فولف رشفة من مشروب أقوى من قارورته.

"ربما من الأفضل أن تبقي هنا يا رين، داخل المنطاد" قال توم ".. على الأقل لحين نلقي نظرة ونتفقد الأجواء من حولنا.."

"علينا أن نبقى معا" قالها فولف بحزم، ولم يعترض أحد.. فهم الآن على الأرض من جديد وليسوا في السماء، أي أنهم عادوا إلى عالمه الذي يعرفه جيدا؛ وهكذا اتخذ فولف موقع القيادة، وراح يتقدمهما حاملاً مصباحا يدويا في يد ومسدسه في اليد الأخرى، وتبعه توم وابنته، وسار ثلاثتهم الواحد وراء الآخر تحت ظلال المدينة

المفقودة.

كان الصمت التام يلف الأجواء من حولهم في البداية، صمت رهيب، مريع، كصمت القبور، لا يقطعه سوى صوت خطواتهم. لا بد وأن حقول القمر البيضاء في الأعالي بهذا السكون.. هكذا راح توم يفكر وهو يتلمس طريقه.

ولكن، تدريجياً، ومع تقدمهم عبر الممرات الضيقة بين الحطام، بدأت تتناهى إلى مسامع توم أصوات خافتة : قطرات ماء متساقطة.. حفيف قطعة من ستارة ترفرف في إحدى النوافذ الخاوية.. قشور من الصدأ تحتك ببعضها البعض بين تجاويف الحطام.

"لا يوجد أحد هنا" دمدم فولف

"كيف هو شعورك الآن يا أبي وقد عدت إلى موطنك من جديد؟"

"شعور غريب.." أجابها توم وقد توقف وانحنى نحو لافتة معدنية متغضنة تقبع بين القطع الصدئة تحت أقدامهم، وراح يمرر أصابعه فوقها متتبعا الاسم المألوف لواحد من شوارع لندن : [طريق فينشلي - الطبقة الرابعة.] ..."أشعر بالغرابة، والحزن"

"صمتا..!" هتف فولف على حين غرة ووقف في مكانه، ومسدسه في يده، وطفق يجول ببصره من حولهم، فقال له توم :

"لو أن ثمة أحد هنا فلا بد أنهم سمعوا صوت محركات الجيني هانيفر حين هبطنا... لا بد أنهم يعرفون بوجودنا الآن، أتمنى أن يظهروا أنفسهم لنا..."

ومن مكان ما وسط الخرائب صاح طائر، فيما راح الوافدون الثلاثة يستأنفون مسيرهم باتجاه الشرق، وقد وضعوا النظرات الواقية على أعينهم اتقاءً لوهج الشمس التي كانت قد أشرقت وراحت تنشر نورها البرتقالي الضارب إلى الحمرة.

كانت مناطق الحطام تبدو كبيرة من نوافذ المنطاد، أما على الأرض فقد كانت شاسعة بحق. لقد كانت لندن بلد كبير مختلف تماما عن تلك الخرائب، بل كانت تبدو كجزيرة جبلية وسط اليابسة، تنتصب قممها المركزية على ارتفاع عدة مئات من الأقدام. وكانت أجزاء من الحطام لا تزال تحمل ملامح من المدينة، إذ كانت لا تزال هناك شوارع كاملة بمبانيها الخاوية، و صف من المحلات المقلوبة رأسا على عقب،

بعضها لا تزال لافتته مثبتة فوق بابه. إلا أن هذا لم يكن هو الحال في كل أرجاء المدينة، فقد دُمِرت بعض الأقسام عن بكرة أبيها وأمسى كل شيء فيها ملتويا منعجنا في بعضه البعض من أثر الانفجار، لدرجة يصعب معها تحديد ما كان عليه سابقا قبل "الميدوسا".

ومن بين أكوام الحطام الصدئة، استطاع توم أن يميز نوعا فرعيا من الحطام : جثث الضواحي، وتذكر ما سمعه في مورناو حول ضواحي جامعي المخلفات التي توجهت إلى بقايا لندن عقب الانفجار لتقتنص ما تيسر لها من مخلفات وحطام المدينة، ولم تعد من هناك أبدا، حيث قامت" جماعة مناهضة التحرك" بقصفهم.

ومع ذلك، فقد كان ثمة شيء مختلف في تلك الضواحي التي أمامه، فقد كانت ترقد بين أعماق الأنقاض، وكان فكي بعضها لا يزال قابضا على بعض من كتل الخردة التي كانت تلتهمها حين قضت. كذلك لم تكن هناك أي آثار لانفجار قنابل أو صواريخ على جسمها، وكأن تلك الضواحي قد انصهرت، ولهذا لم تخرج أبدا من خرائب مدينته.

وعند قمة منخفضة نوعا، وقف توم وصاح بصوت عال : "مرحبا..!"

"ششششش..." همس فولف وراح يتلفت من حوله

"صه يا أبي.." همست رين بدورها "سوف يسمعك أحدهم"

"أوليس هذا ما نريد؟" قال توم " أو لم نأت إلى هنا للعثور على أناس، إن كان ثمة أحدهم هنا؟ وأنت يا فولف، لقد قلت بنفسك أنهم لم يكونوا عدوانيين..."

ثم إنه كور كفيه حول فمه وصاح من جديد : "مرحبا...."

وراح الصدى يتردد بندائه عبر الخرائب إلى أن اختفى، ومع تلاشيه سمعوا صوت صفير، لكنه كان صادر من مجرد طائر آخر.

كان الطريق يقود عبر واد ظليل بين الأطلال الصدئة، ثم إلى حيث ضوء الشمس من جديد، وكانت أعمدة دعم الطبقة والجسور المحطمة وبقايا ألواح طبقة السطح ممتزجة جميعها معا، وقد انصهرت و اسودت بفعل الحرارة الرهيبة التي نتجت عن الانفجار. ومر المسافرون الثلاثة عبر مجموعة مشتجنة من الحبال المعدنية الصدئة

يبلغ طولها ستة بوصات، كبعوض يتسلل عبر وعاء من الإسباجيتي. ومن وراء مجموعة الحبال كانت إحدى صفائح ألواح طبقة السطح متقوسة فوق الطريق، و بينما هم يمرون أسفلها شعرت رين بحركة فوقها، فنظرت لأعلى، لكنها لم تجد شيئا سوى طائر آخر، طائر عادي وليس من الطيور المطاردة، وقد راح يرفرف بجناحيه ثم انطلق يحلق نحو الأعلى عبر الصهد المتصاعد بفعل حرارة الشمس المسلطة فوق الحطام المعدنية.

وراح الجمع يمضي قدما، عبر الظلال الباردة لألواح الطبقة المتقوسة ثم إلى ضوء الشمس من جديد.

وفجأة انطلقت صرخات وعواء من خلفهم، ثم راحت تتردد حولهم في كل مكان، فأطلق فولف سبة بينما تشبثت رين بذراع والدها. ومن الأطلال المنحدرة والأنقاض الصدئة بجوار الممر، خرجت مجموعات من الأشخاص، ذوي ثياب رثة، فيما نزل بعض آخر من مخابئهم بين الألواح متأرجحين بالحبال.

رفع فولف مسدسه مصوبا إياه نحو واحد منهم، إلا أن توم صرخ فيه "لا، لا تفعل!" واندفع نحوه متشبثا بذراعه، فأخطأت الطلقة هدفها وانطلقت بعيدا، وقبل أن يتمكن من إطلاق النار مجددا، كان قد حوصر بعدد من الشباب رثي المظهر يحملون في أياديهم أسلحة صنعوها يدويا، وأخذوا يصرخون جميعا في صوت واحد :

"ارفعوا أياديكم!..."..

"لا تتحركوا.."

"ألقوا بأسلحتكم.."

وكان بعض منهم يضع ريشا في شعره، وقد رسموا خطوطا من الطين على وجوههم كعلامات الحرب. ومن بين الجمع قفزت فتاة ترتدي معطفاً مطاطياً أبيض متسخ واندفعت نحو رين مصوبة قوسا وسهما باتجاهها.

منذ مغادرتها أنكوراج، واجهت رين جميع أنواع الأسلحة، بدءا من المسدسات الغازية القديمة للصبية المفقودين، وصولا إلى المدافع الرشاشة اللامعة، وكانت تعرف جيدا أنه لا يوجد ما هو أكثر إزعاجا وإثارة للرعب من أن تصبح حياة المرء معلقة

في يد شخص آخر و رهنا لإرادته، خاصة إذا كان هذا الشخص لا يعرفه، بل ويظهر العدائية تجاهه، و بإمكانه أن ينهي حياته في لحظة واحدة بمجرد الضغط على الزناد.

رفعت رين يديها لأعلى وابتسمت في وهن للفتاة ذات القوس، على أمل ألا تقدم على إطلاق سهمها. أما توم فقد راح يحاول التأكيد لآسريهم أنه لندني وأنه متدرب من الدرجة الثالثة في عصبة المؤرخين، لكنهم لم يكترثوا لما يقول، وقام أحدهم بانتزاع مسدس فولف من يده وصوبه نحوه.

كان فولف يغلي من الغضب والخزي لكونه وقع أسيرا على هذا النحو، وهو ما بدا جلياً على ملامحه لدرجة أن رين شعرت بالإشفاق عليه وتمنت لو كان بوسعها قول أي شيء له للتخفيف عنه؛ فذلك لم يكن خطأه على أية حال، لكنها كذلك كانت مسرورة لأن والدها تمكن من منعه من قتل أي من هؤلاء.

تقدم الرجل الذي بدا أنه قائد هذا الهجوم، وراح يتطلع بشك نحو رين؛ كان أكبر المجموعة سناً، قصير، ممتلئ، ذو شعر رمادي قصير ووشم فوق قصبة أنفه على شكل بوصلة خضراء صغيرة. وقد شعرت رين أنه خائف منها نوعا، مما جعلها تشعر بزهو خفي، خاصة وأنهم محاطون بعشرات الشباب المدججين بالسلاح، يتسيدهم الرجل بنفسه. وكان الرجل يحمل بندقية هو الآخر، بندقية غريبة الشكل، مغطاة بأسلاك وأنابيب، ذات شكل أسطواني مسطح من الزنك، حيث يفترض أن تكون ماسورة الإطلاق.

"حسناً أيتها الشابة..." قالها الرجل بصعوبة "... ما هو إمك؟ (7)، وماذا تفعلون في لندن؟"

فرفعت رين وجهها نحوه بشموخ محاولة أن تظهر بمظهر الشخص الواثق اللا مبالي، وقالت : "لقد جئنا لنقابل كليتي بوتس"

"ماذا؟" قالها الرجل وقد بدا متفاجئا "أنت تعرفين كليتي؟"

"هذا الرجل يصر على أنه من لندن يا سيد "جاراموند"" صاح واحد من الفتية الذين أمسكوا بتوم.

“هراء!” قالها الرجل وهو ينظر إلى رين من جديد، ويعض على شفته السفلى مفكرا فيما ينبغي عمله بصدد هؤلاء الدخلاء. ثم إنه قال أخيرا :

“حسناً، قيدوا أيدي هؤلاء الأسرى. سوف نأخذهم إلى العمدة”

***

---

(7) - يقصد اسمك

19. طريق هولواي

بأياد موثقة، استأنف المسافرون الثلاثة رحلتهم عبر خرائب لندن، محاطين من كل جانب بشباب لندن الشرسين. ولم يتجه بهم آسروهم شرقا كما توقعوا، إلى حيث قلب الأنقاض، بل أخذوهم شمالاً. أما الفتاة ذات القوس فقد مشت بجوار رين تحرسها، وأشارت بقوسها نحو المرتفعات المركزية وقالت بلهجة مشوهة : "يوجد الكثير هناك، وهناك أيضا، ليس سيئا، إذا وصلتم المسير فسوف ينتهي بكم المطاف في "الممر الكهربائي" أيها المقرفون!"

ولم يكن لدى رين أدنى فكرة عما تتحدث عنه تلك الفتاة أو ما تعنيه، وقد همت بسؤالها، لكنها لم تكد تفتح فمها حتى صرخ ذلك المدعو "جاراموند" بغضب : "صمتاً، "آنجي بيبودي"، توقفي عن التودد لجامعي المخلفات! "

"أنا لا أتودد لأحد" صاحت الفتاة في سخط

"نحن لسنا من جامعي المخلفات، " قالها توم بأدب "نحن ببساطة.."

"صمتاً" صاح جاراموند من جديد رافعاً كفه، كمعلم يأمر تلاميذه لفرض النظام في صفه الدراسي.

وكان الرجل، جاراموند، يعلق إلى عنقه آلة صغيرة غريبة الشكل، تحوي العديد من الهوائيات، يعلوها شيء يشبه المقياس، وقد راح ينظر إليه عابساً، ثم صاح فجأة : "شبح!... الجميع إلى الأسفل!"

فأطاعه أتباعه على الفور وانبطحوا أرضا في الوحل، وجذبوا توم ورين وفولف إلى الأسفل معهم.

كان هناك صوت طنين خافت في البداية، ثم أخذ يزداد علوا بسرعة، حتى صار يصم الآذان، ثم انفجرت سحابة ضخمة من البرق عبر فجوة بين كومتين عاليتين من الألواح المنصهرة.

"ما كان هذا؟" صاحت رين وهي تلهث وتفرك عينيها من أثر الضوء الشديد، بينما الفتاة ذات القوس تساعدها على النهوض على قدميها.

"طاقة عالقة من الميدوسا..." قالها أحد حراس توم بمرح ".. نحن نطلق عليها "الأشباح"، ذلك الإنفجار بسيط مقارنة بالانفجارات العارمة التي إعتدنا عليها. فيما مضى، كانت لندن برمتها ساخنة...."

"صمتاً، يا " ويل هالسوورث"" صاح السيد جاراموند وهو يشير للجمع كي يواصلوا المسير، ونظر هالسوورث نحو رين وعبث بوجهه بطريقة صبيانية كتلميذ مشاغب، مما جعل رين تبتسم، وفي قرارتها أدركت أنها قد سبق ووقعت في أسر من هم أسوأ بكثير من هؤلاء اللندنيين.

كان الطريق الذي يسلكوه يتجه بعيدا عن قلب الأنقاض، وقد مروا بأكثر من منطقة خالية تقريبا من أي حطام، بل كانت عبارة عن مساحات واسعة من الأرض المزروعة. كذلك من حين لآخر كانوا يمرون بواحدة من طواحين الهواء المعدنية تقف بين أكوام من الحطام، كزهرة عباد شمس صدئة.

ثم إنهم نزلوا إلى واد واسع على شكل حرف V، كانت جدرانه عبارة عن مبان متهدمة خاوية، وأرضه الموحلة تمتد عميقا في الظلال. وفي الأعلى، حيث نظرت رين، كانت السماء تتوارى خلف مجموعة كثيفة من فروع الأشجار وشبكة معقدة من الحبال استخدمت لربط الجذوع الميتة وقطع من الخرق البالية إلى بعضها البعض فيما يشبه السقف، منه انسربت بعض أشعة الشمس لتشكل نقاط من الضوء إنعكست فوق منطاد يرسو في قاع الوادي.

"الاركيوبتركس!.." صاح توم وقد ميز ملامح المركبة الجميلة التي شاهدها تحلق من إيرهيفن.

"هذا هو المكان الذي يخفونه فيه إذن.." قالها فولف من بين أسنانه، ولم يستطع أن يخفي تأثره، وكان قد بدأ ينسى أسره المهين وراح يتطلع إلى المنطاد في فضول و إثارة مثل رفيقيه.

ثم إنهم مضوا قدما من جوار المنطاد، و صف من الصهاريج وخزانات الوقود وغاز الرفع، إلى أن وصلوا أخيراً إلى نقطة حراسة صغيرة ذات كراس ممزقة، وقد علقت على جدرانها المعدنية صور من بعض منازل وإطلالات لندن القديمة.

كان الوادي ينتهي عند جرف من المعدن، وأصدر جاراموند أوامره للجميع بالدخول

إلى نفق بدا أنه يقود إلى أسفله.

كان النفق كامل الاستدارة، وهو ما أدهش توم في البداية، لكن ما إن أضاء الفتية مصابيحهم حتى أدرك أنه عبارة عن واحدة من قنوات الهواء الضخمة القديمة التي تلتف كالثعابين عبر أنقاض مدينته. وعلى أرضية القناة / النفق تم تثبيت قضبان معدنية استقرت فوقها عربتان خشبيتان، وفوق رءوسهم، على الجدران المتقعرة، ثبتت لوحة معدنية قديمة تلتمع في ضوء المصابيح. وكانت اللافتة مأخوذة أصلا من إحدى محطات مصاعد المدينة، وقد نُقِش عليها حلقة حمراء عريضة في منتصف مربع أبيض، يقطعها شريط أزرق عمودي كتب فوقه بحروف بيضاء اسم المكان : طريق هولواي.

"هكذا ننقل الحمولة الثقيلة من المنطاد إلى داخل لندن" همست الفتاة ذات القوس بجوار رين، "آنجي"، ".. وبهذا لا يكون بوسع طيور الطحلبيين المتلصصة أن ترانا.. نحن نسميه "طريق الأنبوب""

"هكذا إذن، هولو - واي، الطريق المجوف..." قالت رين وهي تقرأ الاسم على اللافتة مرة أخرى، ".. أوه، يا له من أمر طريف"

"أنت تسخرين منا إذن، أليس كذلك؟"

ثم إنهم تابعوا السير عبر طريق هولواي لنحو ميل أو أكثر، على ضوء المصابيح أحيانا، أو في نور أشعة الشمس التي كانت تتسرب من بين ثقوب في جسم القناة القديمة. كان الطريق متعرجا، وكذلك كانت أرضيته شديدة الانحدار في أكثر من موضع مع نزول الطريق إلى جوف الأرض، و مرتفعة في مواضع أخرى مع خروجه إلى حيث منطقة أخرى من الحطام. وعلى الأرض بين القضبان كان الغبار كثيفا لدرجة أن آثار أقدام الجمع كانت تنطبع عليه.

وعند نهاية الأنبوب الضخم، كان هناك مجموعة أخرى من العربات الخشبية والحواجز.

إلى أن خرجوا إلى ضوء النهار من جديد، ليجدوا أمامهم ممرا من الألواح المعدنية يمر بين تلين منحدرين من الخردة من ورائهما امتدت مساحة مفتوحة خالية من الأنقاض. وراح توم يتلفت من حوله متأملا المكان العجيب... كانت بعض الأجزاء

المرتفعة من الأرض قد تم تحويلها إلى حقول صغيرة لزراعة المأكولات والمحاصيل الغذائية، و كان عدد من الأفراد منهمكين في حصد الكرنب أو زراعة البطاطس حين دخل الجمع، فتركوا ما بأيديهم جميعا ووقفوا يحدقون في الأسرى.

عند هذه اللحظة، أدرك توم أن خرائب لندن لم تكن تؤوي حفنة قليلة من البشر، بل يسكنها الكثير من بني قومه. ثم إنه أخذ يتفرس في وجوههم، لكنه لم يستطع تمييز أي منهم، إلا أنه لم يكترث لذلك، إذ يكفي بالنسبة له أنهم من أهل لندن.

كذلك لاحظ أن العديد منهم يحمل آثار إصابات قديمة، حيث كان منهم من فقد أحد أطرافه أو بعض من أصابعه، ومنهم من احترق وجهه بالكامل، كذلك مرت من أمامهم امرأة عمياء يقودها أطفالها، وقد راحوا يصفون لها توم ورين وفولف في حماسة. كذلك كانت الندوب والجروح منتشرة بشكل كبير.... لا بد أن هيستير كانت ستشعر بالألفة هاهنا.. هكذا راح توم يفكر، وتمنى حينها لو أن الرياح قد حملت جيني هانيفر في ذلك الصباح بعد انفجار ميدوسا وعادت بهم إلى لندن من جديد بدلا من الابتعاد عنها... لو أنه عاش وهيستير هنا لاختلفت أمور كثيرة...

وفي الجانب الآخر من منطقة الحقول، كان هناك قسم ضخم من الألواح التي كانت تشكل قديما طبقة سطح المدينة، وقد تم إسنادها الآن فوق مساحة واسعة من الأنقاض لتشكل ما يشبه كهف واسع ذو سقف منخفض، وتقدم جاراموند الجمع عبره. كان السقف المعدني منخفض لدرجة ان الجميع اضطروا للإنحناء وهم يمرون عبر بوابته. وفي الداخل، بين الظلال، كانت العشرات من الأكواخ والمساكن، وقد بنيت جميعها من الخردة المعدنية والأخشاب، من حولها كان عدد من الأطفال يلعبون، وقد هرعوا في حماسة نحو الجمع، فيما التفت حشد من الناس على صوت الأطفال، وراحوا يتطلعون إليهم .

"أين السيدة بوتس؟" صاح جاراموند بصوت جهوري غطى على كل الضوضاء، فأجابه رجل أصلع يرتدي معطفا مطاطيا أبيض متسخ- مهندس!، قالها توم في سره بإنزعاج - "إنها في مبنى البلدية يا جاراموند"

وتقدم الحراس بالأسرى عبر الكهف الشاسع، إلى أن بلغوا بقعة كان السقف فيها شديد الانخفاض لدرجة اضطرتهم للانحناء تماما لتفادي إرتطام رؤوسهم بالسقف

المعدني والأشياء المتدلية منه.

"لهذا نسمي هذا المكان "نقطة للانحناء - كراوتش إند".." قالتها حارسة رين "إنه ليس مكان ملائم للعيش، ولكن في الماضي، حين كانت "الأشباح" لا تكف عن الانفجار، وكذلك هجمات الطحلبيين، وغيرها من الأمور والأحداث التي لا يعلمها سوى "كويرك"، كانت فكرة وجود سقف نحتمي به شديدة الحيوية لنا..."

""آنجي بيبودي ".." صاح جاراموند "أعتقد أنني قد نبهتك من قبل أن تعلقي فمك هذا"

وفي الزاوية السفلية من طبقة السطح، كان مبنى البلدية، وقد تم بناؤه من بقايا مكتب مشرف أحشاء المدينة قديما، بالإضافة إلى عدد من قطع الخردة الأخرى تم تثبيتها إلى بعضها البعض ببراعة، وطلائها بظلال مبهجة من اللون الأحمر. وفوق الباب كتب أحدهم : لجنة الطوارئ بلندن.

دلف جاراموند إلى داخل المبنى في حين بقي الجمع وأسراهم في الخارج. ومن الداخل تناهت أصوات محادثة مكتومة مع شخص ما، ثم خرج ثانية وفتح الباب على مصراعيه قائلا :

"انتباه أيها الأسرى، التزموا حدود الكياسة والاحترام، فأنتم ستدخلون الآن لتمثلوا في حضرة عمدة لندن".

كانت الأرضية داخل المبنى محفورة عميقا في الأرض بحيث لم يعد ثمة داع للانحناء؛ ودخل توم أولا، بصحبة الفتى " ويل هالسوورث" الذي حذره بالانتباه لخطواته كي لا يسقط، ومع ذلك فقد تعثر بالفعل وهو يخطو إلى حيث وجد نفسه في غرفة واسعة ذات سقف متدرج، على إحدى جدرانها ثبتت خارطة توضح مناطق الأنقاض، وقد وضع على كل منطقة منها إما ورقة أو علامة أو دبوس أحمر غريب الشكل.

وفي وسط الغرفة، حول طاولة قديمة مصنوعة من الصفيح، تجمع عشرات من الأشخاص، بدا من هيئتهم وكأنهم كانوا منخرطين في اجتماع ما حين قاطعهم السيد جاراموند وأسراه. وكانت "كليتي بوتس" بين المجتمعين، وقد هبت واقفة بمجرد أن رأت توم، وصاحت في دهشة : "أوه، يا لكويرك!

و بجانبها كان واحد آخر من أعضاء اللجنة يهم بالنهوض لاستقبال الوافدين، وكان واضح من ردائه الأحمر الباهت والقلادة المميزة التي تزين صدره أنه العمدة. وشعر توم بارتياح لرؤية الرجل، إذ كان يخشى أن يجد نفسه في مواجهة "ماجنوس كروم"، المهندس الشنيع الذي كان يحكم لندن أيام كان توم يحيا على متنها، لكن هذا الرجل العجوز السمين ذو الشعر الأبيض المنتصب حول أذنيه، كدفقات من بخار تخرج منهما، لم يكن " كروم"، فتنفس توم الصعداء. لكنه، ما إن دقق قليلاً في وجه الرجل، حتى غمره الذهول واستولت عليه دهشة عارمة، بل كانت دهشته الآن أعظم بكثير منها يوم رأى "كليتي بوتس"... إنه يعرف هذا الوجه المستدير المشرب بالحمرة جيدا...."تشادلي بوميروي!"، صاح توم، "... أنا... يا لكويرك العظيم، يا لكليو...!"

"وحق الفانيل المقدس لـ"سوتي بيت"!.. لا بد وأن هذا هو المتدرب آآ... واتسما.... آآ.."

"ناتسوورثي" هتف توم مصححا... لطالما كان يخشى ذلك الرجل، نائب رئيس عصبة المؤرخين، في شبابه، أما الآن، وقد التقاه من جديد، هنا، ليدرك بعد كل تلك السنوات أنه قد نجا من الكارثة وأنه لا يزال حيا، رغم كل تلك الصعاب. وقد راح يبكي في سعادة غامرة، ثم إنه مسح دموعه وقال بصوت مضطرب :

"توم ناتسوورثي يا سيد بوميروي، المتدرب من الدرجة الثالثة... لقد عدتُ إلى الوطن"

***

20. أبناء ميدوسا

طلب "تشادلي بوميروي" بعض المرطبات من مطبخ المستوطنة العام، ودعا زملائه لترك أكوام الأوراق التي كانوا يعكفون عليها جانبا، وإفساح مجال على الطاولة للزوار. وقد راح توم - الذي كان قد بدأ يفيق من وقع المفاجأة المذهلة - يتأمل باقي أعضاء اللجنة. كان اثنان منهم من المهندسين، رجل صغير الحجم داكن البشرة، و امرأة عجوز ذات ملامح حادة قاسية، وكان كلاهما أصلع الرأس، يرتديان معاطف بيضاء مطاطية مهلهلة. أما باقي الأعضاء فكانوا من أبناء لندن العاديين، أشخاص من مختلف الأشكال والأحجام والألوان، ومن بينهم رجل نحيل ذو بشرة خشنة، لوّح لآنجي، فلوحت له ثم قالت : "أولو، أبي"، ثم نظر الرجل نحو توم، وقد بدا وكأنه كان من عمال "الأحشاء" في زمن ما قبل الميدوسا؛ المؤكد أنه ليس من نوعية الأشخاص الذين كان من الممكن أن تجدهم بين أعضاء مجلس لندن في الأيام الخوالي.

تم إفساح ثلاثة مقاعد للوافدين، وابتسم "بوميروي" تحية لهم وهو يدعوهم للجلوس... "سعيد بلقائِك يا آنسة ناتسوورثي" قالها الرجل حين قدم توم ابنته إليه، ومد يده عبر الطاولة مصافحا إياها، "وأنت أيضا يا سيد كوبولد. لقد سمعنا الكثير عن شجاعة مدينتك وحلفائها. "بوتس" تبقينا دوما على إطلاع بأخبار الحرب وما يستجد بها. أهلا بك في لندن"

"شكراً لك يا سيدي" قال فولف وهو ينحني في تأدب، بينما يده تتحرك إلى جانبه نحو الموضع الذي اعتاد تعليق سيفه به، إلا أن السيد جاراموند قام بتجريده منه. ثم استطرد "هذه ليست زيارتي الأولى إلى هنا. في المرة الماضية وجدت نفسي خارج حدود المدينة قبل أن يتسنى لي مقابلة أي من قومك..." قالها وابتسم في مكر وهو ينظر في الوجوه التي بدت عليها الحيرة من حوله، ثم شرع يحكي قصة زيارته الأولى للأنقاض...

"يا لكويرك العظيم!" غمغم جاراموند، "لقد تذكرته الآن..."

"أنت لست الجندي الوحيد الذي ضل طريقه وأتى إلى هنا بحثا عن مأوى" قال "بوميروي" "كثير من الضالين والجرحى من كلا الجانبين تقودهم خطاهم إلى هنا. لكننا لا يمكننا المخاطرة بأن يطلع أي منهم على سرنا ثم يخرج ويكشفه إلى العالم،

وفي ذات الوقت نحن لا نبغي قتل أحد أو إيذائه، لهذا توصلنا لفكرة تخويفهم وإبعادهم من هنا. عادة ما تكون الأصوات الغامضة كافية لدفع أشجع من فيهم على الفرار، ولكن من حين لآخر نصادف من يتغلب فضوله على خوفه، هؤلاء نستخدم معهم مادة "الكلوروفورم" لتخديرهم قبل أن يروا أي شيء، ثم ننقلهم إلى خارج أطلال المدينة، فيستيقظون ليجدوا أنفسهم في العراء. والحق أن غالبيتهم تصل إليهم الرسالة كاملة ولا يعودون إلى هنا أبدا.. أنت أول شخص يقرر العودة"

"ولماذا لم تقوموا بفعل المثل معنا وإلقائنا في العراء؟" تساءلت رين

"سؤال جيد" قالها أحد أعضاء اللجنة في لهجة ساخطة وهو يحدق في جاراموند، فأجاب الأخير منزعجا:

"ما كان هذا ليكون حلا عمليا. لقد جاءوا على متن منطاد وليس سيرا على الأقدام، كما أنهم بدوا كجامعي مخلفات وبقايا المدن، وليس مجرد تائهين. كذلك فالسيد ناتسوورثي لا يبدو بصحة جيدة، ولو قام أحد من رجالي بتخديره بالكلوروفورم فربما لا يستيقظ بعدها أبدا.."

احتج توم على ما قاله الرجل قائلا أنه ليس به أي خطب وأنه بصحة جيدة ويمكنه تحمل جرعة من الكلوروفورم!، ولكن لحسن الحظ وصل الطعام قبل أن يتطور النقاش لأكثر من ذلك.

كان الطعام عبارة عن خبز وزبد وشرائح من التفاح وبعض البسكويت المخبوز منزليا، ونبيذ البيلسان وقد تمت تعبئته في أوعية مياه قديمة من الصفيح.

"أرى أنكم تعلمتم أن تحيوا على الأرض اليابسة.." قال كوبولد بتؤدة ".. تماما مثل الطحلبيين"

ابتسمت "كليتي بوتس" نحوه ابتسامة مشرقة، وقد أُخِذَت بذلك الشاب الوسيم، ولم تنتبه لنبرة الاشمئزاز الخفية في صوته، ثم قالت :

"أوه، لقد تعلمنا كذلك زراعة كل أنواع المحاصيل في مساحات التربة بين أكوام الأنقاض، إنها خصبة جدا، بعض من الناجين كانوا يعملون سابقا في المناطق الزراعية قبل انفجار الميدوسا، وقد علمونا كل شيء عن التربة وزراعة المحاصيل الغذائية.

كذلك لدينا فِرَق من جامعي المخلفات يمكنهم إيجاد أي شيء بين الأنقاض : معلبات.. سكر.. شاي. إن تعدادنا في لندن حاليا أقل من مائتي شخص، لهذا لدينا ما يكفي للجميع"

"نحن نصطاد كذلك" قالتها آنجي بحماسة، "الأرانب والطيور، والكثير من الكائنات التي تتخذ من الأنقاض مسكنا لها..." ثم توقفت ولم تزد، إذ عاد السيد جاراموند يحدق فيها بغضب. ولم يكن قد سُمِح لأي من بقية الشباب بالدخول، وقد ارتأت رين أنه كان من المفترض أيضا ألا يسمح لآنجي بالتواجد بينهم في غرفة اللجنة.

"كذلك تقوم كليتي بجلب بعض من الماعز والماشية إلينا بواسطة منطادها" أضافت السيدة العجوز، المهندسة.

"لكني لا أفهم" قال توم ".. أعني، كيف إستطعتم النجاة مما وقع؟ وكيف بقيتم هنا؟ لقد حسبتُ.."

"حسبتنا قد متنا جميعا.." قالها "بوميروي" بلطف، ".. هذا ما حسبته قد جرى لك أنت أيضا، لقد أخبرني ذلك الشرير فالانتاين أنك سقطت عبر فتحة النفايات بالأحشاء، وقد أرقني الشعور بالذنب منذ ذلك الحين لأنني قمت بإرسالك إلى هناك في تلك الليلة.. أتريد بعض من النبيذ؟"

ثم إنه ملأ مجموعة من أكواب الصفيح وأكواب الإيناميل بالنبيذ، فيما أخذ عضو آخر يوزع الأكواب على الوافدين الجدد، فيما عاود بوميروي الجلوس مبتسما لهم في ابتهاج، محاولاً تجميع أفكاره. ثم، و بينما هم يأكلون ويشربون، روى لهم بوميروي ما وقع في الساعات الأخيرة من حياة لندن، وكيف أن التوتر المتصاعد الذي كان بين عصبة المؤرخين وكروم ومهندسيه المتعطشين للسلطة قد أفضى إلى حرب مفتوحة عبر قاعات المتحف، وكيف أن " كاثرين فالانتاين" ومهندس من المتدربين في عصبة الهندسة يدعى "بود" حاولا إيقاف الميدوسا قبل وقت إطلاقها.

"وبعدها بوقت قصير.." تابع بوميروي "هاجمنا المهندسون بضراوة، وتصاعدت الأمور بشكل كبير. لقد قاتلنا كالنمور، بالطبع، لكنهم كانوا يملكون مطاردين وأسلحة، فاضطررنا للتقهقر إلى حيث قسم التاريخ الطبيعي. ولم يكن قد تبقى منا الكثير. "أركينجارز" و " بيو ترتيد" و دكتور " كارونا" قُتِلوا جميعا، وأصيبت كليتي إصابة

بالغة. ثم إنني قررت أن أقوم بآخر محاولة للنجاة، وهكذا اتخذت من مجسم الحوت الأزرق القديم الذي كان معلقا في السقف ثم سقط على الأرض بفعل الهجوم والرصاص، ساترا لنا. وبينما نحن مختبئين خلفه في انتظار أن يأتي هؤلاء المطاردون العائدون من الموت للإجهاز علينا.... بووووووووم!.. فجأة، تزلزل المبنى وبدأ يتفكك..."

"ألقى بي السيد بوميروي عبر فم الحوت.." قالتها كليتي بوتس وهي تنظر إلى يديها في حزن، وكأنما الذكرى المريرة لا زالت تؤلمها.

"نعم" قال بوميروي ".. لقد انتابتني وقتها حالة غير عادية من الصفاء الذهني، فألقيت بها إلى داخل المجسم ثم قفزت خلفها في الوقت المناسب، ففي تلك اللحظة انفجرت الطبقة الثانية بالكامل، وإندفع الضوء الشديد في وجهي عبر الثقوب التي أحدثتها طلقات الرصاص في مجسم الحوت، ثم شعرت بالمجسم وقد راح يتدحرج بنا وينزلق ثم يهوى في الفراغ. بعدها لا أتذكر الكثير... سقوط فوق أجزاء من الضواحي المفككة داخل أحشاء المدينة، خوف شديد، ثم فقدت وعيي على الفور"

"استقر مجسم الحوت أخيرا بين اثنين من دعائم المتداعيين، عند الطرف الجنوبي من منطقة الأنقاض الرئيسة..." قالت كليتي، وقد اتخذت دورها لسرد باقي القصة "... وعثر عليه بعض العمال من ساحات التنقيب والاستخراج، و ساعدونا على الخروج منه. وحينها رأيت ما صارت عليه المدينة.. كانت... أوه، لا يمكنني وصف ما رأيت. كانت الحرائق في كل مكان، والدخان الملوث يتصاعد إلى عنان السماء، والانفجارات في كل حدب وصوب طوال الوقت، وراح الحطام يتساقط، والرماد يتطاير في كل موضع ويسقط كثلوج سوداء. ومن حين لآخر، كان مخلب أبيض ضخم من الضوء يشق الأجواء، ينبعث من بين الأنقاض، ويمتد على الأرض وكأنما يشعر بوجودنا ويبحث عنا..."

"نعم، كانت أوقات عصيبة.." قال "بوميروي" من جديد وهو يهز رأسه بأسى، "... وكانت جماعة مناهضة التحرك متعطشة للانتقام، ورأينا كيف أن بعض من زملائنا الناجين الذين غامروا بالخروج من بين الأنقاض وقاموا بتسليم أنفسهم لدوريات الجماعة قد تم قتلهم جميعا على الفور. لذا قررت أنا و"كليتي" وعدد آخر البقاء بين خرائب المدينة. وبعد فترة بدأنا نتواصل مع مجموعات أخرى من الناجين، وتجمعنا

سويا ورحنا نتباحث فيما سنفعل.

فكرنا في التسلل نحو الغرب متتبعين آثار مسارات المدينة، لكن إلام كان ذلك سيفضي بنا؟ على الأرجح كان سينتهي بنا المطاف في ساحات العبيد على متن إحدى بلدات جامعي المخلفات، ولن نكون حينها في وضع أفضل مما قد نمسي عليه إذا وقعنا في يد مناهضي التحرك. وهكذا، قررنا في النهاية أن نبقى هنا. ربما ماتت لندن واستحالت خرابا، لكنها رغم كل شيء تبقى لندن، وطننا، أليس كذلك؟ لا زالت موطننا.."

هز جميع زملاء بوميروي رءوسهم ودمدموا بالموافقة.

"ثم إننا انتقلنا إلى " كراوتش إند".." تابعت كليتي "حيث بدت لنا تلك البقعة آمنة من الـ"أشباح". المكان هنا كان مخبأ جيد لنا كذلك من الدوريات الاستطلاعية الجوية التي راحت جماعة مناهضي التحرك ترسلها كل حين. يوجد قسم كبير من "الأحشاء" لم يطله الدمار، على بعد نصف ميل شرقا من هنا، وقد تمكنا من استخراج الكثير من الأغراض المفيدة منه، حتى أننا وجدنا به صندوقا مليئا بالأموال. وهكذا، ما إن قل عدد دوريات الاستطلاع نوعا، حتى تمكن البعض منا من التسلل إلى خارج الأنقاض، وقاموا بشراء الـ"أركيوبتركس"، وبه استطعنا الحصول على المزيد من الأشياء الأخرى التي نحتاجها"

"لا بد أن ذلك كان مخاطرة كبرى.." قال توم، وقد استعاد في ذهنه تجربته الخاصة في عبور خطوط العاصفة الخضراء.

"بل هو أكثر من ذلك.." قالت كليتي ".. أحيانا كان الأمر يبدو مستحيلا. لكننا مع الوقت اعتدنا إطلاق بضع رحلات سنويا.."

"لجمع بعض التقنيات القديمة على ما أحسب" قالها كوبولد، فنظرت له كليتي في شك، وتململ عدد من أعضاء المجلس في مقاعدهم في عدم ارتياح.

"وماذا عن هؤلاء المهندسين؟.."، تابع فولف وهو يشير برأسه نحو الرجل والمرأة حليقي الرأس، "تبدون ودودين جدا معهما، برغم أن المهندسين هم السبب وراء انفجار لندن ودمارها"

فأجابته المرأة المهندسة بهدوء "لم يكن جميع من ينتمون لعصبتنا يدعمون ماجنوس كروم في مخططاته الجنونية، وقد قام بإبعاد من كانوا يعارضونه، مثلنا، عن مواقعهم إلى وظائف أدنى في السجون والمصانع في أعماق "الأحشاء". أحسب أن هذا تحديدا ما أنقذنا من الهلاك، فجميع مؤيدي كروم ومعاونيه كانوا معه في القمة حين انفجرت الميدوسا."

"لطالما كنا ممتنين لمهندسينا هؤلاء على مدار السنوات الماضية.." قالها والد "آنجي"، العامل السابق النحيف، ".. لقد بذلوا جهودا كبرى في تجميع كافة الأدوات والآلات اليدوية التي نحتاجها.. ألواح التسخين الكهربائية التي تعمل بالعجلات، خلايا تجميع الطاقة الشمسية، طواحين الهواء، معدات الرفع، البنادق الكهربائية التي يمكنها قنص طيور التجسس الميكانيكية التابعة للعاصفة الخضراء. وها هو دكتور "آبرول"..." قالها وهو يشير نحو المهندس الآخر، الذي ابتسم في تواضع "... لقد قام بتصنيع جهاز استقبال يمكننا من خلاله التنصت على موجة العاصفة الخضراء، وبذلك بات بإمكاننا معرفة ما إذا كانوا سيرسلون إحدى دورياتهم الإستطلاعية، ومن ثم نتخذ نحن احتياطاتنا اللازمة. كذلك دكتور "تشيلدرماس" نائب عمدتنا ورئيس قسم أبحاث الرفع المغناطيسي. إنها هي التي..."

""لين" ..!" قاطعته المهندسة بنبرة تحذيرية.

"لا بد أن العاصفة الخضراء تعلم بوجودكم هنا..." قال فولف "... طواحين الهواء والحقول، وما إلى ذلك، لا بد أنهم رصدوها جميعا وعرفوا بأمركم"

"أظن ذلك" أجابت كليتي بوتس.

"ومع هذا اختاروا أن يدعوكم في سلام!.. ربما يحسبونكم من مناهضي التحرك، مثلهم؟"

"حسنا، إذا كانوا يحسبون ذلك فهم مخطئون" قال والد آنجي في نبرة تحدي إزاء ما قاله فولف، ".. إنهم لا يعرفون شيئا عن خططنا، ليس أكثر مما تعرفه أنت.."

"" لين"" قالتها دكتور "تشيلدرماس" مجدداً، و إندفع "بوميروي" مقاطعا إياهم :

"على أية حال، طالما أن ناتسوورثي وصحبته هنا فلا بد أن نجعل إقامتهم بيننا

مريحة، علينا أن نرتب مكان لمعيشتهم"

"آه، لا نريد إزعاجكم.." قالها فولف ،"سوف نبقى لبضعة أيام لا أكثر، نستكشف المكان قليلاً ثم نعود أدراجنا إلى حيث الجيني هانيفر"

"ولكن، لا يمكنكم المغادرة بهذه السرعة..." قال بوميروي محتجا "لقد وصلتم للتو"

"بل هو يعني أنكم لا يمكنكم المغادرة أبدا" قالها جاراموند، والذي أخذ يستمع إلى الحديث الدائر طوال الجلسة بصبر نافد، وقد جلس إلى مقعد بالقرب من الباب، "... هذا وقت مهم للندن، ولا يمكننا المخاطرة بترككم ترحلون عن هنا وتخبرون أحدا بوجودنا"

"مهلا يا جاراموند" قال "بوميروي" ".. السيد ناتسوورثي لندني هو الآخر، مثلنا"

"ربما يكون كذلك، أما ابنته فلا، وكذلك السيد المهذب الآخر.... بصفتي رئيس اللجنة الفرعية للأمن فإنه من واجبي أن أنبهكم أننا لا نعرف هؤلاء ولا يمكننا الوثوق بهم"

"اسمعوني جيدا..."، قالها والد "آنجي"، "... لسوف يكون من المخزي حقا أن نبقى عالقين هنا طوال كل هذه السنوات، ثم يأتي بعض المتطفلين ويفشوا أمرنا لإحدى مدن جامعي المخلفات ونحن على وشك...."

"" لين"!!" صاحت دكتور "تشيلدرماس" مقاطعة إياه، فيما قال "بوميروي" بلهجة اعتذار للوافدين الثلاثة "أخشى أن جاراموند على حق... سيكون من الأفضل أن يقوم شبابنا بحراسة "طريق هولواي" ومرآب المنطاد على مدار الساعة. أما أنتم، توم و رين و السيد كوبولد، فأرجو أن تعتبروا أنفسكم ضيوفنا، أخشى أنه من المستحيل أن تغادروا لندن.... هل يريد أحد مزيد من البسكويت؟".

***

21. استدعاء دكتور بوب جوي

على بعد ستين ميلا من أنقاض لندن الميتة، حيث جبال " شان جو" الفتية تنتصب متحدرة على السهول، كانت مدينة "باتمونخ جومبا" الحصينة تقف منيعة، تحرس طريقا لطالما حاولت المدن المتحركة، لقرون عدة، اقتحامه إلى حيث الممالك الخصبة المناهضة للتحرك في الشرق.

أما الآن، وبعدما مددت العاصفة الخضراء حدودها نحو الغرب، لم يعد يتبق من المدينة سوى ظلا باهتا، كميناء قديم هجره البحر. وبينما تم إقامة حامية صغيرة لحراسة الجدار الحامي للحدود، باتت المدينة عبارة عن نقطة استراحة مؤقتة لقوافل الجنود والمؤن أثناء طريقهم نحو الغرب، حيث ساحات القتال الجديدة عند المنطقة الفاصلة.

وفي وادٍ يقع من خلفها على طول الشواطئ الخلابة لبحيرة تدعى "باتمونخ نور" اصطفت مجموعة من نُزُل الصيد والفلل الجميلة ذات الأسقف المتدرجة، ومنازل العطلات، التي يملكها كبار مسئولي العاصفة الخضراء. وبين صفوف من أشجار الصنوبر الممتدة على طول لسان من اليابسة ممتد داخل البحيرة، كانت واحدة من تلك الفيللات، أو بالأحرى الأجمل بينهم، تقف متألقة في بهاء تلتمع الأضواء المنبعثة من نوافذها المصممة على شكل دمعة، وتنعكس على صفحة البحيرة، تكللها أسقف منبعجة عند الزوايا كطرف نعال السلطان في الحكايات الخرافية. وإذا تجرأ أي شخص واقترب قليلاً ليلقي نظرة خاطفة من بين قضبان بواباتها العالية ذات القمم المدببة، فسوف يرى عدد من التماثيل الغريبة تنتشر عبر حدائقها، بينما في آخر الممر المُعَبَّد سيجد لوحة مثبتتة كتب عليها :" دون ريساريكتين"... إنه منزل ناج آخر من الناجين من انفجار الميدوسا : دكتور بوب جوي، أحد أفراد عصبة الهندسين، و مؤخرا رئيس مركز بعث المطاردين؛ وقد حصل على تلك الفيلا كمكافأة له من العاصفة الخضراء على جهوده في بناء جيوش المطاردين الخاصة بهم.

"هذا هو المنزل" قالتها المطارد لفيش كيك حين وصف لها الأخير ما يراه، في تلك الليلة عندما سلكوا الطريق الجبلي نزولا باتجاه البحيرة، "... حين كانت ساذيا تتمركز في باتمونخ جومبا، كنا نخرج في رحلات بالقارب عبر البحيرة، وهناك رأينا ذلك

المنزل من الماء. لقد كان مسكنا لأحد الفنانين في الماضي، خطاط ماهر. وكانت ساذيا تقول دوما أنها حين تتقدم في السن وتصير ثرية، فسوف تتخذ من هذه الفيلا مستقرا لها"

توقف فيش كيك عند المنعطف الأخير للطريق المنحدر فوق شاطئ البحيرة. كان يشعر بالبرد والإرهاق، وقد تورمت قدماه من أثر الرحلة الطويلة التي قطعاها من الصومعة إلى هنا. ومع اقترابهما من ضواحي المدينة كان خوفه يتفاقم من أن يواجها أية مشكلات.

وقد أصر فيش كيك على أن يقطع معظم الطريق على قدميه، برغم أن المطارد عرضت عليه أن تحمله، لكنه رفض خشية أن تظنه ضعيفا. ولكن بعد بضعة أميال بدأ الوجع ينخر في ركبتيه من الخلف، ثم انتشر في كل جزء في جسده حتى لم يعد قادرا على المشي. وكان من المفترض به أن يكون سعيدا بانتهاء تلك الرحلة الشاقة أخيراً، إلا أن مخاوفه قد غلبت أي شعور بالسعادة، وحين التفتت المطارد نحوه متسائلة عن سبب توقف خطواته، قال لها : "لا تنزلي إلى هناك"

"لكن بوب جوي بإمكانه أن يصلح ما بي.." همست ،".. وحينها سأبقى "آنا" فقط وللأبد"

"أنت لست في حاجة إليه!" هتف فيش كيك، وقد بدا له أنها بالفعل قد برأت من ذاتها الأخرى وأنها أمست "آنا" منذ ذلك اليوم حين وصلا إلى "شان زان". وكان الصبي قد بدأ يفهم، على نحو ما، أن الجانب الخاص ب "آنا" يتقوى بالذكريات؛ لقد جعلتها الأعلام المرفرفة المكتوب عليها صلوات وأدعية لآلهتها القديمة، ومنظر الجبال المألوف، والمحادثات مع ساذيا، أكثر قوة وثباتا، وبهذا ربما يكون الجانب الآخر - المطارد فانج - قد اختفى إلى الأبد، فلماذا إذن المخاطرة باللجوء إلى هذا ال" بوب جوي"؟

لكن فيش كيك كان منهكا ويرتجف لدرجة أنه لم يكن يملك طاقة لشرح هذا كله لها.

توجهت المطارد نحوه، وحملته بين ذراعيها، وقالت "لا تخف يا فيش كيك، بوب جوي سيقوم بإصلاحي وحينها سنعود إلى ساذيا.. والآن، لتكن عينيَّ من جديد... هل

هناك أي شخص حولنا؟"

ولم يكن ثمة أحد في الجوار، كذلك لم يعترض أحد طريقهما على طول الطريق إلى أن بلغا بوابة فيلا بوب جوي.

كان الوقت قد مر، وتسربلت باتمونخ جومبا بستار متلألئ من الأضواء المتناثرة عبر السماء، وبدأ الثلج يتساقط فوق كل شيء، وندفاته تربت على وجه فيش كيك كأصابع دقيقة باردة، كأصابع أشباح الأطفال.

أنزلت المطارد فيش كيك، ثم عمدت إلى أقفال البوابة تحطمها، ثم دفعها فيش كيك فانفتحت، ومنها أخذ الصبي يتطلع في توتر نحو النوافذ المضيئة للمنزل، المتبدية من بين الأشجار عند الطرف الآخر من الممر الطويل. ثم إن المطارد مدت يدها تلتقط يد الصبي، ومعا دلفا عبر البوابة، التي انغلقت من ورائهما بمجرد مرورهما.

"سوف نطلب من دكتور بوب جوي أن يمنحك بعض الطعام قبل أن يبدأ العمل علي"

"وماذا إن رفض؟" سألها فيش كيك، ". أعني رفض إصلاحك"

"سوف أجعله يقبل، لا تقلق يا فيش كيك"

نظر فيش كيك نحو المنزل من جديد، وإلى جيبه مد يده الأخرى يمسك الحصان الخشبي الصغير. وكان لا يزال يتمنى ألا تضع "آنا" نفسها تحت رحمة ذلك المهندس الشرير، وقد حاول جاهدا جرها باتجاه البوابة، لكن الوقت قد فات... ففي الحديقة أمامهما، حيث تتناثر الظلال بين الأشجار، كان ثمة أشياء تتحرك... أشكال طويلة، حادة، حسبها في البداية تماثيل جامدة، قبل أن ترفع رؤوسها فجأة وتنبعث منها إضاءة خضراء من موضع العينين...

"مطاردون!" قالتها المطارد، وقد بدت خائفة نوعا، إذ التقطت أذناها أصوات الأزيز مع عودة تلك الآلات للعمل.

"لكنك مطارد أنت أيضا" قالها فيش كيك

"آه، نعم، هذا صحيح، شكرا لك يافيش كيك أنك ذكرتني بهذا... أحيانا أنساه..."

ثم أنها دفعته برفق خلفها لحمايته من الأذى، وأشهرت مخالبها.

كان للمنزل ثلاثة مطاردين لحراسته، كبيري الحجم، لامعي الدروع، صممهم دكتور بوب جوي بشكل خاص حتى بدوا كديناصورات ضخمة. وقد انعكس الضوء الفضي على وجوههم التي بلا ملامح بينما هم يقفزون عبر الأرض المغطاة بالثلوج نحو "آنا"، التي تقدمت بدورها نحوهم. وقد كانوا أقوى منها بكثير، لكنها كانت أكثر مهارة وذكاءً، وهكذا تفادت ضرباتهم جميعا، ثم استدارت تُعمِل مخالبها في أعناقهم الواحد تلو الآخر التي راحت تومض وهي تمر عبر المعدن القاسي، ليترنح المطاردون الثلاثة والشرر والسوائل تنبعث من أعناقهم، وتصطدم جثثهم ببعضها البعض قبل أن تسقط فوق الأرض .

ثم التفتت المطارد نحو فيش كيك ومدت يدا نحوه، لكنها سحبتها بسرعة على حين غرة وأخذت تتحسس وجهها وقد أضاءت عيناها العمياوان بالوهج، وراحت ترج رأسها وتهمس : "لا!"

""آنا"!" صرخ فيش كيك منتحبا وهو يتراجع في هلع حتى التصق ظهره بالقضبان الباردة للبوابة، بينما المطارد تصارع ذاتها. ثم إنها هزت رأسها من جديد، ثم بدأت تتوجه نحوه حتى بلغته، ورفعت وجهه لأعلى نحوها بقوة. إنها لم تعد "آنا" الآن، بل الأخرى.... ما الذي جعلها تتحول من جديد؟ أهي المعركة مع المطاردين الآخرين ؟ أتراها حفزت شيء ما في رأسها؟ أم أنه هو من فعل ذلك حين ذكرها بأنها مطارد؟

انكمش فيش كيك على نفسه وراح يرتجف ويبكي، متمنيا لو ثمة طريقة في يده ليعيد "آنا" من جديد.

"ما هذا المكان؟" همست المطارد فانج، وهي ترهف السمع لصوت الرياح وحركة غصون الأشجار وتعاقب الأمواج على شاطئ البحيرة، ".. كم من الوقت سيطر "الخَلَل" علي؟"

"دكتور بوب جوي.." قالها فيش كيك من بين دموعه "... إنه يحيا هنا.."

"بوب جوي؟"

"لقد حسبَت "آنا"،. حسبت...."

"حسبت أن بإمكانه أن يجعلها أقوى.." قالتها المطارد فانج ثم أصدرت صوت ضحكة كالفحيح

"ألا تتذكرين شيء؟ ماذا عن سادْيا؟... ماذا عن حصاني؟... ألا تتذكرين..."

"اصمت" قالتها المطارد، ثم توجهت نحو جثث المطاردين وانحنت تتحسس بيديها بينهم على الأرض إلى أن وجدت واحدة من رءوسهم المقطوعة، فالتقطته، وفصلت إحدى الكابلات من رأسها وأولجته في موضع بالرأس الآخر، فأضاءت عينا رأس المطارد من جديد، ورفعته المطارد فانج لأعلى أمامها كمصباح، ثم وجهته نحو فيش كيك، وهنا فهم أنها تنظر إليه الآن من خلال عيني المطارد الآخر، وفي داخله راح يتساءل عما إذا كانت قد أصيبت بخيبة أمل حين رأت كم هو صغير وضعيف ذلك الكائن الذي قضت معه كل هذا الوقت.

"تعال... سوف نذهب للقاء دكتور بوب جوي، تماما كما أراد "الخَلَل". الفارق أنني سوف أجعله يمحقها هي نهائيا"

أراد فيش كيك في تلك اللحظة لو يركض هاربا، لكنه لم يكن بوسعه سوى الانصياع للأوامر، كما يفعل دوما، فتبعها في صمت. ولم يكن الصبي يفهم ما تعنيه كلمة " يمحقها"، لكن كان بإمكانه التخمين. ثم إنه فكر في أن يمسك بيد المطارد، عل لمسته تعيد "آنا" بطريقة ما، لكن المطارد لم تكن في حال مزاجية تسمح له بالمخاطرة وإمساك يدها، وقد راحت تتقدمه وهي تعرج بعنف، وكانت لا تزال ترفع دماغ المطارد أمامها.

وما إن إقتربا من باب المنزل حتى انطلقت نحوهما عشرات من الطيور المطاردة من بين الأشجار، وراحت تحوم حول الدخيلين وتقترب أكثر فأكثر، ومناقيرها ومخالبها تلتمع؛ فهرع فيش كيك يحاول الاختباء في ثنايا رداء المطارد، لكنها رفعت ذراعيها وهمست ببعض الرموز للطيور، فهدأت الأخيرة وسكنت تماما في انتظار تعليماتها التالية.

كان الباب الأمامي مصنوعا من الخشب الحديدي، حيث غلف الحديد حوافه وتغلغل في ثناياه، لكنه لم يصمد كثيرا لبضع ركلات من ساق المطارد فانج، فتشقق وتداعى من فوره، ومن ورائه امتدت ردهة ذات أعمدة، من إحدى ثناياها ظهر خادم

من المطاردين معترضا طريق فانج : "ما الذي تفعله هنا؟" قالها الخادم المطارد بصوت آلي

"جئت لأقابل صانعي" أجابته المطارد بصوتها البارد الهامس، ثم، وفي لمح البصر، حولت الخادم إلى أشلاء، وخطت من فوق حطامه المبعثر فوق البلاط، وتقدمت عبر الردهة، ومن ورائها فيش كيك، ثم حطمت بابا آخر، وهبطت ثلاث درجات إلى حيث حجرة مغطاة بالستائر الناعمة ومضاءة بمصابيح بلون حلوى الطوفي.

وهناك، كان رجلا عجوزا أصلع الرأس يجلس فوق أريكة وثيرة، وقد هب من جلسته ليستكشف سبب تلك الضجة، لكنه ما إن رأى زائره حتى تجمد في مكانه، ومن يده سقط كأس النبيذ ليتناثر المشروب فوق السجادة.

"ابق مكانك!.. طيوري سوف تستدعي المساعدة، سوف يطيرون إلى باتمونخ جومبا و...."

"طيورك الآن تحت سيطرتي يا دكتور بوب جوي" قالت المطارد

"يالها من كائنات غبية. لكن لها استخدامها رغم ذلك"

تقدمت فانج نحو الرجل، ورأس المطارد تتأرجح من يدها الممتدة أمامها، وقد راح الضوء الأخضر يتأرجح بدوره عبر جدران الغرفة. ولمح فيش كيك عديد من الأشياء تتحرك هاربة من المكان : حشرات مطاردة، حيوانات مطاردة، كلب ذو رأس فتاة ميتة...

وعلى ذراع أريكة بوب جوي استقر وعاء به كعكة الفاكهة، فاختطفها فيش كيك سريعا وحشرها في فمه وراح يلوكها في نهم، ثم إنه طفق يتجول في الحجرة يستكشفها بفضول، وقد وجد بابا في الحائط المقابل، ففتحه وأطل برأسه عبره ليجد ما يشبه الورشة، حيث عدد من الجثث ممددة فوق ألواح، ورفوف مكتظة بآلات عجيبة.

"لم يكن أنا!.." قالها بوب جوي، وقد حسب أن المطارد فانج جاءته طلبا للانتقام لما حدث لها، ".. لم أكن أعلم أن جريك سوف يهاجمك! الأمر كله من تدبير تلك الفتاة زيرو، وقد ماتت، هل سمعت بالخبر؟ قتلها أبناء المدن المتحركة، أسقطوا منطادها

في أفريقيا. ناجا حزين جدا ولا يغادر مسكنه ومن الواضح أنه لن يصدر أي أوامر في الوقت الحالي. الجميع سيسعدون كثيرا وسيشعرون بالارتياح حين يعرفون بنبأ عودتك! أحسب أنك في طريقك إلى "تينجين" ؟ لاستعادة السلطة؟.. يمكنني مساعدتك..."

"تينجين لم تعد مهمة الآن.." قالتها المطارد وهي ترفع الرأس في يدها عاليا لتحدق به، "... لم تعد العاصفة الخضراء ذات أهمية كذلك، العالم لن يصبح أخضر من جديد من خلال الأساطيل الجوية والبنادق والتقاتل مع الفانين"

"بالطبع.. بالطبع..."، قالها بوب جوي وهو يتراجع إلى أن التصق ظهره بالحائط وما عاد بإمكانه التراجع أكثر، وقد تفصد جبينه عرقا وراح وجهه يلتمع في الضوء الأخضر، ثم قال : "إذن ما الذي يمكنني أن أفعله من أجلك، يا صاحبة السعادة؟.. أية خدمة صغيرة يمكنني أن يقدمها لك المخلوق الفاني الضعيف ؟"

لم تحر المطارد جوابا في حينها، بل راحت تحرك الرأس المقطوع في يدها وتتابع حركة نحلة مطاردة كانت تدور حول مصباح فوق طاولة جانبية. ثم أجابت أخيراً، لكن بصوت أكثر خفوتا حتى من همسها المكتوم العادي الذي يبدو دوما وكأنه صادر من تحت الأرض :

"إنني أتذكر أشياءً..."

"آه"

"أتذكر حين كنت "آنا فانج""

"اوه، هذا أمر مثير"

وكان باستطاعة فيش كيك، الذي وقف يتابع الحوار في صمت من خلف الأريكة، أن يرى أن الرجل كان مندهشا بالفعل، برغم خوفه.

"الذكريات تغمرني وتسيطر علي في بعض الأحيان... وقد ازداد الأمر سوءا منذ وصلت إلى " شان جو"... أحيانا يبدو الأمر وكأنني صرت "هي""

"إذن فقد بدأ الجزء الذي قمت بتثبيته في دماغك بالعمل أخيراً" صاح بوب جوي في انتصار، "... يبدو أن الهجوم الذي تعرضتِ له والضرر الذي لحق بك قد أزاح شيء

ما كان يعوق عمله، أو ربما يكون دماغك قد قام بإجراء بعض التعديلات تلقائيا في محاولة منه لإصلاح ما تلف، مما أدى إلى إعادة الذاكرة إليك، بينما فشلت أدواتي في ذلك"

"وكيف يكون ذلك ممكنا؟.. " تساءلت المطارد "وما هي الذكريات الحقيقية في كل هذا؟"

"من الصعب تحديد ذلك.." أجابها بوب جوي وهو يفكر، ".. كيف يمكننا أن نحدد الذكريات الحقيقية من غيرها؟.. لكن، على أية حال، لا داعي للقلق بهذا الصدد، أعتقد أن بإمكاني تصحيحه... هل يمكن أن ألقي نظرة؟ داخل دماغك؟" قالها مبتسما وهو يربت على رأسه الأصلع، وقد تحول خوفه إلى إثارة وفضول، ".. فقط لننتظر حتى الصباح، إلى أن يأتي مساعدو المختبر الخاص بي الذين يعاونونني في بعض مشاريع التقاعد الصغيرة..."

"لا... " قالتها فانج وهي تتجه نحو ورشة بوب جوي، "لا ينبغي لأحد أن يعلم أنني هنا، سوف تفعل ذلك بنفسك، الآن، يمكن للصبي أن يساعدك"

كانت الورشة تفوح منها رائحة الموت والمواد الكيميائية، وعلى الأرفف المثبتة إلى الجدران كانت مجموعة من المباضع ومناشير العظام. وقد انتهز فيش كيك، الذي كان لا يزال غير واثق في المهندس العجوز، الفرصة واختلس سكينا طويلا رفيعا وقام بإخفائه داخل معطفه.

أما المطارد فانج فقد قامت بإزاحة إحدى المناضد جانبا وركعت مكانها على الأرض تحت الضوء الضوء المنبعث من مصباح الأرجون المتدلي. وعلى الرغم من أنها كانت راكعة، إلا أنها كانت لا تزال فارعة القامة لدرجة أن رأسها المنحني كان في مستوى نصف صدر بوب جوي.

دار المهندس حول المطارد في فضول وهو يلعق شفتيه ويتلمظ، ثم : "أنت أيها الصبي" قالها وهو يمد يده باتجاه فيش كيك دون حتى أن ينظر نحوه، "..ناولني تلك الصينية."

وكانت الصينية المقصودة مصنوعة من المعدن ومغطاة بعدد من الأدوات الدقيقة، وقد راحت تهتز وترتعش في يد فيش كيك المرتجفة بينما هو يناوله إياها.

كانت أدوات الرجل حديثة جدا مقارنة بالآليات البدائية التي استخدمها فيش كيك في إصلاح المطارد، وقد لمح الرجل إذ أجفل وقد رفَّ حاجباه من الدهشة حين رأى القطع الحديدية الرخيصة التي أصلح بها قناع الموت.

"من قام بتلك الأشياء؟، يا له من عمل فاشل أحمق.." قالها بوب جوي في سخط

"لقد أبلى الصبي بلاءً حسناً.." قالت المطارد، فشعر فيش كيك بالفخر يغمره.

كان بوب جوي يملك أصابع جراح بحق، أصابع دقيقة وماهرة، وفي غضون نصف دقيقة تمكن من إزالة القناع، ليتبدى الوجه الميت للمرأة من تحته. وفي نصف دقيقة أخرى قام بتحرير الجزء العلوي من جمجمتها ووضعه على منضدة.

"المصباح، أيها الصبي"

فناوله فيش كيك مصباح يدوي صغير ثبته المهندس حول رأسه، ثم انكب فوق الرأس العاري أمامه بكل ما فيه من تشابكات آلية وأنسجة محفوظة من المخ البشري.

"أحيانا تكون "آنا" فقط لأيام وأيام.." قالها فيش كيك على أمل أن يفهم بوب جوي الرسالة المبطنة التي يلمح بها ومن ثم يقوم بتدمير جزء المطارد نهائيا، وينقذ "آنا"، "... أعتقد أن آنا تريد العودة، أحسب أنها عالقة في مكان ما داخل المطارد، وأحيانا حين تتذكر من تكون، ينغلق الجانب الآخر، جانب المطارد، فيها..."

"الشبح داخل الآلة..." قالها بوب جوي وهو ينظر نحو الصبي ويغمز بعينيه، ".. لا يافتى، لا أحد يعود من الأرض التي لا تشرق عليها الشمس، كما تعلم"

ثم إنه انتقى مسبارا طويلا ورفيعا من الصينية وأدخله في شق في دماغ المطارد. هنا رفعت المطارد رأسها، وتحركت شفتاها اليابستين، وهمست : "ستيلتون.. أنا آسفة جدا، لم أرد أن أجرحك، لكنه كان السبيل الوحيد.."

""آنا"؟" هتف فيش كيك بلهفة، فتحولت بوجهها الأعمى المحنط بإتجاه صوته، وهمست :

""فيش كيك" ؟"

"إنها هي!.." صاح فيش كيك "ابق عليها، ابق عليها هنا ولا تدع الأخرى تعود!"

وكان بوب جوي منهمكا في عمله وأدواته، لذا لم يكلف نفسه عناء النظر نحو الصبي، فقد قال : "أنت تفهم الأمور على نحو خاطئ أيها الصبي، تلك الذكريات ليست شخصا وإنما هي بقايا ذاكرة استدعاها دماغ المطارد من خلايا المخ الميت للجسد المضيف.."

ومن مكان ما داخل دماغ المطارد انبعث شرر فأضاء داخل الفم المفتوح، ثم إنها رفعت رأسها نحو بوب جوي وقالت : "لا تحاول خداعي يا بوب جوي، لا حيل"

"ماذا؟ أتظنين أنني قد أقدم على تخريب أفضل أعمالي؟" صاح بوب جوي مستنكرا ".. أنا فقط أجري بعض التعديلات الطفيفة"

"هل وجدت "الخَلَل"؟ الذكريات؟، أزلها فورا"

"يا لكويرك العظيم!، بالطبع لا!"

"قلت أزلها!"

"ولكن يا صاحبة السعادة، إن تلك الذكريات هي ما يميزك عن باقي المطاردين الذين بلا عقل، جنود المعارك... تلك الذكريات هي ما يجعلك أفضل مطارد في هذا العصر. أنت ذروة تقنيات البعث..."

نظرت المطارد نحوه بحذر، وقد بدا أنها ربما اقتنعت بما قال، أو ربما أقنعتها نبرة التوسل في صوته، فأومأت، في إشارة لاستعدادها لسماع ما يقول. وهكذا شرع يشرح لها الأمر...

"تلك الذكريات كانت موجودة دائما، لكنها كانت مغمورة. إنها تمنحك مستويات من الوعي والخبرة والعاطفة لا يملكها أي من المطاردين الآخرين الذين صنعتهم. والآن، وبفضل الأضرار التي ألحقها بك السيد جريك، صارت تلك الذكريات حادة وأكثر وضوحا في عقلك الواعي، ولكن يتعين علينا الآن أن نحدث نوعا من التوازن. "

"ولكن.. ما كنه تلك الذكريات؟.." سألته المطارد "من أين أتت ولماذا أتذكر دوما أنني "آنا"؟"

"صراحة لا أدري" قالها المهندس، وهو يفتش بين أدواته عن إحدى الكماشات الجراحية، ثم عاد إلى عمله "الحقيقة أن الدماغ الذي زودتك به لا يشابه أي شيء

آخر رأيته من قبل. بالتأكيد هو لا يشبه بأي حال أي من نماذج المطاردين المعاصرين الذين قمنا نحن مهندسو لندن بصناعتهم. وكذلك لا يشبه نموذج السيد جريك القديم، بل هو أكثر قدما بكثير، وأكثر غرابة. حين قامت صديقتك ساذيا بأخذي إلى "روجز رووست" لأول مرة منذ سنوات بعيدة وطلبت مني أن أعيد إحياء آنا فانج، أصبت بالذعر، ولم أدر ماذا أفعل، فقد كنت أعرف جيدا أن الأمر على النحو الذي ترغبه هي مستحيل. لذا، ولكسب بعض الوقت، قمت بالإعداد لرحلة استكشافية على متن واحد من مناطيد العاصفة الخضراء إلى حيث منطقة الأراضي الجليدية القاحلة، بحثا عن إحدى مواقع التقنيات القديمة التي كنت قد سمعت الكثير من الأقاويل حولها مذ كنت متدربا في لندن. لقد حاول مهندسو لندن كثيرا إيجاد تلك المنطقة، لكنهم لم يتمكنوا من العثور عليها، أما أنا فكنت أكثر حظا منهم. وهكذا انطلقنا إلى طرف العالم حتى أقصى الشمال، ومن هناك توجهنا جنوبا، إلى أن وجدت ضالتي، نصف مدفونة بين الجليد في جزيرة صغيرة متجمدة. وجدنا مجمعا تقنيا كانت قد قامت ببنائه إحدى الحضارات المنسية التي لا بد وأنها ازدهرت قبل حقبة إمبراطوريات البدو. وفي داخل الهرم المركزي، عثرنا على عشرات من الرجال والنساء الموتى وقد دفنوا في وضع الجلوس فوق عروش حجرية. كانت بعض من جثثهم قد تهشمت تماما جراء سقوط بعض أجزاء السقف فوقها، وكان بعضها الآخر مغطى بالجليد؛ إلا أن بعض من تلك الجثث بدأت تهمس إلينا بلغات لم نستطع تمييزها. لقد كانوا مطاردين من نوع ما، بالرغم من عدم وجود أي دروع أو أسلحة عليهم، من الواضح أنهم لم يتم صناعتهم لأغراض القتال"

"لأي غرض تم إنشائهم إذن؟" سألته المطارد فانج

"أظن أنهم قد صنعوا ليتذكروا!" قالها بوب جوي، ثم راح يبحث في أحد الأدراج عن مجموعة من أعين المطاردين، ثم شرع يقوم بتركيب زوج منها في محجري العينين لـ"مريضته"، ثم تابع "أعتقد أنه حين مات القادة العظماء لتلك الحضارة، قام كهنتهم العلماء بأخذ جثثهم إلى ذلك الهرم وقاموا بتزويد رؤوسهم بآلات؛ وهناك في مدفنهم هذا بقوا حيث هم يعيدون تذكر كل الأشياء والإنجازات التي فعلوها خلال حياتهم، ثم ينقلون تلك الذكريات إلى خلفائهم، بكل ماتحمله من قصص وحكايات عن زمنهم الذي عاشوا فيه، وهكذا لا يتم نسيانهم أبدا. ومع ذلك فقد ذهبوا طي النسيان بالفعل، و زالت حضارتهم من على وجه الأرض، ثم جاءت حضارة

إمبراطوريات البدو فأخذت نسخة بدائية من تلك التقنيات وقاموا باستخدامها لصناعة المطاردين المحاربين كالسيد جريك.

لقد كان ذلك الهرم هو آخر ما تبقى من حضارة بناة المطاردين الأوائل هؤلاء، وللأسف قامت العاصفة الخضراء فيما بعد بتفجيره خشية أن يعثر عليه أحد جامعي المخلفات. و في إحدى المباني الأصغر، عثرت بين العديد من النصوص الدينية والأدوات الطقسية القديمة، على دماغ مطارد كاملة تقريبا، فقمت بأخذها وعدت بها إلى روجز رووست لدراستها وإصلاحها، ثم قمت بدمجها بدماغ مطارد آخر من تصميمي، وهو الدماغ الذي يقوم بتشغيلك والتحكم في وظائفك الحركية وغيرها، ثم قمت بتثبيت كل هذا في جثة آنا فانج"

نظرت إليه المطارد وقد أمالت رأسها قليلا، ثم قالت: "إذن فأنا "آنا فانج "؟"

"لا يا صاحبة السعادة، أنت آلة يمكنها الوصول إلى ذكريات "آنا فانج "، وهذا ما يمنحك القوة"

ثم إنه أعاد وضع قناعها وغطاء جمجمتها ثانية ثم قام بتثبيتهما بمسامير جديدة، وتابع "إنك ترغبين في أن تجعلي العالم أخضر من جديد، أنت تتوقين لذلك ليس لأنك تم إعدادك لإطاعة تعليمات العاصفة الخضراء، كباقي المطاردين المقاتلين الذين لا يملكون عقولا، ولكن لأنك قادرة على الوصول إلى ذكريات آنا فانج التي استقرت وراء وعيك، ومن ثم تملكين رغبتها الشديدة في تحقيق ذلك الحلم. أنت تتذكرين جيدا ما فعله أبناء المدن المتحركة بها وبعائلتها ولديك القدرة على الإحساس بما أحست به هي إزاء ذلك.... باختصار، ذكريات آنا فانج ومشاعرها هي ما يحركك"

"إنني أتذكر موتها كذلك" قالت المطارد، ليس بذلك الصوت المتردد لآنا، ولكن بصوتها الهامس القاسي، "، أتذكر تلك الليلة في باتمونخ جومبا، والسيف الذي انغرس في قلبي، وكم كان مباغتا وباردا، ثم ذلك الفتى اللطيف الذي انحنى فوقي وراح يردد اسمي، لكني لم أستطع الرد عليه... إنني أتذكر ذلك كله"

ثم إنها فصلت الكابل الخاص بها من الرأس المقطوع للمطارد وطوحت به - الرأس - جانبا، ثم أعادت إدخال الكابل في رأسها، فأومضت عيناها الجديدتان وبدأ الضوء الأخضر ينبعث منهما تدريجيا... "والآن.." قالت المطارد فانج "حان وقت الرحيل"، ثم

نهضت واستدارت نحو الباب، إلا أن بوب جوي استوقفها وقد تلاشت الابتسامة من على وجهه : "ولكن، يا صاحبة السعادة، لا يمكنك المغادرة الآن!، أنا في حاجة لإجراء المزيد من الاختبارات والفحوصات عليك، فبمساعدتك ربما أمكنني صنع الكثير مثلك، لقد أمضيت سنوات عدة في محاولة تكرار تجربتي الناجحة معك، لكني لم أستطع سوى صنع بضعة جنود من الصفيح"

"هل لديك منطاد؟"

"نعم، يخت طائر، في المستودع خلف المنزل، لماذا؟"

"أنا لست آنا فانج.." قالت المطارد "لكنني هنا لأفعل ما كانت ترغب هي في فعله، سوف آخذ مركبتك وأطير إلى حيث "إردين تزج"، ينبغي أن أتحدث إلى "أودين""

"لا!" صاح بوب جوي "لا!"

"أرى أن لديك فكرة عن أودين"

"عصبتي القديمة... ولكن... حتى هم... لقد كان ذلك مستحيلا، لقد فُقِدَت الشفرة...."

"تم العثور عليها.." قالت المطارد "... كان قد تم تدوينها في "كتاب الصفيح" لأنكوراج، لقد رأيتها بنفسي على متن "السحابة التاسعة"، وقد احتفظت بها في رأسي منذ ذلك الحين"

"ولكن.. هذا جنون!، أعني، أودين.... ألا تدركين مدى قوته؟"

"أدركها بالطبع، إنها القوة التي ستجعل العالم أخضر من جديد. ما فشلت في تحقيقه العاصفة الخضراء سينجح فيه أودين"

كور بوب جوي قبضتيه كما لو كان موشك على مهاجمتها، وقال : "ولكن يا صاحبة السعادة، ماذا لو سارت الأمور على نحو خاطئ؟ نحن بالكاد نفهم تلك الآلات القديمة. تذكري الميدوسا!، أودين ربما يكون أكثر خطورة منها..."

"رأيك لا يهمني يا دكتور..". قالتها المطارد، وقد برزت مخالبها، ".. لم تعد ثمة حاجة لي بك الآن"

”ولكن... ولكن، أنت تحتاجينني بالفعل!، لا زالت لديك مشكلة مع الذاكرة، ومع أي محفز طارئ قد تعود لتطفو على سطح وعيك من جديد وتؤرقك.... لا!”

وفي اللحظة التالية، بينما الرجل يهرع نحو الباب فرارا، أمسكت به المطارد، و بصوتها الهامس قالت ”شكرا على خدماتك يا دكتور”

وأغلق فيش كيك عينيه كي لا يرى ما سيحدث، وضغط بيديه على أذنيه كي لا يسمع، ومع ذلك كان صوت قتل بوب جوي واحتضاره أقوى وأعلى من ألا تبلغ مسامعه. وحين فتح عينيه من جديد كانت المطارد تقوم بجمع بعض الأشياء من فوق الأرفف : أجزاء من دوائر كهربائية، أسلاك، أنابيب، أدمغة مطاردين أقل قوة...

وعلى جدران الورشة امتدت خطوط من اللون الأحمر.

”اجلب بعض من الطعام والماء لك أيها الصبي، سوف أحتاج مساعدتك حين نصل”

***

22. رين ناتسوورثي تحقق

لندن!!!

الثامن والعشرون من مايو

لطالما اعتقدت أن الأشخاص المتعجرفين والمغرورين بذاتهم هم فقط من يهتمون بكتابة مذكراتهم، أما الآن، فقد جرت العديد من الأمور خلال الأيام القليلة الماضية مما قد يضيع نصفها من ذاكرتي إذا لم أقم بتدوينها، لذا فقد حصلت على دفتر اليوميات هذا من كليتي بوتس، وعاهدت نفسي على كتابة يومياتي في لندن، فربما يتسنى لنا العودة إلى ساحة الصيد العظمى، وحينها يمكنني نشرها في كتاب، مثل كتب البروفيسور بيني رويال، الفارق الوحيد أن كتابي سيضم بين جنباته الحقائق ولا شيء غيرها.

في الحقيقة، يصعب علي تصديق أنه لم يمض سوى يومين فقط على وصولنا إلى منطقة الأنقاض، فقد حدثت الكثير من الأمور والتقيت الكثير جدا من الأشخاص الجدد، واكتشفت الكثير أيضا، حتى ليبدو الأمر كما لو كنت قد مكثت هنا لعام كامل على الأقل.

في السطور التالية سأحاول أن أعود إلى البداية. عقب لقائنا مع العمدة، قام السيد جاراموند وبعض من فتيته باصطحاب والدي إلى حيث تركنا الجيني هانيفر، وجعلوه ينقل المنطاد إلى حيث الموضع الذي يستقر به منطاد الاركيوبتركس، و قالوا أن منطادنا سيكون أكثر أمانا هناك ولن ترصده أعين التجسس الخاصة بالعاصفة الخضراء، والتي تحوم في الأجواء من وقت لآخر. وإن كنت أعتقد أيضا أنهم أرادوا أن يبقوا منطادنا تحت أعينهم؛ إنهم لا يكفون عن ترديد : أنتم لستم سجناء هنا. ولكن يبدو واضحا جدا أنهم لا يريدوننا أن نتسلل ونفر هاربين، إنهم يخشون بشدة أن نبلغ بعض المدن الأخرى بوجودهم، والحق أنه أمر مثير للشفقة، أعني.. أي شيء يملكه هؤلاء حتى تكلف مدينة أخرى نفسها عناء قطع مئات الأميال عبر خطوط العاصفة الخضراء كي تلتهمهم ؟!

وفيما بعد، عقب تناول وجبة العشاء في ساحة الطعام المشتركة، قاموا بنقلنا ثلاثتنا للإقامة في هذا المنزل، والذي من المفترض أنه سيكون منزلنا طوال فترة

وجودنا في لندن. وإنني إذ أقول منزل فإنني أدعوه كذلك مجازا، لكنه في الواقع ليس سوى كشك، تم بناؤه من مجموعة من الألواح المعدنية القديمة تم ربطها وتثبيتها معا عند قاعدة إحدى الكتل التي تدعم سقف "كراوتش إند". أما نوافذه فقد ثبتت عليها شبكات من السلك، لكنني لا أعرف ما إذا كانت تلك الشبكات قد وضعت بغرض منعنا من الفرار عبر فتحات النوافذ، أم أنها فقط استخدمت لعدم وجود ألواح زجاجية في لندن.

يحتوي الكشك الذي نقيم فيه على ثلاث غرف تتصل ببعضها عبر ممرات متعرجة، أما الأرضية فقد تم حفرها في الأرض اليابسة كي يتمكن من هم داخل الكشك من الوقوف منتصبين دون حاجة للانحناء.

كان المكان رطبا إلى حد ما، لكنه لا يخلو من الأجواء المنزلية، وكان قريبا بما يكفي من طرف "كراوتش إند" بحيث تتخلله أشعة الشمس لمدة نصف ساعة أو نحو ذلك في المساء، وهو والحق أمر جيد.

حصل والدي على الغرفة الأكبر، وأقام فولف في الغرفة المجاورة له، أما أنا فقد اخترت لنفسي غرفة صغيرة نصف دائرية في الطرف الخلفي من المنزل، وكانت إحدى جدرانها عبارة عن لافتة إعلانية قديمة من الصفيح مكتوب عليها " معجون لاصق غير قابل للتقليد"، وكان للغرفة نافذة يتسرب منها القليل من ضوء الشمس نهارا ونور القمر ليلاً.

كنت أحسب أن فولف سيحاول الفرار، لكنه على العكس بدا راضيا عن الوضع في الوقت الحالي، وكان مهتما إلى حد بعيد بذلك العالم الصغير الذي صنعه سكان لندن لأنفسهم. إنه شخص غريب جدا، شخص من الصعب أن تعرف فيم يفكر بالضبط.

أما أبي فبالطبع كان سعيدا بعودته إلى موطنه، وكنت آمل أن يجد الحب الحقيقي مع "كليتي بوتس"، لكن اتضح أنها متزوجة، من مهندس يدعى "لورباك فلينت"، وهو الذي يتولى قيادة منطادها؛ لذلك فهي ليست فقط "كليتي بوتس" و " كرويز مورشارد"، بل هي أيضا "كليتي فلينت"، ولعمري لم أكن أتخيل يوما أن أصادف امرأة لها كل تلك الأسماء.

التاسع والعشرون من مايو..

أعتقد أنني بدأت أحب لندن، وهو أمر مثير للضحك حقا :أن أحلق عبر كل تلك المسافة لينتهي بي المطاف في مكان يشابه إلى حد بعيد أنكوراج في فينلاند، مكان سري مخفي صغير جدا حيث الجميع يعرفون بعضهم البعض، وهو أمر جيد وسيئ في آن معا.

في بعض الأحيان أشعر بأنني أتحرق شوقا للعودة إلى مسارات الطيور، ولكن في أحيان أخرى أتمنى لو أنني كنت من أبناء لندن. إنه مكان جميل، وهو أمر عجيب في حد ذاته، فما من أحد يتصور أن يكون ثمة جمال بين أكوام الخردة والحطام تلك، لكن الجمال كان موجودا بين حنايا لندن بالفعل، فبين كل شق وصدع وزاوية بين الحطام تتبدى منه الأرض اليابسة، كانت الأشجار تنمو، و نباتات السرخس تترعرع، وفي كل مكان كان تغريد الطيور وصوت الحشرات يتردد. وقد قالت لي "آنجي" ذات مرة أنه في إحدى شهور السنة تنمو نباتات "قفاز الثعلب" لتكتسي أكوام الخردة فوق "كراوتش إند" باللون الوردي.

لقد باتت "آنجي" صديقتي الأقرب هنا، وقد عرفت أن اسم "آنجي" إنما هو اختصار لاسمها الكامل :" فورد أنجليا"، فقد قام والدها " لين بيبودي" بتسمية جميع أبنائه على أسماء السيارات القديمة التي كانت تسير على الأرض. إنها فتاة مرحة ولطيفة، تروقني صحبتها كثيرا، وهي تذكرني دوما بحيوان " الخُلد" أو "الغرير"، فهي ممتلئة الجسد صغيرة الحجم مشعرة قليلاً، ودائما مشغولة بشيء ما. كذلك هي لا تكف عن التجول بين مناطق الحطام حيث تخرج في دوريات استطلاعية ضمن فِرَق جاراموند المسلحة، لمراقبة الوضع وحراسة المكان من المتسللين والعاصفة الخضراء.

والحقيقة أن جميع سكان لندن من الشباب كانوا يخرجون إما في دوريات مراقبة أو للصيد أو للتنقيب بين الحطام في الأركان النائية. وأعتقد أن لجنة الطوارئ تجعلهم يفعلون ذلك لاستنفاذ طاقة هؤلاء المراهقين الهائلة. وقد كنت أود الخروج معهم، لكن جاراموند رفض ذلك، فهو لا يزال غير واثق بي .... يا له من شخص فظ صعب المراس.... إنه يرى أنني وفولف - فولف وأنا؟! - يجب أن نقضي أوقاتنا في مساعدة المزارعين كبار السن في حفر التربة للزراعة، أو الاستماع إلى مناقشات أبي مع السيد بوميروي حول التاريخ.

الثاني من يونيو..

على الرغم من كل ذلك اللطف والكرم الذي يبديه أبناء لندن، إلا أنني بدأت أشعر بأن ثمة شيء ما يخفونه عنا. لقد قال فولف هذا منذ البداية، لكني لم أصدقه حينها، أما الآن فقد بدأت أرى ذات الأمر.

في الواقع، أنا لا أملك أي دليل على ذلك، فقط مشاهدات بسيطة قد إسترعت انتباهي، وشكوكي أيضا... كالطريقة التي ينظر إلينا بها القوم هنا، وإصرار دكتور تشيلدرماس على إسكات "لين بيبودي" كلما نطق في صباح ذلك اليوم الأول لنا هنا، ما الذي كانت تخشى أن يخبرنا به بالضبط؟.

في بعض الأحيان، وبمجرد دخولنا، أنا وأبي وفولف، إلى ساحة الطعام المشتركة، يتوقف الجميع فجأة عن الأحاديث التي كانوا منهمكين فيها، ثم يبدءون في تغيير دفة الحديث إلى دردشة عن الطقس وما إلى ذلك. كذلك وفي إحدى المرات حين سأل أبي كليتي بوتس عن سبب شرائها للفائف الكليست وباقي الأغراض من بقايا الإمبراطورية الكهربائية، استحال وجهها للون الأحمر وغيرت مجرى الحديث على الفور.

وفي الليلة الماضية، بينما كنت أحاول النوم، سمعت أصواتا من الخارج، فتوجهت نحو النافذة وأزحت الستائر - في الواقع هي ليست ستائر وإنما هي قطعة بالية من قماش الحقائب - فماذا تتوقعون أنني رأيت؟... مهندسون!، " لافينيا تشيلدرماس" ونصف دزينة من المهندسين يغادرون "كراوتش إند" ويمشون عبر المسار المؤدي إلى الجهة الشرقية، عبر سلسلة من منحدرات الخردة والأنقاض. ترى، إلى أين هم ذاهبون؟!. كانت هيئتهم تبدو أكثر جدية من أن يكونوا قد خرجوا في نزهة تحت ضوء القمر. اتراهم يفعلون ذلك كل ليلة؟ ربما لهذا لا أرى أي من المهندسين خلال ساعات النهار، لا بد أنهم يغطون في النوم حينها!

حسنا، لطالما حلمت بأن أكون محققة جريئة، مثل " ميلي كريسب" بطلة تلك القصص التي اعتدت قراءتها حين كنت طفلة... وهكذا اتخذت قراري.

وفي عصر اليوم توجهت وحدي نحو ذات المسار الذي سلكه المهندسون ليلة أمس، ثم صعدت إلى قمة إحدى تلال الخردة، ومن هناك كان بمقدوري أن أرى أن المسار يلتف عبر مناطق الحطام على مسافة نصف ميل باتجاه قطعة ضخمة من

الأنقاض تقف على شكل وتد، وقد بدا من شكله أنه ولا بد كان جزءا من أحشاء لندن.

ولم يكن ثمة أحد في الجوار، ولكن كان شيء ما يومض من إحدى الفتحات أو النوافذ، بعيدا على جانب تلك القطعة القديمة الضخمة.

وفجأة سمعت صوت خطوات تأتي من خلفي، فالتفت لأجد السيد جاراموند وبصحبته اثنين من مقاتليه المفضلين " ساب" شقيق "آنجي" و فتاة تدعى " كات لوبريني".

"ماذا تفعلين هنا؟" صاح الرجل وقد اشتعل وجهه غضبا حتى أنه بدا قبيحا كوجه أمي، فحاولت أن أشرح له أنني فقط أردت التجول قليلاً، لكنه لم يكن على استعداد لسماع أي من ذلك، وأخذ يصيح "أنت على حافة إحدى المناطق الساخنة!"

فيما تقدمت كات نحوي وأمسكت بي من ذراعي وراحت تجرني بإتجاه " كراوتش إند" . أما " ساب" فقد مال باتجاهي وقال : "لا ينبغي لك أن تتجولي على هذا النحو يا رين. هذا المكان خطر. لا نريد أن يحرقك أحد الأشباح"

كان ساب يتحدث بلطف وهدوء، أنا أحب هذا الفتى. ولكن إذا كان هذا القسم من الحطام بهذه الخطورة فلماذا إذن تمت إقامة هذا المسار الممهد والذي يقود إلى منتصفه بالضبط؟!.

وفيما بعد حكيت لفولف ما جرى، لكنه لم يصدق أي مما قالوه عن " الأشباح"، وحين ذَكَّرته بما حدث في يومنا الأول هنا والانفجار الذي كاد يشوينا، ضحك ساخرا وقال إن تلك "الصدفة" جاءت في موعدها تماما!، في تلميح واضح... إنه لا يصدقهم على الإطلاق ويرى أن ذلك كله ليس سوى حيلة من حيل مهندسيهم لإبعاد الناس عن تلك الخرائب. والحق أن كلامه أصاب الحقيقة بشكل أو بآخر وجاء ليدعم وجهة نظري، فطالما أن هؤلاء المهندسون بإمكانهم صنع بنادق كهربائية كالتي رأيتها مع الفتية هنا، فلماذا لا يكونوا هم أيضا من صنعوا تلك "الأشباح"؟.

حسناً، لن أيأس، ولن أدع ذلك الغبي العجوز جاراموند يحول بيني وبين معرفة الحقيقة.

وكان الرجل قد قام بتكليف اثنين من الحرس بالبقاء خارج الكشك الذي نقيم فيه،

خلال الليل، خشية أن نحاول الفرار في جنح الظلام ونبيعهم إلى واحدة من المدن المفترسة، لكن على ما يبدو لم يكن الحارسين مقتنعين تماما بأننا قد نفعل ذلك، وهكذا كانا يقضيان نوباتهما أمام كوخنا في الثرثرة والنوم.

وهكذا فقد قررت أنني، الليلة، وبعدما يسود الصمت ويغفو الجميع، سوف أتسلل إلى حيث ذلك المكان لاستكشافه و سبر أغوار ما يحدث هناك.

وضعت رين القلم من يدها، ثم دست دفتر مذكراتها في الجيب الداخلي من سترة الطيران الخاصة بها، وجلست في فراشها تنتظر. كان التنفس المنتظم لتوم يصلها عبر الثقوب والفجوات في الجدار الصفيح الذي يفصلها عن الغرفة المجاورة، وراحت تتساءل في داخلها عما يحلم به في تلك اللحظات.

ترى، هل لديه هو الآخر شكوك حول أبناء لندن؟ هو لم يقل أي شيء في هذا الصدد، فقط كان سعيدا بالعودة إلى موطنه.

ومن الغرفة الأخرى، المقابلة على يمينها، جاءها صوت خطوات فولف الذي راح يذرع غرفته جيئة وذهابا، وكذلك أصوات خفيضة لنقر واحتكاك معدني. ما الذي يفعله بالضبط؟!

وفي الخارج كان الحارسين يتحدثان معا في هدوء. وبعد وقت من الانتظار الممل، غفت رين في موضعها، ثم استيقظت فجأة لتجد أن الساعة المضيئة حول معصمها تشير إلى أن الوقت عند الساعة الثالثة والنصف.

"أوه، يا لكليو!" صاحت وهي تنهض مسرعة من فراشها وتقف على قدميها، ثم توجهت نحو الباب لتلقي نظرة على الممر بين الغرف، فوجدت باب غرفة فولف نصف مفتوح وضوء القمر يفترش الأرض عبره. ولسبب ما شعرت رين بالتوتر، فتسللت عبر الممر نحو الغرفة وأطلت برأسها من الباب.

كان الفراش خاويا، فالتفتت نحو النافذة ثم هرعت باتجاهها، وقد منعت نفسها من الصراخ في الأخيرة حين فوجئت بالشبكة المعدنية التي تغلق النافذة وقد تحررت في يدها بسهولة.

لقد استطاع فولف بطريقة ما خلع تلك الشبكة ثم خرج من النافذة وأعاد تعليقها

ظاهريا على إطار النافذة كيلا يلاحظ الحراس أي شيء ويكتشفوا أمره.

"اوه، يا للآلهة!" همست رين وقد تذكرت الجيني هانيفر؛ لقد باتت تفهم جيدا طبائع ذلك الفتى وما يحمله من قسوة، فماذا لو تمكن بالفعل من التسلل عبر ركام الخرائب ووصل إلى حيث المنطاد وقام بسرقته ؟!. منذ متى رحل يا ترى؟، أكان صوت تسلله عبر النافذة هو ما أيقظها؟.

هرعت رين تخرج من النافذة، ثم توقفت قليلاً وراحت تتلفت حولها وتسترق النظر عند زاوية الكشك، وكان الحارسان جالسان عند عتبة الباب في ملل ونعاس، وقد راح أحدهما في النوم بالفعل وعلا صوت غطيطه، أما الآخر فكان رأسه مائل قليلاً على صدره. فتسللت رين على أطراف أصابعها حتى ابتعدت عن المنزل لمسافة كافية، ثم راحت تركض بين الأكواخ والأكشاك الساكنة، إلى أن خرجت من "كراوتش إند".

كانت أطلال لندن في تلك الساعة عبارة عن متاهة من الظلال القاتمة وضوء القمر. ومن ناحية الشرق لاح لها خيال شخص عند الأفق... فولف!.

شرعت رين تركض باتجاه الفتى، وقد شعرت بالارتياح لكونه على الأقل لم يكن متوجها إلى حيث الجيني هانيفر. ولكن، لماذا تسلل إذن وما الذي يفعله هنا؟. وهكذا راحت رين تهرع في إثره وتفكر... ربما خطط لنفس ما كانت تخطط هي لفعله الليلة، أي إلقاء نظرة على تلك المنطقة الغامضة، وهو ما جعلها تشعر بضيق شديد، إذ كانت تأمل أن تتمكن من اكتشاف أسرار لندن بنفسها الليلة، لتفاجئه صباحا بما عرفت وتحكي له عن مغامرتها الليلية وما اكتشفته، فتثير انبهاره وإعجابه...

راحت رين تخف الخطى خلفه عبر المسار الذي سلكته سابقاً، وأخذت تطمئن نفسها وتردد في سرها أنه ما من سبب للخوف، فأبناء لندن ليسوا عدوانيين، وحتى لو أمسكوا بها فعلى أسوأ الأحوال لن يفعلوا أكثر من إعادتها إلى سجنها في الكشك وإحكام إغلاق شبكات النوافذ.

ومع ذلك، كان التوتر يغمر كيانها، وحين خرج لها ذلك الظل فجأة من الظلام من جانب المسار ليمسك بها، لم تستطع أن تمنع نفسها من الصراخ عاليا، لتجد ذراعا يلتف حول خاصرتها و يدا قوية تكمم فمها.

التفتت رين برأسها في فزع كي ترى مهاجمها، لتفاجأ بأنه فولف كوبولد نفسه.

"ششششش..." همس كوبولد، ثم أزاح يده عن فمها، ".. رين... ما الذي تفعلينه هنا؟"

"جئت في إثرك بالطبع" قالتها بصوت متهدج من بين أنفاسها المتقطعة، "..إلى أين أنت ذاهب؟"

ابتسم فولف، وأطلق سراحها، ثم أشار إلى حيث القسم الضخم من الحطام في الأمام، فنظرت إلى حيث أشار، ورأت من بين بعض الفتحات أضواء تتحرك وتتمايل.

"إنصتي" قالها فولف، فأنصتت... بالفعل كان هناك أصوات، أصوات ضوضاء خفيضة متذبذبة مابين ارتفاع وانخفاض، ثم انقطعت دفعة واحدة. ثم ومض ضوء أبيض.

"أشباح؟" سألته رين، فهز رأسه أن لا، وقال :

"بل آلات من نوع ما. إنه ذات الصوت الذي سمعته قبل عامين"

"المهندسون يأتون إلى هنا في الليل" همست رين، فأومأ فولف وقال :

"لقد رأيتهم أنا أيضا، ورأيت كذلك أناسا يحملون صناديق يأتون بها إلى هنا. صناديق مليئة بقطع مستخرجة من بين ركام الحطام. هؤلاء المهندسون يخططون لشيء ما، فما هو، ما الذي ينشئونه هنا؟"

شعرت رين بالضيق لكونه استطاع اكتشاف واستنتاج ما لم تتوصل إليه هي. ثم قالت، محاولةً أن تبدو وكأن ما توصل إليه ليس مفاجئا لها : "دعنا نكتشف الأمر"

وهكذا هرعا يخفان الخطى، جنبا إلى جنب، إلى حيث قسم "الأحشاء".

كان المكان هائلا بحق، أشبه ما يكون بجرف بحري ملئ بعدد لا يحصى من الكهوف، حيث كانت الممرات والقنوات تربطه فيما مضى ببقية لندن.

تسلق فولف الحطام ثم مد يده يساعد رين على الصعود واللحاق به، وقال : "يبدو وكأنه مصنع أو ما شابه من "أعماق أحشاء" لندن، ويبدو كذلك أنه قد بقي على حاله"

ثم إنهما توغلا قليلاً عبر "الأحشاء" فوق الأرضية المائلة قليلاً، مما جعل المشي

صعبا. وكانت أصداء ضوضاء معدنية تتردد على طول الممرات المتداعية.

ثم وصلا في النهاية إلى باب مغلق، فتراجعا وسلكا اتجاه آخر إلى حيث مجموعة من السلالم المعدنية، فصعدا عبرها، ثم مرا بجدار مطبوع عليه رمز العجلة الحمراء، مصحوبا بجملة : " عصبة مهندسو لندن - المستودع التجريبي 14".

كانت الممرات العليا مضاءة بأضواء بيضاء و برتقالية، تزداد قوة مع تقدم رين وفولف إلى حيث قلب المبنى.

ومن إحدى النوافذ داخل المبنى كان الوهج الثابت لمصابيح الأرجون يلمع من وراء الستائر المعلقة المصنوعة من البلاستيك الشفاف، وقد شعرت رين في تلك اللحظات بإثارة عارمة وحماس لدرجة غلبت كل مخاوفها، وامتدت يدها تلامس يد فولف، فأمسك بها واعتصرها في يده مطمئنا إياها، وبيده الأخرى أزاح الستائر جانبا. ومعا، يدا بيد، اقتربا ليلقيا نظرة عن كثب إلى حيث المساحة الضخمة في قلب المستودع.

"يا للآلهة!" قالت رين شاهقة في دهشة

"هذا هو إذن" همس فولف

"إرفع يديك يا سيد كوبولد" قالها صوت آخر من خلفهما، "وأنت أيضا يا آنسة ناتسوورثي، ارفعا أيديكما واستديرا ببطء".

***

23. تجربة تشيلدرماس

"هيستير؟" غمغم توم بينما كان يفيق تدريجيا من نومه. كان يحلم بمتحف لندن القديم مرة أخرى، هذه المرة كانت هيستير تقوده عبر قاعات العرض المغبرة، بينما هو يسير من خلفها، سعيدا برؤيته إياها.

لكن الحلم تلاشى، وبدأ يفيق ليجد شخصا يجلس بجوار فراشه ويهزه لإيقاظه. وقد حسبها هيستير في البداية - وكان لا يزال مابين النوم والصحو- لكنه سرعان ما أدرك أنها لا يمكن أن تكون هي، فرفع رأسه سريعاً ونهض جالسا في فراشه محاولاً استيعاب الموجودات من حوله، لكن مصباحا مضاءً أعمى عينيه، فأدار رأسه للاتجاه الآخر سريعا ليجد أمامه اثنين من رجال جاراموند يقفون على باب غرفته، أما الشخص الذي كان جالسا بجواره وأيقظه فكان " كليتي بوتس".

"ثمة مشكلة وقعت يا توم.." قالت كليتي "... إنه كوبولد وابنتك. أوه، إنهما بخير، ولكن... أحسب أنه من الأفضل أن تأتي معنا"

وهكذا، دون كلمة واحدة، نهض توم من فراشه وهرع معهم إلى الخارج، ومضى يمشي بجوار كليتي بين الخرائب، محاطين بعدد من أبناء لندن الذين التزموا جميعا الصمت، وكان بعضهم يحمل البنادق.

"ما الذي فعلته رين؟" سألها توم في وجل وهو يخف الخطى بجوارها.

"كانت تتجسس... تم العثور عليها هي وكوبولد حيث لا ينبغي لهما أن يتواجدا"

"رين مجرد فتاة صغيرة!" صاح توم معترضا "ربما تكون فضولية وحمقاء، لكنها ليست جاسوسة، وعلى أي شيء كانت تتجسس أصلا؟... أين وجدتموها ؟"

"من الأسهل أن ترى بنفسك دون شرح" قالت كليتي.

ضم توم معطفه بإحكام أكثر حول جسده مرتجفا، ولكن لم يكن الطقس البارد هو ما جعله يرتجف، وإنما إحساسه بأنه على وشك معرفة سر مدينته، ترى هل اكتشفته رين بنفسها؟ ولهذا أمسكوا بها واستدعوه ؟... إنه يشعر بالفخر لشجاعتها، لكنه ذلك الفخر الممزوج بالقلق، خشية أن تكون في خطر.

وعند مدخل مفتوح عند سفح جدار من الحطام، كانت دكتور تشيلدرماس وخمسة من مهندسيها يقفون في الإنتظار... ستة من الرءوس الحليقة الملساء كقشرة البيض.

"سيد ناتسوورثي" قالت المهندسة بابتسامة خافتة منهكة، ".. يبدو أنه من الأفضل أن ترى المشروع. ما من شك أن ابنتك وصديقها سيخبرانك عنه على أية حال، هذا بالطبع إذا استطعنا إقناع زملائنا الأكثر حماسة بعدم إطلاق النار عليهما"

ثم إنهم توجهوا جميعا إلى الداخل، وصعدوا سلما ثم مروا عبر ستائر بلاستيكية وصولا إلى منصة معدنية، حيث كان جاراموند ومجموعة من شبابه يقفون محيطين برين وفولف كوبولد؛ وكان كلاهما قد أجبر على الركوع على ركبتيه ويداه مقيدتان، فقالت دكتور تشيلدرماس : "أوه، لا تكن قاسيا هكذا يا سيد جاراموند!"

"لقد كانا في منطقة محظورة يتجسسان" صاح جاراموند محتجا.

"هذا لأنك تركت لهما الفرصة لفعل ذلك... " قالت تشيلدرماس ،"... نعم يا جاراموند، إن أتباعك متهاونون بشكل فظيع. والآن فك قيودهما"

فقام جاراموند وفتيته بفك القيود عن معصمي رين و فولف على مضض، وسمحوا لهما بالوقوف، فاندفع توم نحو ابنته يعانقها، وكان عازما على توبيخها وإخبارها كم هي حمقاء، لكنه حين عانقها وقعت عيناه على ذلك المشهد الذي يقع خلفها في الأسفل، فألجمت المفاجأة لسانه وتبخرت كل الكلمات من رأسه.

بلدة!... نعم، كانت هناك بلدة تقع هناك، صحيح أنها لم تكن كبيرة ولا أنيقة - كانت مساحات كبيرة فوق طبقة السطح خاوية من أي مباني، كما لم يكن للبلدة عجلات أو سلاسل مسارات - لكنها بلدة على أية حال.

كذلك لم يكن لتلك البلدة فكين، لكن فيما عدا ذلك، بدا لتوم أنها تتطابق مع التصميمات الأساسية لأحد ضواحي لندن؛ خاصة المناطق الصغيرة منها مثل " تون بريدج ويلز" و" كراولي"، والتي قامت لندن ببنائها لاستيعاب الزيادة السكانية خلال العصر الذهبي للداروينية البلدية.

"جميلة، أليس كذلك؟" سألته كليتي وهي تتطلع برهبة وحنين للبلدة التي لم يكتمل بناؤها بعد.

"إنها ثمار سنوات طويلة من العمل الشاق.." قالت تشيلدرماس، ".. والآن هي على وشك الاكتمال"

وفي كل موقع أسفل البلدة، والتي كانت ترتكز فوق دعامات صدئة، كان منشار كبير يعمل وقد تناثر الشرر على أرضية المستودع.

"أنتم من قمتم ببنائها؟" تساءل توم وهو يترك رين ويتوجه نحو حافة المنصة، وقد مد كفيه يمسك بالإفريز المعدني لها فقط ليتأكد من أنه لا يحلم.

"ليس بالضبط" قالت دكتور تشيلدرماس ".. الهيكل والأجزاء العلوية كانت موجودة بالفعل، فقد كان قِسمي قد شرع في العمل على ذلك المشروع قبل الميدوسا بوقت طويل. ولحسن الحظ فإن مستودع التجارب هذا كان قد تم بناؤه عميقا جدا داخل الأحشاء مما جعله ينجو من الانفجار دون أن يتضرر كثيرا"

"ولكن.. لماذا لم يكن لدي علم بهذا المشروع؟.." قال توم ".. أعني، لو أن لندن كانت تقوم ببناء ضاحية جديدة، فلماذا لم يعلن الخبر حينها؟"

هزت دكتور تشيلدرماس كتفيها وقالت : "الأمر كان سريا، وكانت عصبتي حريصة على التكتم عليه إلى أقصى حد. على أية حال تلك البلدة الصغيرة كانت معدة لتكون مجرد نموذج أولي،

(الضاحية التجريبية M / L 1) هذا هو اسمها الرسمي. لقد قمنا بتصميمها آنذاك لحل بعض المشكلات التي كانت تواجه لندن، لكن ماجنوس كروم لم يكن مهتما بها على الإطلاق، و كان يرى أن ميدوسا هي الحل الأمثل، ومع الوقت راح يسحب المزيد والمزيد من التمويل الذي كان مخصصا لقسم أبحاث Mag-Lev الخاص بي وحوله إلى مشروع الميدوسا.

والآن، عاد الناجون منا من انفجار الميدوسا للعمل على المشروع من جديد، ولكن هذه المرة لم يعد المشروع خاصا بالمهندسين فقط يا توم، بل جميع أبناء لندن يعملون عليه"

"لا تفكر في ذلك المشروع على أنه مجرد ضاحية، رجاءً" قالت كليتي ".. صحيح أنه مكان صغير، لكنه بالنسبة لكل فرد من أبناء لندن هو مدينة، مدينتنا الجديدة،

وقريبا سوف نصعد جميعا إلى متنها ونترك تلك الخرائب والأنقاض ورائنا إلى الأبد"

وقف توم يحدق في البلدة، والعمال الذين انكبوا على العمل بها وقد راحوا يصعدون إلى متنها، يمدون الكابلات ويلحمون أجزاء العوارض، فيما عكف بعض منهم على تخطيط الشوارع ومواضع المباني على طبقتها الخاوية.

"ولكنها لا تملك عجلات" قالت رين

"أرى أنك لا تعرفين شيئاً عن الـ Mag-Lev يا عزيزتي" قالت دكتور تشيلدرماس.

"أظنه اسم رمزي، أليس كذلك؟" قالها توم، الذي لم يكن يعرف عنه شيء هو الآخر.

"أوه، لا" أجابت تشيلدرماس "Mag - Lev هو مجرد اختصار لمصطلح " الرفع المغناطيسي Magnetic Levitation ""

"هي تطفو إذن!.." صاح فولف وهو ينظر نحو الأسفل إلى حيث البلدة الجديدة، "... كالحوامات العملاقة"

فأومأت دكتور تشيلدرماس أن نعم، وقد سرها أن تجد شخصا واحدا على الأقل يعرف ما تتحدث عنه، ثم قالت "هي أكثر بساطة من الحوامات يا سيد كوبولد، كما أنها ليست نهمة للوقود. هي أشبه بمنطاد ضخم يحلق على ارتفاع منخفض. هل ترون تلك الأقراص فضية اللون المثبتة على بدن المدينة وأسفلها؟"

فأومأ توم ورين وفولف معا في آن واحد، فقد كانت الأقراص واضحة جدا للعيان، عبارة عن مرايا معدنية متسخة تمتد بعرض خمسين قدم، ترتكز على محور، ككبسولات محركات المناطيد.

"إنني أسميها الطاردات المغناطيسية.." تابعت تشيلدرماس، "و ما إن يتم تشغيلها سوف ترتفع المدينة برمتها وتطفو فوق موجات المجال المغناطيسي للأرض. سوف تطفو على ارتفاع بضعة أقدام فقط فوق مستوى سطح الأرض اليابسة أو الماء. لقد نجحت النماذج المصغرة التي صنعناها نجاحا عظيما. كل ما نحتاجه الآن هو أن نستكمل بناء المحرك الكهرومغناطيسي الذي سيشغل الطاردات"

"لفائف الكليست" صاحت رين، تماما مثلما يفعل محقق شاب يتوصل

لاستنتاج ذكي.

"نعم..." قالت تشيلدرماس ".. كان لدينا مشكلة في توليد الطاقة الكافية، إلى أن أخبرني السيد بوميروي عن عمل دكتور كليست حول آلات الإمبراطورية الكهربائية. وعلى الفور أدركت أن شيئا كهذا هو ما نحتاجه، وهكذا راحت كليتي تمدنا بالعشرات من تلك اللفائف، إلى جانب مواد أخرى نحتاجها"

نظرت رين إلى فولف، فوجدته يستند بكفيه فوق الإفريز ويحدق بأعين متسعة لامعة في المدينة الصغيرة، كشخص أتيحت له فرصة الحصول على لمحة من المستقبل.

"أعتقد الآن أنكم فهمتم سبب قلقنا الشديد من الجواسيس" قالتها كليتي بوتس، ".. لقد استغرقنا ما يقرب من العشرين عام لبناء لندن الجديدة" نيو لندن" معا، و لا نريد أن تدري إحدى بلدات جامعي المخلفات بأمرها الآن وقد صرنا على وشك الانتهاء من بنائها"

"" نيو لندن"..." دمدم توم في تؤدة ".. بالطبع..." وفي داخله راح يفكر... بالتأكيد لا يمكن الاستمرار في إطلاق (الضاحية التجريبية M / L 1) عليها إلى الأبد، ليس إذا أرادوا أن يعيشوا على متنها وينقلوا ثقافة وذكريات مدينتهم القديمة إلى موطنهم الجديد، لندن الجديدة" نيو لندن".

"سوف أساعدكم.!" قالها توم ،"أعني يمكنكم الاستعانة بي، فأنا لا يمكنني أن أبقى هكذا مكتوف الأيدي آكل من طعامكم وأمشي بينكم دون أن أقدم أي شيء، في الوقت الذي تبذلون فيه جميعا الكثير جدا من أجل المدينة الجديدة. أنا مواطن لندني وأريد أن أرى لندن تتحرك من جديد، تماما مثلكم جميعا. أنا لست مهندسا، لكني استطعت صيانة منطاد الجيني هانيفر والمحافظة عليه جيدا على مدار سنوات ؛ وفي أنكوراج قمت بمعاونة السيد سكابيوس في بناء نظام الطاقة الكهرومائية. سوف أبقى هنا وأساعدكم.. هذا إذا لم تمانع رين"

"بالطبع لا مانع لدي.. " هتفت رين، وقد رأى توم في عينيها نظرة الحماسة والإعجاب بلندن الجديدة، مثله تماما، "... وأعتقد كذلك أن السيد كوبولد سيرغب في مساعدتنا هو الآخر" والتفتت نحوه لتشركه في الحوار، لكنها لم تجده!. فبينما الجميع

منهمكون في الحديث عن لندن الجديدة، كان فولف كوبولد قد تسلل في صمت واختفى.

شحب وجه جاراموند تماما، وبدأ في الصراخ بأشياء حول تأمين المكان وتنظيم عمليات البحث عن الهارب، فيما حدجته دكتور تشيلدرماس بنظرة نارية، وصاحت : "أرأيت؟... تَسَيُّب!"

وفي غضون لحظات كان نبأ فرار فولف كوبولد قد انتشر في كل صوب، ومع وصول توم ورين إلى "كراوتش إند" كانت حشود من شباب لندن قد تجمعوا حاملين الأقواس والبنادق والعتلات، وغيرها من الأسلحة، وشرعوا ينظمون أنفسهم في مجموعات للبحث عنه.

"سوف نجده..." صاحت "آنجي بيبودي " وهي تحمل قوسها وجعبة سهامها، ".. لن نسمح له ببيع لندن لأي ضاحية قراصنة قذرة"

"كوني حذرة.." قالت رين لصديقتها "... إنه خطير"

"ونحن بالعشرات يا آنسة ناتسوورثي" صاح جاراموند "أما صديقك هذا فهو فرد واحد، كما أننا نحفظ مناطق الحطام تلك عن ظهر قلب. كوبولد هو الذي في خطر وليس نحن. والآن، هيا جميعا، لنتحرك"

"سوف نأتي معكم" هتف توم

"لا أعتقد ذلك يا سيد ناتسوورثي. أنت وابنتك شركاء لكوبولد ولسوف تبقيان هنا"

"هراء يا جاراموند" صاح بوميروي، وهو يخرج من كوخه مرتديا منامته، "توم ورين لديهما ما يخسرانه هم أيضا، مثلنا تماما، أحسب أن كوبولد يخطط غالبا للفرار على متن منطادهما".

وهكذا، عانقت رين والدها وقالت "ابق أنت هنا يا أبي" ثم تناولت أحد المصابيح وانطلقت مع آنجي وأخيها ساب، فيما وقف توم يراقبهم إذ يبتعدون، إلى أن اختفت أضواء مصابيحهم وراء تلال الخردة. فيما راح السيد جاراموند يصرخ بالأوامر بطريقة أرادها أن تبدو عسكرية، لكنها جاءت أشبه بطريقة مدرس متوتر مسئول عن

وانتشر الفتية عبر مناطق الأنقاض متعدين عن " كراوتش إند" وراحوا يمشطون كل مسار ومسلك وركن من مساحات الأطلال والخردة الصدئة بحثا عن أي أثر لفولف.

"لا يمكن أن يكون قد ابتعد كثيرا.." هكذا سمعت رين الشباب يقولون، لكنها كانت تعرف أن بإمكانه ذلك، فهو جندي، وقد سبق واتخذ سبيله عبر مئات الأميال عائدا إلى هاروبارو، عبر أراضي العاصفة الخضراء. كذلك كانت ترى أن الاختباء في متاهة من الخردة والحطام بحجم لندن لن يكون أمرا عسيرا عليه.

وحين وصلت رين وصحبتها إلى حيث المكان الذي خبئوا فيه الجيني هانيفر، وجدته كما هو بجوار الأركبوبتركس، فصاح جاراموند آمرا "ساب" وعددا آخر من الفتية بتعزيز الحراسة على المنطادين، فيما مضت باقي الفرق تستأنف البحث.

"هذا غير مجدٍ.. " قالت رين في أسى، بينما هي و"آنجي" تبتعدان عن موضع المنطادين وتسلكان الطريق الضيق الذي مروا به في اليوم الأول، "... قد يكون في أي مكان الآن، إنه ماهر جدا في الاختباء، ضاحيته بأكملها يمكنها الاختباء"

"أوووف" قالت آنجي، وقد بدا ردها مضحكا لرين، فالتفتت تنظر نحوها، لتفاجأ بأنها، وللمرة الثانية في ذات الليلة، تقف وجها لوجه أمام فولف كوبولد.

"هاأنتِ ذا قد وجدتني يا رين!.." قالها كوبولد "والآن، حان دورك للاختباء..."

ثم انحنى فوق "آنجي" - والتي كانت قد سقطت عند قدميه بعدما باغتها بضربة على رأسها من الخلف بآلة حادة، لم يكن من الصعب عليه أن يجدها بين ركام الخردة - ينتزع القوس وسهم من جعبتها. فتحت رين فما للصراخ والاستغاثة، لكنه، وقبل أن تصدر أي صوت، كان قد انتصب من جديد موجها السهم والقوس صوبها.

ولم تدر رين ما إذا كان من المجدي أن ترفع يديها أم لا، لكنها رفعتهما عاليا في تردد، وهي تتساءل في سرها عما إذا كانت صديقتها "آنجي" لا تزال حية، أم أنه صرعها. ثم إنها استجمعت شتات نفسها وقالت :

"لن تتمكن من الذهاب لأي مكان... لقد وضعوا حراسة على موضع المناطيد، إنهم يحملون بنادق صاعقة..."

"لست في حاجة إلى منطاد بارين.." قالها فولف وهو يضحك ". لقد حسبت في البداية أن سر المهندسين ربما هو شيء يمكنني حمله على متن منطادكما، لكني أدركت الآن أنني كنت مخطئا وأنه سيتعين علي إحضار هاروبارو بنفسها إلى جهة الشرق.."

ثم إنه انحنى من جديد، و كان لا يزال يوجه القوس والسهم نحو رين، وراح يفك حزام جعبة السهام وقربة الماء من على ظهر صديقتها... "انظري، لدي الآن كل ما أحتاجه في رحلتي عبر الأرض العراء. سأستقل واحد من قطارات العاصفة الخضراء، فيما سينتظرني " هوسدورفر" بال"هاروبارو" بالقرب من الحدود الفاصلة"

ثم إنه ابتسم لرين ابتسامة عريضة ومد يدا نحوها وقال "لماذا لا تأتي معي؟"

"ماذا؟"

"لقد أهدرتِ الكثير من حياتك يا رين بصحبة والدك، إلى متى سوف يبقيك سجينة هنا بين تلك الأوحال؟ تعالي معي إلى "هاروبارو""

"لأشاهدها وهي تلتهم لندن الجديدة؟ لا، لا يمكنني ذلك"

"فكري جيدا، هذه التقنية الجديدة التي طورتها تلك المهندسة سوف تضيع سدى في يد سكان لندن الحمقى. إنهم حتى لم يزودوا مدينتهم الجديدة بفكين.. سوف أستولي على تلك التقنية وبها سأجعل هاروبارو أقوى ضاحية مفترسة على الأرض، مفترس طائر، مسلح بأسلحة كهربائية. فكري في الأمر ملياً"

وكانت رين بالفعل تنصت إليه وتفكر، لكن ما قاله لم يرق لها على الإطلاق.

وهكذا، ضحك فولف وأرسل لها قبلة وهو يبتعد، ثم صاح : "سيكون لك دوما مكان في مقر البلدية عندي يا رين"

وما إن ابتعد حتى هرعت رين تنحني فوق "آنجي" تتفحصها وتحاول إفاقتها، وتأوهت الفتاة من الألم بمجرد أن لمست رين وجهها، وهو ما اعتبرته علامة جيدة، فعلى الأقل هي لم تزل حية.

"النجدة" صرخت رين بأعلى صوت لها، "النجدة.. النجدة.. إنه هنااا هنااا"

وسمعها جاراموند، فهرع يركض نحوها ومعه "ساب" و" كات لوبريني "، ومن ورائهم عدد آخر من الفتية، وبمجرد أن بلغوا موضعها انحنى واحد منهم، يبدو أنه يملك خبرة طبية ما أفضل من رين، نحو "آنجي"، ثم قال "ستكون بخير، ستكون بخير".

أما فولف، فقد اختفى تماما ولم يجدوا له أي أثر، وظل أبناء لندن يبحثون عنه في كل شبر وناحية، حتى الصباح، دون جدوى. تبخر الفتى تماما، تلاشى دونما أثر، كما لو كان هو الآخر مجرد شبح من "أشباح لندن".

***

الجزء الثاني

24. مانشستر

أيقظ الصخب واهتزازات مشابك الإرساء "أوينون" وأخرجها من أحلامها. لقد حاولت جاهدة أن تبقى نائمة طوال الوقت، لكن معدتها التي كانت تتلوى من الجوع راحت توقظها كلما غفت للحظات.

وفي تلك اللحظات التي كانت تنجح في اختلاسها للنوم، كانت تحلم بوطنها، جزر " ألوتيا"، بصخورها وسمائها الرماديتين، وبحرها الشتوي الرمادي هو الآخر، حين كانت وشقيقها "إينو" يهرعان عبر التل في البرد القارس.

لكن تلك الصور كانت سرعان ما تتلاشى من عقلها في ظل الحرارة الخانقة داخل مخزن المنطاد "هامباج".

كان الصباح قد حل، وراحت أشعة شمس اليوم الجديد تنسرب عبر ثقوب وشقوق غلاف المنطاد.

جلست أوينون متكورة حول نفسها فوق أرضية المخزن، محاطة بصناديق و علب مليئة بالأدوات والسلع التي اشتراها " نابستر فارلي" ذات يوم على أمل أن يبيعها ويجني منها ربحا. ولم يكن هناك حاشية في المخزن كي تنام عليها، وقد تيبست عظامها ونهش الألم أوصالها جراء نومها فوق الأرضية القاسية لدرجة أنها كانت بالكاد تستطيع الحركة.

وفي ذلك الصباح قبعت "أوينون" حيث هي وراحت تتطلع من حولها عبر المخزن وتتساءل عما يبدو مختلفا في سجنها هذا الصباح. ثم فطنت إلى أن محركات المنطاد المزعجة الصاخبة التي كانت ضوضائها تصم أذنيها على طول الطريق من " كوتلرز جولب" قد توقفت أخيرا.

ومن الأسفل، حيث زورق المنطاد، كان بوسعها سماع صوت صياح فارلي على زوجته، كالمعتاد، و كالمعتاد أيضا كان الطفل يبكي، ولم تكن "أوينون" قد رأت على مدار حياتها طفلا يبكي بهذا القدر مثل "نابستر" الصغير.

شربت "أوينون" بعض الماء من إبريق من الصفيح تركه لها فارلي، ثم تبولت في الوعاء الإينامل المتشقق، وبعدها جلست ثانية في مكانها وراحت تتلو صلوات الصباح الخاصة بها.

ومع انتهائها من صلواتها كانت الأصوات في الأسفل قد سكنت، فراحت تنتظر في خوف ما سيحدث بعد ذلك. وبعد لحظات سمعت صوت خطوات وانفتح الباب، فما إن رأت القادم حتى تنفست الصعداء وقد سرها أنه لم يكن نابستر فارلي، وإنما زوجته. صحيح أن السيدة فارلي لم تكن شديدة المودة معها، لكنها على الأقل أكثر لطفا من زوجها. كانت فتاة ذات شعر أحمر ناري، ونمش على خديها، وعينان مذعورتان، كانت إحداهما متورمة هذا الصباح ومحاطة بكدمات صفراء؛ يبدو أن فارلي قد أتى بزوجته تلك من مكان ما، لكنه لم يجدها كما كان يتوقع أو يأمل، وهكذا كان يوسعها ضربا بشكل دائم، و كثيرا ماكان صراخها ونحيبها يتردد صداه عبر أرجاء المنطاد ويصل إلى "أوينون" في سجنها، حتى أنها باتت تشعر بأنها وتلك الفتاة المنهكة المسكينة، رفيقتي سجن بشكل أو بآخر.

"نابستر طلب مني أن أعطك وجبة الإفطار هذه." قالتها السيدة فارلي بصوتها الخفيض، ثم دفعت إليها بصحن من الخبز عبر قضبان قفصها ومعه نصف تفاحة. وعلى الفور راحت أوينون تلتهم الطعام التهاما بكلتا يديها، وقد اعتراها الخجل من منظرها هذا، لكنها كانت تتضور جوعا، وقد حولتها أسابيع الأسر تلك إلى حيوان متوحش.

"أين نحن؟" سألتها أوينون والطعام يملأ شدقيها.

"إيرهيفن" أجابتها المرأة وهي تتلفت من حولها، كما لو كان زوجها سيخرج لها من بين أكوام الصناديق وينهال عليها ضربا جزاءً لها على تبادلها الحديث مع " بضاعته". ثم إنها انحنت قليلاً نحو القفص وقالت لأوينون "إنها بلدة طائرة"

"نعم، لقد سمعتُ عنها من قبل"

"إنها تحلق فوق شيء يدعى تجَمُع " مورناو"" تابعت السيدة فارلي، وقد غلبت حماستها خوفها، ".. يوجد من المدن في الأسفل أكثر مما رأيت على مدار حياتي كلها... بينهم مدينة حربية كبيرة مغطاة بالكامل بالدروع، وعدد من البلدات التجارية،

وكذلك "مانشستر" . نابستر يقول أن "مانشستر" واحدة من أكبر المدن في العالم!، لقد قرأ عنها في أحد كتبه. إنه يقرأ الكثير من الكتب، فهو يسعى لتطوير ذاته.... على أية حال نحن محظوظون أننا وصلنا هنا اليوم، فهناك اجتماع كبير بين عمداء وكبار تلك المدن، وقد ذهب نابستر إلى هناك لـ... ليرى ما إذا كان أحدهم سيرغب في شرائك يا آنسة"

كانت أوينون تحسب نفسها قد جربت جميع مشاعر العجز والخوف على مدار حياتها، أما الآن فقد شعرت وكأنها على وشك الموت رعبا بمجرد سماعها ذلك النبأ؛ لقد قضت معظم حياتها تسمع الأهوال عن قسوة وشناعة الرجال الذين يحكمون المدن المتحركة، ثم ها هي ذي تكاد تباع لأحدهم.

ثم إنها مدت ذراعيها عبر القضبان وتشبثت بتنورة السيدة فارلي فيما كانت الأخيرة تبتعد، وصاحت في توسل "أرجوك، ألا يمكنك إخراجي من هنا؟ فقط اتركيني على ضفاف المدينة، لا أريد أن أموت على متن مدينة...."

"آسفة،" قالت المرأة - وكانت تشعر بالأسف حيالها بالفعل - "لا يمكنني ذلك، سوف يقتلني نابستر إن سمحت لك بالرحيل. أنت تدركين طبعه. ربما يلقي بطفلي من المنطاد، إنه دوما يهددني بذلك"

وفي تلك اللحظة، وكأنما سمعها، استيقظ الطفل في مهده وبدأ يبكي مجددا، فسحبت السيدة فارلي تنورتها من بين يدي أوينون وهرعت مبتعدة وهي تردد "آسفة... يجب أن أذهب الآن.."

مانشستر... كانت المدينة الضخمة تتقدم شرقا طوال الربيع، تنعطف بين الحين والآخر لالتهام بعض البلدات الأصغر، إلى أن وصلت أخيراً إلى حيث تجمُع مورناو في الليلة الماضية، لتستقر في النهاية وتجثم كجبل ضخم، ربما أكثر ضخامة من المدينة الحربية، على بعد بضعة أميال من خطوط المواجهة.

ثم إنها فتحت فكيها الضخمين على نصف اتساعهما تحت ذريعة القيام ببعض أعمال الصيانة وتنظيف الأسنان الدوارة الهائلة، لكنها في الواقع قد أعطت انطباع بأنها ربما تفكر في افتراس بضع من البلدات التجارية الصغيرة التي احتشدت حول أطراف مورناو.

وجمعت البلدات الواحدة تلو الأخرى، مواطنيها، وقد كانوا جميعا يدركون أن وصول مانشستر يعني المتاعب، حتى إذا لم تقم بافتراسهم.

كان "أدلاي براون" عمدة مانشستر معارضا شديدا للهدنة، وكانت معظم مدن التحالف الألمانية "تراكشيونستات" مدينة له بأموال طائلة، تلك الأموال التي أغدقها عليهم خلال حربهم مع العاصفة الخضراء، و الآن يرغب بالطبع في الحصول على المقابل؛ وبالفعل كان الرجل قد أرسل مبعوثيه، الذين سبقوا المدينة إلى حيث التجمع، إلى زعماء تلك المدن يدعوهم إلى مجلس حرب في مبنى بلدية مانشستر. وبحلول الساعة التاسعة صباح ذلك اليوم، كانت المناطيد واليخوت الطائرة تقترب نحو طبقة القمة في "مانشستر" قادمة من كل مدينة وضاحية في التحالف.. في حين تجمعت حشود المتابعين على مسافة آمنة، كي يروا رؤساء المدن والبلديات وقادة الدفاع وهم يشقون طريقهم إلى حيث مبنى البلدية، ليستقروا على مقاعدهم المبطنة الوثيرة بغرفة اجتماعات المجلس في انتظار عمدة "مانشستر" ليعتلي منصة التحدث.

كان سقف القاعة من فوق رؤوسهم عبارة عن قبة مزخرفة تصور السماء وقد تراجعت سحبها لتفسح المجال لأشعة الشمس المرسومة، وكذلك لامراة شابة يفترض أنها ترمز إلى روح الداروينية البلدية، وقد أشهرت سيفا يرمز لمحاربة "الفقر" و "مناهضة التحرك ". وقد بدت عينا المرأة مثبتتان على المنصة في الأسفل وكأنها هي الأخرى تتوق لسماع ما سيقوله "أدلاي براون".

مال براون واضعا يديه فوق منصة التحدث، وراح يتفرس قليلاً في وجوه الحاضرين. رجل قصير القامة ممتلئ الجسد هو، مزهوا بذاته، جعلته ثروته الطائلة غير راض عن كل شيء من حوله، وهو ما انعكس على ملامحه، حتى بدا وكأنه ضفدع حانق على الدوام.

"أيها السادة..." قالها براون بصوت عال، ثم أضاف "والسيدات..." وقد تذكر أن هناك بين الحضور عدد من رؤساء البلدات من النساء، وكذلك "أورلا تومبلي" قائدة سلاح المرتزقة الجوي الخاص به، ".. قبل أن نبدأ ذلك المؤتمر التاريخي، أود أولا أن أعبر عن فخري الشديد بأنني قد بت قادرا على التحرك بمدينتي إلى هذا الموقع، وأن أؤكد لكم أن السنوات الطويلة من الكفاح والتضحيات التي قدمتموها تلقى تقديرا

صفق الحاضرون بلباقة، فيما مال المارشال " فون كوبولد" نحو جاره قليلاً وتمتم "إنها أموالنا التي يقدرونها. لقد بذلنا ثروة من المال خلال تلك السنوات في مقابل كل تلك البنادق والأسلحة والذخيرة التي كانوا يرسلونها لنا. لا عجب أن براون مرتعب من فكرة عقد سلام".

"والآن.." تابع براون "سوف أتحدث بصراحة أيها الزملاء، ولن أزين كلامي. أنا لم آت إلى هنا لأربت على ظهوركم، ولكن لأدعمكم و أقويكم، وأذكِّرَكم..." ثم توقف قليلاً كي يمنح الفرصة للشاب الذي يتولى ترجمة كلماته إلى اللغة الألمانية الحديثة. ثم استأنف من جديد "لأذكِّرَكم بأن النصر التام بات بين أيدينا!. أعلم مدى ترحيبكم جميعا بتلك الهدنة وما تمثله من فرصة لكم لفتح مجالاتكم الجوية والتنعم بالسلام لعدة أشهر. لكننا، نحن الذين نحيا بعيدا عن خطوط المواجهة ونحارب العاصفة الخضراء بطريقتنا الخاصة، ربما نرى من الصورة الكاملة مالا ترونه أنتم. وما نراه الآن هو أن لدينا فرصة ينبغي علينا أن نغتنمها"

تصاعد التصفيق مرة ثانية، فهز براون رأسه ممتنا، وإن كان قد بدا وكأنه كان يتوقع المزيد من الحماسة، وقد راح يتجول بعينيه بين الحاضرين لتحديد من منهم بالضبط يؤيد ما قاله : فون نيومان من " فينترتور"... ديكرستال عمدة " دورتموند"... وعدد آخر من رؤساء الضواحي الحصادة المتعصبين للحرب. ثم أنه، وقبل أن ينتهي التصفيق من تلقاء ذاته، أشار للحضور بالهدوء، و "ربما يرى البعض منكم أنني أتحدث بنوع من التهور..." تابع براون "... لكن دعوني أؤكد لكم، مانشستر لديها عملاؤها الذين زرعتهم داخل أراضي العاصفة الخضراء، وعلى مدار الأسابيع الماضية جاءت تقاريرهم جميعا لتؤكد ذات الشيء : لقد خارت قوي قوى الجنرال ناجا، فقد ماتت تلك المرأة الألوتية التي يحبها، و فقد العجوز أي رغبة في الحياة أو القتال، وانعزل وحيدا في قصره يلوم الآلهة لأنها حرمته منها. وهكذا، بدون ناجا أمست العاصفة الخضراء بلا قائد. أيها السادة، هذه... آه، والسيدات ،.. هذه هي اللحظة المناسبة تماما للهجوم"

دوى المزيد من التصفيق، أقوى هذه المرة، وصاحت بضعة أصوات أن : "أحسنت القول يا براون" و "سوف نكون جميعا في تينجين بحلول مهرجان القمر!"

وهنا، وكان قد اكتفى بما سمع وما عاد يحتمل المزيد، هب المارشال " فون كوبولد" وصاح بأعلى صوت له :

"لكن هذا لن يكون فعلا شريفا يا سيد براون. إنه ليس أمرا يدعو إلى الفخر أن تستغل حزن ناجا على هذا النحو. إننا هنا، على خط المواجهة، نعرف التكلفة الحقيقية للحرب، ليس المال فقط هو ما تتكبده، وإنما الحياة، حياة الكثيرين، وليس هذا فقط، بل هناك ماهو أسوأ : نفوس أطفالنا التي تشوهت وتحولوا مع الوقت إلى وحوش متعطشة إلى الحرب. علينا أن نبذل كل ما في وسعنا لضمان استدامة ذلك السلام"

تعالت الأصوات، بعضها، بل القليل منها، مؤيدا لما قال فون كوبولد، أما الغالبية فقد راحوا يصيحون في غضب يشجبون كلامه ويطالبونه بالصمت وعدم الاسترسال في مثل تلك الأقوال والآراء " الانهزامية"، فيما وقف الرجل يتأملهم من حوله، ولم يكن يدرك أن كل هؤلاء لديهم الاستعداد للإنصات لكلام براون الداعي إلى الحرب. وفي قرارته راح يتساءل متعجبا... أيعقل أنهم، في غضون أشهر قليلة من السلام والراحة، قد نسوا تماما ويلات الحرب وما عانوه خلالها؟! هل يتوقعون حقا أن يخرج أحد منتصرا من تلك الحرب إن هي اشتعلت من جديد؟!.. إنهم مع الأسف لا يقلون سوءا عن فولف!.

كان الحنق والسخط يعتملان في صدر المارشال إزاء هؤلاء الحمقى الذين لم يكفوا عن الاصطخاب رفضا لما قال، حتى ضباطه وكبار قادته بدوا محرجين من ثورته المفاجئة تلك وما تفوه به.

حدج المارشال الجمع بنظرة ساخطة أخيرة، ثم توجه دون كلمة أخرى نحو أقرب باب للخروج.

"أيها السادة.." تابع "أدلاي براون" ".. إن ما أطمح للتوصل إليه اليوم ليس خطة للحرب بقدر ما هو قائمة بالغنائم، فالأراضي والمقاطعات الضخمة للعاصفة الخضراء تنتظرنا، لا يحميها سوى جيش منهك ضعيف التجهيز، مدن ثابتة بأكملها مثل باتمونخ جومبا وتينجين، عدد لا حصر له من الغابات وأراضي الرواسب المعدنية التي لم يستغلها هؤلاء الحثالة، كل هذا ينتظرنا كي نلتهمه. السؤال الهام والأوحد الآن : كيف

سنقوم بتقسيم تلك الغنائم؟ ما الذي ستأكله كل مدينة من مدننا؟

خرج المارشال العجوز أخيرا من قاعة الاجتماع وهو يشعر بالغثيان، وقد تناهت إلى مسامعه أصوات الهتاف وصيحات الجدال، بينما هو يقطع الممرات عبر مبنى البلدية نحو الباب الرئيس إلى الخارج حيث الهواء المنعش، ثم سارع يهبط الدرج ويمر من أسفل الحواجز الأمنية التي نصبها رجال براون لإبقاء حشود المتفرجين بعيدا. وكانت الحشود قد تفرقت بالفعل، فيما عدا عدد قليل من المتنزهين يتجولون عبر المروج. وعلى الأرض المعدنية تناثرت القبعات الورقية واللافتات، و جريدة مهملة طيرها الهواء أمام المارشال تتصدرها صورة للبروفيسور نيمرود بيني رويال على صفحتها الأولى.

سخيف!.. هكذا قال فون كوبولد في سره بمجرد أن وقعت عيناه على صورة الرجل... العالم ينقلب رأسا على عقب ويرتد إلى الفوضى، وكل ما تهتم به الصحف هو أحدث الشائعات والنميمة التي تتردد حول ذلك الكاتب السخيف.

ثم إنه سار عبر العشب نحو إحدى شرفات المتابعة، إلى أن توقف عند الإفريز، وراح يتنفس بعمق وهو يتطلع شرقا نحو الأسوار المدرعة لمدينته، ثم نحو المنطقة الفاصلة من ورائها. لقد مضت ثلاث أسابيع منذ أن غادر فولف مورناو؛ ترى، ماذا يفعل الآن؟ وأين هي ضاحيته القبيحة؟ وماذا سيكون مصيرها لو اشتعلت الحرب من جديد؟

"فون كوبولد؟" سأله شخص كان قد اقترب ليقف من خلفه دون أن يشعر، "المارشال فون كوبولد؟"

استدار المارشال ليجد أمامه رجلا غريبا مبهرج الهيئة، بدا له مخبولا نوعا لدرجة أنه - فون كوبولد - ندم على خروجه وحده من قاعة البلدية دون حراسته، لكنه سرعان ما تمالك نفسه وقد رأى أنه ليس جديرا به أن يخشى مثل هذا الرجل الضئيل، وقال في إنضباط : "أنا فون كوبولد"

"فارلي.." قالها الغريب وهو يمد يده مصافحا ".. نابستر فارلي"، ثم ابتسم تجاه المارشال فلمعت سن ذهبية في فمه، ثم تابع "لقد هبطت إلى هنا على أمل التحدث إلى الحاضرين في مؤتمركم هذا، لكنهم لم يسمحوا لي بالدخول، لذا رحت أتسكع

قليلاً في الجوار لحين انتهاء المؤتمر وخروجكم كي أتحدث إلى أي منكم خلال توجهه نحو منطاده. ثم فجأة لمحتك تتجول هنا، يا له من حظ سعيد، أليس كذلك؟"

"حقا؟"

"آه، بالطبع يا هر كوبولد" وكان الرجل قد نطق كلمة "هر" الألمانية :" هير" مما أزعج كوبولد، ".. أنا أعمل في التجارة الجوية يا سيدي، أتاجر في الأغراض الغريبة والتحف، والحق أن كلمة تحف هي ما ينطق بالفعل على الغرض الصغير الذي جئت به على متن منطادي بحثا عن المشتري المناسب له، ولهذا يا سيدي ما إن رأيتك هنا وحدك حتى قلت لنفسي : نابستر، لقد ارسلت لك آلهة التجارة السيد كوبولد إلى هنا كي تحدثه بأمر الصفقة التي تنتظره في إيرهيفن"

"إيرهيفن ؟" قالها كوبولد ونظر نحو الأعلى حيث المدينة الطائرة فوق ضباب المدينة على بعد بضعة أميال. لا يمكن لشخص أو لشيء أن يغريه بالصعود إلى ذلك المرفأ الحر المليء غالبا بجواسيس الطحلبيين والقتلة.

وإستدار فون كوبولد مبتعدا باتجاه مبنى البلدية، وقال دون أن يلتفت نحو الغريب "أيا كان ما تبيعه يا سيد فارلي، هو لا يعنيني في شيء"

"آه نعم يا سيدي..." قال التاجر وهو يهرع خلفه للحاق به، "هو لا يعنيك الآن، لكنك بالتأكيد ستغير رأيك حين تعرف ما هو، قد يكون ذو قيمة لك، ربما من أجل الحرب، أنا فقط أحاول أن أؤدي دوري في الجهود الحربية يا سيدي"

توقف فون كوبولد متسائلا عما يتحدث عنه ذلك الرجل. أتراه مثل جامعي المخلفات الذين يأتون بين الحين والآخر من الأرض العراء حاملين معهم أجزاء من التقنيات القديمة يزعمون أنها ستنهي الحرب؟ لقد ثبت أن معظمهم كانوا دجالين، لكنه لا يمكنه الجزم بأن هذا الرجل دجال هو الآخر....

" لو أنك واثق حقا بأنه غرض مهم..." قال فون كوبولد "... عليك إذن أن تأخذه إلى السلطات، سواء هنا في مانشستر أو في مورناو، إنهم يعرفون كيف يتعاملون مع تلك الأشياء"

"آه، نعم، لكني أخشى أنهم لن يمنحونني المكافأة التي أستحقها لقاء تعبي، أليس

كذلك؟، لقد تجشمت الكثير من العناء حتى حصلت على ذلك الغرض، ولهذا لا بد وأن أحصل على مقابل مناسب"

"ولكن لو إنك وفي حقا للداروينية البلدية وترى أن ذلك الغرض من شأنه أن يساعدنا...."

"أنا كما تقول بالضبط يا سيدي..." هتف فارلي "وفيا للداروينية البلدية، لكن هذا يأتي في المقام الثاني، أنا رجل أعمال أولا وقبل أي شيء". ثم إنه راح يتمتم بكلمات مبهمة : "لقد كانت "جراندما" على حق، ما كنت أحسب أنني سأواجه كل تلك الصعوبة في العثور على مشتر..."

استدار فون كوبولد من جديد و هم بالابتعاد، لكنه وقبل أن يتحرك خطوة أخرى تشبث التاجر بكمه وقال "انظر يا سيدي" وفي يده كان يحمل صورة فوتوغرافية، لكن فون كوبولد، الذي كان حريصا دوما على ارتداء نظارات القراءة الخاصة به علناً بنوع من الفخر، لم يستطع أن يميز ما بالصورة، فأزاح فارلي جانبا، لكن التاجر سارع بدس الصورة في جيب صدر سترته وقال : "أتوقع أنك ستأتي إلي يا سيدي للاتفاق على السعر. سوف تجد منطادي عند دعامة الإرساء 13 بمرفأ إيرهيفن الرئيس. عليها اسم فارلي. السعر المبدأي عشرة آلاف عملة ذهبية..."

"حسناً، من بين كل..." شرع فون كوبولد يقول شيئا ما للرجل، إلا أن صوت مساعده كابتن " إشنباخ" قاطعه، حيث كان الضابط الشاب يهرع عبر درج مبنى البلدية، وما إن رآه فارلي حتى توارى بين الأشجار المجاورة وسار مبتعدا.

"هل كان ذلك الرجل يضايقك بأي شكل يا سيدي المارشال؟" سأله "أشنباخ"

"لا، إنه لا شيء، مجرد معتوه"

"عليك أن تعود إلى الداخل يا سيدي" قالها الشاب "إنهم يناقشون خطط الحرب الآن ويوزعون أدوار الهجوم ويحددون المقاطعة التي ستهاجمها كل مدينة في أراضي العدو. براون أعلن أن مانشستر ستتولى الهجوم على تلك القلعة الثابتة " فوروارد كوماند"، أما دورتموند فسوف تأخذ كافة المنطقة على طول الشاطئ لبحر خازاك. إن لم نسرع يا سيدي فلن يتبق لنا شيء لنغنمه . لا نريد أن نخسر..."

“نخسر؟” دمدم فون كوبولد. ثم راح يمسح المتنزه بعينيه بحثا عن فارلي لكنه لم يجد له أثر، ربما يكون قد استقل واحد من البالونات الأجرة، تلك التي تقلع من المنصة عند طرف الطبقة.

“ألهذا كان كل شيء؟...” قال فون كوبولد، “... فقط كي يتمكن رجال مثل “أدلاي براون” من تحويل أراضي العاصفة الخضراء إلى مأدبة ضخمة؟ لماذا لا نتركهم يعيشون في سلام؟”

قطب أشنباخ جبينه محاولاً فهم ما يرمي إليه رئيسه، لكن دون جد، فاكتفى بأن قال : “لكنهم طحلبيون يا سيدي”

لم يرد فون كوبولد، واستدار عائدا باتجاه مبنى البلدية، وهو يردد لنفسه : “مسكين هو الجنرال ناجا”

ثم صعد درجات المبنى ودلف إلى الاجتماع من جديد ليدافع عن مصالح مدينته، وقد نسي كل شيء عن الصورة الفوتوغرافية التي دسها نابستر فارلي في جيبه.

***

25. ثيو على متن إيرهيفن

في وقت متأخر من بعد الظهيرة، كانت السماء حول إيرهيفن مزدحمة تعج بحركة المرور، وكان الجميع يعلمون أن "أدلاي براون" قد أحضر مدينته شرقا لغرض أوحد : إشعال الحرب من جديد، ولهذا سارع التجار الجويون للقيام بأكبر عدد ممكن من الأعمال قبل أن ينطلقوا إلى أسواق أكثر أمانا جهة الغرب. وهكذا راحت سفن الشحن والبالونات المثقلة بالبضائع تقطع الطريق ذهابا وإيابا بين المدن والبلدة الطائرة، ومن فوقهم جميعا كانت مركبات " النمس الطائر" تتحرك كأسراب من الطيور، حيث كان طيارو أورلا تومبلي يراقبون الأجواء بحثا عن أي مركبات حربية للعاصفة الخضراء. ولهذا لم يعيروا التفاتا لتلك السفينة الصغيرة المشحمة من طراز Achebe 100 التي جاءت من جهة الغرب ذلك المساء وبدأت ترسو في إحدى المراسي الرخيصة في إيرهيفن.

كانت المركبة تدعى " شادو أسبكت"، وقد سبق وتم أسرها منذ زمن بعيد من قِبَل جماعة مناهضة التحرك القديمة وتحولت إلى سفينة تجارية. لم تكن مركبة كبيرة، لكنها كانت أفضل ما أمكن لهيستير أن تحصل عليه بعدما قامت ببيع سفينة الرمال الخاصة بها.

وعلى طول الطريق من أفريقيا، لم تكف هيستير عن التذمر بصدد خلايا الغاز التي يتسرب الغاز منها والمحركات المفككة للمركبة، وتصب اللعنات على تاجر المركبات المستعملة الذي باعها تلك المصيدة المميتة.

أما ثيو، والذي تولى معظم مهام القيادة، فقد اعتاد على المركبة وألف قيادتها، وقد راح يهمس لها برفق ويحثها على المضي قدما : "هيا، لم يتبق سوى مسافة قليلة، أنتِ تستطيعين فعلها...."

وقد فعلتها بالفعل، وها هي الرحلة الطويلة قد انتهت أخيراً وبلغوا وجهتهم. وفي الأسفل كان منظر كل تلك المدن المتراصة كقطع شطرنج ضخمة متوحشة قد ملأ ثيو بالغضب والخوف، فالمدن المتحركة هي أعدائه وأعداء قومه منذ ألف عام.... أين كان عقله حين قرر الدخول إلى قلب ذلك التجمع الضخم من المدن المتحركة؟... هكذا راح يفكر، وقد فقد أي أمل في إنقاذ السيدة ناجا؛ بالتأكيد هي لا تنتظر منه أن

لينقذها، سواء هو أو غيره، هي لن ترغب أبدا أن يلقي شخص بنفسه إلى الموت من أجلها...

استقرت مشابك الإرساء أخيرا في دعامات المرسى، محدثة قعقعة عالية، وأطفأ ثيو محركات المركبة، وراحت أصداء أصوات إيرهيفن تتردد داخل الزورق : صيحات التجار وعمال الشحن والتحميل، قعقعة السلاسل، تاجر يحاول الرسو في ساحة الإرساء المجاورة.

ومن بعيد جاء صبي يحمل دلوا وممسحة ذات يد طويلة، وهرع نحو " شادو أسبكت" لتنظيف نوافذها، لكن هيستير لوحت له أن يبتعد، وكانت لمحة واحدة لوجهها الغاضب البشع كفيلة بإبعاده تماما.

كانت هيستير في مزاج سيئ للغاية، فقد كانت تأمل أن تتمكن من اللحاق بال" هامباج" في الجو وإنقاذ السيدة ناجا هناك، لكن وبرغم أن " شادو أسبكت" مركبة خفيفة لم يكن بها أي شحنة، كذلك لديها أربعة محركات، في حين أن ال"هامباج" لديها اثنين فقط، إلا أن الأمر احتاج إلى وقت طويل من هيستير حتى تمكنت من معرفة وجهة نابستر فارلي، وهكذا سبقهم الرجل إلى إيرهيفن. والآن، أي محاولة للصعود إلى متن منطاده بعدما دخل الميناء لن تكون سهلة أبدا، في ظل وجود رجال الأمن ومسئولي الميناء، و المارة.

نظرت هيستير جانبا، فوجدت جريك واقف كالتمثال في الظل عند الجزء الخلفي من سطح المركبة...

"من الأفضل لك أن تتوارى أيتها الآلة القديمة"

"ربما تكونين في حاجة إلي" أجاب جريك

"ليس هنا... يوجد هنا الكثير جدا من أبناء المدن والبلدات، ولو أن أي منهم رآك فسوف يحسبوننا من العاصفة الخضراء. على أية حال، ربما يكون هناك من لا يزال يتذكر زيارتك الأخيرة لهذا المكان، حين قمت بتمزيقه وتحطيمه رأسا على عقب، أتتذكر ؟، يوم أتيت في إثري أنا وتوم. فلتنتظرني في الداخل وسوف أستدعيك إذا احتجت إليك"

أومأ جريك موافقا، وصعد عبر سلم المنطاد إلى حيث الغلاف، فيما رفعت هيستير وشاحها إلى وجهها وارتدت نظارتها الداكنة، ثم فتحت فرجة الخروج وهي تقول لثيو : "ألن تأتي ؟"

كانت حانة "باللون وزورق" لا تزال موجودة، وقد نجت من كل التغييرات التي طرأت على إيرهيفن عبر تلك السنوات، في ذات المكان المزدحم عند أكشاك البيع التي كانت هيستير لا تزال تتذكرها من زيارتها الأولى للمكان. ومع ذلك، فعلى مر السنوات التي تلت تلك الزيارة، انقسمت التجارة الجوية - كما هو الحال في العالم على الأرض - إلى تجارة تابعة للمدن المتحركة وتجارة تابعة للطحلبيين، وقد أمست الحانة معقلاً للتجار من المدن المتحركة، وفوق بابها كتبت باللون الأبيض عبارة " لا للكلاب... لا للطحلبيين". وحول طاولاتها الصغيرة المتسخة تجمع التجار الوافدون من مانشستر ودورتموند و بيريباتشيابوليس، ومن الزجورات البخارية في " نوفو مايا" ومدن التنقيب في أنتاركتيكا. أما الجدران، فقد تناثرت عليها الملصقات والرسومات الساخرة من العاصفة الخضراء، وحتى لوحة لعبة رمي السهام طُبِعَت على شكل الوجه البرونزي للمطارد فانج.

توقفت هيستير عند ضريح آلهة السماء ودلفت من الباب، وتنهدت في قلق حين وجدت ثيو يشق طريقه إليها. ثم إنها فتشت في جيوب معطفها إلى أن وجدت بضع عملات، فوضعتهم في صندوق التبرعات، الذي اتخذ شكل منطاد، التابع للصندوق الخيري للملاحين " إيرمانز بينيفولنت". ومن مكان ما جاءت نادلة سمينة وراحت تتطلع فيها وثيو بنظرات وقحة، وقد بدا أنها حسبت أن ثيو حبيب هيستير، فشعرت الأخيرة بغبطة وفخر وكأنما هذا حقيقي.

"نحن نبحث عن فارلي" قالتها هيستير للنادلة "إنه تاجر، جاء مؤخرا من أفريقيا. هل سمعت به؟"

"أنت محظوظة. إنه يجلس هناك بجوار النافذة.." قالتها النادلة وهي تشير نحو نافذة مستديرة، ".. ولكن انتبهي، لقد عاد لتوه من مانشستر ومزاجه سيئ."

كان المنظر خارج النافذة خلابا حيث غيوم السماء تتوهج في ضوء شمس الغروب، ومع ذلك لم يكن الشاب الجالس إلى الطاولة بجوار النافذة يمتع ناظريه

بالمشهد، إذ كان منهمكا في القراءة، ومن حين لآخر كان يمد يده نحو صحن أمامه من الجراد المشوي .

"نابستر فارلي ؟"

"من أنت؟" قالها فارلي وهو يرفع عينيه عن كتابه وينظر بارتياب نحو هيستير، ثم راح يتفحصها من أعلى إلى أسفل، وأغلق الكتاب الذي تبدى عنوانه على غلافه بوضوح : " طريقة دونبيه لارد للمساومة الناجحة". وحين رأى الرجل هيستير تنظر إلى العنوان سارع بقلب الكتاب على غلافه الخلفي، وقال : "أنا لا أعرفك، من أي سفينة أنت؟"

"" شادو أسبكت" "

"لم أسمع بها من قبل" ثم إنه تحول إلى ثيو وراح يتأمله قليلا ثم سأله "من أي مدينة أنت؟ وماذا تعمل؟"

"نحن من..." همت هيستير بالإجابة، إلا أن فارلي قاطعها :

"أنا أسأل الفتى"

ولم يكن ثيو ممثلا جيدا، وتمنى في تلك اللحظة لو أن رين معه لتجيب عنه؛ فهو لم يزل يتذكر كيف استطاعت خداع بيني رويال ونابيسكو شكين في برايتون بقصصها. والآن أدرك أن عليه أن يحاول تقليدها بأي طريقة، وهكذا أجاب كاذبا :

"نحن من زنجبار"

"لقد سمعنا أن لديك شيئا نرغب في شرائه" قالت هيستير، فنظر لها فارلي في اهتمام، وكان لا يزال مرتابا فيها، ثم قال :

"اجلسا" ودفع بكرسي نحوها، ".. هذا جراد، تفضلا. والآن، ما الذي سمعته بالضبط؟ وأين سمعته؟"

"جراندما جريفي" أجابت هيستير

"هل تتاجرين مع جراندما ؟"

"نحن أصدقاء قدامى، وقد أخبرتني أن لديك سجينا مهما جدا على متن مركبتك"

"شششش!" همس فارلي، وقد مال نحوها فوق الطاولة، "لا تتحدثي عن بضاعتي بتلك الطريقة يا سيدتي. لا أعلم من قد يسمعنا هنا، سلطات إيرهيفن لا تحبذ تجارة الرقيق على متن مدينتهم، ولو أنهم عرفوا أنني أنقل بضاعة حية عبر مينائهم فسوف تنفتح علي أبواب الجحيم"

وكان ثيو في تلك اللحظة يشعر بغضب عارم واشمئزاز، حتى أنه تمنى لو قام وأوسع الرجل ضربا. إنه لم يبرأ بعد من الندوب والكدمات التي تلقاها وهو على متن " كوتلرز جولب"، ومن قبلها أسره في " السحابة التاسعة" وعار السبي الذي لا يزال يلاحقه، إنه يفهم تماما ما تعنيه عبارة " بضاعة حية".

أما هيستير، والتي بدا أنها لم تتأثر بما قال، فسألته : "هل عثرت على مشترٍ؟"

"لقد بدأتُ مفاوضات مع مارشال مورناو منذ بضعة ساعات، لكن شيئا لم يتم بعد"

"أود شرائها" قالت هيستير، فهز فارلي رأسه مصدرا صوتا من منخريه، وراح يتناول بعض من الجراد بشراهة، وكأن الحديث عن الأعمال قد أعاد إليه شهيته، ثم قال بفم ممتلئ بالطعام :

"لا يمكنك دفع الثمن الذي أريده"

"ربما أستطيع"

فنظر إليها فارلي بحدة، وهو يبصق جناح جرادة علق في فمه، ثم قال : "أنتما لستما من زنجبار. قد يكون فتاك هذا وسيما، لكنه كاذب. من أنتما بالضبط ؟"

لم تحر هيستير جوابا، وظلت ثابتة هادئة، وقد ركلت كاحل ثيو من تحت الطاولة لتنبهه بأن يلتزم الصمت والثبات هو الآخر.

ثم إن فارلي ابتسم فجأة ابتسامة عريضة، وهتف : "يا للآلهة العظيمة!...." ثم خفض صوته من جديد وقال هامسا "أنتما من العاصفة الخضراء، أليس كذلك؟، لقد كنت أتساءل ما إذا كانت العاصفة سترسل من يتفاوض معي. لا تقلقا، أنا رجل واسع الأفق، فالمال هو المال بالنسبة لنابستر فارلي، سواء جاء من خزائن "تراكشيونستات" أو من خزائن " شان جو". حسنا، كم تساوي بالنسبة لكم؟ عليكما أن تسرعا في إتمام تلك الصفقة، الجميع يقولون أن الحرب ستندلع ثانية في غضون يوم أو نحو ذلك، ولا

بد أنكما ترغبان في إعادتها بسلام إلى أرض الطحلبيين قبل اشتعال المعارك، أليس كذلك؟"

"كم تطلب؟" سألته هيستير

"عشرة آلاف عملة ذهبية كاملة لاتنقص شيئا"

"عشرة آلاف؟" صاح ثيو وقد شعر بمعدته تتقلص من الصدمة. لقد حسب للحظة أنه من الممكن أن يعيد شراء السيدة ناجا، ولكن... عشرة آلاف عملة ذهبية!.. إنه يطلب المستحيل إذن!

"سأفكر في الأمر" قالتها هيستير بهدوء وهي تدفع بمقعدها إلى الخلف وتهم بالنهوض، ".. هيا بنا يا ثيو"

لوح لها فارلي وهو يمسك بواحدة من الجراد المشوي، وقال "فكري جيدا يا حلوة، مركبتي تدعى "هامباج"، عند المرسى 13. احضري أموالك وسوف تحصلين على البضاعة فورا دون مشاكل"

"لكننا نرغب في أن نرى البضاعة أولا" قالت هيستير

"ليس قبل أن أرى المال، وبالمناسبة، لدي ثلاثة من الحراس مفتولي العضلات، فلا داع لأي محاولات صبيانية مضحكة"

خرجت هيستير وثيو إلى حيث الشارع الرئيس، وكان المساء قد حل وأضيئت المصابيح الكهربائية، وراحت العثة والجراد يحومون في الضوء، بينما الصبية يطاردونها حاملين الشِباك لاصطيادها وتحميصها تمهيدا لبيعها كوجبات خفيفة لذيذة. و للحظات تحركت غريزة الأمومة داخل هيستير وكادت أكثر من مرة تهرع نحو عدد من هؤلاء الأطفال إذ يقتربون نحو الحواف غير المسورة لأرصفة الميناء. لكنها تمالكت نفسها، وقررت ألا تستسلم لمشاعر الأمومة والحنان تجاه هؤلاء الصبية؛ فهؤلاء قد ولدوا في السماء ومن ثم فهم أذكى وأكثر حنكة من أن يسقطوا، وحتى لو حدث وسقط أحدهم، فقد قامت سلطات إيرهيفن بمد شبكات أمان بين أرصفة ودعامات الإرساء لإنقاذ أي شخص يتعثر ويسقط.

توقفت هيستير عند إفريز ناصية الشارع واستندت إليه، وكأنما تستمتع بمشاهدة

آخر لحظات غروب الشمس، لكنها في الحقيقة كانت تتفحص موضع الإرساء رقم 13 حيث ترسو المركبة "هامباج" ذات الخطوط السوداء والبيضاء. وبالفعل كان هناك ثلاثة رجال يتسكعون بجوارها على الرصيف، وكانوا مفتولي العضلات مثلما قال فارلي.

"إنها أكبر من إمكانياته" قالت هيستير

"من؟ فارلي؟" سألها ثيو

"بالطبع فارلي، لقد حصل على أغلى بضاعة يمكن أن يحصل عليها في حياته المهنية، لكنه لا يملك أدنى فكرة عن كيفية التعامل مع هكذا كنز ثمين، ولهذا فهو مرتعب، يخشى أن يأتي شخص ما ويسرقها منه، لذا قام باستئجار كتل العضلات تلك. كذلك هو لم يجرؤ على الاقتراب من" تراكشيونستات" مباشرة خشية أن يستولوا على السيدة ناجا منه دون أن يحصل على أي شيء، وحين حاول أن يبرم صفقة بشكل فردي خاص، تجاهلوه، وعاد خالي الوفاض؛ ولهذا رجع من مانشستر في مزاج سيء. ولهذا أيضا انكب على ذلك الكتاب بحثا عن أفكار جديدة للتفاوض وإبرام الصفقات. وحين جئنا بعرضنا إليه كنا بمثابة الهدية التي أرسلتها إليه السماء استجابة لدعائه. إنه هاو يا ثيو"

"لكنه يريد عشرة آلاف عملة ذهبية في المقابل"

"سوف يخفض السعر، ربما للنصف"

"حتى وإن فعل، يظل المبلغ المطلوب كبير جدا، ونحن لا نملك شيئا على الإطلاق!. لقد جئنا لإنقاذ السيدة ناجا وليس لشرائها.... ومع ذلك، يمكننا التغلب على فارلي ورجاله الثلاثة بسهولة. لقد تمكنتِ من إنقاذي، أليس كذلك؟، كما أنني سمعت بما فعلته في شركة شكين في برايتون العام الماضي..."

أشاحت هيستير بوجهها بعيدا، وقد تذكرت هؤلاء الرجال الذين قتلتهم هناك لتحرير توم من زنازين العبيد، وتذكرت كذلك صدمة توم فيها إزاء ما فعلت. كانت تلك هي الليلة الأخيرة لهما معا.

"الأمر لا يتعلق بتخليصها من فارلي فقط..." قالت هيستير ".. وإنما يتعلق كذلك

بالخروج بها آمنة من هنا والفرار بها فورا من كل تلك المدن، ثم العبور بها إلى حيث خطوط العاصفة الخضراء. لو أننا نجحنا في تحريرها من براثن فارلي، فسوف تمسك بنا تلك الآلات الطائرة قبل حتى أن نتمكن من عبور مسافة نصف ميل، وحينها..."

ثم إنها قبضت فجأة على واحد من العث وأسقطتها في شبكة أحد الأطفال، فقال لها: "شكرا لك يا سيدتي"، ثم هرع يكمل مهمته.

"هل معنى هذا أنه لا أمل في إنقاذها؟" سألها ثيو، فصمتت وراحت تنظر عبر الشارع

"سيدة ناتسوورثي؟" سألها من جديد.

"لا،..." قالتها بهدوء دون أن تنظر نحوه، بل كان كل تركيزها منصبا على رجل خرج لتوه من بوابة مبنى كبير يدعى " فندق إمبريان". ثم إنها مدت يدها تمسك بذراع ثيو وضغطت عليه في تشجيع، وقالت "لا... لن نستسلم. فقط سيكون علينا إيجاد شخص يمكنه إعطائنا ذلك المبلغ الضخم."

***

26. مُحَطَّم

امتد الاجتماع على متن مانشستر لساعات وساعات، حيث راح قادة وزعماء مدن تحالف الألمانية "تراكشيونستات" يضعون كافة تفاصيل عدوانهم المزمع. عدوان.... إنها الكلمة التي لم يجد المارشال فون كوبولد خير منها لوصف الأمر، وظلت تتردد في ذهنه بينما هو يصعد إلى متن يخته الجوي استعدادا للعودة إلى موطنه.

وكانت زوجته قد أقلعت إلى باريس على متن السفينة الجوية" فيرونيكا ليك" خشية ما تردد من شائعات حول قرب اندلاع الحرب من جديد. لا بأس، هو لن يفتقدها على أية حال، فعلى مدار السنوات الماضية لم يجتمعا سويا سوى لفترات وجيزة جدا، لدرجة أنه بات يشعر أنه ما عاد يعرف تلك المرأة، بل إنه شعر بالسرور لرحيلها، إذ لن يضطر لقضاء أمسية أخرى معها في جناحهما الرسمي المترع بالزخارف والزينة المفرطة.

وهكذا، ما إن وصل إلى منزله حتى صعد إلى حيث الغرفة الصغيرة في الطابق العلوي التي اتخذها مقرا له حين تكون هي و فولف بعيدا.

غرفة بسيطة هي، ذات جدران بيضاء لا يزينها سوى صورة لابنه. وما إن دخلها وأغلق الباب حتى أخرج الأوراق من جيب سترته وألقى بها فوق فراشه، ثم توجه إلى النافذة ووقف يتطلع نحو الخارج، حيث السماء التي تعج بخيوط العادم المنبعث عن الآلات الطائرة وقد راحت تتدافع هنا وهناك عبر الريح في ضوء المساء.

أمسية هادئة هي، فلا داعي إذن لأن يعكر صفوها بمطالعة تلك الأوراق التي تعج بأمور القتال والمعارك. لكنه في الصباح سيكون عليه توقيع الأوامر التي ستجر مدينته إلى الحرب من جديد، واستدعاء الشباب إلى وحداتهم العسكرية وتجهيز البنادق والأسلحة والمناطيد.... أما النساء والأطفال فقد غادروا المدينة بالفعل، وهم في طريقهم الآن إلى مدن أكثر سلاما وأمانا في أقصى الغرب. الليلة سوف يتم إغلاق دروع المدينة، وقد يستغرق الأمر شهورا قبل أن يعاد فتحها مرة أخرى ويتمكن من رؤية السماء من نافذة غرفة نومه.

خلع المارشال سترته وقام بتعليقها فوق المشجب، ثم أجرى اتصالا بمدبرة منزله يخبرها أنه سيتناول العشاء في غرفته، وطلب منها أن تعد له بعض الخبز واللحم

البارد وكوب من البيرة، وبعدما أنهى المكالمة توجه نحو باب الغرفة ليتأكد أنه لم يوصده بالمفتاح.... وهنا، لاحظ وجها يتطلع إليه من بين كومة الأوراق الملقاة على الفراش، فمد يده وتناول الصورة الفوتوغرافية وهو يتساءل في تعجب عن كنهها وكيف وصلت بين أوراق محضر اجتماع اليوم و نص خطبة براون!.... إنها صورة امرأة. ثم إنه تذكر المدعو فارلي الذي قابله في المتنزه بمانشستر وأنه دس صورة في جيبه قبل أن يرحل.

لقد نسي كل شيء عن الرجل وسط المحادثات المشحونة والمخططات المزرية التي خاضها اليوم. ثم إنه بدأ يشعر بالحنق الشديد لمجرد اكتشاف أن تاجر للعبيد كان يتسكع على بعد أميال قليلة فقط من مورناو، مدينته التي لم يكن لها يوما شأن بالعبودية، بل كانت تفخر دوما بأنها تقوم بتحرير العبيد في أي بلدة تلتهمها، و ترى في ذلك مثار شرف واعتزاز. ثم يأتي هذا المدعو فارلي الآن متخيلا أنه، فون كوبولد، يمكن أن يهتم بشراء تلك المرأة البائسة!

وهكذا هرع فون كوبولد، والصورة في يده، نحو الهاتف من جديد وصرخ في عامل الهاتف أن يوصله في الحال برئيس الأمن. وبينما هو ينتظر في غضب، وضع نظارته على أنفه وراح يتطلع إلى الصورة عن كثب.. كانت لفتاة شرقية، قذرة الهيئة، وجهها مليء بالكدمات، متسعة العينين من الخوف.

و لسبب ما بدت له المرأة مألوفة، لكنه لا يتذكرها... ذلك الفم الصغير الرفيع.. تلك الأسنان المعوجة...

فجأة تذكر أين رأى هذا الوجه، لقد أرسلت له مخابراته ذات مرة صورة من حفل زفاف الجنرال ناجا. إنها ذات المرأة التي كانت ترتدي ثوب الزفاف الأحمر في الصورة، نفس الحواجب الكثيفة السوداء وعظام الوجنة البارزة، نفس الفم...

"سيدي المارشال؟" جاءه صوت رئيس الأمن عبر الهاتف، ".. ما الأمر؟"

صمت فون كوبولد مترددا، وكان لا يزال يحدق في الصورة، ثم قال "لا شيء يا شيلر... الأمر لايهم"

ثم أعاد سماعة الهاتف إلى موضعها، و فتح أحد أدراج طاولة الزينة وأخرج مسدسه منها، و كذلك أخذ سيفه الثقيل، ثم ارتدى الدرع الواقي الذي كان قد أرسله

له الجنرال ناجا منذ سنوات. ولم يكن فون كوبولد ممن يهتمون بارتداء الدروع، لكنه في هذه اللحظة بدا له من المناسب أن يستخدم هدية ناجا لحمايته وهو ذاهب لإنقاذ زوجة الرجل.

ثم إنه ارتدى معطفا ثقيلا، وخرج من الغرفة و هرع يركض عبر الدرج متجاوزا الخادمة التي كانت في طريقها إليه حاملة العشاء.

"آسف يا عزيزتي.." قالها وهو يخف الخطى "لقد غيرت خططي لليلة"، لكنه تناول كوب الجعة من فوق الصينية وراح يتجرعها وهو يسرع نحو حوض الإرساء الخاص به، فيما كان طاقم يخته ينقلونه إلى حيث مستودع المركبات.

"انتظروا يا شباب.." صاح فون كوبولد وهو يطوح كوب الجعة الفارغ بعيدا ويسرع باتجاههم "سوف أقلع به ثانية"

"الليلة يا سيدي؟"

"لا يوجد به ما يكفي من الوقود يا سيدي"

"لا أحتاج إلى الكثير من الوقود.. أنا ذاهب إلى إيرهيفن فقط".

"لا يوجد أحد بهذا الإسم هنا " قالها موظف الاستقبال بفندق إمبريان.

كان مصباح الأرجون يومض بشكل متقطع مرسلا ضوءه فوق السجاجيد الرثة والجدران ذات لون التبغ، فيما كان الدرج يمتد نحو الأعلى ليتوارى في الظلال.

"يا له من مكان جميل" دمدم ثيو، فيما انحنت هيستير على مكتب الاستقبال تحدث الرجل. وكان ثيو يخشى أن تُقدِم على ارتكاب أي فعل شنيع للشاب الواقف وراء المكتب، لكنها فقط كانت تقول :

"هل أنت متأكد؟ نيمرود بيني رويال، إنه كاتب"

"آه، أعلم من يكون يا سيدتي.. الجميع سمع ببيني رويال، لكن لم ينزل أحد بهذا الاسم هنا"

"لكني رأيته يخرج من باب الفندق منذ قليل... رجل ممتلئ الجسد، عجوز، أصلع"

"آه، هذا كان السيد " أونتربيرج"" قال الموظف "رجل تجارة مهذب من مورناو، إنه

ينزل في الغرفة رقم 128. قال أنه سيخرج ليتمشى قليلا إلى حيث مكتب الميناء... انظري، ها هو قد عاد الآن!"

فالتفتت هيستير وثيو نحو باب ردهة الفندق وقد انفتح، ليدخل عبره صخب الحفلات الدائرة في حانات الشارع، وبعض من العثة، والرجل الذي كانا يبحثان عنه، وقد قام بحلق لحيته وارتداء نظارة زرقاء، و استبدل ملابسه الفخمة بثياب التجار الرُّحَّل، إلا أن هيستير وثيو عرفاه على الفور.

"آه، يا لبوسكيت العظيم!" شهق الرجل بمجرد أن رآهما أمامه، "آه، يا لكليو، اوه....."

"أود أن نتحدث قليلاً.." قالت هيستير، وقد كانت تتوقع منه أن يصرخ مستغيثا بمجرد أن يراها، أو أن يستدعي الشرطة وميليشيا إيرهيفن؛ فقد حاولت قتله في آخر لقاء بينهما، ولولا تدخل ابنتها رقيقة القلب لكانت قد قضت عليه بالفعل.

ومع ذلك فقد بدا أن بيني رويال كان خائفا من موظف الاستقبال أكثر من خوفه منها هي. ثم إنه تمالك نفسه قليلا وقال وهو ينظر إليها نظرة سريعة ويتوجه بعصبية نحو الموظف الشاب - الذي كان يراقبهم بأعين متسعة وقد فغر فاه - "لا يمكننا التحدث هنا"

"لنتحدث في غرفتك إذن" قالت هيستير، فأومأ بيني رويال في خنوع وأخذ مفتاح غرفته من الموظف المذهول ثم أشار لهما أن يتبعاه عبر الدرج.

وبرغم ثباتها، كانت الدهشة تعتري هيستير، وقد شعرت وكأن ثمة حلقة مفقودة أو شيء ما لا تفهمه؛ فعلى مدار حياتها لم تقابل شخصا مزهوا فخورا بذاته كنيمرود بيني رويال، فما الذي يجعل رجلا مثله يدعي أنه شخص آخر؟

كانت الغرفة 128 في الطابق العلوي، ذات سقف مائل وصنبور تنسرب منه قطرات الماء في حوض معدني قذر، فيما تبعثرت زجاجات النبيذ الفارغة في كل مكان.

دلف بيني رويال من الباب وتوجه ليجلس على كرسي من الخيزران بجوار النافذة، وتبعته هيستير ومن بعدهما ثيو، الذي بمجرد أن دخل حتى ركلت هيستير الباب فانغلق بقوة.

"إذا كنتِ جئتِ بحثا عن توم ورين فقد أقلعا منذ أيام، نحو الشمال، في مهمة ما مع شاب يدعى فولف كوبولد"

"توم و رين كانا هنا؟!" صاح ثيو، أما هيستير فقد بدا الارتباك واضحا عليها بمجرد سماعها خبر عن أسرتها، وراحت تحدق في بيني رويال للحظة، وقد همت بقول شيء، لكنها تراجعت، ثم إنها تمالكت نفسها وقالت :

"ليس هذا ما جئنا من أجله، نحن بحاجة إلى المال يا بيني رويال"

وهنا انفجر الرجل ضحكا، بصوت متحشرج، ثم قال "مال؟.... جئتِ إلي من أجل المال؟... يبدو أنك لا تقرئين الصحف، أليس كذلك؟ أولم تسمعي بالأمر؟"

"أسمع بماذا؟"

"في ظنك لماذا أنا مختبئ هنا في صفيحة القمامة تلك؟" ثم إنه انحنى وسحب جريدة ممزقة من تحت كومة من الزجاجات الفارغة والجوارب الملقاة تحت سريره، ثم دفعها إلى هيستير وثيو، وهو يقول في مرارة :

"هل ترين؟ لقد تحطمتُ... تحطمتُ!، وكل هذا بفضل ابنتك!"

كانت الجريدة تدعى "ذا سبيكيلم"، وكانت صورة بيني رويال تحتل معظم الصفحة الأولى، وتحت وجهه المتفاخر المبتسم كُتِب بالخط الأسود العريض :

[كاذب!

نيمرود الحقيقي

البروفيسور بيني رويال دون قناع.

كتبه مراسلنا في مورناو "سامبفورد سبيني"

انظر صفحة 2، 24]

فتناول ثيو الجريدة وراح يتصفح صفحاتها الأولى ويقرأ بصوت عال :

"منذ وقت طويل والعديد من الخبراء يرون أن أعمال البروفيسور بيني رويال واستكشافاته الأثرية محل شك"... ".. لا يوجد دليل واحد يدعم قصص بروفيسور

بيني رويال حول مغامراته في أمريكا ونوفو مايا.."

ثم إنه قلب الصفحات وصولا إلى نهاية التحقيق الصحفي، وهنا صاح من المفاجأة، فقد كانت هناك صورة لرين، صحيح أنها صورة صغيرة، وقد قامت بتغيير شيء ما في شعرها منذ رآها آخر مرة - أو ربما التقطت لها الصورة من زاوية جعلته يبدو كذلك - لكنها هي، رين، بكل تأكيد.

وأخذ ثيو يستعرض السطور المكتوبة تحت الصورة، ثم إنه ألقى نظرة خاطفة متوترة نحو هيستير قبل أن يقرأ المكتوب بصوت عال :

"السيد توماس ناتسوورثي، تاجر جوي محترم، هو زوج هيستير شاو، التي قال بيني رويال أنها قد ماتت و وصف وقائع موتها بشكل مؤثر في الفصول الختامية من كتابه الأكثر مبيعا : " ذهب المفترسين". وربما يتفاجأ المعجبون بهذا الكتاب حين يعرفون أن السيدة شاو لا تزال على قيد الحياة حتى مهرجان القمر الماضي، حيث انفصلت عن زوجها، وأن لهما ابنة رائعة، الآنسة ناتسوورثي (15عام)، والتي تقول عن بيني رويال أنه : يميل للمبالغة قليلاً... " ... ".. والحق أن كاتب هذه السطور يرى، وكذلك عدد متزايد من قراء البروفيسور، أن بيني رويال إنما يبالغ كثيرا جدا، وأنه في حقيقة أمره ليس أكثر من مخادع، دجال، محتال، متسلق، وأستاذ في الخداع، يسيء بوجوده في الطبقات العليا لمورناو إلى تلك المدينة النبيلة"

وكانت هيستير تنصت إلى ما يقرأه ثيو وهي تضحك بشدة من وراء وشاحها.

"أترين ؟.." صاح بيني رويال ".. تلك الصغيرة الرعناء راحت تتحدث إلى سبيني بهذا الشكل من وراء ظهري!... أم تراه خدعها؟ ربما قام بتحريف كلامها؟ لا أستبعد عنه شيء، إنه لا يتوانى أبدا عن استخدام أي سلاح ضدي... سوف أطلب من محامي إتخاذ الإجراءات القانونية ضده.... ولكن، مع الأسف، كافة الدلائل على مغامراتي قد احترقت مع "السحابة التاسعة". والآن تتهمني دار النشر " وورد روب & سبور" بأنني قد خدعتهم ويطالبونني بإعادة المبالغ المالية التي دفعوها لي كدفعة مقدما لنشر مذكراتي. لكني لا أستطيع! لقد أنفقتها!، والآن صدرت بالفعل مذكرات توقيف بحقي في مورناو ومانشسترا!.. إلى أين أذهب الآن؟ وماذا بيدي أن أفعل؟. لقد فررت إلى هنا على أمل أن يساعدني صديقي " دونييه لارد" على الهرب بعيدا

على متن يخته الطائر، لكنه رفض حتى أن يتواصل معي وتنكر لي !، ولا أجرؤ على محاولة حجز مكان لي على متن أي سفينة تجارية عادية، إذ ربما يتعرف علي أحد ملاحيها ويقوموا بإبلاغ الدائنين... إلا إذا..."

ثم إنه أخذ يحدق في هيستير بحزن وتوسل، محاولا إخفاء خوفه منها، ثم : "هل لديك مركبة يا سيدة ناتسوورثي؟ ربما.... لأجل الأيام الخوالي.... ثيو يا بني العزيز، هل تتذكر كيف نجونا من "السحابة التاسعة" معا؟ وكيف كنا نتناوب على قيادة المركبة العزيزة القديمة " أركتيك رول"..."

"مال" قالتها هيستير في حزم

"آه، بالطبع، يمكنني أن أدفع لك مقابل رحلتي!" وراح بيني رويال يفتش بين ثيابه ويفتح أزرار قميصه كاشفا عن بطن منتفخ ذو شعيرات بيضاء وحزام قماشي للنقود قام بخلعه وبدأ يفرغه من العملات المعدنية على الأرض.... "إنه مجرد مبلغ صغير أحمله معي لحالات الطوارئ، حزمة من الأموال للنفقات الشخصية، لكنها كلها لك لو أنك استطعتِ إخراجي من هنا وأخذي بعيدا، مع إبقاء الأمر طي الكتمان."

"حزمة من الأموال؟" ونظرت هيستير إلى حيث العملات المعدنية الملقاة وحركتها بطرف قدمها، ثم "عليك أن تدفع فوق هذا المبلغ أربعمائة عملة أخرى يا بيني رويال"

"تريدين خمسمائة!" صاح الرجل العجوز، ثم سحب لفافة أخرى من العملات المعدنية من بطانة معطفه وأفرغها مع البقية.

"إنني أتعجب، كيف تستطيع المشي بذلك الثقل" قالت هيستير

"حسناً، كل تلك الأموال ستكون لك، فقط إن استطعت مساعدتي"

هزت هيستر رأسها وشكرته، ثم "خذ العملات يا ثيو"

"لكن هذا لا يكفي...." قال ثيو

"بل يكفي لأتمكن من الصعود على متن "هامباج". بمجرد أن أجتاز كتل العضلات الرابضة على الرصيف وأدخل إلى المركبة سوف أجد وسيلة ما"

نظر لها ثيو في حيرة، وكان لا يفهم كيف يمكن لها أن ترضي جشع فارلي فقط

بخمسمائة قطعة ذهبية، لكنه أطاع على أية حال وانحنى يجمع العملات ويضعها في جيوبه، فيما وقف بيني رويال يتابعه وعلى وجهه تعبير عجيب، هو مزيج من الألم والأمل. ثم سأل :

"مركبتكما متواجدة على أي رصيف؟ وما اسمها؟... أهي سريعة؟ كنت أفكر ما إذا كان في إمكانكما أن توصلاني إلى نوفو مايا؟. لا أظن أن هناك من يقرأ ال" سبيكيلم" في نوفو مايا"

"لكنك لن تأتي معنا" قالت هيستير

"ولكنكِ قلتِ أن..."

"أنا لم أقل أي شيء يا بيني رويال. أنت من كنت تتكلم طوال الوقت، كالمعتاد، أنا لا أثق فيك البتة ولا يمكنني السماح لك بأن تكون على متن مركبتي. وحتى إن فعلتُ، أنت لن ترغب أبدا في أن تذهب إلى المكان الذي سأتوجه إليه"

"ولكن... أموالي... أموالي!..."

"لا يمكنكِ فعل هذا به!" صاح ثيو وهو يلتفت لهيستير. صحيح أن بيني رويال جعل منه عبدا لديه في الماضي، وكان من المفترض أن يكون سعيدا الآن وهو يراه في هذا الوضع الذي وضعته فيه الآلهة عقابا له على كل أكاذيبه، لكنه لم يكن مسرورا على الإطلاق، بل شعر وكأنه يقوم بسرقة رجل عجوز مرتعب قليل الحيلة... "لا يمكننا أن نأخذ ماله على هذا النحو!"

"بل يمكننا، اعتبره قد قدم تبرعا خيريا بتلك الأموال" قالت هيستير وهي تفتح باب الغرفة وتهم بالرحيل.

"سوف أبلغ السلطات!" صرخ بيني رويال، فأجابته هيستير ببرود:

"وتقوم بكشف مكان اختبائك؟ لا أظن"

"سوف نستخدم تلك الأموال لغرض نبيل يا بروفيسور" قال ثيو بلطف وهو يمسك بيد الرجل العجوز، "سوف نرد إليك مالك. السيدة ناجا سجينة على متن إحدى المركبات هنا، سوف نذهب لنحررها ونعيدها إلى شان جو. سوف يكون الجنرال ناجا ممتنا جدا لذلك، وسوف يغدق علينا من الأموال أضعاف ما أخذناه منك"

"السيدة ناجا ؟" صاح بيني رويال "ما الذي تتحدث عنه؟ إنها ميتة!"

"ثيو!" صاحت هيستير تناديه، وكانت قد بلغت منتصف الدرج، فهرع ثيو خارجا من الغرفة، والتفت يلقي نظرة أخيرة على بيني رويال، ثم تبعها عبر الدرج، ثم إلى خارج الفندق حيث الليل البارد والسماء المرصعة بالنجوم.

ومن خلف مكتبه، وقف موظف الاستقبال يتابعهما إلى أن غادرا الفندق، ثم أمسك بسماعة الهاتف وطلب من عامل الاتصالات توصيله بشقيقه، والذي يعمل في مكتب إيرهيفن للبرقيات اللاسلكية.

"ليجو؟" همس الموظف في الهاتف "هذا أنا، دوبلو، هل يمكنك أن ترسل برقية إلى مورناو؟ برقية عاجلة؟ "

وفي غرفته رقم 128، جلس بيني رويال وحيدا وراح يحاول التقاط بضعة أنفاس مضطربة متلاحقة لتهدئة نفسه، وفي داخله استيقظ الفضول ليحل محل الحسرة والألم... ما الذي كان يعنيه الشاب ثيو بكلامه؟ أيمكن أن تكون السيدة ناجا لا تزال بالفعل على قيد الحياة؟ أهي موجودة حقا في إيرهيفن؟ وإذا كانت كذلك، فلاشك أن مدن تراكشيونستات ستكون على استعداد لتقديم كل مايمكنها تقديمه للحصول عليها، وحينها سيتحول من يأتي بها إليهم إلى بطل، بغض النظر عن ماضيه أو أي من الأمور التي ارتكبها سابقا....

صب بيني رويال لنفسه كأسا من البراندي لتهدئة أعصابه، ثم أزاح الستائر المتسخة وراح يتطلع إلى حيث تلك الأشكال الكبيرة للمناطيد الراسية عند أحواض الإرساء.... "هامباج"، هذا هو الاسم الذي ذكرته هيستير. هو لم يسمع عن تلك المركبة من قبل، لكنه لن يجد صعوبة في إيجاد دعامة الإرساء التي تستقر عندها. ولا بد أن هناك العديد من أبناء البلدات والمدن الموجودين الآن في الحانات ممن يمكنهم مساعدته إذا ساءت الأمور.

وفي ذهنه، كانت البشاعات التي نشرتها " ذا سبيكيلم" عنه قد بدأت تتلاشى أخيرا، لتحل محلها عناوين جديدة :

[بيني رويال يأسر أحد قادة الطحلبيين].

27. دعامة الإرساء رقم 13

من وسط سحابة منخفضة امتدت من الغرب مع رياح الليل، تنبسط كسجادة بيضاء على بعد خمسين قدما تحت إيرهيفن وتخفي الأرض من أسفلها، باستثناء قمم الطبقات العليا من المدن الكبرى الرابضة فوق اليابسة، خرج يخت جوي أزرق اللون، قادم من مورناو متجها نحو أحواض الإرساء في المدينة الطائرة... ربما هو لواحد من هؤلاء المقامرين من "أوبرانج" قد جاء ليقامر بميراثه في واحد من كازينوهات إيرهيفن؟..

في غضون ذلك، كانت هيستير تقف على منصة المتابعة في الشارع الرئيس وقد اتكأت على إفريز المنصة. وقد ذكرتها رائحة الضباب بتلك الليلة التي قضتها في روجز رووست منذ زمن بعيد.

وفي الأسفل كانت دعامة الإرساء رقم 13، حيث يستقر المنطاد "هامباج" وإلى جانبه جلس الحراس الثلاثة في استرخاء، وقد ظهر ضوء في زورقه، وآخر انبعث من نافذة منخفضة في غلافه.

التفتت هيستير نحو ثيو وقالت : "عد إلى مركبتنا وأبقها على أهبة الاستعداد للإقلاع. لو أن الأمور سارت على مايرام فسوف أعود إلى متنها مع السيدة ناجا في غضون بضع دقائق"

"لا يمكنك النزول إلى هناك وحدك!" قالها ثيو محتجا ،"ماذا لو جرت الأمور على نحو سيئ؟"

"حينها سيكون عليكما أن تغادرا بدوني. اتجه بالمركبة شرقا وأبلغ الجنرال ناجا بحقيقة ما جرى لزوجته"

كانت هيستير ترغب في إبقاء ثيو بأمان كي يتسنى لها فعل ما يتوجب عليها فعله دون معوقات. ثم إنها انحنت نحوه وطبعت قبلة على خده، وقد شعرت بحرارة وجهه عبر وشاحها. وفي تلك اللحظات كانت تشعر بكل شيء من حولها حادا ومركزا، وكأنما أراد لها عقلها أن تتشرب كل الأشياء، كل صوت، كل رائحة.

أومأ ثيو، و هم بأن يقول شيئا، إلا أنه تراجع، ثم استدار ومشى مبتعدا بخطى

سريعة عبر الشارع، متجاوزا الزحام وحشود الملاحين الذين كانوا يتجولون بين الحانات والمقاهي. فيما ظلت هيستير في مكانها تراقبه إذ يبتعد، إلى أن اختفى عن ناظريها، وتفكر كم كانت ستقع في حبه لو أنها كانت أصغر بعشرين عاما.

ثم إنها هرعت بدورها - وهي تلعن نفسها على تلك الأفكار العاطفية البلهاء - إلى الأسفل عبر الدرج إلى حيث دعامة الإرساء 13.

كان الحراس يشعرون بالملل والنعاس - تماما مثلما كانت تأمل - وقد بدا أنهم من ذلك النوع المتكاسل البائس من الرجال الذين يتسكعون حول حانات الشارع الرئيس بحثا عن أي عمل. لا بد أن فارلي استأجرهم لحراسة "بضاعته" الثمينة، لكنهم كانوا بالتأكيد يفضلون الشراب على الوقوف هكذا في البرد.

فكرت هيستير في قتلهم، لكنها قدرت أنها لن تتمكن من القضاء عليهم دون الدخول في قتال معهم، ولم تكن ترغب في المخاطرة، لذا فقد صاحت : "أين فارلي؟"

فأفاق الرجال من نعاسهم وتوجهوا نحوها محاولين أن يبدوا بمظهر الأقوياء الأكِفَّاء.

***

"من أنتِ؟" سألها أحدهم وهو يصوب مسدسه نحوها، فهزت هيستير الحقيبة التي في يدها كي تسمعهم صلصلة العملات الذهبية بداخلها. ترى، هل " صلصلة" هي الكلمة السليمة؟، هكذا راحت تسأل نفسها، ولم يكن هذا بغريب عليها، ففي مثل تلك الأوقات عادة ما تصير شديدة الهدوء، تراودها أسئلة بسيطة مثل هذه، ومع كل مرة يخطر على بالها هكذا أسئلة كانت تقول لنفسها : لا بد أن توم يعرف الإجابة... أما الآن، فما عاد ينبغي لها أن تفكر في توم على الإطلاق.

كان أحد الحراس مسئول عن مراقبة مدخل ال" هامباج"، وقد راح ينادي شخص آخر من الداخل. وبعد لحظة أشار لهيستير بالمسدس أن تدخل فيما تنحى الآخران ليسمحا لها بالصعود إلى المنطاد.

وفي تلك الأثناء، كان ثيو يعكف على تجهيز ال" شادو أسبكت" وتسخين محركاته

تمهيدا للإقلاع، وراح يختبر لوحة التحكم، آملا ألا يلاحظ أحدهم على متن إيرهيفن ما يقوم به، إذ لم يبلغ الميناء بالمغادرة ولم يستصدر تصريحا بالإقلاع. ومن ورائه كان جريك يقطع الزورق جيئة وذهابا، وأقدامه الثقيلة ترج المنطاد...

"لقد قلت لك... ما كان لها أن تذهب وحدها أبدا..." قالها جريك "... أنت لست المسئول يا ثيو نجوني، لكنها ما كان ينبغي لها أن تذهب لهناك بمفردها"

ثم إنه أصدر صوتا ميكانيكيا مزعجا، قدر ثيو أنه صوت تنهد، ثم استطرد : "كان ينبغي أن أساعدها على تحرير دكتور زيرو. في ظروف أخرى كنت لأفعل ذلك بسهولة. كنت ببساطة سأدمر محطة التوليد الكهربائي لإيرهيفن لتنتشر الفوضى والاضطراب، ثم، و بينما الفانون يتخبطون في الظلام، كنت سأتوجه إلى "هامباج" و..... لكنني لا أستطيع فعل ذلك دون قتل"

"أنت أيضا لا يمكنك الذهاب لهناك" قالها ثيو، لكن يبدو أن جريك لم يكن ينصت إليه، حيث وقف عند إحدى الفتحات يتطلع نحو الخارج حيث الظلام والصمت والسفن الساكنة، ثم قال :

"سوف أذهب لأساعدها"

"ولكن، لا يمكنك ذلك، لو أن أحدا رآك..."

"سوف آخذ حذري"

وقبل أن يتمكن ثيو من الاعتراض أو منعه، فتح جريك فرجة الخروج وقفز منها إلى حيث دعامة الإرساء التي يرسون عندها، ولم يكن أحد في الجوار. فانطلق يعبر الدعامة في خطوتين واسعتين إلى أن بلغ الحافة فقفز منها، وأضواء الميناء تنعكس على دروعه لتلمع بشدة وكأنه مصنوع من الفضة.

وكان الجزء السفلى من الدعامة غارق في الظلال، محاطا بعدد من العوارض، فتسلل جريك عبرهم، إلى أن بات أسفل أرصفة الإرساء، فقبع هناك منتظرا مرور باللون أجرة كان في طريقه إلى الحلقة المركزية في الميناء. ثم شرع يزحف من جديد أسفل إيرهيفن نحو الدعامة رقم 13.

كان البالون الأجرة يحمل على متنه "سامبفورد سبيني" و الآنسة "كروبوتكين"،

وما إن بلغ البالون إحدى منصات الإرساء في وسط إيرهيفن حتى خرج الصحفي ومصورته حاملة آلة التصوير الضخمة الخاصة بها.... كان الصحفي يجلس على مائدة عشاء في أوبرانج حين جاءته الرسالة من إيرهيفن، فهب مسرعا لدرجة أنه لم يجد وقتا لتغيير ملابسه الرسمية، وانطلق إلى حيث المدينة الطائرة.

وقد راح سبيني يشق طريقه عبر منصة الإرساء إلى حيث موظف استقبال فندق إمبريان الذي كان واقفا في انتظاره...

"حسناً، أنت من يزعم أنه رأى بيني رويال؟"

"نعم يا سيدي، لقد كان يقيم في الفندق الذي أعمل به"

"وهل هو هناك الآن؟"،

"لا يا سيدي، لقد غادر بعد وقت قصير من إرسالي الرسالة لك..."

"غادر إلى أين؟"

"لا أعرف يا سيدي. لقد جاءه بعض الأشخاص للتحدث معه، ثم غادر مسرعا بعدها. يمكنني أن أريك غرفته..."

"غرفته؟ غرفته؟!... وحق ثاندر العظيم!، لا يمكنني أن أجري حوارا مع غرفة! جِد لي بيني رويال نفسه، وإلا لن ترى سنتا واحدا من جريدتي"

هرع الموظف عبر الدرج المؤدي إلى الشارع الرئيس، ومعه سبيني الذي أشار للمصورة أن تتبعه، وهو يقول :

"، دوني تلك الملاحظة يا آنسة كروبوتكين: أنا واثق أن ذاك اليخت الذي مررنا به ونحن في طريقنا إلى هنا هو يخت المارشال فون كوبولد.... ماذا يفعل الرجل على متن إيرهيفن ؟ هل جاء للقمار؟ لملاقاة امرأة؟... يمكن أن تكون هناك قصة وراء ذلك.."

كان زورق ال " هامباج" تفوح منه رائحة الحفاضات المبتلة، وقد كان قسم المعيشة في مؤخرة المنطاد مليء بها حقا، معلقة فوق حبال ممتدة فوق مواسير التدفئة. بينما كانت مجموعة من الأرفف المتهالكة للكتب تغطي الجدران، تنوء

بحملها الثقيل من كتب فارلي للتنمية الذاتية. وفي أحد الأركان كان طفل رضيع ينشج وقد بدأ يبكي.

"شش... شش..." كانت الأم تحاول إسكات طفلها، وقد رفعت رأسها تنظر بتوتر بينما أحد الحراس يدفع هيستير إلى داخل المنطاد.

وكان فارلي جالسا في انتظارها، وقد بدا أكثر انتعاشا ونشاطا من أي وقت مضى، و أمامه كانت طاولة تحمل عشاءا لم ينته من تناوله بعد.

"بمفردك هذه المرة" قالها الرجل ".. هل جئت بالمبلغ؟ عشرة آلاف؟"

"خمسة" قالت هيستير "هذا كل ما أمكننا التحصل عليه"

"إذن سوف أبيع السيدة ناجا لمشتر آخر"

"آه، طبعا... لقد رأيت صفوف المشترين المحتشدين أمام باب منطادك!" قالتها هيستير بنبرة ساخرة، إلا أن الرجل بدا أنه صدق ما قالت، فالتفت ينظر بلهفة عبر نافذته، فاضطرت أن تقولها له صراحة:

"إنها مجرد مزحة... فلتواجه الحقيقة يا سيد فارلي، أنت لن تجد أي مشترين آخرين، ولن يكون أمامك سوى أن تعقد صفقتك معي أنا، قبل أن يصل نبأ أسيرتك إلى من هو أقوى منك فيأتي وينتزعها من يديك دون مقابل"

حدق فارلي بها ولم ينطق بشيء، فقامت بوضع حقيبتها فوق طاولة المطبخ وأخرجت صرة من العملات أحدثت صلصلة عالية وهي تضعها فوق الطاولة. وكانت هيستير تحمل في حقيبتها عشر صرر : صرتان ممتلئتان بالفعل بمدخرات بيني رويال، أما الثمانية الأخرى فكانت ممتلئة بالمكسرات والأصداف وبقايا الأشياء التي قضت طوال الليل هي وثيو يجمعانها من الشارع التجاري.

"عشر صُرر" قالت هيستير وهي تفتح واحدة منها وتفرغ ما بها من عملات لامعة فوق الطاولة، "في كل منها مائتان وخمسون عملة، وسيعطيك كابتن نجوني باقي المبلغ حين نتأكد من أن " بضاعتك" على قيد الحياة وبصحة جيدة"

أخذ فارلي يتطلع إلى الأموال الملقاة أمامه في جشع، لكنه لم يبد سعيدا، ثم قال :

"أهذا الفتى الأسود الصغير كابتن؟... لا بد أن العاصفة الخضراء تعاني من نقص في الرجال و الأموال على حد سواء..."

أخذت هيستير صرة أخرى، انتقتها بعناية، من داخل الحقيبة وأفرغتها هي الأخرى فوق سطح المنضدة. ومن ركن الغرفة قالت زوجته وهي تهدهد رضيعها: "انظر، إنها جميلة!"

"خذه أو إتركه" قالت هيستير في حزم، فيما وقف فارلي مترددا، ثم قال "أريد أن أرى وجهك"

"لن تحب ذلك، صدقني"

فأصدر التاجر الجوي صوتا من منخريه، و ركل لعبة كانت بجوار قدمه، ثم قال لأحد أتباعه "راقبها جيدا، ولا تحاول أخذ شيء من أموالي" ثم إنه توجه إلى حيث الدرج المؤدي إلى الأعلى وصعده إلى أن اختفى في الأعلى، فيما وقف حارسه يراقب هيستير وهو بالكاد يبعد عينيه عن كومة العملات الذهبية.

ومن ركن الغرفة راح الطفل يقرقر قليلاً بينما أمه تهدهده، ثم بدأت تغني له أغنية بدت مألوفة لهيستير. ثم لاحظت المرأة نظرات هيستير نحوها، فتوقفت عن الغناء.

"أنتِ من جزيرة البلوط؟" سألتها هيستير، فهزت المرأة رأسها وقالت :

"بل من " ريد دير""

وكانت جزيرة " ريد دير" قريبة جدا من موطن هيستير الأصلي، حيث يمكن رؤيتها من فوق تلال "جزيرة البلوط" بسهولة في أيام الطقس الجيد. لا عجب إذن أنها تعرفت على الأغنية بمجرد سماعها. وتمنت هيستير حينها ألا تضطر لقتل هذه المرأة وطفلها.

"لقد أتى بي نابستر من مزاد للزواج هناك..." قالت المرأة، لكنها لم لم تزد، وقد سمعت وقع خطى زوجها يهبط الدرج عائدا إليهم، ثم إنها تحركت من مكانها إلى حيث الطاولة لتفسح له مساحة حيث نزل إلى المقصورة وهو يجر" بضاعته" المذعورة من خلفه.

راح بيني رويال يتنقل بين نصف دزينة من الحانات المزدحمة على طول الشارع

التجاري الرئيس إلى أن وجد ضالته، أو بالأحرى إلى أن وجدوه هم : مجموعة من الضباط الشبان من مانشستر كانوا قد حصلوا على تصريح بإجازة لمدة أربع وعشرين ساعة، فقرروا قضائها على متن إيرهيفن ؛ وقد رآهم بيني رويال يخرجون مترنحين، ممسكين بالزجاجات، ويتأبطون ذراع عدد من الفتيات، من إحدى الكازينوهات فوق دعامة الإرساء رقم 1، حيث كانوا يقامرون بأموالهم في ألعاب الحظ القديمة.

اندفع بيني رويال نحوهم إلى أن اقترب منهم وصاح مناديا : "عفوا، أيها السادة، أود أن أقول...."

لكنهم لم يعيروه أي انتباه، إلى أن صرخ : "أنا نيمرود بيني رويال"

وهنا التفت الفتية نحوه وراحوا يحدقون فيه قليلا، ثم صاح واحد منهم :

"انصرف عنا!..."

"أزيحوه!...." قالها واحد ثان

"القوا به بعيدا عن حلقة الإرساء..."

"مرحى!...."

"لا...." قالها واحد خامس، وقد بدا أكثر رصانة من الباقي، "... إنه نيمرود بيني رويال. لقد رأيت صورته في الصحف"

"القِ به بعيدا عن المرسى على أية حال"

"مرحى....!"

"آه، إنه ذلك المستكشف المزيف، أليس كذلك؟"، قالتها واحدة من الفتيات وهي تنظر إلى بيني رويال كما لو كان حيوان غريب الشكل معروض في حديقة الحيوانات.

"أنا لست مزيفا!" صاح بيني رويال، ثم "... لقد جئت أطلب عونكم. هناك عضو رفيع المستوى من العاصفة الخضراء على متن إحدى المركبات في المرسى، وقد جئت أطلب مساعدة بعض من أبناء المدن المتحركة الأوفياء لإلقاء القبض عليه وإلقائه في السجن!"

“هههههههه!...” راح أحد الضباط يضحك بشدة على مزحة قالها آخر، فيما كان البقية يحاولون متابعة ما يقوله بيني رويال، وقد مد واحد أو اثنين منهم يده يمسك مقبض سيفه، و هم يرددون :

“طحلبي؟ هنا؟...”

“السيدة ناجا بذاتها. لقد كنت أجري تحرياتي متخفيا لاكتشاف مكانها. كل ما قرأتموه في الصحف كان مجرد تمويه تم إعداده لجعل الأعداء يظنون أنني بت منبوذا، لكنني في الواقع أعمل لصالح “ جاهايم دينست” في مورناو”

نظر الفتية إليه في غباء، وقد بدا أن أي منهم لم يسمع بالاسم الألماني لاستخبارات مورناو من قبل. وراح بيني رويال يلعن جهلهم، في سره طبعا، ثم إنه أخرج المغلف القديم الذي كان قد دون عليه تفاصيل المنطاد “ هامباج”، والتي حصل عليها من لافتة المركبات في الميناء، وحدق فيما كتبه قليلاً، ثم رفع المغلف لأعلى كمن يرفع راية الحرب، وصاح :

“تعالوا أيها السادة. اتبعوني إلى حيث دعامة الإرساء رقم 13، إلى حيث المجد”.

فوجئت هيستير بوجه مفعم بالكدمات وشعر ملبد متسخ، وجسد نحيل يقف مرتجفا قبالتها في ثوب من الخيش. وقد اعترتها - هيستير - الدهشة من فيض الإحساس بالشفقة الذي غمرها وهي ترقب السيدة ناجا إذ تهبط عبر الدرج على هذه الحال. لم يكن عمرها يزيد عن عمر ابنتها رين كثيرا، وقد شعرت هيستير للحظة أنها تريد أن تندفع نحوها لتعانق ذلك المخلوق البائس المرتعد وتحاول طمأنتها بأنها صارت في أمان الآن. لكن السيدة ناجا لم تصبح في أمان بعد، وعلى أية حال ما كانت لترغب في أن تعانقها هيستير، إذ بدت خائفة منها، تماما كما كانت خائفة من فارلي.

“هذه السيدة جاءت لتشتريك” قالها فارلي وهو يدفعها للأمام، فتراجعت أوينون للخلف ثانية وهي تئن فزعا كحيوان خائف، وقد بدت هيستير لها، بمعطفها وحجابها الأسودين، كآلهة الموت...

“أنتِ السيدة ناجا؟” سألتها هيستير

"أوينون" أجابت المرأة وهي تنظر لها برعب، عبر نظارتها المكسورة التي تم لصقها بشريط لاصق، وقد تهشمت إحدى عدستيها.

"بالطبع هي السيدة ناجا" صاح فارلي ".. انظري إلى خاتم زواجها، وهذا الشيء الذي ترتديه في عنقها، إنه من زاجوا. والآن، اذهبي و احضري باقي أموالي"

أومأت هيستير، وهي تنظر من خلفه لتقدير المسافة بينها وبين الحارس الذي يقف عند الباب حاملا مسدس السهام، ثم استدارت ناحية الجدار وإحدى يديها تتسلل ببطء إلى حيث السكين في جيب معطفها، وبطرف عينها رأت الطفل يحاول الوصول إلى صرة المال على طاولة فارلي. أما ما حدث بعد ذلك فقد حدث ببطء، ولكن ليس بما يكفي كي تتمكن من تداركه ومنع حدوثه؛ ففي تلك اللحظة كانت يد الطفل قد بلغت حقيبة المال، فقام بجرها، لتسقط على الأرض وينقلب ما فيها وتتناثر أكوام المكسرات والأشياء الأخرى من الصرر. وهنا أدرك فارلي أنها كانت تخدعه، فصرخ في غضب، وفي لمح البصر سحبت هيستير السكين وقذفتها وهي تدور صوب الرجل عند الباب، ليستقر النصل الحاد في عنقه، ومع المفاجأة ضغط الرجل زناد مسدسه بحركة لا إرادية قبل أن يسقط ميتا، فانطلق سهم من المسدس، لكنه طار عاليا من فوق رأس هيستير ويرتطم بالحاجز فوقها.

و ضربت الفوضى أطنابها في كل صوب، وراحت السيدة فارلي تصرخ، والطفل يعوي. وفجأة شعرت هيستير بشيء يضرب رأسها، فالتفتت بسرعة وقد ظنت أن أحدهم جاء من ورائها وضربها على رأسها، لكنه لم يكن سوى مصباح من الأرجون سقط وانكسر فوق جمجمتها. ومن حولها كانت أشياء ثقيلة أخرى تسقط فوقها، فركعت على ركبتيها، لتكتشف أنها الكتب، حيث أصاب السهم الذي انطلق من مسدس الرجل أحد أركان حامل رفوف الكتب، فانفصلت عن الحائط وبدأت تسقط بأرففها و حملها الثقيل فوق هيستير، وضرب أحد الرفوف رأسها بعنف، فيما راحت الكتب الضخمة حول الاستثمار في البشر وصناعة الثروات على مسارات الطيور و......، تمطرها على رأسها وكتفيها . وحين تمكنت أخيراً من رفع رأسها، فوجئت بفارلي يلف ذراعه حول عنق أوينون ويصرخ : "أيها الحراس!، أمسكوا بها، أمسكوا بها!". هنا تذكرت هيستير الرجال في الخارج، وشرعت، والألم يعصف برأسها، تحاول النهوض على قدميها، وفي ذات اللحظة كان الرجال مفتولي العضلات يهرعون إلى داخل

المنطاد وخطواتهم تهز الزورق هزا. ولكن ما إن ظهروا على الباب حتى كانت هيستير قد سحبت مسدسها وصوبته نحوهم، لترديهم قتلى الواحد تلو الآخر، وقد أحدث إطلاق النار دوياً هائلا خشيت هيستير أن يصل صداه إلى القوم في الشارع التجاري.

وسقط اثنان من الحراس الواحد فوق الآخر جثتين هامدتين، فيما كان الثالث يحتضر، فأطلقت عليه النار مرة أخرى، بينما رأسها ينزف وقد راحت الدماء تتدفق على وجهها. ثم إنها وجهت سلاحها بسرعة نحو فارلي، لكنها، وقبل أن تتمكن من ضغط الزناد، سقطت فاقدة الوعي. وحين أفاقت كان التاجر الجوي قد انتزع السلاح من يدها ووقف يبتسم ابتسامة غبية مجنونة. ثم إنه تقدم نحوها ونزع الوشاح من على وجهها، فاتسعت ابتسامته، وكأن تشوه وجهها يمثل نوعا من الانتصار له، ثم بصق على وجهها وقال : "حسناً..." ووضع المسدس من يده على الطاولة - و كان يعرف أن استخدام الأسلحة النارية على متن منطاد هو أمر خطر-ثم سحب سكينا من حزامه، "... لن يفتقدكِ أحد..." لكنه لم يتمكن من إتمام جملته، ووقف يتطلع في زوجته مذهولا غير مصدق ما حدث.... غير مصدق أنها سحبت المسدس من على الطاولة و.... أطلقت عليه النار دون تردد، وأنه.... يحتضر! .

وسقط الرجل على ركبتيه ميتا وقد انحنى رأسه فوق صدره.

"اوه، يا إلهي" شهقت أوينون

أما السيدة فارلي فقد وضعت المسدس من يدها وهي ترتجف بشدة، فيما راح الرضيع يعوي ويعوي. ثم إن أوينون عادت إلى رشدها، وبسرعة هرعت نحو هيستير تعاونها على النهوض على قدميها.

"ينبغي عليكما أن ترحلا الآن" قالتها السيدة فارلي، ثم إنها سحبت إحدى القماطات وراحت تجمع العملات الذهبية عليه.

تحاملت هيستير على نفسها، وهي تترنح ورأسها يلف من الدوار الشديد، ووضعت يدها تمس الموضع الذي سقط الرف عليه، وحين أعادتها وجدتها ملطخة تماما بالدماء. ثم إنها تحاملت على كتف أوينون، وهي تقول :

"لقد جئنا لإنقاذك، أنا وجريك"

“السيد جريك هنا؟”

“وثيو كذلك. هناك منطاد ينتظرنا”

و بمساعدة أوينون بدأت تتحرك بصعوبة نحو فتحة الخروج التي بدت بعيدة جدا.... “يا للآلهة، رأسي يؤلمني بشدة”

وفي الخارج عند دعامة الإرساء، كان ثمة رجل، يقف وحده، وقد قدرتا أنه ربما سمع صوت الطلقات وجاء يستطلع الأمر. كانت الريح تمضغ المعطف الأزرق الذي كان الرجل يرتديه، وفي ضوء القمر لمع السيف الثقيل المتدلي من حزامه.

زمجرت هيستير ما إن رأت السيف، و الإعياء يعصف برأسها، وكانت من الوهن لدرجة جعلتها تدرك أنها لن تستطيع مجابهة الرجل.

“السيدة ناجا ؟” قال الرجل “.. يبدو أنني جئت في الوقت المناسب”

انكمشت أوينون والتصقت أكثر بهيستير بينما الغريب يقترب نحوهما. وفي الضوء الخافت القادم من فتحة ال “ هامباج”، بدا وجه الرجل صارما قاسيا، لكنه لم يكن عدائيا. ثم إنه مد يده نحوها قائلا :

“أنا المارشال فون كوبولد، عليك أن تأتي معي فورا إلى مورناو، رجاءً”

استجمعت هيستير قوتها بقدر ما استطاعت، ووقفت في مواجهة الرجل وصاحت “عليك أن تتجاوزني أولا”

فنظر لها فون كوبولد باحترام، دون أن يصدمه منظر وجهها المشوه أو الدماء التي تغطي شعرها وتقطر من ذقنها، ثم إنه انحنى لها انحناءة بسيطة وقال :

“عذرا يا سيدتي، لكن الأمر لا يستدعي أي مواجهة، أحسب أنك إحدى عملاء العاصفة وجئتِ لتحرري سيدتك ؟. دعيني أقول لك أنك حتى لو لم تكوني مصابة، فلن تتمكني أبدا من الخروج من هنا. هناك عشرات المدن تقف بينك وبين أرضك، وليس جميع رؤسائها من النوع المتفهم مثلي. تعالا معي إلى مورناو وسوف أجد طريقة لأوصلك أنت وسيدتك إلى الجنرال ناجا”

فجأة سمعوا ضوضاء وصخب، فتلفت المارشال فون كوبولد من حوله؛ كان هناك

شخص ما يصيح، ومن ورائه ظلال آخرين يهرعون.

"أحسب أن علينا أن نثق به" همست أوينون، وبدأت تساعد هيستير من جديد على التحرك. ولكن، حين بلغنا موضع فون كوبولد كان الوقت قد فات، فمن طرف دعامة الإرساء كان ستة رجال يرتدون المعاطف الحمراء ويحملون السيوف، قادمين نحوهم، ومن ورائهم تبدت الهيئة المتفاخرة لنيمرود بيني رويال...

"هاهم!..." أخذ بيني رويال يصيح "إنهم يحاولون الهرب، أوقفوهم"

"من أنتم؟" صاح المارشال فون كوبولد، بطريقة عسكرية صارمة جعلت الجنود يتوقفون بالفعل. وهناك عند الشارع الرئيس بدأ المارة يحتشدون عند منصة المتابعة ليروا ما الذي يجري هناك عند دعامة الإرساء رقم 13.

"نحن ضباط الحماية المدنية من مانشستر يا سيدي" قالها أكثر الجنود طولا ورصانة، "لقد تلقينا بلاغا يفيد بأن أحد الطحلبيين الخطرين يختبئ هنا على متن هذه المركبة..."

"آآآه! ...." صاح أحد الجنود وهو يشير نحو أوينون، "إنها هي، زوجة ناجا، تماما كما قال الرجل العجوز!"

"ماذا؟ في تلك الثياب؟!" قالها آخر مندهشا

"إنها هي، لقد رأيت صورتها في أخبار المساء"

"أنتم رهن الاعتقال!" قالها قائد المجموعة وهو يتجه نحو أوينون.

"ابق بعيدا" صاح فون كوبولد واستل سيفه، "... إنها أسيرتي ولن أسلمها إلى يد عمدتكم محب الحروب"

"اهدءوا رجاءً!" صاح بيني رويال، وكان لا يريد أن يقع خلاف بين مورناو ومانشستر يفسد عليه فرصة تصدر عناوين الصحف مرة أخرى. لكنه وقبل أن يتمكن من التفوه بأي شيء آخر، فوجئ بضوء فلاش تصوير يعمي عينيه، وحين تمكن من فتحهما من جديد وجد أمامه رجل ضئيل الحجم يرتدي ملابس السهرات الرسمية، يخترق الزحام المتزايد على دعامة الإرساء، ومن خلفه فتاة تحمل كاميرا فوتوغرافية تقوم بتثبيت مصباح جديد لالتقاط الصور.

"سيد بيني رويال.." صاح الرجل بسعادة "إنه أنا، سامبفورد سبيني، من " ذا سبيكيلم". لقد بحثنا عنك في كل مكان. هل لديك ما تود أن تقوله لمعجبيك المحبطين؟"

لكن الرجل ما إن اقترب ورأى الجنود من مانشستر بسيوفهم الرسمية، وفون كوبولد شاهرا سيفه، و أوينون تحاول مساندة هيستير التي انهارت على ركبتيها، حتى تلاشى صوته تماما، ثم تمتم وقد أثار ما يراه فضوله الصحفي : "هكذا إذن! ما الذي يجري بالضبط؟"

وكان قائد الجنود قد سئم الجدال، فأشهر سيفه وتقدم محاولاً تجاوز فون كوبولد وإلقاء القبض على أوينون، لكن المارشال وقف في طريقه. وفي غضون لحظات كان الشرر يتطاير من سيفيهما وقد راحا يتبارزان بعنف، في انتهاك واضح لقوانين إيرهيفن لمنع اشتعال الحرائق.

وفي الأعلى عند منصة المتابعة، كانت الحشود تصرخ في هلع. وكذلك صرخ قائد جنود مانشستر حين أصيب وراح الدم يتدفق على ذراعه. ثم التفت فون كوبولد لباقي الجنود وصرخ : "دافعوا عن أنفسكم!"، واندفع نحوهم، لكن معظمهم تراجع في رعب أمام المحارب العجوز الذي بدا لهم قادرا على التغلب على خمسة منهم في آن واحد، وتقهقروا جميعا، باستثناء جندي واحد ظل ثابتا في مكانه، فقد كان، بالإضافة إلى سيفه، يحمل مسدسا، وبسرعة سحبه وصوبه مباشرة نحو فون كوبولد وضغط الزناد مرتين.

وفي موضعه على متن " شادو أسبكت" تناهى إلى ثيو دوي الرصاص، فهرع نحو فتحة الخروج، وهو يحاول طمأنة نفسه بأن هذا ليس صوت إطلاق نار، لكنه في أعماقه كان يعلم جيدا أنها كذلك، وأن الصوت آت تحديدا من دعامة الإرساء 13.

وفي اللحظة التالية بدأ جرس الإنذار في الميناء يدوي، وقفز ثيو إلى حيث دعامة الإرساء الخاصة بمركبته، وشرع يعدو باتجاه حلقة الإرساء. وفي ذات الوقت كانت فرقة من جنود إيرهيفن بزيهم الأزرق السماوي المميز يتدفقون عبر الدرج من الشارع الرئيس، يحملون أقواسهم وسهامهم. ومن أحد أحواض الإرساء بالقرب من مبنى البلدية انطلقت سيارة إطفاء إلى حيث موقع الأحداث تحسبا لأي حرائق قد تقع.

توقف ثيو عند منتصف الطريق بين " شادو أسبكت" وحلقة الإرساء، عاجزا عن اتخاذ قرار فيما عساه أن يفعل!. ومن مكان ما تناهت إليه صرخة مرعبة، تلتها أخرى، ومزيد من طلقات الرصاص، ولم يجد ثيو بداً، فآب عائدا إلى حيث ال" شادو أسبكت".

ما إن خر المارشال فون كوبولد ساقطا حتى اندفع الجندي الذي أطلق النار عليه صوب السيدة ناجا محاولاً الإمساك بها، فتحاملت هيستير على نفسها ووقفت استعدادا لمجابهته، لكنه لم يكد يقترب - وبرغم أنها لم تمسه - حتى صرخ في ألم "اااااااااه!"، ونظر أسفل قدميه، ونظرت هيستير إلى حيث نظر، لتجد نصالا حادة وقد اخترقت اللوح المعدني الذي يقفون فوقه، من الأسفل... خمسة نصال حادة، اثنان منهما اخترقتا قدم الجندي الذي صرخ من جديد صرخة شنيعة قبل أن يتراجع إلى الخلف محررا نفسه، ثم انسحبت النصال مخلفة خمسة ثقوب في المعدن...

"صوري ذلك المشهد بسرعة يا آنسة كروبوتكين!" صاح سبيني في مساعدته .

وفجأة ارتفعت إحدى ألواح السطح، ومنها خرجت قبضة معدنية مدرعة وراحت توسع لنفسها مكانا نحو الخارج، ثم ظهر جريك من الأسفل وقفز إلى حيث الرصيف، بينما فلاش الكاميرا يتوهج على درعه اللامع.

"مطارِد!" صاح الجندي المسلح بالمسدس، محاولاً الزحف بعيدا، إلا أن جريك أمسك به ورفعه في الهواء للحظة ثم ألقاه بعيدا ليسقط في الفراغ صارخا قبل أن يستقر أخيرا فوق شبكة الأمان. ثم أمسك بجندي آخر وأطاح به كذلك، فألقى باقي الجنود أسلحتهم وولوا الأدبار فرارا من أمامه، ليصطدموا بفرقة جنود إيرهيفن الذين كانوا يهرعون في الإتجاه المقابل.

فقدت هيستير الوعي مجددا، ثم أفاقت بعد بضع ثوان وزورق إطفاء الحرائق الطائر يحلق فوق رؤوس الجميع ويمطرهم بالماء المتجمد. وبين الجموع المحتشدة سرى اعتقاد أن فرقة كاملة من المطاردين هبطت عند دعامة الإرساء 13، وهكذا راحت العشرات من أجراس الإنذار تدق جميعا في آن واحد مسببة اضطراب عارم.

وعند نهاية الدعامة كان جنود مانشستر يتقاتلون مع جنود إيرهيفن الذين حسبوهم، بشكل ما، جنود للعاصفة الخضراء متنكرين في الزي الأحمر المميز لقوات مانشستر.

ومن مكان ما وسط الفوضى، راح بيني رويال يصرخ في لوعة : "لا.. لاا... لاااا...!
"

وبين دعامات الإرساء، حيث شبكة الأمان التي ألقى جريك بالجنود إليها، كان هؤلاء الجنود يتدافعون محاولين التسلق إلى حيث الرصيف، فيما انحنى بعض من الملاحين من إحدى المركبات القادمة من فلورنسا، ومدوا أياديهم إليهم محاولين الإمساك بهم ومساعدتهم على الخروج.

وفي الأسفل، ظهر منطاد وراح يرتفع رويداً.

"جيني هانيفر!" قالتها هيستير وهي تنظر نحو الأسفل عبر الثقوب في ألواح الرصيف، ثم سرعان ما تذكرت أن ذلك مستحيل؛ وبالفعل لم يكن توم هو من جاء لإنقاذها هذه المرة، بل ثيو، عبر ال" شادو أسبكت". وكذلك جريك رأى المنطاد، أو ربما سمع هدير محركاته، فاندفع نحو أوينون زيرو، وبحركة واحدة حملها تحت ذراعه- كما لو كانت طرد أو صندوق - ثم التفت نحو هيستير و هم بحملها، إلا أنها ابتعدت عنه واتجهت نحو فون كوبولد.

ووسط الصخب الدائر عند طرف الدعامة، صرخ أحد جنود مانشستر :

"إنه بيني رويال، هو من قام باستدراجنا إلى هنا، إلى حيث مخالب مطاردي العاصفة الخضراء!"

"لا!، هذا ليس صحيحا!" صرخ بيني رويال، وارتد إلى الوراء، فيما اندفع أحد جنود إيرهيفن نحوه ليمسك به.

"أنا الضحية هنا، ماذا عن أموالي؟!"

إقترب ال" شادو أسبكت"، كحوت يطفو فوق سطح الماء، ثم توقف عند نهاية دعامة الإرساء 13، ورأت هيستير ثيو داخل الزورق، بينما هي تقلب فون كوبولد على ظهره لترى ما إذا كان لا يزال حيا. كانت طلقتا جندي مانشستر قد أحدثتا ثقبين في صدر معطفه، لكنهما لم تخترقا جسد المارشال العجوز، فمن وراء المعطف لاحظت هيستير ذلك اللمعان الباهت لدرع واق..

"إنكم تولدون شجعانا هناك، في أراضي العاصفة الخضراء" قالها فون كوبولد في

وهن وهو يرفع كفه ويمسك بوجه هيستير.

"أنا لستُ..." همت هيستير بقول أنها لا تنتمي للعاصفة الخضراء، لكن حالة الإعياء التي كانت بها لم تمهلها الفرصة، وكان آخر ما سمعته قبل أن تفقد وعيها مجددا : "اخبري ناجا أننا لسنا جميعا نرغب في هذه الحرب"

حمل جريك هيستير على ذراعه الأخرى وانطلق باتجاه " شادو أسبكت"، بينما جنود إيرهيفن يمطرونه بوابل من السهام التي راحت تصطدم بظهره المدرع.

انطلق بيني رويال يعدو بعيداً عن الجنود باتجاه سبيني، الذي كان واقفا يعطي توجيهاته للآنسة كروبوتكين بينما هي تلتقط الصور التي من المفترض أن تظهر في صحف اليوم التالي تحت عنوان : رجال مانشستر يقاتلون بشجاعة ضد جنود الجنرال ناجا.

وحين لمح الصحفي بيني رويال يركض باتجاهه، اعترض طريقه وقد افتر ثغره عن ابتسامة ماكرة، وقال :

"ما هو دورك في كل هذا يا نيمرود؟ منذ متى وأنت تعمل لحساب العاصفة الخضراء؟"

إلا أن بيني رويال أزاحه جانبا وراح يركض وقلبه يرتجف هلعا أن يقلع منطاد ال" هامباج" و أمواله على متنه، وهو يصرخ :

"أموالي، ماذا عن أموالي؟!"

"كم دفعوا لك يا بيني رويال؟" صاح سبيني وهو يحاول اعتراض طريقه من جديد، وأشار لآنسة كروبوتكين أن تحضر آلة التصوير الخاصة بها وتلحق به.

أصدر بيني رويال خوارا غاضبا ودفع سبيني بكلتا يديه بعيدا، لكن الرجل تمالك نفسه ولم يتزحزح و جر بيني رويال من ياقته. ومن حولهما كانت الفوضى تعصف بكل شيء على الدعامة 13 بحيث لم ينتبه أحد للكاتبين اللذان راحا يتقاتلان عند الحافة، إلى أن تعثرا وسقطا وهما يصرخان.

وعلى متن ال " شادو أسبكت" قام ثيو بتشغيل كافة المحركات عند طاقتها القصوى، وأعد كل شيء للإقلاع سريعا إلى حيث السماوات المفتوحة وراء إيرهيفن،

ولكن ما إن مد يده إلى ذراع التوجيه حتى فوجئ بيد فولاذية تطبق على معصمه.

"توجد بطاريتان مضادتان للمركبات الطائرة في الشارع الرئيس على متن إيرهيفن" قالها جريك ".. بمجرد أن تحاول مغادرة المجال الجوي سوف يقصفوننا فورا"

"لكننا لا يمكننا البقاء هنا!" صاح ثيو وهو يشير عبر النافذة. وكان الزجاج قد تضرر بفعل عشرات السهام التي اصطدمت به، لكن أحدا لم يجرؤ على استخدام أي أسلحة أكثر خطورة خوفا من اندلاع حريق قد يبتلع إيرهيفن برمتها.

نظر جريك إلى حيث أشار ثيو، ثم قال : "اهبط إلى الأسفل، بين السحب، سوف تحجبنا الغيوم"

أومأ ثيو موافقا، وقد شعر بشيء من الغيظ لأنه لم يفكر في ذلك من تلقاء نفسه.

وبعد لحظة كان المنطاد يتخذ وضع التحرك، ثم بدأ الهبوط نحو الأسفل تحت إيرهيفن.

"آآآآه!" صرخ بيني رويال وسبيني وهما يسقطان بعنف فوق شبكة الأمان أسفل الدعامة 13، وراحا يتقلبان ويصطدمان ببعضهما البعض وكأنهما سقطا فوق أرجوحة ضخمة.

"يا لبوسكيت العظيم!" صاح بيني رويال، ودفع الصحفي بعيدا عنه محاولاً النهوض، وكان قد نسي وجود تلك الشبكات تماما ولم يتذكرها إلا حين سقط فوقها... "لقد حسبتُ أننا قد انتهى أمرنا لامحالة!"

"لقد إنتهى أمرك بالفعل يا نيمرود!..." قالها سبيني وهو يضحك في سخرية. وقد كان الرجل مرتعبا تماما كبيني رويال، لكنه كان رابط الجأش بحيث لا تظهر عليه امارات الخوف، ".. تآمُر مع العاصفة الخضراء، شجار، مشاركة في محاولة قتل المارشال فون كوبولد... تلك المرأة، هل هي زوجة ناجا فعلاً؟ كما زعم جنود مانشستر؟" سأله وقد غلبه حماسه الصحفي، وأخذ يفكر في التقارير الصحفية المذهلة التي سيكتبها؛ وهكذا راح الصحفي يتأرجح ويتقافز فوق شبكة الأمان في غبطة من مجرد الفكرة.

"توقف عن فعل ذلك أيها العجوز" صاح فيه بيني رويال "أكاد أصاب بالغثيان بسبب تلك الاهتزازات"

"غثيانك الآن لا يوازي نصف ما ستشعر به حين ترى العدد الجديد من " ذا سبيكيلم"" قالها سبيني وهو يقهقه ضاحكا.

ومن موضع ما في الشبكة بدأت تصدر أصوات صرير وطقطقة خفيفة...

"سبيني، أظن أن عليك التوقف عن ذلك حقا، تلك الشبكة قديمة وقد كانت تئن تحت ثقل جنود مانشستر منذ قليل..." وقبل أن يكمل ما يقول سمع الرجلان صوت انقطاع الأسلاك التي تربط إحدى حواف الشبكة بالجانب السفلي من الدعامة 14. فتوقف سبيني عن التقافز مطلقا صرخة مكتومة.

"النجدة!" صرخ بيني رويال بأعلى صوت، ولكن برغم أن الدعامة 13 كانت لا تزال تعج بالبشر، إلا أن أحدا لم يسمع صراخه، باستثناء الآنسة كروبوتكين، مصورة سبيني، إذ برز وجهها من أعلى حافة الدعامة، فما إن رأتهما حتى هرعت تمد يدها نحوهما، لكنها لم تتمكن من الوصول إليهما، وحين حاول بيني رويال الاقتراب منها تسبب ثقله في قطع الأسلاك في هذا الجانب أيضا..... "يا لبوسكيت!"

"آنسة كروبوتكين..." صرخ سبيني "اذهبي واحضري مساعدة فورا، فورا، وإلا سأعمل على أن ينتهي بك المطاف إلى تصوير عروض الحيوانات والحفلات لباقي حياتك التافهة تلك..."

لكن الآنسة كروبوتكين لم تكن من النوع الذي يقبل أن ينتهي به الحال على هذا النحو، ولهذا فقد فعلت ما يليق بعقلية كعقليتها...

وهكذا، رفعت الآنسة كروبوتكين عدسة آلة التصوير الفوتوغرافي الخاصة بها وراحت تلتقط الصورة التي ستظهر على الصفحة الأولى من العدد القادم من " ذا سبيكيلم" تحت عنوان :

[كاتبان يموتان رعباً في إيرهيفن].

***

28. طيور العاصفة

بمجرد أن غطست الـ" شادو أسبكت" بين السحب، توجه جريك إلى المقصورة الخلفية، حيث كانت أوينون تنحني فوق هيستير وتضغط على جرحها بيدها محاولة إيقاف نزيف الدماء التي كانت تسيل من رأسها بغزارة، فما إن دخل جريك حتى سألته :

"هل يوجد صندوق للإسعافات الأولية هنا؟"

فنظر جريك إلى وجه هيستير الشاحب، وقد أراد أن يطلب من أوينون أن تدعها تموت، ثم تستخدم مهاراتها في تحويلها إلى مطارد، وبدلا من ذلك الوجه المشوه تمنحها قناعا معدنيا أفضل مما لدى المطارد فانج، وبدلا من جسدها الفاني هذا تمنحها جسدا قويا مثل جسده. وكان جريك يعلم أنها إن تحولت إلى مطارد فسوف تنسى حياتها الفانية، لكنه كان واثقا كذلك من أنها تملك روحا قوية ستبقى معها، وعلى مدى آلاف السنين التي سيمضيانها معا سوف يساعدها على استعادتها ومداواة أوجاعها... إنها طفلته الخالدة.

"حقيبة الإسعافات!" صاحت أوينون "بسرعة يا سيد جريك!"

فاستدار جريك وتناول الحقيبة من الخزانة فوق الفراش وناولها لأوينون. وفي تلك اللحظة اهتز المنطاد بعنف، فتوجه بسرعة إلى مقصورة القيادة ليجد ثيو يحاول التشبث بأدوات التحكم ويحدق عبر النوافذ المبتلة.

"نحن نتعرض لهجوم" قالها جريك

"ماذا؟" صاح ثيو وهو يتلفت من حوله وقد اتسعت عيناه رعبا

"غالبا تم استهدافنا بقذيفة..."

فالتفت ثيو من جديد نحو النافذة... "لكني لا أرى أي مركبات أخرى، لا أستطيع أن أرى شيئًا، تلك السحب..."

وهنا سقط المنطاد أسفل السحب، ورأى كلاهما قمم المدن من حولهم في كل جانب، وعشرات المناطيد تتحرك في كل صوب. كانت السماء تمطر وقد شوهت

قطرات المطر منظر الموجودات من حولهما، لكن جريك استطاع أن يرى أن تلك المناطيد لم تكن تحلق بحثا عن ال" شادو أسبكت"، و أنها ليست سفنا عسكرية على الإطلاق، بل مجرد سفن تجارية وسفن شحن، متجهة غربا.

"مورناو تقوم بإجلاء نسائها وأطفالها" قال جريك

"يستعدون للحرب... ولكن، ماذا عنا نحن؟"

"يبدو أن نبأ ما جرى لم يصل إلى المدن الأخرى بعد"

"حسنا، لكن هذا لن يستمر طويلا.." قال ثيو، وكان يرى أنه لن يكون من المجدي أن يتوجهوا بالمنطاد شرقا، إذ لن يتمكنوا من الإفلات من تجمع المدن في الوقت الحالي، لكنه قام بتوجيه المسار على أية حال وهو يحدق عبر النوافذ نحو تجمع المدن. ثم إنه بدأ يحلق على ارتفاع منخفض عند مستوى العجلات الضخمة للمدن، فيما راحت السفن الأخرى تتدفق عاليا، وكان معظمها يتجه غربا؛ وفي الأمام، على بعد بضعة أميال عبر الأرض الموحلة، وقفت مورناو، ومن حولها بضع ضواحي صغيرة قبيحة، فيما كانت المدينة الحربية العظيمة قد أغلقت دروعها.

ثم شرع ثيو، وكان لا يزال يحلق على مستوى منخفض، يحاول ضبط الدفة، لكن أدوات التوجيه كانت بطيئة في استجابتها، فقال وهو يعيد تحريك الرافعات في توتر : "أعتقد أن مراوح التوجيه تضررت"

فتذكر جريك لحظة أن سقطت المركبة من بين السحب والهزة التي شعر بها، فعاد إلى المقصورة الخلفية مرة أخرى، وكانت هيستير قد استعادت وعيها إلى حد ما، وراحت تئن من الألم بينما أوينون تنظف جرحها، وتدمدم "توم... اه... توم...".

فتركهما جريك وسارع يعتلي السلم في آخر المقصورة المؤدي إلى الممر المركزي الذي يقود بدوره إلى مركز غلاف المنطاد، وعند نهايته كانت هناك فتحة صغيرة تم تصميمها بما يناسب أجساد الفانين وليس جسد مطارد ضخم، لكنه اضطر أن يحشر نفسه عبرها.

وفي الخارج كانت أذرع مراوح التوجيه المبتلة تلمع في الظلام كالفضة، وقد انعكست عليها الأضواء المنبعثة من نوافذ حصون مورناو.

تشبث جريك جيدا بالحبال، وشق طريقه إلى أن وصل إلى الذراع الجانبي، وفي الجزء الخلفي منها لاحظ شيئا محشورا بين كابلات التوجيه. ومن بين هدير المحركات وصوت تساقط الأمطار على جسم المنطاد، التقطت أذنا جريك صوتا غريبا، قعقعة تصدر بشكل رتيب، أهو سلاح جديد؟!، ثم إنه أمسك بالحبال بيد ومن اليد الأخرى أبرز مخالبه الحادة، فتحرك ذلك الشيء القابع بين كابلات التوجيه، كرد فعل على ما يبدو للمع الضوء على النصال الحادة من كف المطارد، ثم ظهر وجه شاحب مرتعب، وراح يئن : "يا لبوسكيت العظيم!"

هنا أدرك جريك كنه هذا الشيء، وفهم ما حدث... لا بد أن هذا الفاني قد سقط من إيرهيفن بينما ال " شادو أسبكت" يمر من تحتها.

أعاد جريك مخالبه داخل كفه ومد يده يجر الرجل ليخرجه من مكمنه إلى حيث الأمان، لكن الفاني ظن أن المطارد يبغي الفتك به، فارتد منكمشا عنه، وبحركة لا إرادية، من فرط الرعب، رفع يده التي كانت تتشبث بالكابلات، ليسقط في الفراغ وهو يطلق صرخة مدوية، إلا أن جريك اندفع نحوه وتمكن في آخر لحظة من إمساكه من ياقة معطفه ورفعه إلى حيث السطح عند ذراع التوجيه مرة أخرى، ثم سحبه إلى حيث فتحة المنطاد.

و في تلك الأثناء، تسببت الحركة المضطربة للمنطاد في لفت انتباه المراقبين في حصون مورناو، وهكذا بينما عاد جريك والرجل - الذي كان شبه فاقد الوعي - عبر الفتحة إلى داخل المنطاد، كان المراقبون في الحصون الحربية يعيدون توجيه مدافعهم صوب المركبة، ثم انطلقت الدفعة الأولى من الرصاص تخترق الزورق، وفي لمح البصر تحطمت النوافذ، وراحت مؤشرات الضغط تتحرك بقوة مع اندفاع الغاز من الثقوب التي أحدثتها الطلقات في خلاياه، بينما المحركات تهدر بقوة، وكانت لا تزال تتحرك بالمنطاد نحو الشرق، متجاوزة الفكوك العملاقة عبر المطر والوحل.

ثم توقف إطلاق النار، فنظر ثيو عبر منظار المنطاد يتفقد الوضع، ليفاجأ بثلاث نقاط من الضوء تنفصل عن المدينة المدرعة و تقترب منهم من الخلف، كثلاثة خفافيش سوداء تلتمع أعينها في الظلام.

و في الأعلى، كانت أورلا تومبلي تمسح قطرات المطر عن نظارتها الواقية، ثم

توجه آلتها الطائرة "كومبات وومبات" نحو الأسفل باتجاه مؤخرة الـ" شادو أسبكت"، ومن خلفها كانت آلة أخرى، وكذلك طائرة ثلاثية صاروخية يتبعانها، يقطعون جميعا الهواء صوب المنطاد.

صرخ ثيو في هلع ويأس، وكان يعرف جيدا أن منطاده البائس المتهالك هذا لن يتمكن بأي حال من أن يسبق آلات النمس الطائر. ثم إنه سمع جريك إذ يتجه نحوه، فظنه جاء يحذره من تلك الآلات التي تطاردهم، فصاح :

"أعلم!"

لكن جريك قال "يوجد طيور مطاردة في الأعلى"

"ماذا؟"، والتفت ثيو سريعا نحو النافذة الأمامية يتطلع عبرها من خلال المطر، لكنه لم ير شيء سوى الظلام وانعكاسه المذعور على الزجاج. فجأة انطلق صاروخ من إحدى الآلات الطائرة، لكنه تجاوز المنطاد لينفجر أمامه.

وفي الأمام، عند الحدود الفاصلة من جهة أراضي العاصفة الخضراء، كان سرب عارم من الطيور المطاردة يحلق نحوهم، وأدرك ثيو أن ذلك الظلام أمامه لم يكن سوى الأجنحة الضخمة للسرب المخيف.

"يا إلهي!" صرخ ثيو، وراح يضرب لوحة التحكم و أذرع التوجيه في هلع محاولاً عبثاً تغيير دفة المنطاد، وقد فضل أن يواجه صواريخ "النمس الطائر" على أن يواجه مخالب ومناقير تلك الطيور المطاردة. لكن آلات توجيه المركبة كانت تستجيب ببطء شديد وقد تضررت بشدة؛ وقبل أن يتمكن ثيو من تحريكها قيد أنملة، كانت السماء قد امتلأت بالأجنحة الميكانيكية المرفرفة والعيون الخضراء المتوهجة للطيور الميتة.

وفي الخلف رأت أورلا تومبلي السرب الضخم، فأطلقت سبة وغيرت اتجاه آلتها فورا وأشارت لرفيقيها أن يتبعاها. لقد سبق وفقدت الكثير من فريقها من قبل بسبب تلك الطيور المطاردة، على متن " السحابة التاسعة"، وهي غير مستعدة الآن لتكرار نفس الأمر، ناهيك عن أنه لا يوجد ما يمكن أن تفعله في مواجهة ذلك العدد الضخم من تلك الكائنات.

وهكذا، وبعدما تحققت من أن زميليها برفقتها، عادت ادراجها إلى حيث مانشستر، بينما اندفعت شلالات من الطيور المطاردة تحيط بال" شادو أسبكت" من كل جانب، كأصابع إله غاضب.

وفي داخل المنطاد، جلس ثيو في استسلام منتظرا لحظة اختراق الطيور المطاردة لجدران الزورق بمناقيرها ومخالبها. ومن وراء هدير المحركات كان بإمكانه سماع صوت الأجنحة الميكانيكية إذ تضرب جسم المنطاد.

"إنهم ليسوا هنا لمهاجمتنا" قالتها أوينون بهدوء، وكانت قد جاءت إلى مقصورة القيادة ووقفت وراء ثيو واضعة يدها فوق كتفه، "أعتقد أنهم جاءوا لمرافقتنا.."

فرفع ثيو رأسه ومال قليلا ينظر نحو الأعلى عبر النافذة... بالفعل، كان المنطاد يحلق داخل كرة من الطيور المطاردة تحفُّه أجنحتها من كل جانب، وأعين المئات منها تلتمع كالنجوم.

كانت طيور ضخمة بحق، صُنِعَت من جثث طيور الكوندور والنسور؛ ومع تسرب الغاز من ثقوب الخلايا التي يتدفق عبرها، راحت الطيور تتشبث بالمنطاد بمخالبها وتحمله متوجهة به نحو الشرق عبر حُفَر وخنادق الأرض الفاصلة.

وعبر إحدى النوافذ الجانبية المهشمة، جاء طائر مطارد أصغر حجما، بالأحرى غراب - حين كان حيا بالطبع - ودخل إلى المنطاد ليستقر فوق مقبض ذراع التحكم، مثبتا عينيه على ثيو. ثم فتح الطائر منقاره، ومنه خرج صوت ضعيف متقطع لأحد قادة العاصفة الخضراء، عبر جهاز الإرسال اللاسلكي الصغير المثبت داخل الطائر. كان يتحدث بلغة مشفرة من التي تستخدم في المعارك، و لم يفهم ثيو شيئاً مما قيل، أما أوينون فقد فهمته جيدا وأجابته بذات اللغة، ثم أغلق الغراب المطارد منقاره وفرد جناحيه وطار خارجا من النافذة.

"إحدى نقاط المراقبة الأمامية للعاصفة الخضراء..." قالت أوينون ".. رصدت مركبتنا إذ تتعرض للهجوم، وقد افترضوا أننا من عملائهم، فأرسلوا سرب الطيور المطاردة لإنقاذنا. وقد أخبرتهم الحقيقة، أنني السيدة ناجا، و أنني في طريقي إليهم. لقد أعطاني الطائر إحداثيات الهبوط إلى حيث يريدوننا أن نتوجه"

وقد أنصت ثيو جيدا لأرقام الإحداثيات التي أعطته إياها، لكنه في الواقع لم يكن

في حاجة إليها، فقد كانت الطيور تحملهم بالفعل إلى الوجهة الصحيحة.

ثم إن ثيو التفت في مقعده إلى حيث جريك، وكان منهكا ومصدوما لدرجة أنه لم يقو حتى الاندهاش كما يفترض به، حين رأى ذلك الرجل المبتل المنتحب الذي كان المطارد يمسك به... نيمرود بيني رويال.

"ما الذي يفعله هذا هنا؟" سأله ثيو

"إنه مجرد حادث!" قالها بيني رويال في خوف، كما لو كان ثيو يتهمه بالتسلل إلى المنطاد، "... لقد سقطتُ. سبيني وأنا... سقطنا من على متن إيرهيفن، وهبطت أنا على مروحة الذيل لمنطادك، فيما هوى سبيني في الفراغ. ذلك الشيطان البائس. لقد نال جزاؤه"

وقد بدا أن مجرد فكرة موت عدوه قد رفعت معنوياته قليلا، لكنه سرعان ما تذكر وضعه، فنظر من خلف ثيو نحو عاصفة الطيور في الخارج، وقال "نجوني، هل أنا أسير الآن؟"

"أعتقد أننا جميعا أسرى يا بروفيسور"

"ولكنك من العاصفة الخضراء ولن يلحقوا بك أذى، أما أنا فكنت عمدة برايتون. أنت سوف تخبرهم بأنني كنت دوما في أعماقي مناهض للتحرك، أليس كذلك؟. لقد قبلتُ بمنصب العمدة فقط كي يتسنى لي القضاء على نظام التحرك من الداخل، وكنت أعامل الأسرى من الطحلبيين جيدا، أليس كذلك؟ يمكنك أن تضمنني لديهم، لقد كنت أعاملك جيدا على متن "السحابة التاسعة "، وكنت تحصل على ثلاث وجبات يوميا، ولم تضطر يوما لحمل ما هو أثقل من مظلة"

"سوف أطلب منهم أن يعاملوك على نحو جيد" قالتها أوينون.

"أحقا سوف تفعلين؟ شكرا لكِ"

"لكني لا أعرف إن كانوا سينصتون لي أم لا. الأمر يتوقف على ما إذا كانت الوحدة التي جاءت منها تلك الطيور المطاردة، ولائهم لناجا أم أنهم يريدون الخلاص مني"

"آه، يا لبوسكيت!"

ضغطت أوينون على كتف ثيو وقالت "علي أن أعود الآن لأتفقد صديقتك"

"كيف حالها الآن؟" سألها ثيو، وقد شعر بالخجل لأنه نسي أمر هيستير تماما، فنظرت إليه أوينون في صمت.

"ستكون بخير، أليس كذلك؟"

"آمل ذلك. إنها تعاني من جرح خطير في الرأس، سوف أفعل كل ما بوسعي. ولكن.. من هو توم؟ إنها لا تكف عن ترديد اسمه والسؤال عنه في غيبوبتها "

"إنه زوجها، توم ناتسوورثي، والد رين"

فهزت أوينون رأسها، ثم آبت عائدة إلى المقصورة الخلفية، أما جريك فقد ألقى بيني رويال من يده وتبعها، ونظر ثيو إلى الرجل وقد بات بمفرده معه الآن، وتساءل في داخله عما إذا كان من الأفضل له أن يقوم بتقييد الرجل أو حبسه داخل المرحاض مثلا. لكن الرجل كان يرتجف بشدة لدرجة أنه لم يكن في حاجة لفعل أي شيء بصدده، كذلك كان سرب طيور العاصفة المحيط بهم من الخارج كفيلا بإبقائه حيث هو.

وهكذا استرخى ثيو في مقعده مرجعا ظهره إلى الوراء، وقد لاحظ المذاق الصدئ للدماء التي نزفت من جرح صغير في جبهته وتسربت إلى ركن فمه. ثم إنه راح يفكر في زاجوا وأسرته، متسائلا ما إذا كان سيتمكن من رؤيتهم من جديد. أيا كان ما سيحدث لاحقا، لا بد وأن يجد طريقة لمراسلتهم.

"رسالة لك" قالها بيني رويال بحرج، فالتفت ثيو نحوه ليجده يمد يده إليه بمظروف متسخ متجعد، "... لقد تركته رين معي كي أرسله لك، لكني، أعترف، قد نسيت أمره تماما، ولم أتذكره إلا حين وجدته في جيب معطفي وأنا أفتش عن أي ورقة أو قصاصة لأدون عليها معلومات ال" هامباج". وقد رأيت أنه ينبغي أن أعطيك إياه الآن. أن يصلك متأخرا خير من ألا يصلك على الإطلاق، أليس كذلك؟"

تناول ثيو المظروف وقلبه، وعلى الفور تعرف على خط يد رين الدقيق. وبسرعة مزق طرف المظروف وأخرج الرسالة مزمجرا بسبب تمزق الورقة المبللة وهو يخرجها. وكان مع الرسالة صورة فوتوغرافية لها وهي تبتسم، ذات الصورة التي

كانت في الجريدة لذلك الوجه الطويل الذي تشي ملامحه بالذكاء والفطنة. ولم تكن في الصورة بذات الجمال الذي يتذكره عنها، لكنها حقيقية، ورائعة. ثم إنه فتح الورقة و فردها فوق منضدة أدوات التحكم و شرع يقرأها، لكن المطر كان قد أسال المداد وشوه الكلمات تماما، حتى أن معظم الجمل لم تعد قابلة للقراءة : [أنا على وشك القيام برحلة.... تحميل المؤن... لم أكن أعرف حتى أن لندن بها أي أطلال....] وفي الأعلى، على مسافة بضعة أسطر كانت كلمة مبهمة ربما تكون [ناجين]. ثم وفي آخر الصفحة كتبت : [ابحث عني في لندن].

"لندن ؟!" قالها ثيو في دهشة، محاولاً تمالك نفسه، لكنه لم يستطع، وصاح "ذهبت إلى لندن؟!"

"ماذا؟" سأله بيني رويال مذهولا، ثم " لا، لا بد أنك أخطأت قراءتها؛ إنهما في مهمة إستكشافية ما مع فولف كوبولد، ابن المارشال.... لندن ؟، لا أحد يذهب إلى لندن، إنها خراب الآن، مسكونة..."

كذلك كان هناك سطر أخير استطاع ثيو قراءته : [مع حبي. رين].

كانت مقصورة النوم تفوح بروائح كريهة، هي مزيج من الدماء والمواد المطهرة؛ وقد استلقت هيستير ورأسها إلى الخلف، وكان وجهها أبيضا شاحبا بشدة، ربما أكثر بياضا من الوسادة التي استندت إليها. وبجوارها وقف جريك يتطلع إليها، ويأمل أن يأتيها الموت وهي نائمة فلا تستيقظ ثانية، وحين تصير مطاردة مثله لن يعاني كل هذا القلق عليها. إن هؤلاء الفانون ضعفاء جدا شديدو الهشاشة، إنه حقا لعذاب مقيم أن تحب أحدهم.

انحنت أوينون تقيس نبض مريضتها، ثم رفعت رأسها ونظرت إلى جريك.... في خضم كل تلك الفوضى والقتال على الدعامة 13، و الفرار من إيرهيفن، لم تجد أوينون الوقت للتحدث مع جريك وسؤاله عما يفعله هنا، أو حتى لتحيته، وقد مضى الوقت الآن ولم تعد لمثل تلك الأحاديث مساحة، لذا، وبدلا من ذلك، سألته :

"إنها هيستير شاو، أليس كذلك؟"

"هل تعرفينها؟"

"بالطبع، لقد درست كل شيء عن ماضيك قبل أن أعيد إحيائك"

شعر جريك أن المنطاد ينخفض، فتوجه إلى إحدى النوافذ الجانبية وأطل منها نحو الخارج. وهناك، عبر ظلام أجنحة الطيور المطاردة رأى ذلك الصف الطويل من الأضواء على الأرض : مصابيح وكشافات على طول الخطوط الأمامية للعاصفة الخضراء، فيما انتشرت الكمائن والعوازل الخرسانية كشواهد القبور.

وظل جريك في مكانه قبالة النافذة، ثم قال بعد حين، محدثا انعكاسها على الزجاج، وكان يعلم أنه بمجرد هبوطهما في أراضي العاصفة الخضراء لن يجد أي فرصة لمحادثتها :

"لماذا جعلتني هكذا؟"

"جعلتك ماذا؟" سألته أوينون بحرج، "أولم تستعد ذاكرتك بالكامل؟.. أنا لم أمح شيئاً منها. لقد حرصتُ على أن تعود لنفسك بمجرد أن تدمر المطارد فانج"

"لم أعد أستطيع القتل" قالها جريك واستدار ليقف في مواجهتها، وكان يشعر بمخالبه ترتعش داخل يديه الفولاذيتين، وفي داخله، من مكان ما، اشتعلت شرارة من غضب المطارد القديم، كجمرة متوهجة في موقد بارد. وقد أراد أن يقتلها جزاء ما فعلته به، لكن هذا الذي فعلته جعله غير قادر على القتل أصلا.

"لقد جعلتِني ضعيفا.... أشباح كل من قتلتهم من الفانين معلقة في رأسي لا أستطيع التخلص منها أبدا، إنني أمقت الأشياء التي اقترفتها، لماذا جعلتني أشعر بكل هذا؟"

اقتربت منه أوينون، ووضعت يدها على درعه، وقالت برفق : "أنا لم أفعل ذلك. ولا أعلم كيف حدث. تلك المشاعر قادمة من داخلك أنت"

"حين قتلني ذلك الفاني ناتسوورثي في "الجزيرة السوداء"، تذكرت بعض الأشياء وأنا أحتضر، ثم تلاشت تلك الذكريات حين أعدتِ أنت إصلاحي، لكني أعتقد أنها كانت ذكريات من حياتي قبل أن أصير مطاردا، أعني عندما كنت لا زلت على قيد الحياة، مثلك.... ألهذا علاقة بالضعف الذي أعانيه حاليا؟"

"ربما يكون الأمر كذلك... دكتور بوب جوي لديه نظرية خاصة حول نشأة

المطاردين وأصلهم...." قالتها أوينون مبتسمة له في مودة، كاشفة عن أسنانها البيضاء المعوجة، وتذكر جريك أن تلك الأسنان كانت أول شيء لاحظه حين أخرجته من قبره. ثم إنها تابعت "أعتقد أنك استطعت بناء مشاعرك ووعيك الخاص من جديد بنفسك، أنت ذكي يا سيد جريك، ذكي وواع بذاتك. وقد كان لديك الوقت الكافي لذلك، في الواقع، أحسب أنك بدأت تلك العملية قبل وقت طويل من عثوري عليك. أنا أعرف أنك أنقذت هيستير حين كانت طفلة، وأعلم كذلك كم بحثت عنها وسعيت ورائها بعد أن غادرتك. تلك الأمور هي التي جعلتني أدرك أنك لست مطاردا عاديا... لقد أحببت هيستير منذ أن وجدتها أول مرة، أليس كذلك؟"

أشاح جريك بوجهه عنها، فهو، رغم كل شيء، لا يزال مطاردا، ومن الصعب عليه التحدث عن أشياء مثل الحب. ثم إنه قال :

"هل سأستعيد ذات يوم ذكريات حياتي أيام كنت من الفانين؟"

"ربما. ربما في المرة القادمة التي تموت فيها، لكن ذلك لن يحدث قبل وقت طويل، طويل جدا، لقد بنيتُك لتدوم يا سيد جريك"

كان المنطاد يقترب من الأرض الآن، ونظر جريك إلى هيستير، وفي أعماقه كان يعرف جيدا أنه لا يكترث بالمدة التي يعيشها طالما أنها معه... "أريد أن تبقى آمنة وقوية إلى الأبد. هل ستساعديني في ذلك؟"

ولم تفهم أوينون ما يرمي إليه، فأجابت على الفور "بالطبع سأفعل"

ثم إنها وقفت على أطراف أصابع قدميها واشرأبت نحوه وطبعت قبلة على خده، والتصقت بعض من مواده الحافظة اللزجة على شفتيها وطرف أنفها..... "تهانينا يا سيد جريك..." قالت ".. لقد صار لك روحا."

***

29. مرح... مرح... مرح... على أوبرانج

على يمين مورناو، وسط المطر، خرجت "هاروبارو" من بين الوحل، كغواصة ضخمة تطفو على سطح بحر قذر. ومنها خرج جسر صاعد إلى حيث مورناو، وسار فولف كوبولد عبره ليختفي داخل المدينة الأكبر، حيث كان المصعد السريع في انتظاره ليحمله إلى الأعلى حيث "أوبرانج". وهناك كانت سيارة صغيرة تنتظره بدورها وبجوارها أحد الضباط، والذي راح يصيح نحوه بمجرد أن خرج من المصعد: "سيدي، سيدي، تعال بسرعة، والدك أصيب"

"نعم، لقد وصلتني رسالتك عبر الراديو" قالها فولف بضجر وهو يستقل السيارة في المقعد الخلفي. يا للغباء - هكذا راح يفكر - أن يتم استدعاؤه عبر تلك المسافة إلى هنا، فقط ليتظاهر بالاهتمام بعجوز لا يعنيه البتة.

ورغم أنه كان قد وصل لتوه إلى مورناو، إلا أنه كان يتوق للعودة من جديد إلى هاروبارو، بعيدا عن كل تلك الأمور المزعجة. وعلى طول الطريق راح ينصت بفتور للسائق وهو يثرثر حول ما جرى على متن إيرهيفن وجواسيس العاصفة الخضراء، بينما المركبة الصغيرة تنعطف على طول " أوبردين ليندن" إلى حيث مبنى البلدية.

وفي الخارج كان عدد من الضباط الشبان يودعون حبيباتهم، فيما كان العمال يغلقون آخر ألواح دروع المدينة، إلا أن فولف بالكاد لاحظهم، وإنما راح يحدق في انعكاس وجهه الهزيل على غطاء المركبة، ويفكر في الرحلة الطويلة التي قطعها عبر أراضي العاصفة الخضراء، وذلك الحارس الذي قام بخنقه وهو يتسلل ثانية عبر خطوطهم إلى حيث المنطقة الفاصلة، حيث كان العجوز العزيز " هوسدورفر" ينتظره بال " هاروبارو". كذلك كان يفكر بفخر في لندن والآلات الرائعة التي ستصير في يديه قريبا.

وبمجرد وصوله إلى مبنى البلدية أخذه الخدم إلى حيث غرفة الاستقبال الرئيسة. وفي الداخل كان والده يجلس على مقعده المريح وصدره مغطى بضمادات، وقد أحاط به عدد من الرجال يرتدون زي الطاقم الطبي، وعلى مقربة منه وقف "أدلاي براون"،. حيث جاء من مانشستر حاملا باقة من الورود وإقرار أراد من المارشال العجوز أن يوقعه بإخلاء مسئولية قوات مانشستر مما أصابه، وبجواره وقفت قائد

سلاح المرتزقة الجوي الآنسة أورلا تومبلي. فيما مضى كان فولف يرى تلك المرأة جذابة، أما الآن فقد بدت له مصطنعة إلى حد ما، بكل تلك الأصباغ والزينة على وجهها والماسكارا على رموشها، وتذكر في حزن رين ناتسوورثي بجمالها البريء وعقلها اللامع.

"فولفغام" صاح والده وهو يلوح للأطباء أن يفسحوا جانبا، وكافح كي ينهض ليعانق ابنه، "لقد أخبروني أنك كنت بعيدا في مكان ما..."

"مجرد رحلة عمل صغيرة" قالها فولف وهو يشعر بالاشمئزاز من البقع الداكنة على ذراعي الرجل، و الشعيرات البيضاء التي برزت من فوق الضمادة على صدره، "... عدت إلى هاروبارو أمس الأول"

أرجع والده رأسه قليلا إلى الوراء وراح يتفرس في وجه ابنه قليلا، ثم قال :

"تبدو هزيلا نوعا يا بني" وكان يبدو بالفعل هزيلا، غير حليق، أحمر العينين...

فلوح فولف بيده بلا اكتراث، وقال : "ينبغي أن تقلق على نفسك أنت، أبلغوني أنك أصبت"

"فقط بضع كدمات وكسور"

"يبدو أنني عدت في الوقت المناسب إذن"

"ماذا تعني؟"

"بحق ثاتشر العظيم!، لقد حاول الطحلبيون قتلك يا أبي، هذا إعلان حرب، ينبغي أن نرد على الفور"

"هذا ما كنت أقوله لأبيك منذ قليل.." هتف "أدلاي براون" بحماسة، وكذلك بلهجة شخص كان ينتظر استئناف محادثة تم قطعها بفارغ الصبر، "... ينبغي ألا ندعهم يفلتوا بفعلتهم تلك"

"هراء، يا براون..." صاح فون كوبولد وهو يمسك صدره من الألم ويتراجع ليجلس من جديد، "... من أطلق النار علي هو واحد من جنودك السكارى"

"إنها فورة شباب لا أكثر" صاح براون محتجا، ثم ".. لو لم تصر على الاحتفاظ

بالسجينة لنفسك..." ثم إنه وجه حديثه لفولف "هل سمعت بالأنباء؟ زوجة ناجا بنفسها كانت على متن إيرهيفن بصحبة حفنة من المطاردين لحمايتها. على ما يبدو كانت تحيك مؤامرة ما مع ذلك المنشق بيني رويال"

"هكذا إذن"، قالها فولف، وكان من عادته دوما أن يسخر من مثل تلك الأقاويل والفزع المبالغ فيه الذي كان ينتشر كلما شعر كبار رجال المدن المتخمون بنذير حرب حقيقية. لكن أحاديث الذعر الليلة كانت تناسبه تماما وتتوافق مع مصالحه، فكلما اندلعت الحرب مبكرا، كان باستطاعة هاروبارو أن تشق طريقها سريعا نحو لندن.

"لقد فروا أحياء، أليس كذلك؟" قالها براون وهو يلتفت نحو تومبلي، "أخبريهم بنفسك"

فانحنت أورلا تومبلي بتأدب ثم قالت "كان سرب ضخم من الطيور المطاردة لم أر له مثيل من قبل في انتظار المنطاد فوق المنطقة الفاصلة. لا بد إذن أن المنطاد كان يحمل شخص ما رفيع المستوى. ولم يكن في إمكاني فعل أي شيء لمنعهم من الفرار"

لكن فولف كان له رأي آخر، وبدا له أنها كان بإمكانها فعل الكثير، لو لم تكن تحرص على حياتها أكثر من حرصها على أداء واجبها. إلا أنه أومأ وقال "إنه أمر سيء حقا، من يدري أية مؤامرات دبرها الطحلبيون، أو مقدار المعلومات التي عرفوها عن خططنا. لا يوجد سوى سبيل واحد لمواجهة ذلك"

"تعني شن هجوم؟" سأله براون بلهفة.

"إنه أفضل وسيلة للدفاع. الطحلبيون هم من بادروا بالعداء، و يتوجب علينا الرد. هجوم شامل في وقت واحد، على طول خطوط العدو"

فرك فون كوبولد عينيه، وقال "لا بد أن هناك طريقة أخرى..."

"لو أنك تشعر بأنك غير قادر على قيادة مدينتك في تلك الحرب...." قالها براون متصنعا التعاطف، إلا أن المارشال قاطعه :

"سوف أقوم بدوري بالتأكيد. لن أدعك تنعتني بالجبان يا براون. لو أن كافة المدن الأخرى تحركت للحرب فسوف تتحرك مورناو أيضا، وسوف أقودها بنفسي، إلا إذا

قرر ابني أن يقودها هو؟ "، ثم نظر المارشال نحو فولف، إلا أن الأخير هز رأسه وقال :

"آسف يا أبي، يتعين علي أن أعود إلى هاروبارو حين يبدأ الهجوم. سوف أتحرك لإحداث ثغرة كبيرة في دفاعات الطحلبيين"

ثم إنه صافح والده، وهز رأسه لبراون و الآنسة تومبلي، وخرج من الغرفة تاركا ورائه الصمت وشعور بالحزن إعترى والده.

"حسنا" قال "أدلاي براون" وهو يصفق بيديه، "علي الآن أن أبعث إلى باقي رؤساء المدن. آنسة تومبلي، سوف يكون عليك إعداد آلاتك الطائرة. عملية سحق العاصفة الخضراء ستبدأ عند الفجر".

***

30. إنها تنهض

كان مطار " زهرة الرياح" عبارة عن مساحة مستطيلة من الأرض التي تم تجريفها من الطين والأوحال، على بعد بضعة أميال خلف الخطوط الأمامية للعاصفة الخضراء. وكان محاطا بأضواء الهبوط ومستودعات ضخمة للمناطيد، والمدافع المضادة للمركبات الطائرة، والمخابئ الحربية.

وراحت كشافات المسح تسلط أضوائها عديمة اللون على منطاد " شادو أسبكت" بينما سحابة الطيور المطاردة تتجه به نحو موضع الإرساء.

وبمجرد أن لمس المنطاد الأرض هرعت فرقة من الجنود نحوه، وما إن فتح ثيو فتحة الخروج حتى اندفع الجنود إلى داخل الزورق، بأزيائهم البيضاء وخوذاتهم وبنادقهم، وما إن ظهرت أوينون من وراء الستار عند المقصورة الخلفية، إرتد الجنود إلى الوراء ورفعوا بنادقهم، وقد توتروا من مظهرها القذر الرث والدماء التي تلطخ ثيابها، وذلك المطارد الذي كان يقف خلفها.

رفعت أوينون يدها، فلمع خاتم الزواج في إصبعها مع انعكاس الأضواء، وقالت : "قبل أن تطلقوا النار علي... أود منكم أن تعتنوا بمرافقيني. السيد نجوني و البروفيسور بيني رويال ليسا أعداء للعاصفة الخضراء"

فتقدم الضابط المسئول خطوة نحوها ثم انحنى واضعا قبضته اليمنى على راحة يده اليسرى، وهي التحية الرسمية لجماعة مناهضة التحرك القديمة، ثم قال : "أنت الآن بأمان يا سيدة ناجا"

ردت أوينون التحية، وكانت لا تزال متوترة متشككة في الضابط، ثم : "هناك امرأة في المقصورة الخلفية تحتاج إلى رعاية طبية، هل يوجد مستشفى ميداني هنا؟"

فأشار الضابط إلى إحدى المخابئ المموهة، وقال : "هل أستدعي نقالة؟"

"سوف أحملها أنا" قال جريك، ثم أزاح الستارة وحمل هيستير برفق وعناية بين ذراعيه ومضى إلى حيث فتحة الخروج، ثم تبعه ثيو و أوينون وبيني رويال، إلا أن الضابط - وقد شعر بأن الأمور بدأت تخرج عن سيطرته - استوقفهم معترضا طريقهم بيده، وقال : "سوف تكون المرأة بخير يا سيدتي، وستتلقى العناية اللازمة. أما

بالنسبة لك ولرفاقك الأجانب فيجب أن تأتوا معي، لدي أوامر بإحضارك لمقابلة قائد القطاع"

وكان ذلك الجانب من خطوط العاصفة الخضراء يقع تحت قيادة الجنرال "زاو".

وفي المخبأ الذي إتخذت منه مقرها الرئيس، استقبلت الجنرال "زاو" أوينون ورفاقها بابتسامة وعينين يلوح فيهما النعاس. كان المكان جيدا، بالنسبة لكونه مخبأ، حيث لم يكن رطبا بشدة، وكانت جدرانه خشبية مطلية بالدهان، وقد عُلِّقَت عليها بعض الصور؛ في مسكنها، تضع الجنرال "زاو" صور أفراد أسرتها المتوفين بين تماثيل آلهة المنزل في محراب خاص .

كانت المدفأة تشع حرارة جعلت البخار يتصاعد من ثياب بيني رويال المبتلة، فطلبت الجنرال منه أن يخلعها و أمرت أحد ضباطها بإعطائه زيا من أزيائه الاحتياطية وعباءة رمادية أنيقة. كذلك قامت أوينون بتبديل ثيابها وارتداء زيا من أزياء العاصفة الخضراء الرسمية، وغسلت وجهها وشعرها، وبرغم أن مظهرها كان لا يزال بعيدا كل البعد عن مظهر زوجة الرئيس، لكنها على الأقل لم تعد كالمتشردين.

أحضر خدم الجنرال نبيذ الأرز ولفائف اللحم المدخن والشاي، فيما خلع ثيو سترة الطيران الخاصة به وجلس على كرسي قابل للطي جلبه خادم آخر له، وقد جاهد كي يبقي عينيه مفتوحتان ولا يسقط في النوم فوق الكرسي. ومن حوله، بدا كل شيء - بعد كل ما مروا به في تلك الليلة - فخما مريحا لدرجة لا تصدق. وبرغم أنه بات يكره العاصفة الخضراء، إلا أنه لم يشك أبدا في قوة وشجاعة جيشها، وقد شعر بالراحة لكونه يجلس في مكان يقوم على حراسته كل هؤلاء الجنود الشجعان بأسلحتهم القوية. وحتى هيستير لم يعد يشعر بالقلق عليها وقد باتت في أمان في المستشفى الميداني.

"رجالي يعدون منطادا لنقلكِ إلى بيتك في تينجين" قالتها " زاو"، ".. قائد المنطاد هو صديق لي ومؤيد للجنرال ناجا، وجميع طاقم المنطاد أهل للثقة. كما تم إرسال طائر مطارد إلى زوجك ليزف إليه النبأ السعيد. أتمنى أن يؤدي ذلك لرفع معنوياته واستعادته لنفسه"

"أهو مريض؟" سألتها أوينون في قلق، فتجهمت الجنرال، ثم قالت :

“لم نتلق أي أوامر من تينجين منذ أسابيع. وقد أرسلنا نحذره بصدد التعزيزات التي تقوم بها المدن على الجانب الآخر من الخط الفاصل، و الضاحية الحصادة التي هاجمت نقطة التحصين رقم 16 الشهر الماضي. أبلغناه أننا لن نستطيع الاحتفاظ بموقعنا إذا شنت المدن هجوما، لكنه لم يرد، ولم يبد أي اكتراث بالأمر، كما لو كان قد فقد الأمل في كل شيء بمجرد سماع نبأ وفاتك”

صمتت أوينون للحظة وقد بدا أنها على وشك البكاء، لكنها تمالكت نفسها وقالت بصوت مبحوح : “ألا يمكننا الاتصال به بشكل أسرع ؟ يمكنني التحدث إليه عبر الراديو طويل المدى...”

إلا أن زاو هزت رأسها وقالت : “لا يمكنني المجازفة بذلك. قد يتمكن الهمجيون من التقاط رسالتك وقد يحاولون قتلك مرة أخرى”

“لم يكن الهمجيون من حاولوا قتلي في المرة الأولى..” قالت أوينون “.. بل هم من أنقذوني، بمساعدة ثيو”

“بالطبع” قالتها الجنرال وهي تبتسم لثيو، ثم لبيني رويال، ثم قالت : “لقد سمعنا عن شجاعة البروفيسور بيني رويال”

“شجاعة البروفيسور بيني رويال؟!” صاح ثيو بذهول وهو يكاد يختنق بلفائف اللحم التي كان يمضغها في تلك اللحظة. وراح يتساءل في سره عما إذا كانت الجنرال مخمورة نوعا ما!، فمنذ قليل كانت تتحدث بانهزامية عن عدم قدرتهم على الصمود عند خطوط المواجهة، والآن تتحدث عن شجاعة بيني رويال !!

“ما الذي سمعتموه بالضبط؟”، سألها ثيو

“لدينا نقاط تنصت في أعماق المنطقة الفاصلة تتنصت على البث الإذاعي للمدن المتحركة...” قالتها الجنرال وهي تمد يدها وتتناول بعض الأوراق من فوق مكتبها “.. كما وصلتنا تلك النشرة الإخبارية التي ظهرت على الشاشات العامة في مورناو قبل بضع ساعات...” ثم تنحنحت قليلاً لتنقي حلقها قبل أن تشرع في القراءة :

“... وقد قام عميل داخل إيرهيفن بمساعدة المغيرين، وهو الكاتب المحتال سيء السمعة والعمدة السابق لبرايتون ” نيمرود بيني رويال”. وقد رأى عدد من شهود

العيان ذلك الخائن بيني رويال وهو يهرع خلف سفينة التجسس الخاصة بالعاصفة الخضراء بينما هي تقلع، وراح يصرخ : "أين أموالي؟"

"خائن؟ أنا؟..." صاح بيني رويال غاضبا.

"فقط بالنسبة للمدن المتحركة الهمجية.." قالتها الجنرال "زاو"، ".. أما بالنسبة لقومنا فأنت ستكون بطلا"

"ولكن... يا إلهي، أحقا هذا؟"

"بالطبع، أن يراجع عمدة مدينة طوافة همجية نفسه وأفكاره التي كان يؤمن بها، ومن ثم يخاطر بحياته لتحرير أسيرة من أعضاء العاصفة الخضراء، لهو عمل بطولي بكل تأكيد... سوف يتم وضع تمثال لك في قاعة أعظم الخالدين بمبنى البلدية في تينجين، ولسوف يكافئك الجنرال ناجا بسخاء، إنه...."

هنا دخل ضابط صغير إلى المقر مقاطعا إياها، وانحنى في توتر ثم تمتم بشيء ما بلغة شان جو، فعبست الجنرال، ثم هبت واقفة وقالت :

"أستميحكم عذرا، إنهم يريدونني في الخارج"

"ما الذي حدث؟" سألتها أوينون

"أجهزة الرصد لدينا رصدت هدير محركات للمدن... لقد كنا نتوقع هجوما، لكن ليس بهذه السرعة. يا للآلهة!، لم تصلني بعد التعزيزات التي طلبتها الشهر الماضي"

ثم بدأ جرس يدق من منصة الهواتف من الغرفة المجاورة، ثم جرس ثان، فثالث،... فأصدرت الجنرال "زاو" أمرا للضابط، ثم التفتت نحو أوينون وقالت : "صاحبة السعادة، لا بد أن تستقلي المنطاد الآن، لن أغامر بـ...."

وفجأة دوى صوت كالرعد ابتلع باقي كلماتها، وارتجت الأرضية وتساقط الغبار من بين ألواح السقف المنخفض. و راح بيني رويال يصيح متضرعا لآلهته الغريبة من جديد، فيما التفت ثيو إلى حيث المنضدة التي وضع عليها كوب الشاي الخاص به، فوجد الكوب يهتز بشدة مع وقع الأصوات الرعدية. ثم اندفع جندي آخر إلى الداخل، وبرغم من أنه كان يصيح بلغة شان جو، إلا أن ثيو ومرافقيه كان بمقدورهم تخمين ما يقول، حتى قبل أن تترجمه لهم الجنرال : "لقد بدأ الهجوم، كل مدنهم تتحرك في

طريقها إلينا! عشرات المدن ومئات الضواحي!"

هبوا جميعا من مقاعدهم وقد غمرهم السخط والإنهاك، وقد وجدوا أنفسهم متورطين في مغامرة خطرة جديدة حتى قبل أن يلتقطوا أنفاسهم من مغامرتهم الأخيرة.

"وماذا عن هيستير والسيد جريك؟"

"سوف تقابلونهما في المطار..." صاحت الجنرال "زاو" "والآن.. هيا.. بسرعة، ولتحفظنا الآلهة جميعا.."

وخرج الجمع وراء أحد الضباط عبر الخنادق، حيث كان مئات الجنود يهرعون ليتخذوا مواقعهم. كان صوت الهدير القادم من جهة الغرب يدوي كالرعد، بينما السماء فوق خنادق الخطوط الأمامية تعج بالأضواء.

راح بيني رويال يخف الخطى عبر الخنادق مرتعدا، أما ثيو فقد أخذ يردد على نفسه أن معظم تلك الأصوات غالبا صادرة من مدفعيات العاصفة الخضراء التي تمطر المدن بوابل من النيران، وأن ذلك الهجوم سيتم التغلب عليه قريبا. أما أوينون، والتي سبق وعملت عند خطوط المواجهة، فكانت تعرف جيدا ما تعنيه تلك الاهتزازات الأرضية، تماما مثلما يعرف قاطنو المدن المتحركة معنى كل حركة وكل هزة في ألواح سطح مدينتهم؛ كانت تعرف أنه، على مسافة ليست ببعيدة، تتقدم الضواحي القتالية بسرعة عالية خلف وابل من قذائف المدفعيات. وراحت تصلي وتتضرع وهي تركض، متسائلة في داخلها عما إذا كان الإله نفسه يستطيع سماع صلواتها وسط كل هذا الصخب.

و راحوا يركضون عبر الخنادق المتعرجة إلى أن بلغوا المطار، وهناك كان منطاد صغير يقف في انتظارهم فوق منصة مركزية، فيما أخذت مركبات أرواح الثعالب " فوكس سبيريت" تتصاعد نحو السماء من المستودعات المحفورة في سفوح التلال.

كان المنطاد يدعى " فيوري" - روح الإنتقام - وقد اتخذت محركاته وضع الإقلاع، و بينما هم يعبرون حوض الإرساء الموحل نحوه، كانت مركبة تحمل شعار الطاقم الطبي للعاصفة الخضراء تشق طريقها إلى أن توقفت عند المنصة التي تحمل المنطاد، ومنها قفز جريك إلى الأرض وهرع يساعد أفراد الطاقم الطبي على إنزال

المحفة التي تحمل هيستير.

راح الضباط يحثون أوينون على الإسراع إلى داخل المنطاد، وكذلك بيني رويال، الذي لم يكن في حاجة لذلك بل هرع من تلقاء نفسه يركض نحو المنطاد في هلع. وكان ثيو على وشك اللحاق بهم، إلا أنه تذكر فجأة رسالة رين وأنه وضعها في جيب سترة الطيران الخاصة به التي نسيها على المقعد بجوار المدفأة في مقر الجنرال "زاو".

"يجب أن أعود!" صاح ثيو، لكن أحدا لم يسمعه، باستثناء جريك، الذي كان يحمل المحفة إلى حيث المنطاد، فالتفت ورأى ثيو إذ يركض عائدا عبر الخنادق، فصاح : "ثيو نجوني!" وهو يكاد لا يصدق مدى حماقة هؤلاء الفانون.

"أيها المطارد، ادخلها إلى المنطاد" صاح به أحد الملاحون من داخل فتحة المنطاد، إلا أن جريك قال في إصرار "علينا أن ننتظر... ذلك الفاني ثيو نجوني ليس معنا"

انفجرت قذيفة بالقرب من المحيط الغربي لساحة الإقلاع فأطاحت بإحدى مركبات " فوكس سبيريت" وتناثر الوحل والحصى يلطخان غلاف ال" فيوري"، ونظر جريك نحو الخنادق، لكنه لم يستطع رؤية أي شيء سوى الدخان.

وأخذت الانفجارات تدوي بشكل متصاعد والأرض ترتج من تحتهم مع حركة المدن الثقيلة وقصف المدافع، بينما الصخب يصم الآذان.

"إلى المنطاد أيها المطارد، وإلا سوف نقلع بدونك" صاح الملاح المرتعد وهو يضع خوذته على رأسه بينما الانفجارات تتوالى عبر أحواض الإرساء.

"ثيو نجوني" صاح جريك مرة أخرى وسط عاصفة الصخب المدوي، ثم استدار على مضض وبخطوات مترددة حمل هيستير إلى الداخل عبر سلم المنطاد ثم إلى فتحة الدخول، وركضت أوينون نحوه تسأله :

"أين ثيو؟ حسبته معنا"

وبسرعة شرع المنطاد في الإقلاع، فيما حمل جريك هيستير إلى حيث المقصورة الطبية ووضعها هناك فوق السرير، وقال للأفراد هناك : "إعتنوا بتلك الفانية"، ثم هرع إلى حيث النافذة. كانت الطلقات تنطلق في كل حدب وصوب من المركبات الطائرة،

وترتطم بدرع المنطاد، وفي الأسفل راحت الانفجارات تتوالى والقذائف تضرب الأرض، والمدفعيات الثقيلة تفتح نيرانها، والمنجنيقات تلقي بقنابلها عبر ستائر الدخان التي حجبت المنطقة الفاصلة.

"ناجا، لقد بدأ الهجوم!"

كان الجنرال ناجا يجلس متهالكا فوق مقعده المفضل بجوار النافذة في جناحه، حيث اعتاد الجلوس مع أوينون، وفي الخارج كانت السلالم الحلزونية عبر "جيد باجودا" تحدث صوت صرير، فيما أخذت الريح العاصفة تهب بشدة وتنشر الثلوج عبر الهواء أمام نافذة الجنرال.

وعلى الباب وقف صديقه القديم، جنرال "جو" وهو يتململ من قدم لأخرى، منزعج من الأنباء التي جاء يحملها...

"لقد تلقينا تقارير عن وقوع قتال عنيف عند عشرات القطاعات، حصوننا في " راست ووتر" تتعرض للهجوم، وقد فقدنا الاتصال بمركز قيادة الجنرال "زاو"."

"آه.." قالها ناجا دون حتى أن ينظر نحو الرجل. وعلى المنضدة المنخفضة بجواره استقر فنجان وإناء من الشاي الأخضر، تقوم بإحضاره إليه الفتاة " روهيني" كل صباح في نفس الساعة، ثم تجلس لتلعب من أجله على آلة " الشدراجا" الموسيقية. أما اليوم فقد قام الجنرال "جو" بصرفها، وقد أصر على التحدث إلى ناجا على إنفراد.

يا لها من فتاة طيبة... هكذا كان ناجا يراها... وفي بعض الأحيان كان يشعر أن لطفها هو ما يبقيه على قيد الحياة حتى الآن؛ حتى الموسيقى التي كانت تعزفها له، كانت تذكره بطفولته، حين كان يستمتع بصيد البط عند البحيرات المتكونة في الحفر الذرية بجنوب الصيد، وذاك الصيف الذي إنضم فيه للأسطول الجوي لجماعة مناهضة التحرك، قبل أن تأتيهم لندن زاحفة نحو الشرق. وفي معقل التدريب، على جبل " سيفن تايجر" كان قد وقع في حب فتاة تدعى " ساذيا"، لكنها كانت تحب "آنا فانج"...

"ترى، ماذا حدث لساذيا؟" تساءل ناجا غير مبال بما نقله إليه صديقه من أخبار، "هل تعتقد أنها لا تزال في تلك الصومعة التي أرسلناها إليها في " زان شان"؟"

"ناجا!، نحن في حالة حرب!" صاح صديقه "ما هي أوامرك؟ هل أبلغ القادة بالبقاء في مواقعهم أم بالانسحاب؟"

"أبلغهم بما تراه ضروريا يا "جو""

تنهد "جو" و استدار ليخرج، ثم التفت مرة أخرى نحو ناجا وقال :

"هناك أمر آخر، ربما لا يبدو مهما، لكن... جاءتنا تقارير من باتمونخ جومبا تفيد بوجود نشاط غير طبيعي داخل حطام لندن.."

"لندن ؟ إنهم حفنة من الهمجيين البؤساء يا جو، لقد بلغنا نبأهم منذ سنوات، لا ضرر منهم"

"هل نحن واثقون إلى هذا الحد؟. ماذا لو كانوا طابورا خامسا ينتظرون الفرصة لمساعدة العدو حين يتقدم زاحفا نحونا؟ لقد امرتُ بزيادة المراقبة عليهم "

حاول ناجا أن يهز كتفيه، لكن درعه الميكانيكية لم يكن يسمح بالإتيان بتلك الحركة، ثم قال :

"أنا مريض يا صديقي، يعتصرني الألم في كل موضع. لا أستطيع النوم، لكني كذلك لست متيقظا كما يجب. رأسي يطن كعش من الدبابير. عليك أن تتولى أنت القيادة"

"لكن القوم يريدونك أنت يا ناجا، لقد استطعت سحق الهمجيين في الربيع الماضي، وهم على يقين أنك تستطيع فعلها ثانية، إنهم لن يثقوا بي"

"إنني أفتقد زيرو..." دمدم ناجا "أفتقدها كثيرا..."

فتطلع إليه "جو"، ثم قال "سوف أبلغ "زاو" أن تصمد بقواتها، إذا استطعت الوصول إليها"، وخرج من الغرفة.

و بينما هو يغادر مقر ناجا رأى "سينثيا توايت" تقف في الخارج بين الظلال وتنظر إليه، فتوجه إليها ثم دفعها إلى الأسفل عبر سلم ضيق إلى حيث إحدى الشرفات، وهناك، بينما الثلوج تتساقط عليهما، سألها بصوت كالفحيح :

"ما الذي يحدث له؟... لقد حسبت أنه بمجرد التخلص من تلك المرأة "زيرو" سوف يستعيد نفسه ويعود إلى رشده ليقودنا نحو النصر، لكنه بدلا من ذلك يمضي أيامه

متهالكا في موضعه. أهو الحزن فقط ما جعله هكذا؟ أم أنه يحتضر؟ أخبريني!"

فابتسمت سينثيا وقالت : "بل هو الشاي الأخضر... فنجان كل صباح، تماما كما كانت تفعل زوجته البائسة"

"أتضعين له السم؟!"

"القليل منه، ليس بما يكفي لقتله، وإنما فقط بما يجعله عاجزا"

"لكننا في حاجة إليه"

"لا، لسنا كذلك أيها الأحمق! "

وقف "جو" يتطلع إليها في ذهول. لقد جرت الأعراف في الممالك الجبلية أن تحترم النساء الرجال، وأن يوقر الشباب شيوخهم، أما تلك الفتاة فكانت تتحدث معه وكأنه طفل!

"أو لم تسمع الشائعات يا جو؟.. هناك مطارد قتل "الصبية المفقودون" على متن برايتون، ثم تم العثور على إحدى غواصاتهم تحت شلالات مقاطعة "سنوفان"، وبعدها بفترة قُتِل دكتور بوب جوي... ألا يمكنك استنتاج شيء من هذا؟ كل تلك الأحداث مرتبطة ببعضها البعض، أأنت أعمى لهذه الدرجة؟ إلى حد أنك لا تستطيع أن تدرك ما يعنيه هذا كله؟"

ظل الرجل واقفا يحدق فيها، وكانت الثلوج تهطل بكثافة بحيث لم يعد وجهها ظاهر بوضوح من وراء ستار الثلج المتساقط.

"إنها تنهض!" همست سينثيا بلهجة انتصار، "وسوف تعلن عن وجودها لنا قريبا، وستنقذنا من الهمجيين. وإلى أن يحدث ذلك، علينا أن نحرص على إبقاء ناجا ضعيفا، و حين يترك الهمجيين يحطمون دفاعاته ويلتهمون مستوطناتنا الغربية، سيمسي الجميع على استعداد تام للتخلي عنه والترحيب بعودة زعيمتنا الحقيقية!"

"أنتِ مجنونة!" صاح الجنرال جو، واستدار بسرعة مندفعا نحو الداخل عازما على تحذير صديقه منها، لكنه لم يكد يخطو خطوة أخرى حتى كانت الفتاة قد سحبت دبوسا من الدبابيس الطويلة المفعمة بالسم والتي تضعها في شعرها تحسبا لحالات الطوارئ، وفي لمح البصر غرسته في مؤخرة عنق الرجل، ليسقط صريعا حتى قبل أن

يتمكن من الصراخ. ثم إنها، وبجهد شديد، راحت تجر جسده السمين إلى أن رفعته إلى جدار الشرفة، ثم ألقته منها، ووقفت تشاهده إذ يسقط عبر مئات الأقدام إلى حيث سفح الجبل بين الثلوج. لقد كانت دوما تشك في الجنرال "جو"، وقد أعدت كل شيء من قبل وقامت بتزييف رسالة انتحار له، ولن يستغرق الأمر سوى لحظة واحدة لتضعها على مكتبه.

وراحت سينثيا تفكر في سيدتها، المطارد فانج... إنها هناك، في مكان ما فوق الجبال، تنتظر اللحظة المناسبة. لو أنها فقط تظهر نفسها!.. لا بد أنها سترغب في معاقبة الضعفاء الذين انضموا تحت لواء ناجا، لكنها بدون شك تعرف جيدا أن بإمكانها الإعتماد دوما على عملائها السريين المخلصين أمثال سينثيا.

وللحظة، بينما هي تعود إلى الداخل وتتسلل إلى حيث مكتب الجنرال "جو"، شعرت بغضب مبهم يعتريها تجاه زعيمتها، إلا أنه سرعان ما تلاشى، وراحت تردد لنفسها أنه أيا ما كان ما تخطط له المطارد فانج فلا بد وأنه سيكون شيئا مروعا ورائعا، وليس لها - سينثيا - أن تحكم عليها.

كان ثيو يمتلك دوما حسا جيدا بالاتجاهات، وقد وجد طريقه سريعا عبر متاهة الخنادق، وكاد يبلغ مقر الجنرال "زاو"، حين وقع انفجار خلف الأسلاك الفاصلة مباشرة، فسقط ثيو على الأرض، و اندفعت أمواج من الأحوال في كل مكان وامتلأ الخندق بسحب من الدخان الكثيف. ومن موضعه منبطحاً فوق أرض الخندق، رأى الجنود إذ يتخبطون عبر الممرات في هلع وهم يفرون من نقاطهم ويلقون بأسلحتهم وحقائبهم، و يركضون مبتعدين، وقد فتحوا أفواههم على اتساعها وكأنهم يصرخون بشيء ما، لكنه لم يستطيع سماعهم إذ أصابه الانفجار المدوي بالصمم.

ثم إنه نهض مترنحا، واعتلى إحدى منصات إطلاق النار ليرى ما الذي يفرون منه على هذا النحو. ومن وراء السياج الشائك خارج الخندق، كان باستطاعته رؤية تلك الأشكال الجبلية الضخمة إذ تتحرك، وعبر سحب الدخان رأى مورناو على بعد أميال قليلة، تشق طريقها عبر أفخاخ العاصفة الخضراء التي تم قصفها، فيما كانت دزينة من الضواحي الحصادة تتحرك هنا وهناك بحثا عن الألغام والكمائن المخفية.

ومن حصن مجاور، انطلقت الصواريخ تجاه مورناو، ولكن فجأة بدأت الأرض ترتج

بشدة، ثم تنشق ليخرج من تحت قاعدة الحصن قمة فولاذية هائلة تتصاعد من بين التربة والوحل، كاشفة عن فكوك مركبة ومثاقب عملاقة، مزقت الحصن إربا. وعلى الجذع المدرع لها كان شعار أبيض ضخم يقول : مرحبا بكم في هاروبارو، قرأه ثيو بوضوح بينما الضاحية العجيبة تمر من أمامه، تحطم المخابئ وتسحق منصات المدافع تحت عجلاتها الضخمة.

ومن قمة الطبقة العليا لمورناو راحت مصابيح الإشارة تومض كما لو كانت تحاول إرسال رسالة ضوئية للضاحية، إلا أن الأخيرة تجاهلتها وغاصت من جديد في الأعماق الطينية متجهة نحو اراضي العاصفة الخضراء.

قفز ثيو من فوق المنصة، ليسقط متعثرا بين الدخان وكتل الحجارة التي سقطت داخل الخندق بفعل الانفجارات التي راحت تتوالى من جديد وتغرق الفتى بالوحل والماء. الغريب أن هذا كله حدث بسرعة وصمت!، وكأنه حلم، لدرجة أن ثيو، ورغم كل ما رآه ومر به، لم يكن بقادر على استيعاب الموقف... أين المدمرات الجوية التي لا تقهر للعاصفة الخضراء؟ أين وحدات الاستجابة السريعة وفريقها المكون من ألف آلة متفجرة؟، أين كل الدفاعات التي لطالما عجت بها الأفلام الدعائية للعاصفة الخضراء؟!

وفي الأعلى انفجر منطاد واستحال كتلة من اللهب، حتى أن ثيو لم يستطع تمييز الجبهة التي ينتمي إليها المنطاد، وعلى ضوء النيران استطاع الفتى رؤية مدخل مخبأ الجنرال "زاو"، فهرع يركض نحوه. وفي الداخل كان قد تم إخلاء المكان تماما، إلا أن سترته كانت ما تزال في موضعها معلقة على ظهر الكرسي، فانتزعها وارتداها سريعا، وتحسس جيبه فوجد رسالة رين في موضعها، وصورتها كما هي في الجيب الداخلي فوق قلبه.

وفي اللحظة التالية سقطت قذيفة، ولم يسمع ثيو انفجارها، لكنه فوجئ بنفسه واللفح الساخن الناتج عن الانفجار يرفعه عن الأرض ويطيح به، ومن حوله اشتعل كل شيء.

***

31. المنزل في "إردن تزج"

توقفت المطارد فانج عند حافة حوض الإرساء حيث هبط اليخت الجوي لدكتور بوب جوي، والتفتت بوجهها البرونزي ناحية الغرب.

"ما الأمر؟" سألها فيش كيك و يمم وجهه بدوره شطر الغرب، لكنه لم ير شيئا باستثناء الجبال... لكم يكره الجبال!. ومن حوله في كل جانب كانت الجبال تقف كعمالقة متجمدين، تحيط بالوادى الأخضر، تتلألأ انعكاساتها على البحيرة أسفل حوض الإرساء.

"إطلاق نار" همست المطارد

"تعنين أن الحرب اندلعت من جديد؟"، وراح فيش كيك يرهف سمعه البشري الضعيف محاولا التقاط أي مما تسمعه هي.

"ينبغي أن أتحرك سريعا..." قالت المطارد ".. تعال"

وشرعت تتحرك نحو الجسر، ومن ورائها فيش كيك، يحمل على كتفه إحدى حقائب المعدات التي جعلته يأخذها من ورشة بوب جوي. ومن فوقهما كانت الطيور المطاردة من بيت المهندس تتبعها وتراقب الأجواء في السماء وعبر الطرف الغربي للوادي.

كان الجسر يمتد على مسافة مئتي خطوة، وينتهي عند جزيرة صخرية شُيد فوقها منزل بدا مظلما وباردا كقبر. لقد كان هذا المنزل ديرا يوما ما، مكرسا لآلهة وأرواح الجبال الذين كانت صورهم لا تزال تتدلى من المحاريب في الجدران الخارجية. ثم صار في وقت لاحق مسكنا لآنا فانج، وتحول إلى مكان ينبض بالنور والضحك حين كانت تنزل به لتنال بعض الراحة بين كل مهمة وأخرى من المهام التي كانت تؤديها لصالح جماعة مناهضة التحرك. وكانت آنا تخطط للاستقرار في هذا المنزل عندما تتقاعد وأن تتفرغ لتربية الخيول في تلك المراعي الخضراء المنحدرة عبر الجبال المحيطة، لكن سيف " فالانتاين" نسف كل تلك الأحلام يوم قتلها.

وحين استولت العاصفة الخضراء على السلطة، وخلال سنوات حكمهم الأولى، جرت مناقشات حول تحويل "إردن تزج" إلى متحف، بحيث يتسنى لأطفال المدارس

التعرف على سيرة "زهرة الرياح" وتتبع أثرها. إلا أن المطارد فانج رفضت الفكرة وقامت بإغلاق المنزل وتركته يتحول إلى خراب.

أصدرت البوابة الصدئة صريرا بينما المطارد تفتحها، واندفع فيش كيك من ورائها. وفي الداخل، كانت الثلوج متراكمة في أكثر من موضع، وبين الأسوار الحجرية السميكة التي تحيط بالمنزل، كانت حديقة تعج بالأشجار الميتة والعشب البني الجاف، و نافورة مهملة جافة غطاها الجليد.

هرول فيش كيك خلف المطارد إلى حيث المنزل، ولم تقم بكسر الباب كما كان يتوقع، وإنما مدت إحدى مخالبها تولجها في ثقب المفتاح وحركته بحرص، إلى أن انفتح.

وبمجرد أن فتحت الباب على مصراعيه التفتت نحو فيش كيك وقالت : "ها قد عدتُ إلى المنزل من جديد" ثم دخلت وتبعها هو إلى حيث المنزل المظلم.

لم يعد فيش كيك متيقنا مما إذا كانت المطارد قد عادت إلى شخصية آنا، أم أنها لا تزال المطارد فانج، أم تراها كلاهما معا؟!، وكأن بوب جوي قام بمزج الشخصيتين على نحو ما؛ فهي لم تعد بذات القسوة والصرامة معه كما كانت المطارد فانج، وفي ذات الوقت لا زالت تتشارك معه ذكرياتها، لكنها في المقابل لم تعد تلاعبه أو تمسك بيده أو تمسد شعره، ولم تعد تحتضنه ليلا حين يفيق من حلم مزعج، مثلما كانت تفعل آنا. والآن، لم يتبق له من آنا سوى ذلك الحصان الخشبي الصغير الذي بات يتمسك به بإحكام حين يغفو .

على أية حال، أيا من كانت الآن، فهي تبدو سعيدة بالعودة إلى المنزل.

"آآه..." تنهدت المطارد وهي تمر عبر حجرة الاستقبال، حيث تداعى السقف ومنه تدلت فضلات الطيور وسقط بعضها على الأرضية، ثم وصلت إلى الردهة، ووقفت تتطلع نحو غرفة طويلة تطل نوافذها المحطمة على المرتفعات البيضاء لإردن شان.... "هنا كانت تقيم حفلاتها! في تلك الأيام السعيدة"

اندفعت الريح عبر الثقوب التي امتلأت بها الجدران. ومن خلف قاعة الحفلات تلك، كانت غرفة نومها، حيث السرير المظلل بناموسية، الشبيه بسفينة غارقة في بحر من الأغطية البالية. وفي الجانب الآخر من الغرفة كان ثمة باب آخر موصد؛ ومن

وراءه كانت غرفة أخرى صغيرة مفعمة بالهواء الفاسد الذي اندفع في وجهيهما بمجرد أن فتحت الباب، وقد ذكرت رائحة الغرفة فيش كيك - الذي خمن أن ذلك القسم من المنزل لا بد وأنه قد تم إغلاقه لغرض ما - برائحة جريم سباي، بينما هو ينسل وراء المطارد إلى الداخل.

كانت الجدران والأرضية مغطاة بالألواح المعدنية وقد وضعت فوقها سجاجيد مطاطية. كذلك كانت الغرفة تعج بخيوط العناكب، والبلاستيك، و ركام من الآلات الغريبة : أسلاك وأنابيب، شاشات، صناديق، صمامات، أقراص، أسلاك كهربائية ملونة، لوحات مفاتيح منتزعة من آلات الكتابة.

"لم يكن المهندسون وحدهم من يجيدون التعامل مع تلك الأشياء..." قالت المطارد ".. "آنا" كانت بارعة في استخدام الآلات، مثلك تماما يا فيش كيك. حتى أنها صنعت لنفسها منطاد جوي من الخردة وبقايا المركبات، كما كانت تحاول صنع جهاز إرسال لاسلكي بعيد المدى هنا، إلا أن الأمر لم ينجح تماما، وتمكن الآخرون من إحراز تطور كبير في هذا المجال. لكنها كانت مجرد بداية، والآن، و باستخدام ما أحضرناه من ورشة بوب جوي، وجهاز الراديو من يخته الجوي، سوف نتمكن من تحسين الجهاز الذي صنعته "آنا" وتقوية إشارته"

"ومن الذي تريدين أن ترسلي إليه إشارة؟" سألها فيش كيك، فأطلقت المطارد ضحكة شبيهة بالفحيح، ثم أخذته من ذراعه إلى حيث غرفة النوم المتداعية، و عبر ثقب في السقف أشارت نحو الأعلى، إلى حيث أعماق السماوات الزرقاء، ثم :

"هناك في الأعالي يكمن المرسل إليه. سوف نرسل رسالة إلى السماء".

***

الجزء الثالث

32. مذكرات لندن

التاسع عشر من يونيو

سبعة عشر يوما مرت منذ فرار فولف كوبولد، ويبدو أن الجميع هنا قد نسوا أمره تماما، حتى أنا، أغلب الوقت. بل وحتى آنجي، وقد تلاشى الصداع الذي أصابها جراء ضربته على رأسها، وتراجع الورم. معظم الناس هنا يرون أنه من المستحيل أن يكون فولف قد تمكن من قطع كل تلك الأميال عبر أراضي العاصفة الخضراء وصولا إلى "هاروبارو"، وحتى إن استطاع ذلك، فلن يمكنه إحضار ضاحيته تلك والعودة شرقا ليلتهم "نيو لندن"، على الأقل ليس إلا إذا اندلعت الحرب من جديد.

ومع ذلك، فقد تسارعت وتيرة العمل في بناء لندن الجديدة، تحسبا لأي ظروف.

في الواقع، حين علمت أول الأمر بما يفعله هؤلاء القوم، حسبتهم حفنة من المجانين، ولكن... حين ترى كيف يعمل الجميع بكد وحماس وكيف أنهم جميعا يؤمنون تماما بإمكانية بناء تلك المدينة التي لطالما حلم بها المهندسون، فسوف تكتشف أن الأمر لا يختلف كثيرا عن وضع أنكوراج، حين قررت "فريا راسموسن" التحرك بمدينتها عبر الجليد إلى أمريكا. لقد كانت فكرة مجنونة هي الأخرى، و إنني لواثقة من أن الكثير من القوم حينها كانوا يرون استحالة تحققها، وكانت أمي أحدهم، لدرجة أنها باعت أنكوراج بأكملها لأركانجيل حين لم تستطع إقناع أبي بمغادرتها، لكنها كانت مخطئة، فقد نجح الأمر في النهاية. وبكل تأكيد أنا لا أريد أن أكون مثل أمي، ولهذا فقد قررت أنا أيضا أن أتبنى ذلك الحلم وأن أؤمن به وبأن لندن الجديدة ستصبح حقيقة.

على أية حال، فإن أبي حريص جدا على القيام بواجبه تجاه مدينته... في البداية كان عازما على مساعدة المهندسين بأي شكل، لكن الآلات التي اخترعتها تشيلدرماس كانت مختلفة تماما عن أية تقنية رآها من قبل. لذا فقد وجه جهوده لمساعدة الرجال على نقل ما يجدونه خلال التنقيب بين الخرائب إلى حيث مستودع العمل، لكنني تحدثت إلى دكتور تشيلدرماس وشرحت لها مشكلة قلبه، فقامت هي بالتحدث إلى

السيد بوميروي وشرحت له الوضع، ومن ثم قام بدوره باستدعاء والدي وأبلغه أن ما تحتاجه "نيو لندن" بحق هو : متحف، بحيث تبقى ذاكرة لندن القديمة حاضرة أمام سكان لندن الجديدة في حال تحركها عبر العالم.. "وبما أن أي منا ليس لديه متسع من الوقت للتفرغ لذلك الأمر.." قال بوميروي ".. فإنك ربما لا تمانع في تولي تلك المهمة وتأسيس المتحف؟"

وهكذا تم تعيين أبي رئيسا للمؤرخين، وبات يمضي أيامه في التنقيب بين أكوام الخرائب والحطام بحثا عن القطع الأثرية التي ستحكي للأجيال القادمة قصة لندن؛ بداية من أغطية فتحات الصرف القديمة، مرورا بروابط دعائم الطبقات، وصولا إلى تمثال صغير للإلهة كليو وجده بين أطلال أحد المنازل.

في غضون ذلك كنت أقوم أنا وبقية الشباب بإجراء دوريات الاستطلاع، وقد عارض السيد جاراموند ذلك في البداية، إلا أن السيد بوميروي تحدث معه وقال له أن يكف عن الحماقة. وكذلك آنجي وأصدقائها كانوا ودودين جدا معي؛ وكانت حكاياتي لهم عن المغامرات التي خضتها تثير دهشتهم وإعجابهم، خاصة حين حكيت لهم كيف أنني كنت في وسط معركة حقيقية ورأيت مطاردين وآلات طائرة وغيرها من الأشياء (وبالطبع لم أقل لهم كم كنت مذعورة ترتعد فرائصي آنذاك).

كنت أقوم بدوريات متكررة عبر ساحة الحطام الرئيسة، وهو والحق مكان مخيف سيء خلال الليل، إلا أن الرفقة مع آنجي و كات وبقية الشباب كانت جيدة، وقد تم إعطائي قوسا وسهاما لاستخدامها في حال التعرض لأي هجوم. صحيح أنني لست على يقين من قدرتي على استخدام تلك الأسلحة أو إطلاقها على أي شخص، لكنها على الأقل منحتني مزيد من الشجاعة.

أما السلاح الذي كان يروقني حقا فهو بنادق الصاعقة، التي صممها المهندسون للتعامل مع المطاردين، إلا أنهم لم يصنعوا منها سوى عدد محدود، ولا يستخدمها سوى أكثر مقاتلي السيد جاراموند موثوقية، تحديدا لا يستخدمها سوى ساب وكات وعدد من الفتية.

وخلال الأسابيع الماضية، لم يكف جرس الإنذار في "كراوتش إند" عن الرنين، إذ راحت أسراب من الطيور المطاردة الخاصة بالعاصفة الخضراء تحوم حول خرائب

لندن بشكل متواصل، وكان على الجميع أن يختفوا عن أعينها تماما ويبقوا تحت الأسقف. وكنا قد اعتدنا على تجاهلها في غالب الأوقات، ولكن حين كان أحدها يقترب منا بشدة، كان الأولاد في نقاط المراقبة يصوبون إليها بنادقهم الصاعقة ويسقطونها. أما الآن فهناك حوالي نصف دزينة من تلك الطيور تحلق فوق "كراوتش إند".

كذلك توجد طريقة أخرى للتخلص من تلك الطيور، صحيح أنها طريقة محفوفة بالمخاطر، إلا أن آنجي ورفاقها كانوا يعتبرونها نوعا من الرياضة. ففي الأسبوع الماضي، بينما كنا نقوم بإحدى دوريات الاستطلاع، ظهر أحد الطيور المطاردة وراح يحلق فوقنا، وكانت التعليمات في تلك الحالة أن نختبئ فورا، لكن هذه المرة صاحت آنجي أن : "دعونا نصطاده!" ثم قفزت إلى الخارج، فتبعتها، وانطلقنا على طول إحدى المسارات بين ركام الحطام، فيما راح الطائر الميت يلاحقنا، والحق أنني كنت أخشى أن يهاجمنا لكن آنجي قالت لي أن تلك الكائنات مجرد جواسيس، وأنها تعمدت أن يأتي هذا الطائر في إثرنا.

وهكذا رحنا نمضي قدما، ولم نكن نركض، فقط نمشي بسرعة على نحو ما، و أدركتُ أننا إنما نتوجه نحو منتصف ساحة الحطام، والتي يسمونها هنا "الممر الكهربائي". وحتى ذلك الحين كنت متفقة مع ما قاله فولف ذات يوم بشأن "الأشباح"، ولكن هناك، في وسط لندن، حيث كل شيء من حولنا محترق وذائب، بدأ الشك يعتريني حيال الأمر، وسألت آنجي عما إذا كان هذا المكان آمن فعلا، فقالت : "آمن.... نوعا!" وهو ما لم يكن يبعث على الطمأنينة، إلا أنني تمالكت نفسي إذ لم أشأ أن أجعلها تعتقد إنني جبانة، فالتزمت الصمت، وتبعتهم.

وبعد حين وصلنا إلى حيث مرتفع، وهناك كان ما يشبه الوادي يمتد أمامنا عبر منتصف ساحة الحطام، وقد بدا مكانا هادئا إلى حد ما، ملئ بالأشجار و برك الماء، إلا أن الحطام على جانبيه كان متفحما وملتويا بشكل عجيب، وقالت "آنجي" أن ذلك المكان تحديدا هو الموضع الذي سقط فيه قلب الميدوسا فأذاب كل شيء من حوله عبر كافة طبقات لندن، ولهذا فإن هذا الموضع يحمل أقوى بقايا طاقة الميدوسا.

عن نفسي لا أعرف إن كان هذا صحيحا أم لا، ولم أجد الفرصة لتفحص المكان جيدا إذ دفعتني "آنجي" بسرعة إلى حيث فجوة في الحطام مغطاة باللبلاب...

“فلنختفِ الآن” قالتها وهي تدفعني دفعا.

ولم يتمكن الطائر المطارد من رؤيتنا من تحت اللبلاب، لذا راح يحلق فوق الوادي بحثا عنا. وفجأة، بينما الطائر لم يكد يتجاوز نحو خمسين قدما عبر الوادي، تصاعدت ما يشبه شوكة كبيرة من الكهرباء من بين الحطام لتصعقه، وفي لمح البصر تفحم الطائر ولم يبق منه سوى نفث من دخان وبعض الريش المتطاير الذي راح يتناثر مع الريح.

و انتابتني قشعريرة رهيبة سرت في أوصالي وأنا أرى ذلك المشهد المخيف، وقد تخيلت ما كان سيحدث لنا لو أن الجيني هانيفر قد حلق حتى وصل إلى هذا الممر الكهربائي يوم وصلنا إلى لندن.

ملحوظة : طلب مني “ ساب بيبودي” الخروج معه في مواعدة، وقد قلت له أنني سوف أفكر في الأمر، فسألني ما إذا كان لدي حبيب على مسارات الطيور، فأخبرته أن نعم. ترى، أهذا سخف مني أم ماذا؟.

والآن، قد تأخر الوقت، و لدي غدا يوم عظيم الأهمية، حيث سيجري اختبار المدينة الجديدة لأول مرة، لهذا علي أن أذهب إلى النوم.

***

33. الاختبار

جاء صباح يوم اختبار "نيو لندن" غائما منذرا بهطول الأمطار، ومن الغرب هبت رياح عاصفة راحت تبعثر أوراق الأشجار وبتلات الزهور التي مدت جذورها وسط حطام لندن.

ولم يشأ توم أن يفرض نفسه على رين، التي خرجت مع أصدقائها الجدد متجهة نحو مبنى التجربة، أو "الرحم" كما يسميه أهل لندن، الرحم الذي ستولد منه مدينتهم الجديدة، لذا فقد مضى وحده خارجا من "كراوتش إند". وراح يمسح بعينيه تلال الحطام على جانبي المسار، وهي عادته الجديدة التي اكتسبها من البحث والتنقيب في كل مكان بين الخرائب عن البقايا والشظايا اللازمة لتأسيس متحف "نيو لندن"، ليعرف الأطفال الذين سيولدون يوما ما على متن المدينة الجديدة كيف كانت تبدو لندن القديمة، الأم. وقد كانت أكوام الخرائب تلك مليئة بالآثار : لافتات بعض الشوارع، مقابض أبواب،... إلخ.

وأثناء سيره، اكتشف توم إحدى الملاعق المنقوش عليها شعار عصبة المؤرخين، فالتقطها ووضعها في جيبه. لقد كان يتناول طعامه بمثل تلك الملاعق أثناء طفولته، وقد بدت له تلك الملعقة المكتشفة وكأنها قطعة من الذاكرة اتخذت شكلا ماديا ملموسا، وقد شعر بغبطة كبيرة وهو يفكر في أبناء لندن المستقبليين حين سيتطلعون ذات يوم إليها وإلى تلك البقايا الأخرى ويتخيلون شكل حياته وكيف كانت. لكنه، مع ذلك، كان يعرف جيدا أنهم، مهما حاولوا، لن يستطيعوا أبدا معرفة التفاصيل الدقيقة لتلك الحياة التي عاشها، أبدا، لن يعرفوا شيئا عن أحلامه ومشاعره، ومغامراته على مسارات الطيور، وفي الأراضي الجليدية وأمريكا... بالطبع لن يعرفوا كل تلك التفاصيل من مجرد ملعقة!.

و في الأيام القليلة الماضية، بينما كان يشاهد رين تجلس في الأمسيات لتدون في دفتر يومياتها، راح يتساءل ما إذا كان عليه هو الآخر أن يحاول الكتابة عن بعض مما مر به من أحداث ومغامرات قبل أن تذهب طي النسيان... لكنه كان يعود فيقول لنفسه أنه ليس " ثاديوس فالانتاين" ليدون مغامراته واستكشافاته، بل هو حتى ليس "نيمرود بيني رويال"، فالكتابة ليست بالأمر اليسير بالنسبة له. وفي كل الأحوال، إن

هو قرر أن يكتب عن حياته فهذا يعني أنه سيكتب عن هيستير بالضرورة، وهو ما لن يستطيع أن يفعله؛ إنه حتى لم يحاول التفوه بإسم زوجته منذ جاء إلى لندن. وحتى أصدقاؤه الجدد لم يسألوه يوما عن والدة رين، بل احتفظوا بأسئلتهم لأنفسهم، ربما افترضوا أنها ميتة وأنه سيكون من المؤلم له أن يتحدث عنها، وهم في ذلك لم يبعدوا عن الحقيقة.

ثم، كيف له أن يكتب عن هيستير للأجيال القادمة إذا كان هو نفسه لم يفهم ما الذي دفعها لفعل ما فعلت، ولا ما الذي جعله يحبها.

و بينما هو يقترب من "الرحم" التقى بحشد من زملائه، وكانوا يتوجهون جميعا لنفس وجهته، وكانت "كليتي بوتس" من بينهم، وقد حيته بحرارة وقالت له أنها سعيدة بوجوده معهم، بينما كان زوجها على متن لندن الجديدة مع المهندسين.

"دكتور تشيلدرماس تخشى أن يعمل نظام الرفع المغناطيسي الخاص بها بشكل أقوى من المطلوب ..." قالت كليتي "... ولهذا أرادت ملاحا معها لإنزال المدينة إلى الأسفل ثانية إن هي ارتفعت أكثر من اللازم..."

"حقا ؟"

"إنها مزحة يا توم، أنا أمزح"

"آه..." وضحك توم، برغم أنه لم يجد الأمر مضحكا على الإطلاق، ثم قال ".. آسف، الكثير من الأمور تغيرت منذ كنا صغارا.. عديد من الاختراعات قد ظهرت، وأنا حقا لا أعرف مدى امكانيات لندن الجديدة"

وتذكر توم نماذج الرفع المغناطيسي الأولية التي أطلعته عليها دكتور تشيلدرماس: منصات بحجم طاولات العشاء راحت تدور حول "الرحم"، و كأنما تحركها قوى سحرية، فوق سطح الأرض بعدة أقدام؛ وإذا نجحت المدينة الجديدة في التحليق فإن المهندسين يخططون لتطبيق تلك التقنية على الطاولات فعلا، وليس الطاولات فقط، بل والكراسي والأسِرّة وحتى ألعاب الأطفال. وقد سمع توم أحاديث أيضا عن صنع مركبات تتحرك بنظام الرفع المغناطيسي، وهو ما جعله يشعر بشيء من الحزن على مصير منطاده الحبيب " جيني هانيفر".. إذ أن اختراع مثل تلك المركبات سوف يكتب النهاية لعصر المناطيد، وسيمسي منطاده وقد عفا عليه

الزمن. وقد آلمت الفكرة قلبه حقا، أو... ربما كان هذا الألم بسبب المجهود الذي بذله في قطع المسافة من "كراوتش إند" وصولا إلى هنا، فقام بتناول واحد من أقراص دوائه ثم توجه مع كليتي عبر مدخل "الرحم".

وفي داخل المستودع، كانت لندن الجديدة تقف فوق دعاماتها، وقد بدت ثقيلة جدا لدرجة أن توم شعر للحظات أنها لا يمكن أن تحوم في الهواء كما يظنون. وعلى متنها راح الرجال يركضون هنا وهناك عبرها، وقد بدا أن المهندسين يواجهون مشكلة ما مع الطاردات المغناطيسية.

ومن موضعه راح توم يمسح الحضور بعينيه بحثا عن رين، إلى أن رآها تقف في المقدمة بجوار "آنجي" و " ساب" وعدد آخر من الفتية الذين لم يستطع تذكر أسمائهم. وقد شعر بالفخر بها، وبالسرور لكونها استطاعت التأقلم هنا وتكوين صداقات. ومن موضعه حيث وقف يتطلع إليها، تذكر "كاثرين فالانتاين"، وقد لاح له أن ابنته تتمتع بالكثير من سمات كاثرين : الحيوية، الابتسامة الخاطفة المبهرة... إنه لم يلحظ ذلك التشابه من قبل، ربما لأنه لم يفكر في كاثرين قبل أن يعود إلى لندن، أما الآن، وهنا، فقد كان لا بد له أن يلاحظ ذلك التشابه الغريب.

ويبدو أن رين قد شعرت به يحدق فيها، فالتفتت نحوه، ثم اشرأبت قليلاً على أطراف أصابعها وراحت تلوح له من فوق بحر الرؤوس المحتشدة، فلوح لها توم بدوره، وفي داخله تمنى ألا يكون فألا سيئا أن يقارنها بتلك المسكينة المنكوبة كاثرين.

ثم بدأ جرس الاستعداد يدق، وصاحت كليتي : "لقد حان الوقت"

وصاح المهندسون في الحشود أن يبقوا بعيدا بالقرب من جدران المستودع، فتراجع الجمع ووقفوا يترقبون الحدث العظيم. وفي ظل الصمت الذي خيم على الجميع سمعوا دكتور تشيلدرماس من على متن المدينة الجديدة تصيح :

" هل أنتم مستعدون جميعا؟... الآن!"

وبعد لحظات بدأ صوت طنين يتصاعد سريعا إلى أن صار شديدا، لكن لم يحدث شيء آخر. ومن إحدى الدعامات بالقرى من مؤخرة المدينة الجديدة صدر صوت صرير أقوى، كما لو كانت الدعامة تصيح في خيبة أمل كتلك التي بدأت تعتري

الجميع، وقد طال انتظارهم لرؤية المدينة تتحرك. ثم صدر صوت مماثل من دعامة ثانية. هنا أدرك توم أن السبب في تلك الأصوات هو تحرر المدينة البطيء من دعاماتها التي ظلت تجثم فوقها لسنوات طوال ثم بدأت ترتفع عنها ولم تعد تضغط عليها بذات الثقل؛ وبالفعل، بدأت بعض من قشور الصدأ تسقط من الدعامات، ثم شرعت الطاردات المغناطيسية تدور، لكنها كانت لا تزال أشبه بمرايا عملاقة غائمة دون أن يصدر عنها أي توهج، فقط وميض خافت شبيه بما ينتج عن الحرارة.

ثم، وببطء، ببطء، بدأت لندن الجديدة تنهض من مهدها المعدني، وإستدارت قليلا إلى أحد جانبيها أولا، ثم إلى الجانب الآخر، ثم شرعت تتقدم نحو الأمام، ومن جديد شعر توم بذلك الطنين الخافت...

وراح المحتشدون يتهامسون في لهفة : "إنها تتحرك!"، وأخذوا يتبادلون النظرات و كأنما أراد كل منهم أن يتأكد من أنه لا يتخيل الأمر وأن الآخرين يرون ما يراه....

لا بد أن هذا بالضبط كان شعور من عاصروا لحظة تحليق أول منطاد... هكذا راح توم يفكر... أو حينما قام الإله كويرك بتشغيل محركات لندن للمرة الأولى. والآن ستغير آلات " لافينيا تشيلدرماس" العالم بطريقة لا يستطيع أحد تخيلها، وربما بحلول الزمن الذي يأتي فيه أحفاد رين إلى الحياة تكون جميع المدن تحلق على هذا النحو... بل ربما لن تكون هناك حاجة لوجود مدن على الإطلاق...

صرير آخر حاد صدر من ناحية المدينة، وبدأت الأدخنة تتصاعد من بعض الفتحات في عارضتها، وفجأة انطفأ الوميض الخافت الصادر عن الطاردات، و....

سقطت المدينة فوق دعاماتها من جديد.

صاح المحتشدون في إحباط، وتراجعوا ليلتصقوا بجدران "الرحم" حين تمايلت الدعامات، وهرع العمال يحاولون تثبيتها.

"إنها لا تعمل!" صاحت امرأة كانت تقف بجوار توم

"لقد فشل" قالت أخرى

وظهرت "لافينيا تشيلدرماس" من بين مباني المدينة غير المكتملة، عند حافة الهيكل العلوي، وراحت تتحدث، إلا أن الصخب والضجة وعصبيتها جعلوا من

المستحيل سماع ما تقول، لكن توم، الذي راح يشق طريقه نحو المخرج، فقد تمكن من التقاط بعض من كلماتها : "مشكلة بسيطة في لفائف الكليست... لا ينبغي أن نيأس... لا زال هناك الكثير من العمل.... تعديلات.... لننتظر بضعة أسابيع أخرى....."

ولكن، هل حقا لدينا بضعة أسابيع أخرى؟، تساءل توم في داخله، إذ بينما كان يخطو نحو الخارج سمع صوت هدير إحدى مناطيد العاصفة الخضراء المُسَيَّرة، وكانت تتجه غربا، أعقبها صوت آخر حسبه توم في البداية صوت عاصفة، لكنه سرعان ما أدرك أنه صوت مدافع هائلة تطلق قذائفها في مكان ما وراء الأفق الغربي.

***

34. النازحون

"أرى أنكِ قد تحسنتِ"

"تحسنت؟ هذا الوضع يسمى تحسنا؟"

"حسنا، استعدت وعيك، هذا يعد تحسنا في حد ذاته"

فركت هيستير عينيها ثم أخذت تحاول تركيزهما على السقف كي تستعيد قدرتها على التركيز. كانت تشعر بهزال تام، كما لو أنها مجرد بقعة من ماء بدأت تجف ببطء فوق الفراش الصلب الذي ترقد فوقه.

انحنى شبح شخص ما فوقها، ثم أخذت ملامحه تتضح شيئاً فشيئًا، وبدأت هيستير تسترجع ذاكرتها... إيرهيفن... الفتاة التي أنقذتها من مركبة فارلي، السيدة ناجا، ثم تذكرت تلك الضربة الثقيلة فوق رأسها، و المعركة على دعامة الإرساء 13.

"لقد كنتِ مريضة جدا" قالتها أوينون بأسلوب الأطباء؛ وكانت قد بدلت الثياب المصنوعة من الخيش التي كانت ترتديها، وارتدت الآن سترة عسكرية بيضاء، لكن هيئتها ظلت أشبه ما يكون بهيئة تلميذ صغير.

وراحت هيستير تحدق فيها وفي نظارتها المكسورة التي تم ربطها إلى بعضها بشريط لاصق، و أسنانها المعوجة.

"ستكونين بخير، جرحك يلتئم على نحو جيد"

ثم تذكرت هيستير منطادها ال " شادو أسبكت"، ثم ذلك المنطاد الآخر التابع للعاصفة الخضراء الذي تم نقلهم عليه وسط عاصفة من النيران والقذائف، حيث كان الجميع يصرخون على بعضهم البعض، بينما جريك يحملها. لا بد أن جريك غير سعيد الآن بعدما نجت من الموت. ثم إنها رفعت رأسها من على الوسادة لتنظر نحوه، لكنه لم يكن موجودا، لم يكن في الغرفة المربعة ذات الجدران عاجية اللون سواها هي و أوينون. ومن جانب الغرفة كان ضوء مابعد الظهيرة يدخل ليفترش المكان من نافذة كبيرة تم طي ستارها المعدني. وعلى مقعد في الزاوية كانت ثيابها مطوية بعناية بينما حذائها وحقيبتها بجوار الكرسي على الأرض، وكانت اثنتان من بنادقها الكبيرة مستندة إلى الجدار.

“ما هذا المكان؟”

“نحن في ” فوروارد كوماند”” أجابتها أوينون ”... مدينة متحركة قديمة إستولت عليها العاصفة الخضراء منذ زمن”

“لسنا في شان جو إذن؟”

“ليس بعد. لقد تضرر منطاد ال” فيوري” كثيرا بينما نحن نعبر الخطوط. لقد اقتحمت المدن الحدود بأسرع مما كان أي شخص يتوقع، وراحت آلاتها الطائرة تتحرك في كل مكان. وها نحن عالقون هنا منذ ذلك الحين. الجنرال “زاو” هنا هي الأخرى. إنها تحاول تنظيم خط الدفاع الثاني، وقد وعدت بإرسالنا إلى وجهتنا بمجرد إصلاح ال” فيوري”. ولكن في الوقت الحالي فإن جميع فنيو المناطيد لديها منشغلون في صيانة السفن الحربية. هناك قتال عنيف دائر في الشمال والجنوب من هنا، هذا المكان الذي نحن فيه أشبه ما يكون بجزيرة وسط محيط من المدن الجائعة..”

وكانت هيستير تستمع إليها بصعوبة، وقد راحت تحاول استعادة تركيزها وإعادة ترتيب ذكرياتها حول ماجرى. لقد باتت تدرك الآن ما شعر به ثيو يوم أنقذته من ” كوتلرز جولب”. وفي داخلها تمنت لو أنها أظهرت تجاهه مزيد من التعاطف. ثم إنها سألت أوينون :

“وماذا عن الآخرين؟”

“السيد جريك هنا، لم يتأذ كثيراً. لقد ظل جالسا بجوارك طوال فترة مرضك، أما اليوم فقد أقنعته الجنرال “زاو” بالتوجه إلى خنادق الخطوط الأمامية للمساعدة في بناء الدفاعات. مانشستر وعشرات المدن يقتربون منا الآن من جهة الغرب، ولهذا فهي بحاجة لكل مساعدة يمكنها الحصول عليها. على أية حال، لقد أرسلت إليه أخبره بأنك أفقت أخيرا، وسيكون هنا قريبا بلا شك. سوف يسعد كثيرا حين يراك وقد تحسنت”

“أشك في ذلك.... وماذا عن ثيو؟”

صمتت أوينون قليلا، ثم قالت في تردد : “بروفيسور بيني رويال هنا هو الآخر. لقد راح يغازل الجنرال “زاو” بوقاحة....”

“وثيو ؟ ماذا عن ثيو؟” صاحت هيستير مقاطعة إياها، فطأطأت أوينون برأسها

نحو الأرض ولم تجب.

"يا للآلهة، يا للآلهات!" شهقت هيستير، ثم تحاملت على نفسها كي تنهض من الفراش محاولة الوقوف، لكن رأسها كان يدور، وشعرت كذلك بشيء ما يشد ذراعها فالتفتت نحوه تنظر لتجد أنبوبا بلاستيكيا شفافا يخرج من لحم ذراعها تحت المرفق مثبتا من طرفه الآخر إلى زجاجة مقلوبة معلقة فوق حامل بجانب فراشها، فصرخت من الهلع والاشمئزاز.

"لا بأس" هتفت أوينون وهرعت تمنعها من نزع الأنبوب من ذراعها، "إنها تقنية طبية قديمة، وسيلة لإدخال السوائل إلى جسدك. لقد كنت فاقدة الوعي لأيام، وكان علينا أن..."

جلست هيستير ترتجف فوق حافة الفراش، وراحت تتطلع عبر النافذة نحو الخارج. ومن موضعها بدا أن الغرفة تقع على طبقة القمة في تلك المدينة الكسيحة، وفي الخارج كانت أسطح المباني والمداخن تطل على سهل رمادي أخضر راحت فرق الجنود تتحرك عبره في كل جانب بينما الجرارات تسحب المدافع الضخمة إلى حيث مواقعها.

"لقد جاءت من أجله، أليس كذلك؟، سيدة الموت...."

"لقد ركض عائدا إلى الخندق لسبب ما..." قالت أوينون، ثم دنت من الفراش ووضعت يدها برفق فوق كتف هيستير، "... وحين انتبهنا إلى أنه ليس بصحبتنا كان الأوان قد فات. لا بد أنه ركض إلى حيث سقطت قذائف المدن"

فالتفتت هيستير نحوها في غضب، ثم مدت يدها تجرها من الحبل المتدلي من عنقها، والذي يحمل الصليب الزهيد الثمن من زاجوا، لتقرب وجه المرأة المصدوم من وجهها، وصاحت في حنق : "كان عليك أن تذهبي ورائه، كان عليك أن تنقذيه، لقد أنقذك من قبل"

لكنها في واقع الأمر لم تكن تلوم أوينون، بل تلوم ذاتها، فما كان لها من الأساس أن تدع ثيو يقوم بتلك المهمة الخطرة لإنقاذ أوينون. لكنه الآن قد مات، وما عاد شيء يجدي. فأطلقت سراح أوينون ودفنت وجهها بين كفيها وراحت تنشج بالبكاء، وقد هالها أن تجد نفسها تبكي هكذا والعبرات تغرق وجهها وصوت نحيبها يعلو. لقد

قطعت وعدا أمام نفسها من قبل أنها لن تكترث لأمر أي من كان مرة أخرى، وكان عليها أن تلتزم بهذا الوعد، لكن قلبها، ذلك الغبي، قد فتح أبوابه لثيو، والآن ها هو قد مات، وها هي تدفع ثمن حبها له.

"كان عليك أن تصلي لإلهك القديم هذا كي يحفظه!..." صرخت هيستير من بين دموعها في وجه أوينون ".. كي يرده سالما".

وفي السهل أسفل المدينة، راحت قوات الجنرال "زاو" تحفر الخنادق والكمائن، بينما حواف معاولهم تلمع مع حركتهم بشكل رتيب، وكأنها مجموعة من الأسماك اللامعة تسبح معا في حركة إيقاعية منتظمة. ومن الطبقات السفلى كان وقع أقدام الكتائب الحربية وأصوات الضباط المنهكون وقد راحوا يصدرون الأوامر ويحاولون إعادة تنظيم صفوف الجنود الناجين من الهزائم في الغرب والشمال، يتردد صداه عبر أرضية غرفة هيستير.

ظلت هيستير و أوينون جالستين متجاورتين في صمت حيث هما على الفراش، وبعد حين قالت أوينون :

"لو أن الأمور تجري على هذه الوتيرة، لو أن الإله يفعل أشياء من هذا القبيل، لما كان العالم كما هو الآن. الإله لا يمكنه النزول إلى الأسفل لتغيير الأشياء، لا يمكنه إيقاف أي منا عن فعل ما نختار القيام به"

"فما نفعه إذن؟"

هزت أوينون كتفيها ثم قالت "إنه يرى، ويفهم، ويعرف ما تشعرين به، يعلم ما شعر به ثيو، هو يعرف معنى الموت، وحين نموت جميعا سوف نذهب إليه"

"تقصدين إلى الأرض التي لا تشرق عليها الشمس؟ كالأشباح؟"

فهزت أوينون رأسها في صبر، وقالت "بل كالأطفال. هل تذكرين كيف كنت تشعرين وأنت بعد طفلة صغيرة؟ حينما كان كل شيء في عينيك ممكنا، حين كنت تملكين كل شيء، تلك الأيام حين كنت تشعرين بالأمان والحب يحوطان حياتك. لقد ولت تلك الأيام مع تقدمنا في العمر، فهل ذهبت إلى الأبد؟ لا، عندما يأتي أجلنا ستعود تلك المشاعر جميعا من جديد. هذا هو حال ثيو الآن، في السماء"

"وكيف لك أن تعرفي هذا؟ هل أخبرتك إحدى الجثث التي قمت بإعادتها على هيئة مطاردين ؟"

"أنا فقط أعرف"

ثم حل الصمت من جديد فيما بقيتا جالستين جنبا إلى جنب، وقد لفت أوينون ذراعها حول هيستير، ولم تصدها الأخيرة، فقد كان هناك شيء ما في تلك الشابة الشرقية الجادة قد مس أعماقها، على الرغم من مقاومتها لذلك الشعور؛ ربما هو طيبتها الحقيقية، وتلك الآمال السخيفة التي تؤمن بها وقد ذكرتها على نحو ما بتوم. وهكذا ظلتا في موضعهما، تنتظران السيد جريك وتفكران في ثيو، في مستقره الأبدي في السماء.

و مرت الساعات، وجاء الغسق يصبغ السماء بلونه الرمادي الغائم، وراحت أضواء المدن المتقدمة تومض على طول الأفق الغربي.

أما ثيو، فلم يكن في السماء على الإطلاق، بل كان يشق طريقه سيرا على الأقدام عبر السهوب العارمة للعاصفة في مكان ما شمال شرق " فورروارد كوماند". وكان قد سار لمسافة طويلة جدا حتى أن حذائه بدأ يتفكك واضطر لربط أجزائه إلى بعضها البعض بقطع مزقها من ثيابه. ولم يكن بمفرده، بل كان بصحبة من تبقوا من جنود خطوط الدفاع الأمامية للعاصفة الخضراء الذين راحوا يتدفقون نحو الشرق، محملين بحكايات عن الضواحي الحصادة الجائعة والملاحين المرتزقة الذين اخترقوا حدود مقاطعات العاصفة الخضراء...

حين خرج ثيو من أنقاض مخبأ الجنرال "زاو" بعد القصف، كان أول ما خطر بباله هو أن يعود بطريقة أو بأخرى إلى زاجوا، لكن المدن المهاجمة كانت تتقدم على طول الحدود الأمامية، فاضطر للفرار من أمامهم مع العدد الهائل من الجنود المنهزمين الذين راحوا يفرون نحو الاتجاه الوحيد الآمن : الشرق. وقد وجد لنفسه مكانا على متن إحدى الشاحنات، ولكن لم تمر بضعة أيام حتى كانت مناطيد المدن المتحركة قد قصفت كافة الجسور على الطريق، فاضطر للنزول وقطع المسافة سيرا على الأقدام مع المشردين والنازحين والجرحى، وهؤلاء الذين تسبب ما رأوه من أهوال على خطوط المواجهة في إصابتهم بالجنون،. وحتى ثيو نفسه، شعر في بعض الأحيان

بأنه على وشك أن يفقد عقله، خاصة في تلك الليالي التي كان يسير فيها مرتجفا يفكر في الساعات الرهيبة التي قضاها تحت رحمة بنادق المدن ومدافعها.

أما في معظم الأحيان، فكان يشعر بالبؤس والأسى، خاصة في ظل المشهد المحيط به... لقد ظلت تلك الأراضي في يد العاصفة الخضراء لأكثر من عقد من الزمن، لكنهم لم يعرفوا أبدا ماذا يصنعون بها أو كيف يمكنهم استغلالها؛ وقد حاول بعض من قادة العاصفة استغلال طبيعتها وتنظيف المسارات العميقة لها من الحشائش والعشب وإنبات الزراعة بها، ثم فكرت فئة أخرى منهم في تجريف جميع تلك المسارات وتسوية الأرض ثم زراعة القمح بها. لكن المحصلة النهائية لذلك كانت عبارة عن مجموعة من القرى الصغيرة ومساحات ضئيلة مزروعة سرعان ما تحولت إلى مستنقعات من الوحل تحت أقدام الجيش المهزوم.

وهكذا كانوا يمرون من حين لآخر بإحدى المستوطنات أو القرى الصغيرة، ليجدوا بيوتها ومبانيها جميعا قد أمست خاوية على عروشها، وقد ولى مستوطنوها الأدبار ودُمِرَت الحقول والمنازل مع اندفاع الصفوف الأولى من الجيش العائد، عبرها.

وعلى طول تلك المسافات التي قطعها، كان ثيو يفكر فيما عساه حل بهيستير وأوينون وبروفيسور بيني رويال، وما اذا كانوا قد تمكنوا من الفرار أم لا. و كان يأمل في البداية أن يأتوا بحثا عنه، لكن مع اتضاح مدى حجم وفداحة هزيمة العاصفة الخضراء، كف عن الأمل، إذ كيف لهم أن يعرفوا مكانه!، خاصة إذا صدقت الشائعات التي سمعها والتي كانت تؤكد أن المدن قد تمكنت من سحق جيوش العاصفة تماما، ومن ثم فلا بد أن ساحة الصيد الشرقية تعج الآن بجحافل من اللاجئين المشردين، مثل هؤلاء الذين يمشي بينهم الآن، يسعون جميعا للوصول إلى ملاذ آمن قبل أن يقعوا في يد المدن الجائعة.

صعد ثيو إلى قمة منحدر على الطريق وراح يستطلع الأفق من حولهم، وهناك، بعيدا جهة الشمال، رأى كتلة غريبة عند السهل، فيما توقف بعض من مرافقيه - لا يمكن أن يطلق عليهم أصدقاء، فقد كانوا في حالة من الصدمة والذهول والإعياء لدرجة أن أي منهم لم يسأل الآخرين حتى عن أسمائهم - وراحوا ينظرون إلى حيث ينظر ويشيرون إلى تلك الكتلة ويتحدثون.

"ما هذا؟" سألهم ثيو

"لندن" أجابه أحد ضباط شان جو الفارين، "مدينة همجية قوية دمرتها الآلهة حين حاولت اختراق حصون باتمونخ جومبا"

"لقد كانت الآلهة في صفنا وقتها..." قالها واحد آخر

"والآن قد أداروا ظهورهم لنا. إنهم يعاقبون ناجا وعاهرته تلك على غدرهم بالمطارد فانج"

وقال أحد الضباط، وقد أحاطت الضمادات بعينيه، "أنا سعيد لأنني لا أستطيع رؤية لندن. إنها مكان مشئوم، حتى مجرد النظر إليها يجلب سوء الحظ"

"وهل تحسب أن حظنا يمكن أن يمسي أسوأ مما هو عليه الآن؟!" قالها الضابط الأول ساخرا.

وفجأة صرخ شخص ما من بين الجمع : "منطاد!"

وانبطح الجميع أرضا، فيما حاول البعض الزحف تحت عدد من الشجيرات والأغصان، بينما حاول البعض الآخر حفر موضع له في الأرض الموحلة ليختبئ فيه. إلا أن المنطاد لم يكن سوى إحدى مركبات العاصفة الخضراء، وقد برز شعار الصاعقة الخضراء على ذيله، إذ هبط على بعد بضعة أميال في السهل.

كانت تلك أول مركبة تابعة للعاصفة الخضراء يرونها منذ أيام، وقد راح الجنود من حول ثيو يتساءلون فيما بينهم عما قد يعنيه هذا. أما ثيو فقد كان منشغلا بأمر آخر : لندن، وقد وقف يحدق عبر الضباب نحو معالمها الخارجية محاولاً تخيلها كمدينة متحركة، لكنه فشل... ترى، هل رين موجودة حقا في مكان ما هناك؟.

ثم إنه أخذ يفتش في جيبه إلى أن أخرج صورتها وراح يتأملها مثلما كان يفعل كثيراً طوال فترة ارتحاله شرقا، متذكرا تلك القبلة التي تبادلاها منذ فترة بعيدة. [مع حبي..]، هذا ما ذيلت به رسالتها، ولكن، هل كانت تعنيها حقا؟، أم أنها ليست سوى خاتمة تقليدية من التي يختتمون بها الخطابات ولا تعني أي شوق أو رغبة؟. وبرغم أي شيء، فقد أعطاه ذلك الخطاب الأمل في أن تكون رين على مقربة منه. أما بالنسبة لما يتردد عن أشباح لندن فهي ليست مما يخيفه كثيرا، فقد سبق ونجا من

الموت في راست ووتر، وفي الخندق على خطوط المواجهة، وفي " كوتلرز جولب"، وما عاد شيء يمكنه إخافته بعد كل ما رآه ومر به؛ ثم إنه - مثل مرافقه من شان جو - يرى أن حظه لا يمكن أن يصير أسوأ من ذلك.

وبعد حين، فوجئت حشود النازحين بضابط يتوجه إليهم على متن زلاجة الطين، ويتوقف عند كل مجموعة منهم ليخبرهم عبر البوق : "أوامر جديدة. نحن نتحرك نحو الجنوب الغربي. الجنرال "زاو" تعيد تشكيل صفوف الدفاع عند " فوروارد كوماند""

وسمع ثيو الجنود من حوله يتمتمون في شك، إذ كانوا يرون أن "فوروارد كوماند" لا يمكن أن تصمد كثيرا، وقد أرادوا أن يتجهوا إلى حيث الأمان بين جبال باتمونخ جومبا التي لطالما صمدت في مواجهة المدن المتحركة...

"تحركوا." صاح الضابط عبر البوق بينما هو يمر بزلاجته عبر الحشود، "تشجعوا، سوف نلتحق بالجنرال " زاو" لنسحق الهمجيين. الطعام والمؤن تنتظركم على الطريق إلى "فوروارد كوماند" "

ولكن حتى ذلك الضابط نفسه بدا غير واثق مما يقول، إلا أن الجميع كانوا يعرفون جيدا عقوبة عصيان أي أمر من أوامر العاصفة الخضراء؛ وهكذا بدأ الجنود يحملون الحقائب والبنادق من جديد، وكان بعضهم يتذمر، والبعض الآخر يطلق السباب، فيما صاح عدد آخر في حماسة مقسمين على ردع الهمجيين هذه المرة وإلى الأبد.

اما ثيو، والذي سُر لكون الجنرال "زاو" لا زالت على قيد الحياة، فقد إتخذ قراره منذ البداية، هذه الحرب ليست حربه، كما أنه، تحت المعطف الذي كان قد سرقه، لم يكن يرتدي زي العاصفة الخضراء. وهكذا قام بدس صورة رين في جيبه من جديد، و تسلل من بين الحشود دون أن يلاحظه أحد، ثم هرع إلى إحدى المسارات العميقة التي غمرتها المياه، فيما بدأوا هم التحرك نحو وجهتهم الجديدة، و ظل قابعا في موضعه مختفيا عن الأنظار.

ومرت ساعات، وكان الظلام قد حل تقريبا بحلول الوقت الذي قدر فيه ثيو أنه بات بإمكانه الخروج من مكمنه، فتسلق جانب المسار إلى أن خرج إلى حيث الأرض المسطحة. وكان جميع مرافقيه من الجنود قد رحلوا شرقا، ولم يتبق من أثرهم سوى

بضعة حقائب منسية وحصان ميت. ومن الغرب كان صوت البنادق والمدافع قد عاد يدوي من جديد.

وشرع ثيو يشق طريقه عبر السهل نحو الحدود الخارجية البعيدة للمدينة المحطمة، وفي ذهنه جملة واحدة تتردد....

[إبحث عني في لندن]

***

35. إرسال

أخذ المنزل في "إردن تزج" يطن بفعل الآلات القديمة به، وفي القبو راح مولد الطاقة الكهرومائية يهدر، فأضيئت الأنوار، وأخذت مؤشرات المقاييس تهتز، و الأجزاء التي تم إنتزاعها من أدمغة المطاردين تدق وترتجف.

كانت الغرفة تعج بشبكة من الكابلات و الأسلاك، وفي منتصفها وقفت المطارد فانج تضرب فوق لوحة مفاتيح مستديرة الشكل، وتغمغم بسلاسل من الأرقام والحروف والكلمات المشفرة، إستدعتها ذاكرتها مما قرأته في "كتاب الصفيح"، لغة "أودين" المنسية.

ولم يكن أي من هذا يعني شيئا لفيش كيك، الذي راح راح يقضي وقته - حين لا تكلفه المطارد بإصلاح أو حمل شيء - في التجول بين الغرف المهجورة، أو الخروج إلى الحديقة حيث يتأمل الأسماك المتجمدة تحت طبقة الجليد في بِركة النافورة، أو الخلود إلى النوم قابضا على حصانه الخشبي. لقد بات ينام كثيرا الآن، من فرط الجوع والبرد، إذ لم يعد لديه من الطعام ما يكفيه الآن برغم أنه كان قد إبتاع طعاما من باتمونخ جومبا، إلا أنه أوشك على النفاد، وراحت معدته تتلوى من الجوع. وقد قال ذلك للمطارد فانج، لكنها تجاهلته، وقد أنهت أخيراً العمل على جهاز الإرسال الخاص بها ولم تعد بحاجة إلى الصبي.

في بعض الأحيان، كان فيش كيك يحلم بالفرار من ذلك المكان، و كثيرا ما كان يتطلع بأمل إلى مفاتيح اليخت الجوي لدكتور بوب جوي، والتي، لسبب ما، كانت المطارد تعلقها حول عنقها بحبل، لكنه ماكان ليجرؤ على انتزاعها منها، وكان يعرف جيدا أنه حتى وإن فعلها فلن يتجاوز ثلاث خطوات حتى تكون قد قطعته إربا.

و الليلة، حيث كانت البرودة تزحف على كافة أرجاء المنزل القديم، توجه فيش كيك إلى غرفتها على أمل أن يحصل على شيء من الدفء من الحرارة المنبعثة من أجهزتها؛ وكانت المطارد لا تزال منكبة على العمل، تدق الأرقام و الأحرف فوق لوحة المفاتيح، وأصوات قعقعة أصابعها الفولاذية فوق اللوحة بدت كما لو أن سيدة الموت تلعب النرد بعظام الموتى، في الأسفل، حيث الأرض التي لا تشرق عليها الشمس.

وراح الشرر ينطلق من الآلات الهيدروليكية عبر الأسلاك إلى حيث السقف، لتسقط

قطع من الجص شبيهة بقطع الجليد. وفي الخارج، حيث الجليد الحقيقي يتجمع على السطح، كانت الطيور المطاردة تحلق وتراقب الأجواء لرصد أي مناطيد متطفلة، بينما إستقر فوق سطح المنزل صحن كبير ذو هوائي في مركزه، راح يدور إلى أن تركزت قمة الهوائي نحو نقطة بعينها في السماء جهة الشمال الغربي.

و بعيدا، بعيدا جدا، في الأعالي، كان شيء كبير وقديم وبارد يسبح في الليل، متجمدا، محاطا بالغبار الكوني في الفضاء، وقد أحدثت النيازك والأجسام الفضائية الدقيقة ثقوبا في أكثر من موضع به، بينما ألواحه الشمسية تلمع لمعانا خافتا، كزجاج النوافذ المغبرة.

وفي قلب هيكله المصفح كان جهاز الاستقبال يلتقط واحدة من تلك الذبذبات الكهربائية التي يلتقطها منذ آلاف السنين، لكن ذبذبات اليوم كان بها شيء مختلف، فقد كانت تحمل رسالة مألوفة، جاءته كحطام سفينة غارقة قديمة ألقتها الأمواج أخيرا على الشاطئ.

وراح الحاسب الآلي العتيق في داخله يلتقط الرسالة المشفرة ويعالجها، ويستجيب لها. وكانت الكثير من أنظمته قد تلفت عبر السنوات الطوال، ومع ذلك كان هناك عدد من الأنظمة المدمجة فيه لا يزال محتفظا بسلامته لم يصبه تلف. وهكذا بدأت خلايا الطاقة الخاصة به تطن، وانبعثت الحياة في ملفات وحدة السلاح بداخله، وانطلق شريط من الضوء المتوهج وراح ينتشر عبرها، فيما شرعت بلوراته الشفافة تتألق وألواح دروعه تنفتح.

والآن، ها هو ذا "أودين" يستفيق، ومن عليائه راح يحدق في تلك الكرة المائية الزرقاء : الأرض، في انتظار التعليمات بما يتوجب عليه فعله.

***

36. الدخلاء

الثاني والعشرين من مايو (على ما أظن...)

أكتب تلك اليوميات من بقعة كئيبة جدا على الطرف الغربي من حطام لندن، على وقع أصوات البنادق الآتية من جهة الغرب.

إلى أي مدى ينتقل صوت إطلاق النيران؟، لا أحد هنا يعرف على وجه الدقة، لكن من الواضح تماما أن الحرب اندلعت من جديد، وأن العاصفة الخضراء تنهزم. وكان هناك بالفعل عدد من المشردين الفارين من أتون الحرب يتجولون عند أطراف حطام لندن، لكنهم كانوا يتراجعون، إما من تلقاء أنفسهم، أو بواسطة عدد من من سكان لندن المختبئين بين الحطام والذين تكفلوا بإرعابهم وإصدار أصوات مخيفة.

ولكن، ماذا لو جاء المزيد منهم؟، وماذا لو جاءت المدن المتحركة والضواحي في إثرهم ؟، بل ماذا لو كان فولف كوبولد في طريقه إلى هنا على متن ضاحيته "هاروبارو" ؟... علي أن أنبه أبناء لندن لتلك الأمور وأن أخبرهم أن تلك المدن لا تستسلم بسهولة.

وكان قد تقرر أن "نيو لندن" ينبغي أن تصبح جاهزة للتحرك بحلول نهاية هذا الأسبوع، وعلى الرغم من أن "لافينيا تشيلدرماس" ومهندسيها بدوا متشككين حيال إمكانية تحقق ذلك، إلا أنهم كانوا يدركون جيدا أنهم لا يملكون بديلا آخر.

و بينما كان المهندسين منهمكون في عملهم في "الرحم"، كان سكان لندن منشغلون في جميع الأغراض التي سيحتاجونها على متن المدينة الجديدة، كذلك تم إرسال دوريات إضافية لمراقبة الأجواء عند الأطراف الغربية للحطام ورصد أي علامات تشير لاحتمال وقوع أي متاعب وشيكة؛ وهو ما اضطرني للمجيء إلى تلك البقعة الرطبة الكئيبة بدلا من البقاء في فراشي حيث الدفء.

وقد قمنا بإنشاء معسكر بين الأكوام الصدئة، وسوف نبيت فيه الليلة تحت النجوم، أو على الأقل تحت بعض الأسقف الصدئة، وهو ما أسعدنا حقيقةً، فعلى الأقل ستحمينا تلك الأسقف من الأمطار.

وقد أبلغتنا "كات لوبريني"، قائدة فرقتنا الاستطلاعية الصغيرة، أن علينا أن

نتناوب على الحراسة؛ وقد تولت هي المناوبة الأولى، بينما من المقرر أن أتولى أنا المناوبة التالية.

وضعت رين القلم من يدها وأغلقت دفترها. ومن وراء صوت خرير الماء الرتيب سمعت صوت طائر : الإشارة التي تستخدمها الدوريات للتواصل مع بعضها البعض عبر الحطام، فالتفتت نحو كات و همت أن تخبرها، إلا أن الفتاة قد سمعت الإشارة بالفعل، وقالت :

"إنه فريق " هودج"، يبدو أنهم في حاجة إلينا..."

واستيقظ باقي أعضاء الفرقة الإستطلاعية، " آنجي بيبودي" وصبي خجول صغير الحجم يدعى " تيمكس جراوت"، وهرعوا جميعا من تحت بطاطينهم ويتناولون المصابيح والأقواس. وبدأت دقات قلب رين تتسارع وشعرت بغصة تقبض حلقها، وقد خطر ببالها أن ما تخشاه قد وقع بالفعل. وراحت تفكر في رعب.... ماذا لو أن فرقة "رون هودج" قد رصدت أضواء هاروبارو عند الطرف الغربي؟ ماذا لو كانت تتسلل بالفعل عبر ساحة الحطام، مستعدة للفتك بأي شخص تلقاه؟..

ثم إنها أخرجت سهما من جعبتها وثبتته إلى القوس استعدادا لأي مواجهة.

تردد صوت النداء من جديد، فأجابته كات بنفس الصوت، وانطلقت الدورية عبر المطر باتجاه الدورية الأخرى، ومن السماء كان القمر يرسل ضوءه خافتا من بين الغيوم، وقد سُرّت رين بذلك، ومع هذا فقد كانت مرتعبة من أنها قد تضل طريقها بين أكوام الصدأ الكئيبة تلك لو أنها تأخرت ولو قليلا عن اللحاق برفاقها. وفي مخيلتها تجمعت كل القصص التي لطالما سخرت منها في "كراوتش إند"، لكنها هنا في ظلام الليل بدت حقيقية للغاية وقابلة للتحقق؛ كل القصص الفولكلورية اللندنية المرعبة التي حكاها لها والدها عن أشباح بوديكا وجاك سبرينج هيلد ومخلوقات الوومبل جامعة القمامة و.... بدأت كلها تتقافز في خيالها وأمام عينيها، حتى أنها كادت تصرخ هلعا حين رأت أمامها ذلك الخيال، لكنها سرعان ما اكتشفت أنه لم يكن سوى "رون هودج"، ومن ورائه باقي أفراد دوريته.

"ما الأمر؟" سألته كات

"دخيل.." قالها رون بقلق، ".. لمحناه، لكنه سرعان ما اختفى. إنه في مكان ما هنا"

"واحد فقط؟"

"لا أعرف"

وبسرعة بدأت كات تصدر أوامرها للجميع بالانتشار والبحث في كل مكان، وقد راحوا ينادون بعضهم البعض وهم يفتشون أركان الحطام والزوايا وكل مكان هناك، مستخدمين أصوات الطيور وإشاراتهم المشفرة، والحق أن مجرد الأصوات الناتجة عن احتكاك ركام الخردة ببعضها البعض كان كفيلا بجعل أي متسللين يولون الأدبار فرارا، لكن أحدا لم يظهر، ولم تكن ثمة علامة تدل على وجود أي أحد.

فجأة صاح تيمكس "ما هذا؟"، فهرعت رين نحوه تتعثر بين القطع الصدئة.

"هناك!" قالها الصبي بمجرد وصولها إليه، فنظرت إلى حيث أشار، فرأت هي الأخرى تلك الحركة الخفيفة بين كومتين من الحطام.

فتحت رين فمها لتنادي كات والآخرين، لكن فمها كان جافا لدرجة أنها لم تستطع النطق، وراحت تتحسس قوسها وسهمها كي تمنح نفسها بعض الطمأنينة، وقالت لنفسها أن هذا الدخيل لو كان أحد رجال فولف من هاروبارو فسيتعين عليها قتله قبل أن يقتلها هو.

"من هناك؟!" صاح صوت من بين الحطام، بلهجة بدت مألوفة لرين : إنها لهجة ثيوا! هنا شعرت رين بشيء من الارتياح... إنه ليس مهاجما، بل مجرد طيار إفريقي ضل طريقه إلى هنا، أو ربما هارب آخر من صفوف العاصفة الخضراء الذين كانوا يمرون بالقرب من هنا منذ فترة قريبة؛ لقد سبق وقالت كات أن حوالي نصف درزينة من هؤلاء قادتهم خطاهم إلى أطراف الحطام خلال الأيام القليلة القليلة الماضية، إلا أن أبناء لندن تكفلوا بإخافتهم وإبعادهم.

وراحت رين تفكر في أفضل طريقة لإخافة ذلك الدخيل وإقناعه أن هذه الحطام مسكونة بالأرواح القلقة.

وفي اللحظات التالية، وقعت الكثير من الأمور في وقت واحد... حيث ظهر الغريب فجأة - وكان أقرب مما بدا من صوته حين صاح - من أحد أركان الحطام، ومن خلفه جاءت كات وآنجي، وقد رفعتا كشافاتهن، تلك الأضواء التي سبق ودفعت

العديد من المتطفلين للفرار رعبا. وبالفعل ركض الغريب مذعورا في الاتجاه الآخر نحو رين وتيمكس، فاندفع الأخير إلى الخلف ليصطدم برين، وبحركة فجائية لا إرادية منها انطلق السهم من قوسها، فيما ارتد القوس في ذراعها ردة قوية كادت تكسر ذراعها. وسقط الغريب أرضا بلا حراك، فاقتربت نحوه رين بخطى مترددة، وعلى ضوء الكشافات رأت وجهه، وأدركت الحقيقة.... إنه لا يبدو مثل ثيو، بل هو ثيو بنفسه!.

"اه.." تأوه ثيو في ضعف، وفي تلك اللحظة كان كل سكان لندن قد خرجوا يركضون نحوهم من كل مكان.

ووقفت رين جامدة في مكانها تهز رأسها في ذهول وتدعك ذراعها، وفي داخلها كانت مقتنعة أن هذا ليس سوى حلم سخيف وأنها ستستيقظ منه الآن، فثيو لا يمكن أن يكون هنا، بل هو في زاجوا.... هذا الذي يرقد على الأرض محتضرا لا يمكن أن يكون ثيو!.

لكنها ما إن دنت منه أكثر حتى أدركت أن هذا ليس حلما على الإطلاق، وأن هذا الفتى الوسيم ذو الوجه الداكن هو ثيو بلا شك.

"ثيو؟ "، همست رين "أنا لم أقصد أن... اوه... يا لكويرك!"، وأندفعت تركع بجواره بحثا عن السهم كي تنتزعه من موضعه.

"دعيه يا رين" صاح رون هودج، الذي كان قد اقترب منهم وقد اطمأن أن الدخيل لم يعد بإمكانه إيذاء أحد.

"دعني وشأني" صرخت رين "إنه صديقي، أعتقد أنني أصبته بسلاحي..."

ولكن لم يكن هناك أي ثقوب في معطف ثيو، كذلك لم تكن هناك دماء، فأدركت رين أن السهم لم يصبه وإنما مر بعيدا.

"لقد تعثرت فقط!" قالها ثيو بصوت واهن وهو ينظر إلى وجه رين وكأنما هو لا يصدق أنها هي وأنه يراها الآن.

ثم إنه جلس حيث هو وراح يتطلع من حوله في توجس في شباب لندن المحتشدين من حوله، أما رين فلم تستطع أن تبعد عينيها عنه... لكم يبدو نحيلا

معتلا ومنهكا، ولكم هي سعيدة أن تراه من جديد!

"لقد تلقيت رسالتك" قالها ثيو محاولاً التبسم.

عاد الجميع إلى المعسكر، حيث قامت آنجي بإيقاد نار صغيرة وتسخين بعض الحساء لثيو، الذي كان يرتجف من البرد والإرهاق. وجلست رين بجانبه بينما هو يتناول حساءه، وقد بدا غريبا لها أن تكون معه من جديد، حيث كانت تتصور أنه الآن يستمتع بحياة الأمان والراحة تحت شمس زاجوا. ولكن، ما الذي حدث بالضبط؟ ما الذي أوقعه وسط قوات العاصفة الخضراء المهزومين ثانية؟، فسألته، لكنه لم يمنحها إجابة شافية واكتفى بالقول أن : "الأمر معقد"

ولم تشأ هي الضغط عليه، فبقيت صامتة؛ وفي داخلها كانت تتساءل ما إذا كان لا يزال يتذكر تلك القبلة التي كانت بينهما في مرفأ كوم أمبو؟.... لا بد أنه كذلك، لقد قطع كل تلك المسافة إلى لندن من أجلها هي، فكيف لا يتذكر!

"يتوجب علينا ألا نتبسط معه على هذا النحو..." قالها رون هودج متذمرا "... إنه من العاصفة الخضراء"

"لا، هو ليس منهم" صاحت رين

"إنه يرتدي زِيَهُم"

"المعطف فقط" قال ثيو وهو يفتح أزرار المعطف الذي يرتديه كاشفا عن ثيابه من تحته، ".. لقد سرقته من أحد الجنود الموتى أثناء الطريق شرقا. أنا لست من العاصفة الخضراء.. أنا لا أعرف ما أنا عليه حقا"

"إنه من زاجوا" صاح واحد آخر من مجموعة رون "أهل زاجوا من مناهضي التحرك. لا يمكن لنا أن ندع أحد مناهضي التحرك يدخل إلى لندن. لقد سبق لرين ووالدها أن أتوا بجاسوس بيننا، والآن تطلب منا أن نضم واحد من الطحلبيين بيننا..."

"إذن ماذا تقترح أن نفعل به؟" سألته كات لوبريني، "... نقتله؟"

فصمت الفتية في خجل.

"حين يأتي الصباح..." قالت كات ".. سوف نأخذه أنا ورين إلى "كراوتش إند"".

وهكذا، غفت رين بشكل متقطع، وقد تكورت حول نفسها بجوار ثيو. وكان الحطام موضعا غير مناسب البتة للنوم، لكن، حتى بدون قشور الصدأ أو قطع الخردة المتساقطة عليهم، لم تكن رين لتغفو في تلك الليلة، فقد ظلت تتأمل وجه الفتى النائم وتتفرس فيه لتتأكد من أنها لا تحلم، إلى أن حل الصباح وحان وقت مغادرة المعسكر.

مشت رين و ثيو، ومن ورائهما "كات" حاملة قوسها، باتجاه الشرق. و بينما هما في طريقهما حكى ثيو لها قصته وما جرى معه، وأنه التقى بوالدتها، وكيف أنهما ارتحلا معا على طول الطريق بإتجاه خطوط العاصفة الخضراء.

"وماذا حدث بعدها؟" سألتها رين

"لا أدري، أعتقد أنها بأمان، هي في شان جو الآن"

وكانت مشاعر مضطربة تماما، لا تدري ما تحس به بالضبط تجاه ما سمعته، فقد اعتبرت والدتها ميتة وعودت نفسها على تلك الفكرة، أما الآن فها هي تواجه حقيقة أنها لا تزال على قيد الحياة، الأمر الذي أصابها بالاضطراب والحيرة.

علاوة على ذلك، كان الاندهاش يغمرها إزاء الطريقة التي كان ثيو يتحدث بها عن أمها، كما لو أنه معجب بها. أما عن ترحال أمها مع ذلك المطارد الرهيب جريك فهو ما لم تكن رين ترغب في التفكير به البتة؛. وقد شعرت بالارتياح حين صرخت كات فجأة لتقطع عليها تفكيرها في الأمر : "اختبئوا!!"

فحولت رين كل انتباهها لثيو وراحت تجره بعيدا إلى أقرب ساتر ليختبئان تحته. ومن فوقهما، على ارتفاع منخفض، كان أحد الطيور المطاردة يحلق فوق الأنقاض، وكان قريبا جدا منهم لدرجة أن رين كان بإمكانها سماع صوت حركة أجنحته وريشه إذ يضرب الهواء، بينما رأسه الكبير يتلفت بحركته الميكانيكية من جانب إلى آخر.

وهرعت كات تنضم إلى رين وثيو في مخبأهما، وقالت "رأيته يحلق عاليا بينما كنا نغادر المعسكر.. وقد ظللت أراقبه بعناية بينما كنتما تتحدثان، على أمل أن يمضي في طريقه بعيدا، لكنه كان يراقبنا. لا بد أنه رأى النيران التي أشعلناها ليلة أمس"

مدت رين عنقها من تحت اللوح الذي كانوا يختبئون تحته محاولة إلقاء نظرة، فوجدته وقد ارتفع عاليا وراح يحلق عبر ساحة الأنقاض متوجها نحو "كراوتش إند".

"لقد صاروا أكثر فضولا وترصدا بنا" قالت كات

"طيور تجسس" قالتها رين لثيو موضحة، وقد بدا لها خائفا، "إنهم يأتون إلى هنا ويلتقطون صور لنا من أجل الجنرال ناجا"

فهز ثيو رأسه وقال "هذا ليس من طيور التجسس العادية يا رين، إنه من طراز طيور " لاميرغير "، لقد كان لدينا سرب كامل منهم حين كنت بين صفوف العاصفة، وكان يتم استخدامهم للاستطلاع المسلح"

فنظرت الفتاتين له في عدم فهم، كدأب الفتيات دوما حين يرد ذكر المصطلحات العسكرية الخاصة بالعاصفة الخضراء أمامهن، فأضاف مفسرا "هذا من طيور الهجوم يا رين، أعتقد أن أصدقائك في خطر..."

وفي ذلك الصباح كانت طيور العاصفة الخضراء بالفعل تولي اهتماما أكثر من المعتاد بخرائب لندن، وقد سمع توم أثناء انهماكه بين الخرائب لجمع وتعبئة الكنوز التي يجدها بين الأنقاض تمهيدا لنقلها إلى لندن الجديدة، جرس الإنذار يدق أكثر من مرة لتحذير أبناء لندن المتواجدين في الأماكن المكشوفة بضرورة الإختباء.

و بحلول وقت الغداء، كانت ثلاث جثث لثلاثة من تلك الطيور معلقة عند ساحة الطعام، حيث قام المراقبون باصطيادها ببنادق الصاعقة حين اقتربت أكثر من اللازم من منطقة "الرحم". وكان توم مسرورا إزاء ما أدى إليه اقتناص تلك الطيور من رفع للروح المعنوية لأبناء مدينته من جديد، لكنه في ذات الوقت لم يكن واثقا تماما ما إذا كان اصطياد تلك الطيور يعد قرارا حكيما أم لا، وراح يتساءل في نفسه عما إذا كان ذلك قد يؤدي إلى إثارة شكوك العاصفة الخضراء بأن ثمة شيء ما يحدث بين خرائب لندن. إلا أن أن بوميروي قال له أنه لا داعي للقلق، و: "تلك الطيور لم ترصد شيئا من شأنه أن يجعل العاصفة تعتقد أننا أكثر من مجرد حفنة من المشردين الذين استوطنوا تلك الخرائب بوضع اليد. وحتى لو كانوا قد رأوا شيئا، فالعاصفة الخضراء لديها الآن من المخاوف ما هو أكبر بكثير منا. وبحلول الوقت الذي سيكونون فيه في وضع يسمح لهم بإرسال مناطيدهم إلى هنا تكون لندن الجديدة قد تحركت"

مس توم خشب المقعد خلسة درءا للشرور، وقد كان يعلم جيدا أن المهندسين يبذلون قصارى جهدهم لتعديل المحركات وضبط عمل دكتور تشيلدرماس، لكنه لم يستطع أن يكف عن التفكير في الفشل الذي أصابهم أمس. ماذا اذا فشلوا في الاختبار التالي أيضا؟!. وفي أعماقه تمنى لو كان في استطاعته فعل المزيد للمساعدة؛ لقد ترك العمل معهم حين كلفه بوميروي بتأسيس متحف "نيو لندن"، وقد راح يؤدي مهامه الجديدة بكل جد وإخلاص، لكنه كان يعرف جيدا أنها وظيفة مختلقة وليست على هذا القدر من الأهمية، فـ"نيو لندن" تنتمي لعالم المستقبل وليس الماضي.

وبعد انتهاء الغداء، أعلن بوميروي أنه سيتوجه إلى "الرحم"، وتطوع توم بمرافقته إلى هناك، فقد سبق له مرارا أن نجح في إصلاح أعطال منطاد الجيني هانيفر، حتى صارت لديه خبرة لا بأس بها في التعامل مع الأمور الهندسية، وكان على يقين أن المهندسين يمكنهم الاعتماد عليه في بعض المهام البسيطة مثل اللحام أو ربط الأسلاك الصغيرة على متن المدينة الجديدة.

لكنهما لم يكونا قد تجاوزا أكثر من عشرين ياردة خروجا من "كراوتش إند"، حين انطلق جرس الإنذار يدوي من جديد.

"يا لكويرك الرحيم!" صاح بوميروي وهو يلتفت عائدا إلى المدخل "كيف لنا أن ننجز أي شيء في ظل تلك المقاطعة المستمرة لنا. إنني أكاد أفكر في إرسال خطاب شديد اللهجة إلى الجنرال ناجا! أقول له فيه أن هذا لا يصح كجيران..."

أما توم، والذي كان قد اعتاد أخيراً هيئة الطيور المطاردة، فقد إعتراه القلق إزاء جثث الطيور المطاردة الثلاثة المعلقة. ثم إنه رفع رأسه ونظر نحو السماء بينما هو يهرع لاحقا ببوميروي، وحسنا فعل، إذ فوجئ بسرب من الطيور المطاردة قد عاد إلى الخرائب، لكنهم لم يكونوا يدورون حولها كما كانوا يفعلون في كل مرة، بل كانوا يندفعون بقوة، كصواريخ تنطلق على رءوسهم من الشمس.

"انبطحوا!" صرخ توم وهو يدفع بوميروي إلى الأرض بينما كان واحد من تلك الطيور يندفع من فوق رأسه، ومخالبه الفولاذية على بعد جزء من بوصة من رأس الرجل العجوز.

وراح جرس الإنذار يدوي مرارا، بينما الناس الذين كانوا في طريقهم إلى "الرحم"

يصرخون ويتفرقون في كل مكان.

ومن "كراوتش إند" خرج " ساب بيبودي"، الذي أسقط واحد من تلك الطيور في وقت سابق، يركض وفي يده بندقية الصاعقة في وضع الاستعداد كي يقنص بها المزيد، لكنه وقبل أن يتمكن من فعل أي شيء، اندفع واحد من تلك الطيور نحوه مسددا مخالبه الحادة في وجهه، فسقط الفتى صارخا لا يرى شيئا. في حين انطلقت مجموعة أخرى من الطيور المطاردة عبر الحقول المزروعة خلف عدد من الأطفال الذين كانوا يصرخون هلعا بينما معلميهم يحاولون دفعهم دفعا نحو "كراوتش إند" لحمايتهم.

ولكن حتى "كراوتش إند" لم يعد آمناً، إذ اندفعت الطيور عبره ترفرف بأجنحتها الميتة بين أركانه وجنبات أكواخه.

ومن موضعه منبطحا على الأرض راح توم يتلفت من حوله مرتعدا من هول ما يحدث، وقد رأى الفتى ساب ملقى على الأرض، وقد بدا أنه فقد وعيه، و بجواره على بعد بضعة أقدام فقط كانت بندقية الصاعقة الخاصة به. في أيام شبابه، كان توم سيحاول بلا شك الوصول إلى البندقية والقيام بفعل بطولي لإيقاف تلك المأساة، أما الآن فقد كان يخشى أن تحدث له أزمة قلبية أو يتأذى من جديد، وقد بلغ به الرعب من تلك الطيور مبلغا لدرجة أنه لم يكن يقوى على أي حركة.

وفي جهة الغرب من "كراوتش إند" كانت رين وثيو وكات قد خرجوا من بين تلال الخردة، حينما بدأ الهجوم، وقد سمع ثلاثتهم جرس الإنذار، فتبادلت الفتاتين النظرات في عدم فهم بينما القوم يصرخون ويهرعون في كل حدب وصوب، قبل أن تنقض الطيور على حين غرة.

"هذا أبي!" صاحت رين حين رأت توم منبطحا على الأرض بجوار بوميروي على بعد حوالي ثلاثين قدما منها، والتفتت نحو ثيو، لكنه كان قد رآه بالفعل، واندفع يركض نحوه.

راحت كات تنتحب من الذعر، أما رين فقد انتزعت قوسها وسهامها ورفعت زر الأمان؛ صحيح أن أبناء لندن كانوا ينظمون أنفسهم ويتصرفون بشكل عسكري إلى حد بعيد، لكن أمورهم حتى قبل هذه اللحظة كانت بسيطة ولم يشهدوا عنفا حقيقيا

أو ينخرطوا في معركة حربية، كهذه التي يواجهونها الآن.

وقفت رين حاملة القوس في هدوء وقوة- مع أنها كانت تعلم جيدا أنها سترتجف كالجيلي لاحقا - ثم رفعت قوسها وصوبته بدقة نحو واحد من الطيور كان ينطلق باتجاه ثيو، وأطلقت السهم ليخترق جسده قبيل أن يصل إلى الفتى. صحيح أن سهما صغيرا واحدا لن يقتل طائر مطارد - ثانية! - لكن الضربة كانت كافية على الأقل لإلقائه بعيدا عن ثيو، الذي كان لا يزال يركض نحو توم دون أن يدري بالخطر الذي كاد يصيبه.

إلا أن الضربة حولت انتباه الطائر نحو رين، فاندفع باتجاهها، فسحبت سهما آخر من جعبة كات، لكنها وقبل أن تتمكن من وضع السهم في القوس كان الطائر قد بلغها بالفعل، فألقت بالقوس من يدها وبسرعة انتزعت إحدى الأنابيب المعدنية الملتوية من ركام الخردة بجوارها، وبكل قوتها ضربت الطائر قبل أن تصل إليها مخالبه، وكذلك كات أمسكت بإحدى القطع المعدنية، ومعا أخذتا تنهالان على الطائر ضربا، إلى أن حولتاه إلى أشلاء.

و بينما ثيو في منتصف الطريق نحو توم اكتشف أنه لا يملك أي خطة لحماية نفسه أو الذود عن الرجل، وليس في حوزته سلاح من أي نوع، وإنما جرى نحوه فقط كي يظهر أمام رين بمظهر الفتى الشجاع، كما أنه كان دوما يرى السيد ناتسوورثي من الأشخاص الذين لا يجيدون الاعتناء بأنفسهم أبدا. ثم إنه لمح تلك البندقية الفضية الصغيرة الملقاة على بعد مسافة قصيرة من توم والرجل العجوز، فاندفع نحوها سريعا، بينما مخالب واحد من الطيور تمزق الهواء من فوقه، وألقى بنفسه عليها، ثم تقلب بها على الأرض وهو يتحسسها بحثا عن الزناد بين مجموعة الأسلاك والأنابيب المعقدة التي تلتف حولها، و تمنى لو أنه وجد سلاحا أكثر بساطة من هذا، خاصة وأنه - مثل كل الجنود - يعرف أنه لا يمكن الاعتماد على مثل تلك الأنواع من التقنيات القديمة، لكنه لم يكن يملك رفاهية الاختيار.

وهكذا صوب ثيو البندقية تجاه واحد من الطيور ثم ضغط فوق زر داعيا ربه أن يكون الزناد، لتنطلق صاعقة من الضوء الشديد، ويسقط الطائر من فوره متفحما عند قدميه.

نهض ثيو مذهولا، وراح يصوب البندقية من جديد نحو طائر آخر، فثالث، فرابع، وهنا التفتت نحوه بقية الطيور واندفعت نحوه بغية الفتك به، إلا أن العديد من سكان لندن كانوا قد خرجوا من مخابئهم حاملين الأسلحة وراحوا يصوبونها على السرب ويسقطونهم الواحد تلو الآخر، لينتشر الدخان والريش في كل مكان.

وانتهى الهجوم أخيرا، وتناثرت جثث الطيور المطاردة وقد تم قنصها جميعا، فيما عدا واحد حلق عاليا نحو الشرق، وكان يطير على مسافة عالية بحيث تعذر قنصه.

وفي "كراوتش إند" كان جرس الإنذار لا يزال يدوي، إلى أن توجه أحد الأفراد إلى حيث الفتاة المسئولة عن إطلاقه وأخبرها أن تتوقف. وخرج بقية الناس من مخابئهم، وراحوا ينفضون عنهم قشور الصدأ في صمت وقد شحبت وجوههم من أثر الصدمة. وكان الصوت الوحيد الذي قطع الصمت هو صوت أنين الجرحى وأصدقائهم إذ يصيحون طلبا للمساعدة.

ثم بدأ سكان لندن يتساءلون: "لماذا هاجمونا؟!... لماذا الآن؟ بعد كل تلك السنوات..."

"هذا لم يكن هجوما حقيقيا" قالها ثيو وهو يرتعش لمجرد تخيل ما كان ليحدث لو أن تلك الطيور كانت من أسراب الطيور المهاجمة الحقيقية، وليست من أسراب الاستطلاع العسكري، "إنه مجرد اختبار، لقد أرادوا اختبار مدى قوتكم"

أخذ سكان لندن يتطلعون إليه بدهشة ويتساءلون من أين جاء هذا الشاب الذي يرتدي زي عدوهم. أما توم فقد تحامل على نفسه ليتمكن من النهوض وساعد بوميروي على الوقوف بدوره. وكان قلبه ينبض بقوة، لكنه لم يصب بنوبة قلبية لحسن الحظ، فقط كان كل ما يزعجه هو حالة الهلوسة التي أصابته، وقد حسب أن الهجوم سبب له هلوسة شديدة لدرجة أنه يتخيل ثيو نجوني واقف أمامه حاملا إحدى بنادق الصاعقة في يده، بل ويحييه أيضا : "مرحبا يا سيد ناتسوورثي".

ثم جاءت رين تهرع نحوه، ملطخة الثياب، وقد أصيبت بجرح في جبهتها، لكنها - حمدا لكويرك - كانت سليمة؛ واندفعت تعانقه وتسأله ما إذا كان بخير، ثم إنها قالت له :

"إنه ثيو يا أبي، ثيو هنا، تتذكر ثيو أليس كذلك؟، لقد قطع كل تلك المسافة

بحثا عنا".

***

37. حب بين الأنقاض

لم يكن ذلك بالتوقيت المناسب أبدا لشاب من مناهضي التحرك يرتدي معطفا من معاطف جنود العاصفة الخضراء كي يصل إلى لندن، في وقت تتأجج فيه نفوس أبنائها بالغضب والخوف في آن معا ضد شان جو، ويتساءلون في دهشة عن السبب الذي يجعل الطحلبيين يشنون عليهم ذلك الهجوم. وقد كان من الممكن أن تسوء الأمور بالنسبة لثيو كثيرا، لولا أنه أوقع بخمسة من تلك الطيور الكابوسية.

"هذا لا يعني أي شيء!" قالها السيد جاراموند "ربما يكون ما فعله جزءا من خطة محكمة لجعلنا نتقبله بيننا ومن ثم تتاح له الفرصة لقتلنا جميعا في فراشنا!"

إلا أن بوميروي قال له أن الفتى أنقذه هو شخصيا، بل وأنقذ العديد من أبناء لندن بما فعله، وأنه عن نفسه يرحب بوجوده بينهم، وهكذا أخرس الرجل.

كذلك راح توم ورين يشرحان طبيعة معرفتهما بثيو وكيف أنه سافر معهما لفترة من الوقت على متن الجيني هانيفر وأنهم نزلوا في مدينة كوم أمبو المتحركة دون أن يبدر عن ثيو ما يشي بوجود أي رغبة لديه في قتل أي شخص هناك.

وهكذا بدأ القوم تدريجيا، وعلى مضض يتقبلون حقيقة أن ثيو قد لا يكون عميلا للعاصفة الخضراء، وإنما مجرد غريب ضل طريقه وينبغي أن يُقَدَّم له واجب الضيافة.

وشرع الناس في مداواة الجرحى وإعادة تنظيم الصفوف، و مضاعفة نقاط المراقبة، وإعادة شحن بنادق الصاعقة.

أما "تشادلي بوميروي"، والذي بدا مضطربا ويرتعش بشدة، فقد راح يلقي على ثيو الأسئلة حول الحرب الدائرة وكيف تجري الأمور بها، إلا أن الفتى لم يستطع الإجابة سوى على عدد قليل منها، فقد كانت أسئلة بوميروي - بكل ما يملكه من خبرة المؤرخين بتاريخ المعارك - تدور في معظمها حول التكتيكات والخطط العسكرية وقرارات الجنرالات، وهي كلها أمور ليس لثيو دراية بها، ولم يعرف عنها شيئا خلال فراره.

وفي وقت متأخر من فترة ما بعد الظهيرة، بينما ضوء الشمس يتسلل إلى "كراوتش إند" وعبر نوافذ أكواخه، تمكن توم و رين أخيرا من الإنفراد بثيو، حيث

اصطحباه إلى كوخهما وقدمت له رين الكيك والشاي، ثم راحت ووالدها يقصان عليه ما مرا به من مغامرات، وكذلك أنصتا إليه إذ يسرد لهما ما جرى معه من أحداث ووقائع مثيرة حتى لحظة وصوله إلى لندن واجتماعه بهما من جديد. كذلك حكى لتوم قصة لقائه بهيستير وكيف أنها أنقذته في بحر الرمال، وكل ماجرى بعد ذلك وصولا للحظة التي صعد فيها إلى منطاد العاصفة الخضراء مع السيدة ناجا.

وخلال استماعهما لرواية ثيو بصدد هيستير، أمسكت رين بيد والدها، الذي اغرورقت عيناه بالدموع، ولم يستطع التفوه بأي شيء سوى :

"، وأين هيستير الآن؟"

فهز ثيو رأسه ثم قال : "لقد كانت الفوضى تعم كل شيء هناك عند خطوط المواجهة. أعتقد أن المنطاد الذي كان يحملها قد عبر بسلام، لكنني لا أدري إلى أين، كل ما أعرفه أنها على الأرجح في أمان الآن. إنني وعلى مدار حياتي، لم أقابل شخصا جسورا صارما مثلها... على أية حال السيد جريك سوف يعتني بها..."

"جريك...." قالها توم، ثم هز رأسه وتابع "... إذن كان هذا هو من قابلتماه على متن السحابة التاسعة. لقد حسبت أنني أجهزت عليه إلى الأبد في الجزيرة السوداء. لكم أكره مجرد التفكير في أن هذا الكائن الوحشي لا يزال موجودا"

"لولا السيد جريك لما كنت أنا هنا يا سيد ناتسوورثي. لقد تغير منذ أعادته أوينون إلى الحياة"

ولم يجادله توم أو يشكك فيما قال، لكنه كذلك لم يستطع أن ينزع عن ذهنه ذكرياته بصدد جريك، ذلك المطارد الشرير المجنون الذي طارده عبر " راست ووتر" قبل عشرين عاما. والآن هاهما جريك وهيستير معا من جديد، مثلما كانا حينما كانت فتاة صغيرة. وهنا غمره شعور عجيب ومرير إذ وجد نفسه.... يغار من مطارد عتيق!.

وفي المساء، وقد ارتحلت الشمس نحو الغرب وأمست السماء فوق الأنقاض أرجوانية، اصطحبت رين ثيو إلى حيث "الرحم" كي يرى بنفسه ما يصنعه أبناء لندن هناك. والحق أنها كانت تشعر بشيء من التوتر، فعلى الرغم من كونه شابا معتدلا متحضرا، إلا أنه، ومع ذلك، لا يزال من مناهضي التحرك، وقد تربى ونشأ على كراهية المدن المتحركة والخوف منها، فكيف سيستقبل ما سيراه إذن؟ وما عساها تكون ردة

فعله حينها؟ ولكن لندن الجديدة قد باتت شديدة الأهمية بالنسبة لها لدرجة أنها كانت تتوق لأن تريها له.

وحين وصلا إلى "الرحم"، وقف ثيو يتطلع نحو المدينة الجديدة طويلا، فيما راحت رين تشرح له، في توتر، كيف تم إنشائها وما يعتزمونه بصددها، وتلك الألواح الشبيهة بالمرايا المثبتة إليها والغرض منها. لكنها لم تستطع أن تستشف ما يفكر فيه أو يشعر به حيال ما قالت، ولا إذا كان قد أنصت أصلا لكل ما كانت تقول.

"لكنها لا تملك عجلات" قالها ثيو أخيراً

"لقد أخبرتك، هي لا تحتاج إلى عجلات"

"معنى هذا أن العجلات باتت شيئا قديما بالنسبة لها، وبالتالي لن تضطر لسحق الأراضي الخضراء والزهور والنباتات و الأرانب و... بل إنها بهذا تكاد لا تكون مدينة متحركة على الإطلاق، وإنما هي أقرب إلى مركبة طائرة ضخمة على ارتفاع منخفض"

ثم إنهما هبطا إلى حيث المدينة، وراحا يجوبان حولها تحت ظلالها. ومن فوق رءوسهم كان المهندسون منكبون على العمل في مركز المدينة، يجرون التعديلات والإصلاحات. ومن حولهم في كل مكان على أرضية المستودع كانت براميل المياه وصناديق اللحوم المحفوظة تنتظر تحميلها إلى متن المدينة، بالإضافة إلى عدد من أقفاص الدواجن وكميات من الطعام المعلب تمكنت فرق التنقيب من استخلاصها من أنقاض المخازن. وحتى الأكواخ التي عاش فيها أبناء لندن لسنوات، جرى تفكيك الكثير منها ونقلها إلى المستودع تمهيدا لتحميلها إلى متن "نيو لندن".

وحين خرجت رين وثيو من المستودع صادفا صفا آخر من عربات اليد تحمل المزيد من الأكواخ المفككة قادمة من "كراوتش إند".

ومن الطرف الشمالي لـ"الرحم"، بلغتهما أصوات "لين بيبودي" ورفاقه إذ كانوا يعكفون على إزالة أكوام الحطام من أمام مدخل المستودع ووضع مواد التفجير عند البوابة بحيث يتم إزالة الأبواب تماما وتوسيع المسافة حين يأتي أوان مغادرة "نيو لندن" للرحم.

"والآن، ما رأيك؟" سألته رين، وقد اعتراها القلق إزاء صمته، بينما هي تشده عن

مسار العودة وتأخذه إلى حيث ممر ضيق بين الحطام، حيث أشجار التفاح النامية، وقد افترضت أن شخصا مثله من محبي الأرض اليابسة سوف يشعر براحة أكبر في مكان كهذا بين الخضرة و همس أوراق الأشجار إذ تداعبها النسائم.

"هل تنتوين الذهاب معهم؟" سألها ثيو

"نعم... أبي يريد ذلك، وأنا أيضا، أود أن أقف على متن لندن الجديدة وأن أشعر بحركتها إذ ترتحل إلى أماكن جديدة.."

"للصيد؟"

"بل للتجارة، كما كانت أنكوراج تفعل"

"لكن المدن الأكبر ستلتهمكم"

"لن يستطيعوا الإمساك بنا"

وعلى إحدى الأغصان حط طائر وراح يخفق بجناحيه، وكان مجرد طائر أسود صغير، لكنه جعلهما يفزعان، واقتربا أكثر من بعضهما.

"أنا لم أتوقع ذلك..." قال ثيو ".. لقد حسبت أنك هنا للاستكشاف لا أكثر"

"هذا خطأ بيني رويال..." قالت رين، والتي كانت دوما تسهب وتسترسل في الحديث حين يعتريها التوتر "... لو لم يبتل خطابي على هذا النحو وهو بحوزته لكنت تمكنت من قراءته كاملا وعرفت بنظرية فولف..."

"صه...." همس ثيو وهو يضع إصبعا على شفتيها لإسكاتها، ثم قال "لقد اعتقدت أنك في خطر، خاصة وأن الهمجيين يشنون هجوما من جديد ناحية الشرق. لقد جئت على أمل أن أجدك وأصطحبك أنت ووالدك معي بطريقة ما إلى زاجوا"

أوه، ما هذا السخف!... هكذا فكرت رين ساخطة، وقد ظنته على وشك تقبيلها مرة ثانية، والآن تجده يتحدث في أمور أبعد ما يكون عن هذا. إنه طحلبي، وهي فتاة مدينة، و بالطبع لن يتقبل أو يؤيد فكرة "نيو لندن"، أبدا... ولكن، ليكن، كل هذا لا يهم، فمن يدري، ربما يتم التهام المدينة بالأنقاض بمن فيها من قِبَل " هاروبارو"، أو قد تشن أسراب الطيور المطاردة هجوما جديدا عليهم قبل ليلة غد، وحينها لن يكون

هناك متسع لأي شيء....

وهكذا، وفي اللحظة التالية، دنت رين من ثيو وبادرت بتقبيله.

ومن مكان ما، على بعد مسافة ما، تركزت عدسة إلكترونية للحظة عليهما، وأخذت تكبر صورتهما وتحلل المجال الحراري المنبعث من جسديهما وسط الكتل الباردة المحيطة بهما، وقام العقل الإلكتروني بتخزين الصورة ومعالجتها في غضون كسر من الثانية، ثم تحولت العدسة عنهما.

وراح "أودين" يجول بعدسته نحو الغرب ويتقلب بين أرجاء ذلك العالم غير المفهوم له، الذي استيقظ عليه أخيرا.. أين المدن القديمة التي ألفها؟ أين نيويورك و سان أنجلوس اللتان تم إرساله ليدور في مداره هذا للدفاع عنهما؟.. من أين جاءت سلسلة الجبال الجديدة هذه؟ وتلك البحار الجديدة؟، وما هي تلك المركبات الضخمة التي تزحف عبر أوروبا مخلفة ورائها خطوط طويلة من الأدخنة والعوادم؟

أخيرا، رصد السلاح العتيق شيئاً واحدا مألوفا له وسط هذا العالم المتغير : سلسلة من البيانات المشفرة يتم إرسالها له بسلاسة من مكان ما وسط مرتفعات أسيا الوسطى.

***

38. مليون صوت للرياح

كانت الحرب تمضي قدما، وأحرزت المدن تقدما لا بأس به. صحيح أن "بانزرستات فينترتور" ضاعت، وغرقت كل من "دارمستات" و " دورتموند" في مستنقعات "راست ووتر"، إلا أن باقي المدن لم تواجه سوى مقاومة ضعيفة، وقد راحت آلاتهم الطائرة تطارد أسراب مناطيد العاصفة الخضراء عبر السماء المفعمة بالدخان، بينما المناطيد الحربية للمدن ومنصات المدافع الجوية تقصف الطيور المطاردة محولة إياها إلى عاصفة من الريش والوحل.

وحين أصبح من الجلي تماما أن جيوش العاصفة الخضراء قد تمزقت، قرر "أدلاي براون" أن الوقت قد حان لمانشستر أن تقوم بدورها في تلك الحرب. وقد بات على يقين أنه في غضون أسابيع قليلة ستعود الأيام الخوالي للداروينية البلدية، ولهذا فقد حرص على أن تكون مانشستر في صدارة الفائزين بغنيمة الفرائس؛ وهكذا جمعت مدينته حشدا من الضواحي الحصادة حولها وتوجهت شرقا، وفكوكها العملاقة مفتوحة استعدادا للافتراس، وأخذت تملأ أحشائها بأنقاض أبراج المراقبة والحصون والحظائر والمزارع وتوربينات توليد الطاقة.

و في الوقت الذي كانت فيه رين تقبل ثيو بين خرائب لندن، كانت مانشستر تشق طريقها ميلا بعد ميل نحو تلك المستوطنة الثابتة التي تدعى " فوروارد كوماند"، ومن حولها انقضت آلات النمس الطائر تقصف منصات صواريخ الطحلبيين، بينما تسابقت ضواحي " ويرووولف" و " إيفر كرينش" المدرعة أمام مدينته ككلاب صيد مدربة.

ومن مكان ما ظهرت بعض من مركبات العاصفة الخضراء، و انطلقت نحو مانشستر، إلا أن "النمس الطائر " كانت لهم بالمرصاد، حيث أشارت "أورلا تومبلي" إلى بقية سربها نحو تلك المركبات، فتجمعوا بسرعة وانطلقوا ككتلة واحدة نحوها، فراحت تلك تتفرق يمينا ويسارا بينما الآلات الطائرة بقيادة أورلا تمطرهم بالصواريخ الجوية. وأطلقت أورلا سبة حين اصطدمت إحدى آلاتها التي على يمينها بصاروخ وانفجرت، مخلفة سحابة كثيفة من الدخان حجبت عنها الرؤية. ثم إنها تحولت بآلتها " كومبات وومبات" باتجاه مؤخرة مركبة العاصفة الخضراء التي أطلقت الصاروخ

وأخذت تطاردها نحو الغرب وقد فتحت النيران عليها من مدفع آلتها إلى أن حطمت أجزاء من مراوح التوجيه الخاصة بالمركبة، واستمرت في إطلاق الرصاص إلى أن انفجرت خلايا الغاز، ومن المنطاد المحترق خرجت بالونات الإنقاذ تحمل طاقمه. فحاول بعض من قائدي "النمس الطائر" اصطيادهم، إلا أن أورلا تومبلي كانت واضحة في قواعدها : الاستهداف يكون للمركبات فقط وليس للأفراد.

وهكذا راحت تدور بآلتها حول المنطاد المحترق، ثم عادت إلى سربها لمساعدة زملائها في التعامل مع باقي المناطيد.

وفجأة، و بينما كانت أورلا تحلق بآلتها على بعد ثلاثة أميال من مانشستر، فإذا بالسماء تنشق من فوقها، و دوى صوت مزلزل أشبه ما يكون بزئير مروع أطاح بالآلة الطائرة، وراحت أورلا تكافح بكل قوتها لرفع مركبتها إذ تندفع بقوة نحو الأرض؛ وعبر السماء انطلق رمح من نيران بيضاء.

اشتعلت النيران في أجنحة ال"كومبات وومبات" القماشية، وأخذت أورلا تتضرع الآلهة والآلهات بينما توجه أنظمة إطفاء الحريق نحو الرقع المحترقة، و امتلأت السماء من فوقها بالدخان والضوء الساطع، وقد خُيل إليها أنها رأت رمح النار يخترق الأفق نحو الشمال، ثم ينحرف نحو واحدة من نواحي مانشستر.

وبعد حين، عندما هدأت عاصفة النيران وتلاشى صوت الزئير العارم، شرعت أورلا تحاول الإقلاع من جديد، لتكتشف أن محركات آلتها قد تعطلت تماما، فاضطرت للتحليق بمركبتها شراعيا بفعل طاقة الرياح الساخنة، متوجهة فوق الغابات المحترقة نحو مانشستر، لتفاجأ بالمدينة العظيمة تقف هامدة بلا حراك، وقد تدمرت دروعها ومساراتها، وتحطمت طبقاتها الواحدة فوق الأخرى، لتغرق جميعا في بحر من اللهب الذي راح يتصاعد نحو السماء.

لم تصدق أورلا عينيها من المشهد الرهيب، ولم تكن تتخيل أبدا أن يكون ثمة حريق عارم كهذا يمكن أن يندلع. ثم إنها راحت تدور حول المدينة المتفحمة، ملتاعة من كل هذا الكم من الموتى والمحتضرين، لكنها لم يكن في وسعها فعل أي شيء من أجلهم. وهكذا وجهت مركبتها من جديد نحو الشمال الغربي بحثا عن مكان لتهبط فيه.

تراجع الضوء في السماء مخلفا خيطا طويلا من حرائق الغابات عبر السهول، بينما كانت عدد من الحرائق العارمة لا تزال مشتعلة في مواضع الضواحي والمدن.

وأخيرا، بينما الـ"كومبات وومبات" على وشك أن تفقد قدرتها على التحليق مع تراجع حرارة الرياح، كانت مدينة مدرعة تلوح في الأفق... إنها مورناو. وكانت واقفة بلا حراك في موضعها، لكنها كانت كاملة وسليمة، وقد تعرفت نقاط المراقبة بها على مركبة أورلا، وانفتح مدخل في الدرع الواقي بالطبقة العليا للسماح لها بالدخول.

وما إن حطت الآلة فوق أرضية " أوبر دن ليندن" وخرجت أورلا منها، حتى فوجئت بأن آلتها قد تداعت تماما وتحولت إلى كومة من الخشب المتشقق والخيوط الممزقة والقماش المحترق، ولم تكن تتخيل مدى الضرر الذي تعرضت له، بل ولم تكن تدرك حتى مدى الضرر الذي لحق بها هي ذاتها و سوء الحروق التي أصابتها، إلا حينما رأت الرجال يهرعون نحوها لمساعدتها.

كانت بذلة الطيران الوردية التي ترتديها قد تفحمت، وكذلك وجهها تلطخ بالكامل باللون الأسود، فيما عدا موضع العينين بفضل نظارتها الواقية.

وبرغم سوء وضعها، لوحت أورلا بيدها، والدخان يتصاعد من قفازاتها، للطاقم الطبي لإبعادهم، وهرعت، تكح وتسعل من أثر الدخان، بإتجاه مقر البلدية...

"يجب أن أقابل المارشال" قالتها للحرس، وقد أرادت أن تخبره بما رأت، وقد بدا لها، مما شهدته من دمار، أنها هي الوحيدة التي خرجت على قيد الحياة من الهول الذي وقع.

"آنسة تومبلي؟..." التقاها فون كوبولد على سلم مبنى البلدية، "ما الذي حدث؟... هذا الضوء والنيران... لقد فقدنا الاتصال مع مانشستر، وكذلك "بريسلاو" و "مولوك ماشينينيستات"... ما الذي يحدث هناك؟ "

" مانشستر انتهت..." هتفت أورلا، ثم خرت ساقطة، فتداركها فون كوبولد قبل أن تقع فوق الدرج، وقد تلطخت سترته بالدماء وعوادم النيران التي غطت سترتها.

"لقد دُمِروا جميعا..." قالت في وهن ".. استدر بمدينتك واهرب من هنا، اهرب.... العاصفة الخضراء تمتلك سلاحا جديدا يدمر كل شيء..."

“رسول يا سيدي! رسول من الخطوط الأمامية!” دوى صوت مساعد ناجا وتردد صداه بين جنبات غرفة اجتماعات الحرب في “جيد باجودا”، بل وفي داخل رأس ناجا ذاته. ولم يفهم الجنرال سبب كل هذا الحماس البادي في صوت مساعده، فعلى مدار الأسبوع لم يكن يتلقى سوى نبأ حضور الرسل والمبعوثين من على خطوط القتال الأمامية، وكانوا جميعا لا يأتونه بشيء سوى بالأخبار القاتمة، لدرجة أن ناجا لم يعد واثقا مما إذا كانت لا تزال لأرضه خطوط أمامية أم لا... يبدو أن حظه الجيد قد فارقه، ربما مات مع أوينون.

“جنرال ناجا!”

حسنا، ها قد جاءه المبعوث، ذلك الضابط الشاب ذو الوجه المستدير، قادما من إحدى مراكز التصنت والمراقبة في الجبال الغربية...

“حسنا؟” قال ناجا

انحنى الضابط بشدة لدرجة أن الأقلام التي في جيبه سقطت وتناثرت فوق الأرضية.

“أعتذر بشدة يا سيدي، كان علي أن أقابلك بشكل شخصي. لقد تم إعادة توجيه طيورنا المطاردة إلى الخطوط الأمامية، وبالتالي تعذر إرسال أي منها إليك بالنبأ، كذلك هناك شيء يعترض إشارات الراديو...”

“ما الأمر؟” صاح ناجا، أو بالأحرى حاول أن يصيح، لكن صوته خرج واهنا ضعيفا.

“السيدة ناجا يا سيدي!.... إنها حية!، جاءنا واحد من الطيور المطاردة من قطاع الجنرال “زاو” حاملا رسالة، كان متضررا بشدة، لكننا تمكنا من فك الشفرة وتلقي الرسالة. السيدة ناجا في طريقها إلى المنزل”.

ذلك الفتى... ذلك الفتى الذي كان منذ لحظات قليلة غير ذي أهمية، بدا الآن في عيني الجنرال ناجا وسيما شجاعا، ذكيا.... كيف للعاصفة الخضراء أن تجعل مثل هذا الفتى مجرد جندي مراسلة مع نقاط التصنت؟!... ونهض ناجا من فوق كرسيه متجها نحو طاولة الخرائط وهو يصيح، وقد عادت إليه الحياة وشعر بأنه شاب من جديد :

“قوموا بترقية هذا الفتى إلى رتبة ملازم، لا بل نقيب!”

أوينون حية.... أوينون حية.... وانفتحت أمام ذهن الجنرال مائة إستراتيجية حربية جديدة، لا بد أن أحدها ستنجح في إيقاف تقدم المدن المتحركة.... إنها على قيد الحياة.... أوينون على قيد الحياة!

كانت السعادة تغمر كيانه لدرجة أنه استغرق دقيقة كاملة، قبل أن يتوقف فجأة وقد تذكر تلك الشابة التي جاءته من الصحراء بقصص مختلقة عن موت زوجته. وهنا انتزع ناجا سيفا من واحد من ضباطه واندفع خارجا من الغرفة، بينما الضباط والمطاردون يفسحون الطريق له، متوجها نحو الدرج.

"جنرال ناجا؟" صاح أحد رجاله من ورائه "سيدي؟"

"الفتاة روهيني أيها الأحمق!" صاح ناجا فيه، أو حاول الصياح، وقد بدأت الحقيقة تتكشف أمامه، ".. إستدعوا الحراس!"

لكنه لم يكن يريد استدعاء الحراس كي يتعاملوا مع الفتاة، حيث قرر أنه سيتولى أمرها بنفسه وبسيفه، و اقسم أن يشق رأسها كثمرة شمام.

اندفع ناجا عبر الجناح الغربي المؤدي إلى غرفة الفتاة، ثم اقتحم الباب واندفع عبره، وقد تناثرت على دروعه شظايا الخشب، وصعد الدرجات الخمس المؤدية إلى مقر معيشتها.

نهضت الفتاة من مجلسها قبالة نافذة كبيرة تطل على شرفة واسعة، بمجرد أن ظهر الجنرال ناجا أمامها على قمة الدرج، وانحنت تحييه في هدوء ووداعة، كما كانت دوما.

"زوجتي على قيد الحياة..." قال ناجا "... إنها عائدة إلى هنا. والآن، هل ستبقين على إدعاء الخرس هذا أم لديك كلمات أخيرة لتقوليها؟"

وللحظة وقفت الفتاة تحدق فيه في صمت وقد رسمت على ملامحها أمارات الخوف والاضطراب، ثم أدركت بعد حين أنه لم يعد ثمة طائل من الاستمرار في الإدعاء، فبدأت تضحك، ثم نطقت أخيراً :

"يا لك من عجوز أحمق!. أنا سعيدة بأنها لا تزال حية، والآن سوف ترى بعينيها ما الذي أوصلنا إليه السلام الذي سعت إليه، إلى حافة الخراب. أما أنت فلن تستمع

لأكاذيبها بعد الآن"

"ماذا تقصدين؟"

"ألم تفهم بعد؟..." وضحكت الفتاة من جديد بضراوة، ثم "... إنها تعمل لصالحهم!، لطالما كانت تعمل لصالح المدن المتحركة. لماذا تحسبها وافقت على الزواج بك؟ إنك لا تصلح لأن تكون فتى أحلام لفتاة شابة مثلها، إنك نصف رجل مغطى بدروع، ولكن حتى هذا لن يكون موجودا بعد اليوم، سوف أقتلك ياجنرال، وسوف يهب قومك ويقتلون زوجتك الخائنة، وعندها سيكون الجميع مستعدين لاستقبال قائدتهم الحقيقية من جديد حين تكشف عن نفسها"

"ما الذي...."، لكن ناجا لم يكمل قوله، ففي تلك اللحظة نزعت روهيني شعرها ليكتشف أنه لم يكن سوى شعر مستعار تخفي من تحته شعر أشقر قصير، ومسدس غاز صغير مدت يدها سريعا نحوه، وفي لمح البصر أطلقت النار على ناجا، إلا أن الدروع فوق صدره أنقذته من الطلقات، لكنه ارتد للخلف من أثر قوة الطلقات ليتعثر ويسقط على ظهره عبر الدرج.

"... ما الذي تقولينه؟!" قالها في ذهول وهو راقد على ظهره ووجهه نحو السقف. ومن الأعلى ظهرت روهيني عند قمة الدرج والمسدس في يدها، وهذه المرة صوبت سلاحها نحو وجهه، وقالت وهي لا تزال مبتسمة : "سينثيا توايت، العميلة الخاصة للمطارد فانج، لقد بقي بعض منا على إيمانه بها أيها الجنرال، ونحن على يقين من أنها ستعود من جديد"

"أنت.. أنت كنت تقومين بتسميمي، الشاي، أنت.."

"هذا صحيح..." قالتها بغبطة "والآن حان الوقت كي أنهي مهمت...."

لكن سينثيا لم تجد متسعا من الوقت لإنهاء قولها، فعند تلك اللحظة إنطلق سهم من الضوء عبر النافذة، ساطع لدرجة أنه بدا صلبا، وساخن لدرجة أنه أحال سينثيا وكل شيء حولها في الغرفة إلى كتلة من النيران في لحظة واحدة. واندلع صوت راعد يرج الأركان ويغرق صراخها فيه.

وفي أسفل الدرج، بعيدا عن مرمى سهم النار، شعر ناجا بلفح الحرارة فوق وجهه

كدفقة نار من فرن مفتوح. أما في الأعلى فقد تحولت سينثيا تورايت إلى غصن أسود يضطرم بالنيران.

ثم بدأ صوت الانهيار، إذ راحت "جيد باجودا" بأكملها تترنح ثم مالت إلى أحد جانبيها.

حاول ناجا النهوض، لكن دروعه الميكانيكية لم تستجب له، ومن حوله تناثر رماد سينثيا في كل موضع.

"النجدة..." صاح ناجا من بين الدخان "النجدة...!"

ومن خلفه تداعى الجدار الحجري القديم، وانهار الجزء الرئيس من "جيد باجودا"، لينكشف الوادي في الأسفل حيث "تينجين"، عاصمة جماعة مناهضة التحرك منذ ألف عام، وقد استولت عليها النيران، وعبرها تردد مليون صوت للرياح النائحات.

***

39. وهج النيران

كان الحرج يغمر رين بينما هي عائدة برفقة ثيو إلى "كراوتش إند"، فقد بقيا وحدهما معا في ذلك الموضع بين الأنقاض لفترة أطول بكثير مما كانت تنتوي. وقد أجادت أخيراً فن التقبيل، لكنها شعرت بأن الجميع سوف يعلم ما كانت تفعله لا محالة، خاصة وأنها، حتى حين سحبت يدها من يد ثيو، لم يستطيعا أن يتوقفا عن تبادل النظرات، وقد سرى بينهما ذلك الإحساس بالانجذاب الشديد، وكأنه شرارة كهربائية تفعم الأجواء من حولهما.

ومع ذلك، وبرغم أن نصف سكان لندن تقريبا كانوا يقفون عند المساحة المفتوحة خارج مدخل "كراوتش إند"، إلا أن أحدا لم يلحظهما حين عادا، بل كان الجميع يتطلعون جهة الغرب في انتباه شديد، فانضمت رين لهم وراحت تنظر إلى حيث ينظرون. وهناك رأت السماء فوق الحطام وقد غمرها وهج أحمر، و كأنما حريق هائل قد اشتعل فيما وراء الأفق.

"ما هذا يا سيد لوبريني؟" سألت رين والد كات الذي كان يقف بجوارها "أهي الحرب؟"

هز لوبريني رأسه وكتفيه دون أن يجيب. وبعد لحظة سمعوا صوت ضوضاء خافتة حملتها إليهم الرياح، ثم دوى صوت زئير مروع، وانبعث لسان من الضوء الساطع أضاء النصف الغربي من السماء، فاقتربت رين من ثيو وتمسكت بيده من جديد.

"إنه يذكرني بتلك الليلة التي دمرنا فيها "بايرويت" القديمة" قالها شخص ما

" رين!" صاح توم وهو يسرع نحو ابنته،"كنت أبحث عنكما، ثيو هل لديك فكرة عما يجري؟"

فهز ثيو رأسه، ثم سأله "متى بدأ ذلك؟"

"منذ حوالي نصف الساعة... لا بد أنكما لاحظتما وهجه الأول، أليس كذلك؟"

"ااا..." قالت رين متلعثمة، أما ثيو فقد راح يتطلع نحو السماء عابسا، ثم قال :

"لو أن هذا إطلاق للنيران، فإني لم أر مثله في حياتي"

ومن نقطة التنصت عند أطراف ساحة الحطام جاءهم دكتور "أبرول" مسرعا - وقد كان هناك يحاول التنصت على رسائل العاصفة الخضراء عبر الراديو، وكذلك المدن المتحركة المتقدمة عبر خطوط العاصفة- فاحتشد سكان لندن من حوله وراحوا يسألونه بلهفة عما إلتقطه عبر الموجات الإذاعية.

"من الصعب التأكد..." قال الرجل في توتر واضح، وتوهج السماء ينعكس فوق عدسات نظارته، ".. هناك شيء ما يتداخل مع موجات الراديو، ولكن يبدو... يبدو كما لو كان..."

"ماذا؟..."

"ماذا؟..."... صاح القوم من حوله يستحثونه على الكلام، فابتلع الرجل ريقه بصعوبة وقد برزت تفاحة آدم من عنقه، ثم قال، وقد اضطر لرفع صوته عاليا ليجعله مسموعا من فوق الصياح والشتائم والصخب الدائر من القوم من حوله :

"مدن بأكملها دُمِرَت... مانشستر وكافة أعضاء تحالف المدن المتحركة الألمانية، والضواحي..."

"إنها إحدى التقنيات القديمة!" صاح بوميروي، الذي هرع نحوهم، يجر ذيل ردائه، متسائلا عما يجري، "لا بد أن العاصفة الخضراء تمتلك أحد الأسلحة من التقنيات القديمة..."

"ولكن، لماذا انتظروا كل هذا الوقت ليستخدموه؟" تساءلت كليتي.

"من يدري، ربما كانوا هم أنفسهم يخشون استخدامه. لا بد أنه يملك قوة شنيعة"

"وأين عثروا عليه؟.. " تساءلت أصوات أخرى، "... ما كنهه بالضبط ؟"

"ربما هو ليس سلاحا أرضيا..." قالها لورباك فلينت، وكان يقف خلف كليتي محيطا إياها بذراعه، "لقد ترك القدماء أسلحة في الفضاء. ماذا لو أن العاصفة الخضراء وجدت وسيلة للتواصل مع أحدها؟"

"هناك نداءات استغاثة على موجات الراديو الخاصة بالعاصفة الخضراء كذلك"

قالها دكتور أبرول " توجد تقارير عن وقوع انفجارات في "تينجين". الأمر محير جدا وغامض"

"ربما قام تحالف المدن المتحركة بإرسال مناطيدها إلى تينجين لمحاولة تفجير جهاز التحكم في ذلك السلاح" قالها بوميروي.

أضاءت دفقة أخرى من الضوء السماء.

"يبدو أنهم لم ينجحوا في تفجيره.." قال لين بيبودي ".. إنه أمر سيء، ألا ترون هذا معي؟، ما الذي يمنع العاصفة الخضراء الآن من توجيه سلاحهم هذا إلى "نيو لندن" بمجرد أن نحاول الخروج بها من بين الأنقاض؟"،

"لا شيء يمنعهم.." قالها بوميروي وهو يتنهد، ثم "إنها مشكلة كما تقول، ولكن للأسف ليس بوسعنا فعل أي شيء حيالها. كل ما يمكننا فعله هو أن نتضرع لكويرك وكليو وكل الآلهة أن ترى العاصفة الخضراء أننا لانستحق أن تهدر طاقة سلاحها الخارق هذا في إفنائنا. فلندن الجديدة صغيرة الحجم، ومن يدري، ربما أمكننا، بمشيئة كويرك، أن نفر نحو الشمال، بعيدا عن كل هذا العالم المريع الذي صنعته المدن والعاصفة الخضراء. إنني أتمنى أن أرى الأراضي الجليدية قبل أن أموت..."

ثم إنه رفع صوته قليلاً، فانتبه الجميع وتوقفوا عن التحديق في السماء والتفتوا يستمعون إليه :

"إن ما يحدث لن يغير خططنا، بل ربما يساعدنا كذلك - وإن كان بطريقة مروعة - حيث قد يؤخر وصول "هاروبارو" إلينا. إذهبوا إلى فراشكم جميعا الآن وحاولوا أن تنالوا بعض الراحة، فلا فائدة من الوقوف هنا ومشاهدة تلك الألعاب النارية، لدينا عمل شاق في الغد. عن نفسي سوف أذهب للنوم قليلا"

وهكذا بدأ الجمع يتفرق، و توجه سكان لندن، فرادى وأزواج، كل إلى مسكنه. وفي أعينهم جميعا إنطبعت نظرة أدركها توم على الفور، إنها ذات النظرة التي رآها قبل تسعة عشر عاما في باتمونخ جومبا، نظرة من أدركوا اخيرا أنهم باتوا في مواجهة قوى أكبر وأعتى من قدراتهم، وأن تلك القوى باتت لها السيطرة على الأرض.

وبرغم كلمات التشجيع التي قالها بوميروي، إلا أنهم كانوا جميعا خائفين، باستثناء

رين وثيو اللذان بدا هادئان تماما، و مضيا في طريق العودة بروية و إطمئنان، وقد أحاط كل منهما خاصرة الآخر بذراعه. وفي تلك اللحظات كان كلاهما على يقين من أنه ما من سلاح أيا كان باستطاعته أن يفرق بينهما، وأن تلك المشاعر التي تربط بينهما أقوى من العاصفة الخضراء والمدن المتحركة وكل التقنيات القديمة المرعبة في العالم. كانا يسيران، ومن ورائهما توم، يتطلع إليهما، وقد ذكراه بما كان بينه وبين هيستير، والمشاعر التي ربطت بينهما ذات يوم.

ثم إنه توجه نحو بوميروي ومشى إلى جواره باتجاه "كراوتش إند". كان الرجل العجوز يسير ببطء، وقد بدا أن هجوم الطيور المطاردة قد أثر عليه صحيا بدرجة أكبر مما يظهره؛ وقد مد توم ذراعه إلى كي يستند عليه، لكن الرجل لوح مبعدا ذراعه وقال : "لا زلت قادرا على الحركة أيها المتدرب ناتسوورثي. الحق أن الأمور باتت مثيرة للغاية منذ وصولك أنت و ابنتك.... طيور مطاردة، أسلحة فتاكة.... بالكاد صرنا نتعم بدقيقة من السلام".

اندلع وميض آخر من الضوء في السماء من ناحية الغرب، وقد بدا أكثر سطوعا وتوهجا هذه المرة، و خيل لتوم أنه رأى ما يشبه نصلا أبيض من الضوء يشق السماء بين النجوم متجها نحو الأرض. ومن جديد سمع ذلك الصوت العاصف قادما من مسافة بعيدة..."يا لكويرك العظيم!" همس في رعب.

"هؤلاء القدماء لم يكونوا يمزحون أبدا"

"ترى هل كان لورباك على صواب فيما قال؟ أهو حقا سلاح معلق في مدار بالفضاء؟"

"ربما هو كذلك.." قال بوميروي "هناك الكثير من الأشياء التي لا زالت تدور في الفضاء.. السجلات القديمة تسرد أسماء العديد من الأسلحة التي قام القدماء بإرسالها لتدور في السماء: "الخفاش الماسي"... " جينجو 14"... "الأخوات التسع"... " أودين". من المفترض أن معظم تلك الأسلحة قد تم تدميرها خلال حرب الستين دقيقة، أو سقطت من مداراتها عبر آلاف السنين. ولكن من المحتمل أن يكون منهم ما لا يزال معلقا يدور في مداره، و استطاع قوم الجنرال ناجا إيجاد وسيلة ما للتحكم به وتوجيهه"

"أودين..." قال توم "لقد سبق وسمعت ذلك الاسم في مكان ما...."

"ليحفظنا كويرك!. لا بد أنك كنت منتبها خلال إحدى محاضراتي يا ناتسوورثي!" قالها بوميروي ضاحكا، لكنه، رغم محاولته إظهار المرح، كان الإرهاق باديا عليه بوضوح، فسار توم من جديد بجوار الرجل وقد رأى أنه ليس من الجيد أن يبقى المؤرخ العجوز هكذا في الهواء البارد.

كان الضوء الأبيض قد تلاشى الآن، ولم يتبق سوى وهج أحمر مشئوم.

"كان هذا السلاح ضمن مبادرة الدفاع المداري.." قالها بوميروي وهما يستأنفان السير، ".. كان جزءا من سباق التسلح العنيف الأخير بين الإمبراطورية الأمريكية والصين العظمى. وإنني أتساءل الآن، كيف استطاع الطحلبيون الوصول إلى شفرة ذلك السلاح!"

"يا لكويرك الجبار!" صاح توم فجأة وقد تذكر شيئا، وتوقف بوميروي ونظر إليه :

"هل أنت على ما يرام يا ناتسوورثي؟"

"نعم.." أجابه توم كاذبا، وقد صعقته الذكرى وزلزلت كيانه... لقد تذكر الآن أين وكيف سمع بذلك الاسم، "أودين"، ولماذا بدا له مألوفا إلى هذا الحد... لقد كان اسم "أودين" هو الكلمة الوحيدة التي استطاع قراءتها بين آلاف الرموز والأرقام المنقوشة على صفحات "كتاب الصفيح" لأنكوراج، ذلك الكتاب الذي عاونت رين "الصبية المفقودين" على سرقته. لقد نسي توم أمر ذلك الكتاب تماما، وقد افترض أنه لا بد قد دُمِر تماما و انتهى أمره مع سقوط" السحابة التاسعة"؛ لكنه الآن أدرك أنه كان مخطئا، وباتت الصورة واضحة أمامه... لا بد أن العاصفة الخضراء قد عثروا على الكتاب و اخذوه معهم إلى شان جو، وهناك استخدموا رموزه لإيقاظ ذاك السلاح الرابض في السماء.

"رجاءً..." قال توم "لا تذكر شيئا عن ذلك السلاح أمام رين"

فضحك بوميروي مجددا وقال : "أنت لا تريد أن تفسد عليها لحظاتها الرومانسية، إيه؟، لا ألومك. إنه لأمر حسن أن نرى شبابنا، وبرغم ما نمر به، يقعون في الحب. والحق أن هذا الشاب ثيو نجوني يروقني، إنهما يليقان ببعضهما البعض"

"هذا إذا بقوا على قيد الحياة..." قال توم "... إذا بقي أي منا حي"

"قوى التاريخ ستحدد ذلك..." قالها بوميروي "... لقد درست التاريخ طوال حياتي، والشيء الوحيد الذي تعلمته على وجه اليقين هو أنه لا يمكن للمرء أن يقف في وجه مجرى التاريخ. إنه كنهر متدفق لا نملك أمامه سوى أن نترك أنفسنا لننجرف فيه ونسبح مع أمواجه. هناك كبار، كالجنرال ناجا وتحالف المدن المتحركة الألمانية قد يحاولون السباحة عكس تياره، أما البسطاء أمثالنا فإن أفضل سبيل لهم هو أن يتركوا أنفسهم لتياره، محاولين إبقاء رءوسهم فوق سطحه لأطول وقت ممكن"

"و إذا غرقنا، ماذا سيحدث حينها؟"

ضحك بوميروي وقال "حينها يأتي دور شخص آخر ليكمل الطريق، ابنتك الشابة وفتاها على سبيل المثال. ابنة مؤرخ لندني و شاب من مناهضي التحرك... ربما هذا هو المستقبل"

وصل الرجلان إلى حيث كوخ بوميروي، الذي يعج بالكتب، وعند الباب قال توم على حين غرة : "سيد بوميروي، لو أن أي شيء وقع لي، هل تعدني بأن تعتني برين؟"

قطب بوميروي جبينه ونظر لتوم، وكان على وشك قول شيء ساخر، لكنه تراجع وقد أدرك أنه جاد فيما يقول، فأومأ وقال : "رين لديها ثيو لديها ثيو ليعتني بها.. ومع ذلك، نعم، أعدك أنني سأبذل كل جهدي لرعايتها، وسأكون بجانبها إن احتاجت لي، وكذلك كليتي ستكون في عونها، وكذلك كل لندني هنا. لا داع لتقلق بشأنها يا توم"

"شكرا لك"

ووقفا للحظات صامتين، ثم قال بوميروي "حسنا، عمت مساءا أيها المتدرب ناتسوورثي"

"عمت مساءا يا سيدي العمدة، هل أنت واثق أن...."

"لا تبالغ..." قاطعه بوميروي في ود ".. أستطيع أن أدخل فراشي دون معاونة. وأنت، لا تدع القلق يتملك منك بصدد العاصفة الخضراء أو هاروبارو أو أي شيء من هذا. لندن يمكنها دوما التعامل مع مثل تلك الأمور".

دخل بوميروي إلى مسكنه، و مضى توم في طريقه نحو كوخه - وكان ثيو قد أقام

معهم - و حين وصل إلى باب الكوخ، تناهى إلى مسامعه صوت الفتى و رين يتهامسان في الداخل، وكان صوتهما خفيضا لدرجة أنه لم يستطع التقاط أي كلمة، لكنه لم يكن في حاجة إلى ذلك، إذ كان يدرك جيدا ما يتهامسان به... لا بد أنهما يقولان لبعضهما م اكان هو وهيستير يتناجيان به في أيامهما الخوالي، ويرددان ذات الكلمات التي لطالما سكبها العشاق على مسامع بعضهما البعض، متخيلين أنهما أول من فاه بها. ولم يشأ توم أن يقطع عليهما تلك اللحظات، فآب عائدا إلى حيث الهواء الطلق، و كانت السماء لا تزال ملطخة ببقايا الوهج الأحمر في الغرب، ومضى عبر تلال الصدأ والخردة، ببطء كي لا يجهد قلبه، يفكر : يتوجب علي أن أفعل شيئاً... حتى الآن لم أقدم سوى أقل القليل للندن الجديدة، بل في الواقع لم أجلب للقوم هنا سوى المتاعب، والآن علي أن أفعل شيء حيال ما يجري، إنها مسئوليتي بشكل أو بآخر.. ولكن، كيف لي أن أوقف ذلك ال" أودين"؟!.. أنا ا حتى لا أعرف من أي مكان تتحكم العاصفة الخضراء في هذا السلاح؟... ولكن، ربما لا أستطيع إيقاف استخدام أودين، لكنني ربما يتسنى لي منعهم من استخدامه ضد لندن!. الجنرال ناجا رجل جيد، وقد حدثتني رين كثيرا عن الطريقة التي عاملها بها على متن "السحابة التاسعة"، وكيف كان عادلا ومتحضرا. ربما هو يستخدم ذلك السلاح المرعب الآن بدافع من الخوف واليأس، و ربما هو من نوعية الرجال الذين يمكن التفاهم معهم بالعقل والمنطق؛ فلو أن واحد من سكان لندن ذهب إليه وشرح له وضع لندن الجديدة وأنها لا تشكل أي خطر على أرضه، ربما حينها يتفهم الأمر ويدع المدينة في سلام.

وكان توم يرتجف بشدة لدرجة أنه اضطر للجلوس بين ركام الحطام، وكان لا يزال يفكر ويقلب الأمر في ذهنه : ترى، أيمكن ذلك؟.. ولم لا؟، فمنطاد الجيني هانيفر موجود وبه ما يكفي من الوقود اللازم للارتحال إلى باتمونخ جومبا.

ثم إنه تذكر ما أخبره به ثيو عن إنقاذ هيستير للسيدة ناجا، أتراها لا زالت في شان جو حتى الآن؟، لو أنها - هيستير - هناك فربما أمكنها مساعدته في إقناع الجنرال بالإنصات إليه.

ومضت برهة من الوقت، ثم نهض توم وعاد أدراجه إلى "كراوتش إند"، وكان قد سار لمسافة أبعد مما ظن. وحين دخل إلى كوخه وجد رين و ثيو جالسان في انتظاره وقد راحا في النوم، فمر من جوارهما بهدوء إلى حيث حقيبته، فأخرج قلما وأوراق،

وجلس يكتب رسالة لابنته، ثم طواها ووضعها بجوارها، ووقف لهنيهة يتأمل وجهها النائم، وحركة أصابعها الطفيفة، ويستمع إلى صوت تنفسها المنتظم، مثلما اعتاد أن يفعل حين كانت طفلة رضيعة.

ثم إنه انحنى وطبع قبلة على جبين ابنته، فابتسمت وهي نائمة و دنت أكثر من ثيو.

"نوما هانئا يا صغيرتي رين" همس توم، ثم حمل حقيبته و سار بخفة إلى باب الكوخ، وخرج و أغلقه ورائه بحرص، ثم مضى خارج "كراوتش إند" متوجها نحو "هولواي" إلى حيث الموضع الذي يرسو فيه " جيني هانيفر".

وفي السهول الواقعة غرب لندن، وقف فولف كوبولد في نقطة المراقبة المفضلة له، أعلى المحور المدرع لهاروبارو. كانت الضاحية الحصّادة ساكنة، مدفونة في تل من الصخور الطينية، لا يظهر منها سوى فوهات البنادق المموهة وأبراج المراقبة؛ وكانت ترتحل خلال الليل فقط منذ انفصلت عن مورناو، فعلى الرغم من إنهيار جيوش العاصفة الخضراء، إلا أن تلك الأرض التي يسافر عبرها كانت لا تزال أرضا للعدو. ولم يكن فولف راغبا في الانشغال في معارك جانبية سخيفة تعطله عن المضي قدما في رحلته صوب لندن.

أما الليلة، و بينما الضاحية تستعد للتحرك من جديد، حدث أمر مختلف اعترض الرحلة بالفعل...

وقف فولف على نقطة المراقبة وقد وضع نظارته الميدانية على عينيه وراح يحصي الحرائق الضخمة المستعرة في الغرب... سبعة... تسعة... اثني عشر...... وقد كان صغير السن بحيث لم يحضر كارثة الميدوسا، لكنه بالطبع سمع بها، ولهذا فقد كان هذا أول ما خطر بباله وهو يرى كل هذا الدمار المروع. وقد أبلغه رجاله الموثوقين بأنه تم رصد ما يشبه نصلا حادا من الضوء يشق كبد السماء ويسقط إلى الأرض مسببا تلك العواصف النارية.

ومن موضعه وقف يتطلع نحو السماء محدقا في النجوم، لكن لم يكن ثمة شيء غير عادي هناك الآن.

ومن فتحة قريبة خرج إليه " هوسدورفر"...

“حسنا؟” سأله فولف

“لقد تحدثت إلى جنود المراسلة...” قال ” هوسدورفر”، “.. لقد حاولوا الإتصال بـ” مانشستر” و ” فينترتور” و ” كوبلينز”، لكن دون جدوى. أما ” دورتموند” فقد تلقوا منها إشارة استغاثة، ثم انقطع الإرسال بعدها ولم يعد”

فنظر فولف نحو الأفق المشتعل، ثم قال : “وماذا عن مورناو؟”

“لا أعلم على وجه اليقين. هناك شيء ما يتداخل مع كافة ترددات الراديو الآن. ولكن.. يبدو أن الطحلبيين تمكنوا من التوصل إلى سلاح جديد”. ثم إنه وقف صامتا في انتظار الأوامر، لكن فولف ظل صامتا هو الآخر، فسأله الرجل بعد هنيهة : “أتريدنا أن نعود أدراجنا أم ماذا؟”

“نعود أدراجنا؟!” هتف فولف وقد بدت الفكرة مفاجئة له، ووقف يفكر لبرهة، ثم هز رأسه وقال : “أتعرف ما هي الكائنات التي تمكنت من النجاة من حرب الستين دقيقة يا ” هوسدورفر”؟... الجرذان والصراصير. نعم، لقد قرأت ذلك في إحدى كتب التاريخ، الفئران والصراصير. فلتحترق المدن القديمة وليبدأ زمن ” هاروبارو” من الآن فصاعدا... لقد حان وقت المدن الزاحفة. اذهب ومُرهم بتشغيل المحركات. سوف نتوجه مباشرة إلى لندن”

***

الجزء الرابع

40. ماذا فعلوا بالسماء

من داخل المقر الجديد للجنرال " زاو" رأت هيستير ومرافقيها النيران إذ تندلع من السماء صوب المدن التي كانت تتقدم نحو " فوروارد كوماند"، لتحيلها، الواحدة تلو الأخرى، إلى كتلة من الوقود المحترق والغاز المتأجج. وبرغم أن جريك كان معهم إلا أنه لم ير شيئا من هذا، فقد تسببت الطاقة المنبعثة من ذلك السلاح الغامض في تعطيل شيء ما في دماغه مما أدى إلى إطفاء عينيه وجعل جسده المدرع يرتجف دون أن يتمكن من السيطرة عليه. أما المطاردون الأقل كفاءة منه، أو هؤلاء الذين لم يكن بجانبهم أوينون زيرو لإصلاحهم، فقد كانت حالتهم أكثر سوءا؛ وعند الفجر فوجئ جنود " فوروارد كوماند" بمطارديهم القتاليين وقد تداعوا فوق أرضية الخنادق. إلا أن ذلك لم يعد يشكل فارقا لدى العاصفة الخضراء الآن، فقد دُمِرَت المدن المتحركة وضواحيها ومناطيدها الحربية المنتشرة عبر السهول الغربية عن بكرة أبيها، ولم يعد ثمة شيء في الأفق سوى الدخان.

"ما الذي فعلوه بالسماء؟" تساءلت هيستير بدهشة وهي تتطلع نحو الخارج من النافذة. وكانت لا تزال تشعر بالوهن والإعياء من أثر الجرح في رأسها، وقد حسبت في البداية أن ذلك الضباب الأبيض المعلق في الهواء ليس سوى نتاج خلل ما في قدرتها على الإبصار أو في دماغها، لكنها ما إن نظرت إلى بيني رويال و أوينون و رأت أمارات الرعب المرتسمة على وجهيهما، حتى أدركت أن الأمر حقيقي وأنهما يريا ما تراه.

و ارتفعت الشمس عبر السماء، لكنها بدت وردية اللون ومتقلصة على نحو عجيب، وكانت رقائق صغيرة تتساقط كالثلج في كل مكان...

"ثلوج؟!" هتف بيني رويال متعجبا "في الصيف؟!"

"بل رماد" قالها جريك، على الرغم من عماه "السماء مفعمة بالرماد"

في غضون ذلك، استغلت الجنرال " زاو" فرصة تلك الأحداث التي أدت لتوقف القتال، ووجهت رجالها لإصلاح منطاد " فيوري" بأسرع وقت ممكن.

"لا يمكننا الاتصال بشان جو" قالتها زاو لضيوفها ،"يبدو أن ذلك السلاح تسبب في تشويش موجات الإرسال، لهذا سوف أعيدك إلى الجنرال ناجا ومعك رسالة إليه. عليه أن يصدر تعليماته لنا، هل نتقدم لاستعادة الأراضي التي استولوا عليها منا؟ أم ننتظر في أماكننا لحين استسلامهم ؟"

فنظرت أوينون نحو أعمدة الدخان المتصاعدة من المدن الميتة، وقالت : "لا أستطيع أن أصدق أن ناجا كان لديه مثل ذلك السلاح ولم يخبرني به، و لا أصدق كذلك أنه استخدمه.. كل تلك الأرواح التي أُزهِقَت!... إنه أمر مروع!"

"شخصيا أتفق معك.." قالت زاو "لكن دعينا لا نقول ذلك جهارا يا صاحبة السعادة، فالقوم سعداء جدا بهذا السلاح الجديد"

وكان ذلك صحيحا بالفعل، فمن كل موضع عبر " فوروارد كوماند"، ومن التحصينات والخنادق حولها كذلك، كانت الهتافات وأغاني النصر يتردد صداها عاليا، ليصل أوينون ومرافقيها الثلاثة بينما هم في طريقهم إلى حوض الإرساء حيث يقف منطاد " فيوري" في انتظارهم ؛ وقد راح جنود العاصفة يطلقون بعض من طلقات المدافع التي كانوا يدخرونها لحربهم مع المدن المتحركة، نحو السماء ابتهاجا بالنصر.

وحين انطلقت رصاصة عبر الرصيف المعدني على بعد بضعة أقدام منهم، حسبوها في البداية واحدة من طلقات الاحتفال... "وحق بوسكيت.." صاح بيني رويال ساخطا، "سوف يفقئون عين أحدهم بهذه الطريقة!"؛

ولكن حين اندفع ذلك الجندي الغاضب عبر الرصيف باتجاههم، أدركوا أن الأمر مختلف وأن تلك الرصاصة لم تكن عشوائية بل كانت تستهدف أوينون...

"ها هي الألوتية!" صاح الجندي وهو يشير إليها لرفاقه الذين هرعوا ورائه، "إنها هي، الألوتية الخائنة التي حاولت تدمير زهرة الرياح ووضع ناجا مكانها"

هنا تقدم جريك ليقف أمام أوينون يزود عنها، وقد أبرز مخالبه، فتراجع رفاق الجندي للوراء سريعا، أما الجندي الغاضب نفسه فلم يتزحزح من موضعه، وظل يصرخ : "لقد حانت ساعتك أيتها الخائنة. إنها عائدة إلينا، لقد سمعنا جميعا بالأمر.... مطارد يقتل القوم على متن برايتون. العثور على مركبة برمائية على الجبل المقدس.... لقد عادت المطارد فانج."

أخرجت هيستير مسدسها، لكن أوينون أمسكت بمعصمها قبل أن تطلق النار على الجندي الغاضب... "لا، دعيه، لا أحد يدري ما الذي مر به"

وفي تلك اللحظة كان عدد من جنود الجنرال زاو قد وصلوا إلى الرصيف وهرعوا يمسكون بالجندي وسحبوه بعيدا بينما هو لا يزال يصيح : "ناجا لا يمكنه إحراق المدن على هذا النحو. إنه صنيعها هي، النصر الذي جاءتنا به. لقد عادت المطارد فانج إلى تينجين وقتلت ذلك الجبان، فلتعودي إلى منزلك أيتها الخائنة كي تقتلك أنت أيضا!"

ابتعد رجال زاو بالجندي، فيما ظلت أوينون في مكانها ترتجف، فأخذتها هيستير من ذراعها وسحبتها سريعا نحو المنطاد وهي تقول : "لا تقلقي، لا بد أنه مجنون أو مخمور"

"لقد سمعت نفس الشائعات من أحد الفانين هنا" قال جريك "... لقد كانت فكرة عودة قائدتهم بمثابة مصدر ارتياح كبير لهم حين بدت هزيمتهم أمام المدن حتمية"

"لكن فانج قد ماتت..."، صاح بيني رويال، محاولا اتخاذ ساتر لنفسه وراء المطارد، "أليس كذلك؟... لقد قمت أنت بسحقها"

"إنها ميتة.." قالت أوينون "لا بد أنها كذلك...". ومع هذا، فقد ظلت ترتجف لمدة نصف ساعة بينما هم على متن المنطاد المتجه نحو " تينجين" .

لندن...

كان الفجر قد بدأ يرسل نوره عبر السماء مبددا ظلام الليل، أما الضباب فقد ظل كما هو في كل موضع.... ضباب في ساحة الحطام، و حول أطرافها... ضباب بين التلال شديدة الانحدار، وفوقها... حتى الأكواخ داخل "كراوتش إند" قد أحاطها الضباب. كان الضباب يغطي كل موضع في لندن، وقد تكاثف من فوقها مكونا سحابة سميكة من اللون الأبيض لدرجة أن حتى الطيور المطاردة لم يكن في استطاعتها رصد أي شيء من تحتها سوى بضعة أعمدة من قمم الحطام تبرز من بين الضباب كجزر تتناثر عبر بحر أبيض.

استيقظت رين أخيرا من أحلامها المضطربة على صوت قطرات الندى والرطوبة

المتساقطة في الخارج، وكان ثيو بجوارها نائما، بينما والدها لا يزال خارج المنزل. وعلى مضض قامت رين من رقدتها الدافئة بجوار ثيو، و مشت عبر الكوخ البارد تطل عبر الغرف...

"أبي؟.. أبي؟"

و حين عادت إلى حيث ثيو، شعرت بخرفشة ورقة تحت قدمها، فانحنت تلتقطها وتفتحها... إنها رسالة من والدها!.

كان النوم لا يزال يداعب عيني رين و يلف رأسها، لدرجة أنها احتاجت لقراءة الرسالة مرتين قبل أن تستوعبها وتصيح في وجل، ليستيقظ ثيو فزعا على صوت صياحها . وبمجرد أن فتح عينيه ناولته الرسالة دون كلمة...

[عزيزتي رين،

في الوقت الذي تقرئين فيه رسالتي هذه أكون قد غادرت لندن وأقلعت عبر السماء. آسف لتركك هكذا دون وداع، ولكن... لقد سبق وفعلتها أنت ذات يوم، حين كتبت لي ذلك الخطاب في أنكوراج، حينها بررتِ رحيلك دون وداع بأنني كنت سأحاول منعك. والآن أنا أيضا لا أريد لأي شيء أن يمنعني عما انتويت، كما أنني لم أشأ أن أراك تبكين في حزن أو غضب، بل أردت أن أتذكرك دوما كما رأيتك أمس، في أمان بجوار ثيو.

أنا متوجه إلى العاصفة الخضراء، سأحاول أن أشرح لهم أن "نيو لندن" لا تمثل تهديدا لهم على الإطلاق. لقد غير ذلك السلاح الجديد كل شيء، لكني أعتقد أن الجنرال ناجا رجل جيد، وإذا تمكنت من إقناعه بأننا نحن سكان لندن لا نختلف كثيرا عن قومه، فربما يتركنا حينها نرحل في سلام. بل ربما أستطيع كذلك إقناعه بالتوقف عن استخدام ذلك السلاح تماما. علي أن أحاول، وأتمنى أن أعود في غضون بضعة أيام كي أرى لندن الجديدة إذ تحلق وتغادر مكمنها.

ولكن... إذا مت يا رين فلتعلمي أن الأمر لن يختلف كثيرا. فالحقيقة يا ابنتي أنني على وشك الموت في كل الأحوال، لقد أخبرني الطبيب الذي ذهبت إليه في " بيريباتشيابوليس" بذلك، إنني أحتضر منذ فترة وسوف أموت قريبا في كل الأحوال سواء على يد العاصفة الخضراء أم لا.

الغريب أنني لا أكترث لذلك، لأنني أعرف جيدا أنك ستمضين في حياتك وستعيشين لتري أشياء رائعة، و يوما ما، كما أتمنى، سوف يكون لديك أطفال وسيكونوا مصدرا للقلق والفرح لك، تماما مثلما كنت أنت لي. هذا ما يعلمنا إياه التاريخ يا رين : أن الحياة تستمر، حتى وإن مات الأفراد و انهارت حضارات بأكملها، ستبقى الأشياء البسيطة وستتكرر مرارا وتكرارا مع تعاقب الأجيال. حسناً، لقد أخذت دوري في الحياة، والآن حان دورك، و سأحاول أن أعمل على أن تعيشي في عالم خال ولو من خطر واحد على الأقل...]

ولم يكن ثيو قد أنهى الخطاب بعد حين فوجئ برين وقد إرتدت معطفها واندفعت في طريقها نحو باب الكوخ، وقد سُر لكونه وجد في ذلك عذرا لعدم الاسترسال في قراءة ذلك الخطاب شديد الخصوصية، وقد شعر بالحرج من فكرة الإطلاع عليه...

"إلى أين أنت ذاهبة؟"

"إلى مستودع المناطيد بالطبع"

"لكنه قد رحل بالفعل، إنه يقول..."

"أعلم ما يقوله، لكننا لا نعلم بالضبط متى كتب تلك الرسالة، إنه مريض و ربما استغرق الأمر من وقتا أطول مما توقعه حتى يصل إلى المستودع وينطلق بالمنطاد"

ولم تكن رين تبكي، بل كان الغضب هو ما يسيطر عليها ويغمر كيانها تجاه أبيها وإخفائه ما ينتويه عنها. ثم... كيف يظن أن بإمكانه التحليق عبر كل تلك المسافة إلى شان جو بدون معاونتها له؟!.

وهكذا هرع رين وثيو إلى حيث موضع المنطاد، فقط توقفا عند منطقة المطابخ للتزود ببعض الماء، وكانت آنجي هناك تعد الإفطار، فتركت لها رين رسالة والدها وطلبت منها أن :

"أيقظي السيد بوميروي و أعطه هذا"

ثم هرعت قبل أن تتمكن الفتاة من طرح أي أسئلة.

كانت الغيوم الرمادية تغطي كل شيء، وقد بدا لرين أنها تشم رائحة رماد، كما لو

أن الدخان الكثيف المنبعث من تلك المدن الصريعة قد انتشر شرقا حتى بلغ لندن. وبينما هما يركضان كان الغيم يزداد كثافة والضباب يغطي الطريق عبر الحطام لدرجة أن الركام من حولهما قد توارى خلف ستار من الغيوم، لا يتبدى منها سوى ظلال شبحية.

"هل ما قاله أبوك حقيقي؟..." سألها ثيو بينما هما يركضان "أهو مريض لهذه الدرجة حقا؟"

"بالطبع لا!... إنه يقول ذلك فقط كي يخفف من ألمي إن هو أصابه مكروه هناك حيث ذهب. صحيح أن قلبه يؤلمه أحيانا، لكنه يتناول دواء لذلك، تلك الأقراص الخضراء"

ازداد الضباب تكاثفا، و عندما بلغا نهاية الطريق عند الطرف الشرقي من " هولواي" لم يعد بإمكانهما رؤية مسافة عشرة أقدام أمامهما. و حين خرجا من الطريق وجدا أنفسهما يسبحان في ضباب أبيض شديد الكثافة لدرجة أنهما لم يعد في مقدورهما رؤية بعضهما البعض، رغم كونهما يقفان ملتصقين متعانقي الأيدي.

وقد حسبا في البداية، وسط ذلك العماء الأبيض، أن كلا المنطادين، " جيني هانيفر" و" أركيوبتركس"، قد اختفيا، ولكن حين اصطدم ثيو بذيل الاركيوبتركس، أدركا أن المنطاد الآخر قد أقلع بالفعل.

"من هنا؟" صاح صوت عصبي

"أنا رين"

ومن بين سحب الضباب ظهرت ظلال رمادية. إنهما " ويل هالسوورث"و" جيك هنسون"، اللذان يتوليان حراسة موضع المناطيد. فسألتهما رين :

"أين أبي؟"

"لقد جاء في الصباح الباكر..." قال جيك

"في وقت مبكر جدا..." أكمل ويل "... قال إن السيد بوميروي طلب منه أن يأخذ المنطاد ويقوم برحلة استطلاعية قصيرة وأنه سيعود قريبا. أعتقد أنه يحلق الآن. لا بد أنه تأخر في العودة بسبب الضباب"

"ولماذا لم توقفاه أيها الأحمقان؟" صرخت رين

"لقد قال إن تلك أوامر من اللجنة، ولم يكن بإمكاننا المجادلة في ذلك"

"هل كان مسلحا؟" سألهما ثيو، فتبادل ويل وجيك النظرات، ثم قالا "لا، حين جاء إلى هنا لم يكن مسلحا. لكنه جعلنا نعطه واحدة من بنادق الصاعقة الخاصة بنا. قال إنه قد يحتاجها في حال واجهته إحدى الطيور المطاردة"

التفتت رين نحو ثيو بسرعة، وكادت تسقط فوقه، حيث كانت مرهقة جدا جراء ركضهما السريع على طول "هولواي"، وذلك الشعور الممض بأنها قد لا ترى والدها مرة ثانية، وقالت وهي موشكة على البكاء : "لقد رحل، رحل إلى الأبد!"

وعبر طريق "هولواي" ترددت أصداء خطوات، وأصوات، كان شخص ما يقترب نحوهم، فأمسك ثيو بذراع رين محاولا تهدئتها، فيما وقفوا ينتظرون ذلك القادم، ومن خلال ستار الضباب لاحت أضواء مصابيح كهربائية، لكنها لم تنجح في تبديد الغيوم...

"الزاجوي ؟!" قالها صوت من وراء الضباب وضوء المصباح

"أنا؟" صاح ثيو

"ارفع يديك فورا، إبتعد عن المنطاد! "

"لكني لست بجواره!"

"إنه أنا الذي يقف بجوار المنطاد" قالها " ويل هالسوورث".

"حقا ؟" قالها الصوت، بينما صاحبه يخرج من الضباب إليهم... إنه جاراموند، وكان يحمل المسدس الذي كان قد أخذه من فولف كوبولد، ".. وأين رين؟"

"هنا.." قالت رين "ما الأمر؟"

"لقد أمسكنا بكِ في الوقت المناسب إذن" قالها جاراموند

"في الوقت المناسب لأي شيء؟!"

ومن وراء الرجل ظهرت أشكال أخرى، و هرعوا يحيطون برين و ثيو وسط

الضباب، حتى بدوا كدائرة من الصخور، لكن رين استطاعت تمييز بعض منهم، من بينهم " رون هودج" و "كات لوبريني".

"لقد جاءا لسرقة الأركيوبتركس!" صاح جاراموند بصوت جهوري تلوح فيه لهجة الإنتصار، "أولا أقلع ناتسوورثي بمنطاده شرقا، والآن تأتي إبنته وفتاها الذي ينتمي للعاصفة الخضراء ليأخذا المنطاد الآخر. لقد خططوا لتركنا دون أن يتركوا لنا سبيلا للفرار حين تهاجمنا جيوش المطاردين"

"ما الذي تتحدث عنه أيها الأحمق؟..." صرخت رين في الرجل "... لقد ذهب أبي كي يحاول التحدث إلى الجنرال ناجا و...."

"بالضبط، لخيانتنا وبيعنا لسادته الذين دفعوا له في العاصفة الخضراء. نعم، لقد قرءنا الخطاب، لقد قمتم بالإعداد للأمر جيدا... صديقك الأفريقي يأتي في اللحظة التي تهاجمنا فيها الطيور المطاردة، فيتصدى لها، ومن ثم يبدو لنا وكأنه أنقذنا منها وبالتالي يتمكن من كسب ثقتنا!. حسنا يا رين ناتسوورثي، سأخبرك بشيء، أنا لا أثق به ولا بك ولا بأبيك الخائن"

ولم تدر رين بنفسها إلا وهي توجه للرجل لكمة قوية في أنفه، ليرتد عبر الضباب وهو يصرخ متأوها "اه، أنفي، أنفي!"

واندفع ثيو يتشبث برين وهي تندفع نحو الرجل ليمنعها من ضربه ثانية، رغم أنه اختفى عن ناظريها وراء الضباب، وقد راحت تصرخ في الرجل باكية : "ما الذي فعلته؟ أقرأت الرسالة؟ إنها رسالة خاصة من أبي، لقد قلت لآنجي أن تسلمها للسيد بوميروي وليس لأي شخص آخر"

"رين" صاحت كات وهي تهرع لمعاونة ثيو على الإمساك بها، "رين.. رين..."

"جاراموند هو الخائن الحقيقي..." ظلت رين تصرخ "... حين يعرف السيد بوميروي بمحاولتك القبض على ثيو سوف..."

"رين...!"

"ماذا ؟!"

"السيد بوميروي مات" صاحت كات

"ماذا؟!"

"لقد وجدته آنجي ميتا حين توجهت إلى كوخه لتسلمه رسالة والدك. لا بد أن كل ما جرى يوم أمس كان أكبر من قدرته على التحمل. لقد مات ليلة أمس وهو نائم"

ثم خرج جاراموند من بين الضباب من جديد، وقد وضع إحدى يديه على أنفه التي كانت الدماء تسيل منها على ذقنه، وصاح "اقبضوا عليهما!... كبلوا أيديهما واسحبوهما إلى "كراوتش إند". اللجنة سوف تتخذ قرارها بصددهما".

***

41. باتمونخ جومبا من جديد

انطلق الجيني هانيفر شرقا عبر السماء المسممة، نحو سلسلة الجبال التي تحد الحدود الشرقية لشان جو. وبينما المنطاد يقترب من المدينة المحصنة، فتح توم موجة الراديو العامة و راح يحاول من جديد إرسال الرسالة التي أخذ يبعثها منذ غادر لندن، والتي يؤكد فيها أنه يأتي بشكل سلمي. لكنه لم يتلق ردا هذه المرة أيضا، فشرع يحاول إعادة ضبط ترددات الراديو من جديد، دون جدوى... كان ثمة شيء ما يتقاطع مع موجات الراديو، وقد راح الجهاز يصدر أصوات قعقعة و أصداء متداخلة، يتخللها صوت ضعيف جدا يتحدث بلغة شان جو، وقد بدا من الصوت أنه يتحدث بسرعة و ذعر.

كانت لا تزال أمام توم عشرة أميال نحو الجبال، و استعاد في ذاكرته ذلك اليوم حين عبر تلك السماوات من قبل برفقة هيستير، من باتمونخ جومبا إلى لندن في محاولة لإيقاف استخدام سلاح قديم أيضا، لكنه لم يشأ الاسترسال في تلك الذكرى كي لا يتذكر كيف انتهت تلك الرحلة وما آل إليه مصير وطنه حينها. ومع ذلك لم يستطع أن يمنع نفسه من التفكير في الأمر، وبدأت الشكوك تنهشه بصدد جدوى هذه الرحلة أيضا... لقد فشل في الماضي في منع استخدام الميدوسا، وقد يفشل اليوم أيضا في مسعاه. لقد بدت له خطته بشأن التحدث إلى ناجا واعدة جدا ليلة أمس، أما الآن بدأ يراها خطة جنونية خرقاء... ما كان له أبدا أن يقدم على المجيء إلى هنا، بل كان ينبغي عليه أن يبقى بجوار ابنته رين.

وبينما هو يضبط إحداثيات المنطاد، فوجئ توم بثلاثة أشكال داكنة ذات رءوس مدببة تنتظره في السماء، وشعر بقلبه يتقافز بين ضلوعه وينبض بعنف، وقد عاودته ذكرى هجوم الطيور المطاردة يوم أمس في لندن، ومن قبله ذلك الهجوم القديم الذي تعرض له ذات يوم في " روجز رووست". وبسرعة تناول بندقية الصاعقة التي أخذها من "جيك هنسون"، من على مقعد مساعد الملاح بجواره وراح يعد نفسه للحظة هجوم تلك الكائنات عليه.

لكن الطيور ظلت في موقعها، وأدرك توم بعد لحظات أنها لن تهاجمه وإنما هي ترصده فقط. ربما هم موجودون في السماء ويرونه منذ أن ارتفع من بين الضباب

فوق لندن، و بالطبع لم يكن باستطاعته أن يراهم هو وسط ذلك الضباب الكثيف.

وأخيرا، جاءه الصوت الذي كان ينتظره من جهاز الراديو، صوت صارم يتحدث بلغة شان جو. و حين نظر توم شرقا رأى أغلفة المناطيد البيضاء المميزة للعاصفة الخضراء تلمع في السماء القاتمة؛ وبدأ الصوت الصادر من الراديو يترجم التوجيهات إلى اللغة الإنجليزية : "اطفئ المحركات، و استعد للهبوط . نحن العاصفة الخضراء."

وبسرعة أخفى توم بندقية الصاعقة داخل غلاف المنطاد قبل أن يأتي الجنود.

كان الجنود صارمين غير ودودين على الإطلاق، ككل جنود العاصفة الخضراء الذين يتذكرهم من مغامرته في روجز رووست، لكنهم هذه المرة لم يكونوا بالصلف والعجرفة التي كانوا عليها قديما، بل بدوا خائفين نوعا.

"كيف عرفت أن الجنرال ناجا في باتمونخ جومبا ؟" سأله الجنود بغضب وترقب حين حاول توم أن يشرح لهم سبب مجيئه إلى مدينتهم.

"لا أعرف، أهو هنا؟ كنت أحسبه في تينجين، إنها العاصمة، أليس كذلك؟.. لقد افترضت أنكم يمكنكم أن تأخذوني من باتمونخ جومبا إلى تينجين"

"لقد انتهى أمر تينجين" قالتها قائدة الدورية وهي تتحرك بعصبية على سطح الجيني هانيفر.

"انتهى أمرها؟ ماذا تعنين؟"

لكن الضابطة الشابة لم تجبه، بل قالت "لقد كانت مركبة "آنا فانج" تدعى جيني هانيفر. لقد رأيت فيلما عن حياتها أثناء فترة تدريبي"

"إنه المنطاد ذاته.." قالها توم "لقد كانت آنا صديقة لي، وقد ورثت عنها الجيني هانيفر حين.. حين..."

"صمتا!" صاحت الضابطة بلغة شان جو لإسكات رجالها الذين راحوا يتهامسون - وكان يبدو من ملامحهم أنهم جاءوا من بلدان شتى - وقد انشغلوا بترجمة ما يقوله توم لبعضهم البعض.

ثم إن القائدة صاحت بالمزيد من الأوامر، فتقدم اثنان منهم وأمسكوا بتوم وقاموا

بتقييد يديه.

"سوف تأتي معنا إلى باتمونخ جومبا" قالت الضابطة

"لا أريد سوى فرصة فقط للتحدث إلى الجنرال ناجا.." قالت توم "لدي شيء هام لأقوله له"

"عن السلاح الجديد؟"

"في الواقع، نعم، جزئيا... على ما أحسب..."

وتردد المزيد من الهمس، والمزيد من الأوامر، ولم يكن أي مما قيل بلغة يفهمها توم. ثم عاد بعض الرجال إلى مركبتهم عبر جسر الصعود الجوي الممتد بين المنطادين ثم سحبوه، أما الضابطة فقد تولت قيادة الجيني هانيفر نحو باتمونخ جومبا، و راح توم يتطلع من وراء كتفها عبر النوافذ الأمامية إلى السماء، وتذكر حين جاء إلى هنا لأول مرة برفقة آنا و هيستير.

كانت جدران المدينة كما هي داكنة مدرعة بألواح طبقات المدن المتحركة الميتة والأقراص المعدنية الضخمة الشبيهة بدروع المحاربين القدامى. ولكن على القمة، حيث اللافتات والأعلام الطويلة التي تحمل شعار العاصفة الخضراء ترفرف تحت أشعة الشمس، انتصب تمثال ضخم لآنا فانج يشير نحو الغرب موجها سكان الجبال لمحاربة المدن المتحركة. وقد لاحظ توم، بينما المنطاد يمر قبالة التمثال، أنه أجمل بكثير من "آنا فانج" الحقيقية، وأن الكثير أيضا من فضلات الطيور قد تساقطت على وجهها.

كانوا الآن فوق الجدران، ثم بدءوا يهبطون عبر المدينة عند الجانب الشرقي منها، حيث شوارعها المتدرجة الجميلة ومنازلها الشبيهة بأعشاش السنونو، تماما مثلما كان توم يتذكرها، باستثناء أحواض الإرساء التي تم بناؤها في الطبقات السفلية، و المئات من الثكنات الخرسانية التي لم يرها توم في زيارته السابقة، والتي كانت تغطي أرضية الوادي في الطرف الغربي للبحيرة.

حلق الجيني هانيفر فوق الثكنات، وعلى قمة مسطحة أحيطت بما بدا وكأنه معسكر من الخيام، رأى توم دير قديم للراهبات يقف هناك، بينما الأعلام في كل مكان،

تتخللها صورة عملاقة للجنرال ناجا، وعند السفح، حيث حط منطاد الجيني هانيفر، كان شخص ما قد قام بكتابة جملة بحروف صينية كبيرة بالكلس الأبيض، وتحتها كتب بحروف إنجليزية : لقد نَهَضَت.

"ما الذي يعنيه هذا؟" تساءل توم

"لا يعني شيئاً" قالتها الضابطة بغلظة ،"إنها مجرد أكاذيب يطلقها مناهضو ناجا". كانت الضابطة امرأة شابة متجهمة، وقد بدت في حالة مزاجية غير مواتية لأي نقاش، لكنها على الأقل سمحت لتوم بالاحتفاظ بدواء القلب الخاص به حين قام رجالها بأخذه من المنطاد عبر رصيف الإرساء إلى إحدى المباني الصغيرة خلف الرصيف، حيث ألقوا به إلى غرفة خرسانية صغيرة.

وبمجرد أن أغلق عليه باب الزنزانة المعدني، بدأت المخاوف تتزاحم في صدره... ما الذي أتى به إلى هنا؟!... ماذا تفعل رين الآن في لندن وكيف استقبلت رسالته؟... ما الذي كانت تعنيه تلك الضابطة حين قالت أن تينجين انتهى أمرها؟، أم تراه لم يسمعها جيدا؟ أو ربما أساءت التعبير؟...

كان المكان شديد السكون، ولم يتناه إلى مسامعه أية أصوات من خارج الزنزانة، وهو أمر غريب في حد ذاته، فالأصوات الصاخبة كانت أحد الأشياء التي احتفظت بها ذاكرته من باتمونخ جومبا، حيث أصوات محركات بالونات الأجرة وصياح الباعة الجائلين، والموسيقى المصطخبة في المقاهي المفتوحة والحانات.

ثم إنه وقف فوق الفراش في ركن زنزانته وراح يتطلع عبر النافذة الصغيرة ذات القضبان. كانت المدينة تمتد بعيدا، حيث السلالم والمنازل، ولكن كان كل شيء ساكنا تماما، دون أي حركة من أي نوع، باستثناء رفرفة الأعلام. حتى مداخن البيوت كانت خامدة لا يتصاعد منها دخان. وعبر الميناء لم ير توم أي مناطيد هناك، أما الشوارع فكانت خاوية على عروشها، باستثناء بضعة أشخاص يهرعون هنا وهناك عبر الطرق المنحدرة... كان الأمر يبدو كما لو أن المدينة قد باتت مهجورة، بينما قام من تبقوا فيها بنصب خيامهم فوق الصخرة العالية... يا له من لغز!.

وبعد لحظات تناهى إلى مسامع توم وقع خطوات وصدى أحاديث قادمة من وراء الباب، فأجفل وقفز من فوق السرير. لقد توقع أن يضطر للانتظار لأيام إلى أن يأتيه

أحد للتحدث معه، لكن الباب انفتح ودخل عدد من الجنود المسلحين يرتدون أزياء بيضاء، و راحوا يتخذون مواضعهم على جانبي الباب مصوبين أسلحتهم نحو توم. ثم دخل رجل طويل أصفر البشرة مغطى بالدروع، وقد اضطر للانحناء كي يعبر من المدخل المنخفض للزنزانة، وعرف توم أنه الجنرال ناجا.

وفي داخله شعر توم بمزيج من الارتياح والدهشة، ارتياح لكونهم اهتموا بطلبه لقاء الجنرال، و دهشة من تلبيته بتلك السرعة، لدرجة أن شيء من الذعر انتابه كذلك، خاصة وأنه لم يكن قد رتب بعد ما سوف يقوله لذلك المحارب العتيد الذي يبدو شرس المظهر.

وقف الجنرال ناجا يتأمل توم من أعلى رأسه وحتى أخمص قدميه، مضيقا عينيه الضيقتين أصلا، وراح يتطلع إلى ثيابه المتسخة من أثر السفر، وشعره الأشعث. وكانت دروع الرجل تبدو منبعجة ومتشظية في أكثر من موضع، وحين تحرك أخذت المحركات الميكانيكية داخلها تصدر أصوات أزيز وطقطقة عالية، وعلى وجهه كان هناك جرح تم تضميده حديثا.

"أأنت مبعوث الهمجيين؟" قالها الجنرال، فأُخِذ توم وتراجع للوراء خطوة، ولم يفهم ما الذي يتحدث عنه الرجل، "... لقد جئت على متن المنطاد القديم لزهرة الرياح وادعيت أن لديك ما تقوله بصدد ذلك السلاح... لكنك تبدو كواحد من الملاحين الجوالين في السماء. إنك حتى لا ترتدي زيا رسميا. هل بات تحالف المدن المتحركة واثقا من النصر لدرجة أنهم يتوقعون مني الاستسلام لمهرج مثلك؟"

"استسلام؟ لكن السلاح الجديد..."

"نعم، نعم،..." صاح ناجا "السلاح الجديد!، لقد دمرتم تينجين، وكذلك باتمونخ تساكا... لقد كدتم تدمرونني أنا نفسي!"

شعر توم وكأن الخرائط التي وجهته إلى هنا قد انقلبت رأسا على عقب وأوصلته إلى موضع آخر غير وجهته... يا له من كابوس شنيع هذا الذي يحياه الآن!.. لو أن ناجا ليس هو المتحكم في ذلك السلاح "أودين"، فمن إذن ؟، المدن المتحركة؟، لكنها قد احترقت به في الغرب الليلة الماضية، أولم تر العاصفة الخضراء تلك المدن إذ تتفحم؟ أولم تصلهم الأخبار؟...

ثم إنه أغلق عينيه وراح يتنفس بعمق للحظات، إن الأمر أكبر من قدرته على التحمل... ومع ذلك فلا زال بإمكانه القيام بما جاء من أجله.

وهكذا، فتح توم عينيه من جديد، وقال : "ليس لي صلة بتحالف المدن المتحركة. لقد جئت من لندن"

"لندن ؟"

"جئت أطلب منك.... أتوسل إليك... الناجون هناك... أعرف أنك تدري بأمرهم... إنهم يقومون ببناء شيء... منذ سنوات... إنهم يبنون مدينة جديدة... مدينة حوامة لن تضر بالأرض ولا ترغب في التهام أي من مدنك الثابتة. لقد جئت إلى هنا لأخبرك أننا ليس لدينا أي نية للإضرار بكم، لسنا في عداء مع العاصفة الخضراء. فقط ابعدوا عنا طيوركم المطاردة و دعونا نرحل عن منطقة الأنقاض في سلام..."

"مدينة حوامة؟" قالها ناجا مقطبا جبينه.

"تحلق بتقنية الرفع المغناطيسي" قال توم" إنها تطفو نوعا ما" ثم رفع يده محاولاً توضيح الأمر، ثم تذكر شيئاً كانت لافينيا تشيلدرماس قد قالته ذات يوم، فقال "إنها ليست مدينة بالمعنى المفهوم، بل هي أقرب ماتكون لمركبة طائرة ضخمة تطير على ارتفاع منخفض... ابنتي هناك..."

التفت ناجا إلى واحد من ضباطه وصاح بشيء ما بلغة شان جو، ولم يفهم توم ما قيل لكنه استطاع تمييز نغمة الكلام وتخمين فحواه : "هل هذا الرجل مجنون؟ لماذا تضيعون وقتي في لقاء هكذا أشخاص؟"

ودون أن يلتفت نحو توم استدار الجنرال وخرج من الزنزانة، وتبعه حرسه.

"أرجوك!" صرخ توم "زوجتك سوف تضمنني لديك، أهي هنا؟ هل مرافقيها هنا؟"، وهنا خطر له فجأة أنه إذا كان قد تم تدمير تينجين فربما تكون هيستير قد ماتت بها. "... رجاءا، أنا صديق ثيو نجوني وهيستير..."

"زوجتي؟.." قالها الجنرال والتفت نحو توم من جديد، ثم "إنها في طريقها إلى هنا، وسوف أخبرها بأمرك عند عودتها بكل تأكيد" لكنه قال جملته الأخيرة تلك بطريقة بدت لتوم وكأنها تهديد وليس وعد. ثم انغلق الباب، وعاد توم وحيدا من

جديد في تلك الزنزانة الضيقة.

وفي الخارج، وقف الجنرال ناجا يفكر، وتجمع رجاله من حوله وراحوا ينظرون بخوف نحو الضباب فوق مرتفعات باتمونخ جومبا. وكان ناجا يعرف ما يفكرون فيه... لا بد أن المدن الهمجية، وبعد تدميرها لتينجين، سوف تقوم بتوجيه سلاحها الشيطاني هذا نحو الجبال الحصينة لفتح الطريق أمامهم كي يعبروا إلى أراضي العاصفة الخضراء. الغريب في الأمر أنهم حين جاءوا إلى هنا عند الفجر على متن المناطيد القليلة التي تمكن من إنقاذها من دمار تينجين، وجدوا المكان كما هو لم يمسسه سوء، على الرغم من أن السكان ونصف الحامية قد فروا إلى التلال... ما الذي تنتظره المدن المتحركة؟. لقد وصلته تقارير تفيد بأن المدن المتحركة قد دُمِّرَت الليلة الماضية، لكنه استبعد تلك التقارير ولم يصدقها البتة، واعتبرها إما تقارير خاطئة أو مجرد أكاذيب أشاعها العدو لإرباك العاصفة الخضراء.

والآن، ما الذي يعنيه ظهور هذا الرجل المجنون ناتسوورثي؟ قادما على متن المنطاد القديم لزهرة الرياح؟...

"لندن" دمدم ناجا "... المسكين "جو" كان قد أخبرني شيئاً بصدد لندن"

فقال أحد ضباطه، وهو كابتن من حامية باتمونخ جومبا : "بالفعل يا صاحب السعادة، لقد رصدنا نشاطا متزايدا بين قاطني الأنقاض، لقد كنا نراقبهم بواسطة الطيور المطاردة"

"هل لديك سجلات بما رصدتموه؟"

"نعم، يوجد ملف في مكتب الاستخبارات بشارع " ثاوزند ستير""

"فلتأتني به سريعا"

أدى الكابتن التحية الرسمية للجنرال ثم انطلق مسرعا، بوجه مكفهر من الخوف وكان يتوقع أن تمطر السماء نارا فوق باتمونخ جومبا بين لحظة وأخرى. فيما بقي ناجا في موضعه يراقب الفتى إذ يبتعد، ثم راح يفكر في أوينون بأسى، لكنه سرعان ما طردها من رأسه وحول تفكيره من جديد إلى لندن.

"لندن..."، وتذكر تلك الليلة التي أعقبت وفاة زهرة الرياح، وكيف وقف فوق قمة

جدران الحصن، و دخان الحريق الذي اندلع في الأسطول الجوي الشمالي يتصاعد نحو السماء، بينما أضواء لندن تتلألأ من بعيد.

و الآن، كانت فكرة واحدة فقط يتردد صداها في عقل الجنرال نجا :

يبدو أن كل مشاكل العالم تأتي من لندن.

***

42. طبول الجنازة

في عصر ذلك اليوم، وكان الضباب قد تراجع وتمكنت أشعة الشمس من اختراقه إلى حيث تلال الحطام، خرج أهل لندن، حاسرو الرأس، يرتدون شرائط الحداد السوداء حول أكمامهم، كي يدفنوا عمدتهم. وقد حمل ثمانية من أعضاء " لجنة الإنقاذ" نعش المؤرخ العجوز، و ساروا به عبر طريق متعرج قلما يتم استخدامه بين تلال الصدأ، يتبعهم باقي أهل لندن، يتقدمهم " تيميكس جراوت" وقد راح يضرب بإيقاع جنائزي منتظم فوق طبلة مصنوعة من صفيحة زيت قديمة.. بوم.. بوم.. بوم.

وتردد صدى قرع طبول الجنازة بين أرجاء حطام لندن، وحملته الرياح إلى حيث السهول من ورائها، وحتى عنان السماء الملطخة، حيث كان عدد من الطيور المطاردة يحلق في الأعلى، بينما بنادق الصاعقة التي تم شحنها تترصدهم في نقاط المراقبة بين حطام المدينة الحزينة.

و في "بوتني فيل "، وهي عبارة عن مساحة من اليابسة مكسوة بالطحالب والعشب تقع بين كتل الحطام، حيث نمت الأشجار الكثيفة لتظلل قبور جميع سكان لندن الآخرين الذين ماتوا منذ ليلة الميدوسا، وضع القوم جثمان عمدتهم ليوارى الثرى في مثواه الأخير، ثم أهالوا عليه التراب، وفوق قبره ثبتوا لوحة معدنية نُقِش عليها رمز عصبته : العين التي تنظر إلى الوراء عبر الزمن. ثم وقفت لافينيا تشيلدرماس تقيم صلوات الجنازة إلى كويرك، داعية خالق لندن ومؤسسها لاستقبال روح المؤرخ العجوز حين تصل إلى الأرض التي لا تشرق عليها الشمس (برغم أنها، كواحدة من عصبة المهندسين، لم تكن تؤمن بالآلهة ولا بالعالم الآخر، ومع هذا فقد تولت إقامة تلك الطقوس التي كانت تعلم جيدا مدى أهميتها، فهي قبل أي شيء كانت صديقة لبوميروي، ونائبته).

وعقب انتهاء الصلوات، تقدمت " كليتي بوتس" ووقفت تغني بصوت رفيع متردد أنشودة للإلهة " كليو".

"كان ينبغي أن يكون بيننا كي يقود "نيو لندن" إلى الخارج بعيدا عن حقول الحطام" صاح لين بيبودي في التياع، وقد اعتمل الغضب في قلبه من ظلم الحياة وغدرها.

"الآن حان الوقت لاختيار عمدة جديد" قالها السيد جاراموند.

"ستكون لافينيا العمدة الجديد" قالت كليتي بوتس، "هذا ما أراده السيد بوميروي"

"السيد بوميروي قد مات" قال جاراموند "واللجنة هي من سيقرر ذلك، وبعدها ينبغي أن نقرر ما سنفعله بصدد السجناء".

ولم يُسمَح لرين بحضور جنازة بوميروي، على الرغم من محاولات أبناء لندن الذين دافعوا عنها، لكن جاراموند، الذي تورم أنفه إلى ضعف حجمه الطبيعي وصار في لون الباذنجان، ظل ثابتا على موقفه : هي وثيو عميلان خطران للعاصفة الخضراء ويجب أن يتم احتجازهما .

وهكذا تم وضعهما في قفصين كانا قد تم العثور عليهما وسط الحطام منذ سنوات عدة، وكانا يستخدمان في الأصل كأقفاص للحيوانات في حدائق الحيوانات في " سيركل بارك". ثم تحول استخدامهما فيما بعد كأقفاص إحتجاز للقتلة والمتسللين والمجانين، وأي شخص يرى فيه جاراموند تهديدا لأمن لندن، وتم وضعهما في ركن رطب في "كراوتش إند". والحق أن قفصي الاحتجاز هذين لم يتم استخدامهما من قبل ولم يسجن أحد بهما قبل رين وثيو، وقد بدا جاراموند سعيدا مزهوا بنفسه بينما جنوده يدفعون بالفتى والفتاة إليهما - وهم يعتذرون لهما - إلى داخل القفصين ويغلقون الأبواب الحديدية عليهما.

وهناك في الظلال، على الحاشية التي وضعوها لها في قفصها، جلست رين تتلو صلواتها لروح تشادلي بوميروي، بينما قرع طبول الجنازة يتردد صداه عبر الحطام كوقع دقات القلب.

"والآن ماذا؟" سألها ثيو وهو يتطلع إليها من بين قضبان قفصه، فنظرت نحوه، وكان قفصه على مسافة منها بحيث يمكن لكل منهما بالكاد أن يلمس أطراف أصابع الآخر إن مدا ذراعهما على أقصى امتداد، "... ماذا سيحدث لنا الآن ؟"

ولم تكن رين تملك إجابة. إنه لأمر مؤلم لها أن يتم اتهامها وسجنها على هذا النحو، لكنها لم تكن خائفة، وقد بدا لها أنه من الحمق أن تخشى ذلك السخيف العجوز جاراموند، كذلك كان من الصعب عليها ان تشعر بخوف من أصدقائها اللندنيين الودودين، وفي داخلها كانت على يقين بأنه إن عاجلا أو آجلا سوف يتم تسوية الأمر

وإخراجهما من تلك الأقفاص. لكن هذا لم يكن يشغل بالها في الوقت الحالي، وإنما كان كل ما يشغلها الآن هو حزنها على السيد بوميروي وقلقها على والدها.

وراح رين وثيو يمضيان الوقت في النوم أحيانا، والتحدث أحيانا، فيما كانت رين تعبث في القش المتناثر على أرضية قفصها. ومضت الساعات، و حل المساء، و دق جرس العشاء يستدعي الجميع إلى منطقة الطعام المشتركة، وجاءت آنجي بيبودي حاملة الطعام والماء لهما، وراحت تمرر الأوعية الصفيح عبر القضبان متحاشية الالتقاء بعيني رين.

"آنجي ؟.." قالت رين "أنت لا تصدقين ما يقوله جاراموند عنا، أليس كذلك؟ أنت تعلمين أنني لست بجاسوسة"

"أنا لم أعد أعرف أي شيء.." ردت الفتاة بجفاء، "منذ جئتم إلى هنا ونحن لا نصادف سوى المتاعب... بالأمس تهاجمنا الطيور المطاردة بضراوة، وفي ذات التوقيت يظهر صديقك هذا... لقد أصيب "ساب" بشدة ولا نعرف إن كان سيبصر ثانية أم لا، وستبقى الندوب في وجهه إلى الأبد، أما أنت فلم تبالي بأي من هذا كله، بل رحت تتسكعين برفقة حبيبك هذا أو أيا ما كان... هذا لا يبدو أمرا جيدا، أليس كذلك؟"

شعرت رين وكأن الأرض تلف بها من الخزي والخجل، فالفتاة كانت على حق بالفعل، إنها لم تكترث بما جرى لساب أو الآخرين الذين أصيبوا في الهجوم، وانصرف كل تفكيرها إلى ثيو.

"أنا مخطئة في هذا بالفعل .." أقرت رين "لكن هذا لا يعني أنني جاسوسة للعاصفة الخضراء. آنجي، لقد كان جاراموند يردد قبل أسبوع واحد فقط أنني وأبي حلفاء لضاحية هاروبارو، أتذكرين ؟، أنا وأبي من أحضرنا فولف كوبولد إلى هنا"

"وكيف لنا أن نعلم أن كوبولد هو ما يدعيه حقا؟" صاحت آنجي "أنت قلت أنه فر إلى حيث تلك الهاروبارو، من يدري، ربما يكون عميلا للعاصفة الخضراء هو الآخر، وربما يكون آمنا الآن في باتمونخ جومبا أو أي معقل آخر من معاقلهم"

وهنا، حين أتت الفتاة على ذكر باتمونخ جومبا، تذكرت رين والدها، فمدت يدها عبر القضبان تحاول لمس آنجي، التي تراجعت عنها سريعا، وقالت "آنجي، عليك أن

تحرجيني من هنا! يجب أن أجد وسيلة للحاق بأبي"

فتراجعت الفتاة لخطوة أخرى وقالت وهي تبتعد : "السيد جاراموند قال أن علينا ألا نتحدث معكما"

وعادت رين لتلقي بنفسها فوق الحاشية المتيبسة، فارتطم جانبها بزنبرك حاد صدئ، ثم قالت "أنا آسفة يا ثيو.. أنت لا ذنب لك في هذا.... لو لم أكتب إليك تلك الرسالة لكنت الآن بين قومك وما كنت لتأتي إلى هنا "

"ولو لم تتحدثي إلي في عصر ذلك اليوم بجوار مسبح بيني رويال على متن "السحابة التاسعة"، لكنت قد قُتِلت أو تم أسري حين هاجمت العاصفة الخضراء برايتون.." رد ثيو ".. وما كنتِ لتقلقين بشأني على الإطلاق بعدها أبدا"

فاقتربت رين من القضبان ومدت ذراعها نحو أطراف أصابع يده تتحسسها وتتلمس قمة أظافره والجلد الخشن على جانبيها، وحتى تعريجات جلد أطراف الأصابع الشبيهة بالخطوط الدقيقة على الخرائط بطريقة برايل.

و في وقت متأخر من تلك الليلة، أيقظهم آخر شخص توقعت رين أن يأتي لزيارتهم.

"رين ؟"، أيقظها الصوت، ففتحت عينيها لتجد أمامها لافينيا تشيلدرماس تنحني قبالة قفصها، وفي يدها مصباح كهربائي لمع رأسها الأصلع في ضوءه الخافت كالقمر.

هبت رين من رقدتها، وسمعت ثيو يتحرك في القفص المجاور.

"رين، عزيزتي، هل أنت مستيقظة؟"

"نوعا ما. ما الأمر؟، هل ثمة خبر عن أبي؟"

"هو لم يعد بعد يا ابنتي"

"إذن ما الأمر؟"

"لقد صار لدينا عمدة جديد"، قالت المهندسة،".. انتخبته اللجنة هذا المساء"

"ولكن، كنت أحسب أنك نائبة السيد بوميروي، ظننت أنك ستكونين..."

“لقد رأت اللجنة أنه لن يكون من الحكمة أن يضعوا مهندسا في منصب العمدة” قالت دكتور تشيلدرماس في هدوء “لا زالوا يتذكرون نظام ماجنوس كروم. وبما أن الحرب على الأبواب فقد ارتأوا أنه سيكون من الأفضل انتخاب شخص لديه خلفية أمنية ”

“لا، أنت لا تعنين...”

“السيد جاراموند هو عمدة لندن الآن، يا رين. لقد لعب على مخاوف اللجنة لجعلها تنتخبه . يؤسفني أن أقول لك إنه أثار الكثير من الناس ضدكم، أعتقد أن معظم أبناء لندن يعتقدون الآن أنك أنت وثيو ووالدك لكم علاقة بهجوم الطيور المطاردة وموت تشادلي المسكين”

“ولكن..”

“ششش.... أعتقد أنهم سيصفحون عنك يا رين، فأنت ابنة رجل لندني رغم أي شيء، لكن جاراموند يطالب بقتل ثيو، ومما سمعته اليوم من حديث في ساحة الطعام هذا المساء أعتقد أن غالبية أعضاء اللجنة سيدعمونه في ذلك القرار. إنه يتذرع بأننا لا يمكن أن ندع شخص مناهض للتحرك يحيا بيننا ويطلع على أسرارنا”

“إنه مجنون!” صاحت رين

“ربما هو كذلك، الأكيد أنه موسوس مريض بجنون الشك، مسكين جاراموند، لم يكن عمره يتجاوز عمرك الآن حين وقع انفجار الميدوسا، وقد نجا لأنه كان حينها يقبع في أحد سجون أعماق “الأحشاء”، حيث أرسله ماجنوس كروم إلى هناك بتهمة التعاطف مع مناهضي التحرك. وفي اليوم التالي الكارثة، قاد جاراموند مجموعة من الناجين باتجاه الشرق، ظنا منه أن مناهضي التحرك الذين لطالما أعجب بهم سوف يساعدونهم، لكن جنود الجماعة ما إن التقوهم في السهول حتى أطلقوا عليهم النار وأردوهم جميعا قتلي، ولم ينج جاراموند إلا لأنه تصنع الموت واختبأ تحت جثث أصدقائه. يا له من مسكين”

“لهذا هو لا يثق البتة في أي من مناهضي التحرك” قالها ثيو

“لكن هذا ليس مبررا ليقتلهم!” صاحت رين معترضة “كذلك ليس مبررا للآخرين

كي يدعوه يفعل ما يشاء"

"أتفق معك.." قالتها المهندسة العجوز "لكن القوم مذعورون حقا.... هجوم الطيور المطاردة.. الحرب الوشيكة... السلاح الجديد، كل تلك أمور أصابتهم بالفزع. حتى احتمال مغادرة ساحة الحطام في حد ذاته كان كافيا لزعزعة استقرارهم بعد كل تلك السنوات. الخوف يظهر أسوأ ما في نفوس البشر يا رين، ولهذا فقد جئت إلى هنا لإخراجكما، وأنا واثقة من أن ثيو سيتمكن من إيجاد مأوى لكما في إحدى مستوطنات العاصفة الخضراء. لا أتخيل أن تستمر الحرب لفترة أطول من ذلك بعدما بات ذلك السلاح المداري الرهيب في يد العاصفة الخضراء، لذا سوف تكونا في أمان هناك أكثر بكثير مما لو بقيتما معنا"

ثم إنها مدت يدها إلى داخل معطفها المطاطي وأخرجت نوعاً من أدوات التقنيات القديمة، واحد من تلك الأشياء التي يحتفظ بها المهندسون في جيوبهم طوال الوقت. كانت الأداة أشبه ما يكون بفتاحة علب وتصدر طنينا كطنين ذبابة الحصان؛ وقامت المهندسة بفتح قفل قفص رين بها، ثم توجهت نحو قفص ثيو وهي تقول : "لقد أحضرت حقيبتك معي يا رين"

وبسرعة خرجت رين من قفصها، وهي تكاد لا تصدق أنهما سيتحرران أخيرا، فحملت حقيبتها وأدخلت ذراعيها من حزامي الكتف للحقيبة الثقيلة ورفعتها على ظهرها.

"دعيني أحملها عنك" قال ثيو وهو يخرج من قفصه سريعا "يمكننا أن نتناوب على حملها"

ثم قادتهما لافينيا تشيلدرماس عبر طريق خلفي صغير للخروج من "كراوتش إند"، إلى حيث فتحة في ألواح سقف الطريق عند أدنى ارتفاع له بما يلامس الأرض. وخرج ثلاثتهم أخيرا، ووقفت تشيلدرماس تراقبهما إذ يبتعدان عبر الحطام، وقد اقتربا من بعضهما البعض وتشابكت أيديهما بمجرد أن بعدت المسافة بينهما وبينها، وكأنهما يحسبان أن مهندسا عجوزا لن يحبذ أن تتلامس أيديهما.

وابتسمت لافينيا... لقد كان لديها طفلا يوما ما، لكن في ذلك الزمن كانت عصبة المهندسين تأخذ جميع الأطفال من آبائهم وتودعهم في دور الحضانة العامة، ولم

تعرف لافينيا ابنها الصغير " بيفيز" أبدا. لا بد أنه مات منذ وقت طويل... وغمرها حزن عميق؛ وقد جعلها حزنها المفاجئ هذا تتذكر طبول الجنازة و تشادلي بوميروي الذي يرقد في قبره في " بونتي فيل"؛ ولو لم تكن مهندسة منضبطة تؤمن بالمنطق، لبدا العالم في ناظريها الآن مكانا حزينا للغاية لا يحتمل العيش به.

ثم إنها انتبهت من جديد تراقب رين وثيو إذ يبتعدان إلى أن ابتلعتهما ظلال تلال الحطام، ثم هرعت عائدة عبر "كراوتش إند" ومنه إلى الطريق المؤدي إلى "الرحم"، إلى حيث عملها على متن "نيو لندن".

***

43. العودة

وصل منطاد " فيوري" إلى باتمونخ جومبا بعد وقت قصير من غروب الشمس، ثم عبر جدار الحصن في ضوء القمر الضارب إلى الحمرة. وكان المنطاد يشق طريقه نحو " تينجين" حين قابل سفينة جوية أخرى على الطريق نصحهم ملامحها بتغيير المسار : "تينجين تحترق. الهمجيين امتلكوا سلاحا جديدا يطلق رماح من النار من السماء. باتمونخ تساكا احترقت هي الأخرى، و فر الجنرال ناجا إلى حيث باتمونخ جومبا، ولكن حتى هذه المدينة الحصين لن تصمد في وجه النيران. انجوا بأنفسكم!"

"ما الذي يحدث؟" قالت هيستير متذمرة، وكانت مرهقة تماما بعد الرحلة الطويلة، وقد راحت تضغط بيدها فوق رأسها المصاب، "المدن المتحركة هي الأخرى امتلكت سلاحا فائقا؟"

"بل وسلاحا مطابقا !" قالها بيني رويال "القوى المتناحرة انتظرت لسنوات طوال كي تصل إلى سلاح مداري شديد الفتك، فحصلوا على اثنين في وقت واحد!" "ربما العاصفة الخضراء ليست هي من يتحكم في ذلك السلاح" قال جريك.

"لكنه قام بإحراق المدن المتحركة، لقد رأينا ذلك بأنفسنا، فمن عساه يفعل ذلك غير العاصفة الخضراء ؟"

"قوى ثالثة.." قال جريك "قوى تكره المدن المتحركة والعاصفة الخضراء كذلك، وتريد إحداث بلبلة"

"مثل من؟" سألته هيستير

"المطارد فانج"

"لكنها ميتة" صاح بيني رويال "أليس كذلك؟"

"ربما كانت الشائعات التي سمعناها من ذلك الجندي الفاني في " فوروارد كوماند" صحيحة، أنها عادت من جديد. ربما قام شخص ما بإعادة إحيائها."

"أتحسب أنها هي من يقف وراء هذه المصائب؟"، سألته أوينون بخوف، ومع ذلك كان ثمة أمل يلوح في صوتها المرتعش، وقد بدا أن الأمر سيكون أقل قتامة وهولا

بالنسبة لها لو عرفت أن زوجها ليس هو المسئول عما جرى.

"حين اندلعت النيران من ذلك السلاح.." قال جريك ".. تذكرت شيئا كانت المطارد فانج قد ذكرته أمامي قبل أن أقوم بإتلافها. كانت تتحدث عن شيء يدعى "أودين"، و أنه "أعظم الأسلحة التي علقها القدماء في السماء". أعتقد أنها تمكنت من تشغيله الآن مثلما كانت تخطط. وقد وجهته نحو تينجين لأن من المفترض أن يكون ناجا هناك، ثم إلى باتمونخ تساكا بغية قتلك أنت يا أوينون زيرو"

"لكن المطارد فانج ميتة!" قالها بيني رويال بإصرار

" إنه محق هذه المرة.." قالت هيستير "أنت قمت بفصل رأسها عن جسدها ثم ألقيت بأشلائها من على متن السحابة التاسعة. لا بد أن ذلك كان كافيا للإجهاز عليها تماما"

"ربما لا.." قالتها أوينون، والتي بدت مضطربة تماما منذ غادروا " فوروارد كوماند" ،"ربما لا. لقد كانت نموذج متقدم جدا من المطاردين. لقد زرع فيها دكتور بوب جوي أنظمة تجرييبية معقدة حتى أنا لم أستطع فهمها. ربما إذا قام شخص ما بجمع أجزاء جسدها وإعادة تركيبها معا، فقد..." ثم تلاشى صوتها.

"أوه، يا له من أمر رائع!" قالت هيستير

"قد أكون مخطئة. " قالتها أوينون، ثم توجهت نحو النافذة ووقفت تتطلع جنوبا إلى حيث الدخان الكثيف المصاعد من تينجين "آمل أن أكون مخطئة. يجب أن نسأل دكتور بوب جوي، بمجرد أن نهبط في باتمونخ جومبا سوف أرسل إلى دكتور بوب جوي، لا بد أنه يعرف".

كانت المدينة الواقعة خلف جدار الحصن يلفها الصمت، وعبر الطرق كانت بضع عشرات من المصابيح تنير شوارعها المظلمة، و المزيد من الأضواء على طول الوادي، ونهر من المصابيح يتدفق باتجاه الشرق، ينعكس ضوءه فوق مياه " باتمونخ نور" .

وكان سكان المدينة يفرون، تماما مثلما شاهدتهم هيستير يفرون في تلك الليلة يوم انفجرت الميدوسا؛ وقد راحت في داخلها تتعجب من ذلك المكان، وتفكر : يا له من مكان عجيب هذا الذي يضطر فيه المرء كل حين إلى حزم أمتعته وتحميلها فوق

العربات والفرار. ثم إنها تذكرت أن ليلة انفجار الميدوسا كانت منذ حوالي عشرين عاما، وأن جبلا كاملا قد نشأ في هذه المدينة منذ غادرتها وتوم آخر مرة على متن جيني هانيفر.

"يا للآلهة!..." قالت هيستير في سخط، وهي تضغط رأسها من جديد "لكم تقدمتُ في السن..."

ثم جاءت مركبات أرواح الثعالب " فوكس سبيريتس" لتقود منطاد الـ" فيوري" إلى حيث مطار مؤقت يقع أسفل دير قديم للراهبات فوق صخرة. ومن الأعلى بدا المبنى القديم محاطا بكتل مبهمة الشكل بنية ورمادية وبيضاء، أشبه ما تكون بنباتات الأشنة لكنها ضخمة. ومع اقتراب المنطاد تبين لهم أن تلك الكتل في حقيقتها حشود من اللاجئين الفارين من المدينة، والناجين من احتراق تينجين، يتم نقلهم على متن مركبات للشحن والنقل العسكري، وقد التصقوا ببعضهم البعض من شدة البرد، ملتحفين بالفراء والبطاطين، أو محتمين تحت الخيام والمظلات.

ثم هبط المنطاد وانفتح الباب، وخرجت أوينون تقود مرافقيها، فما إن رأتها حشود اللاجئين، حتى بدءوا ينهضون ويفسحون لهم الطريق وهم يتطلعون نحوها ويحدقون فيها، ثم بدءوا يتهامسون فيما بينهم وهم يشيرون لبعضهم ولأطفالهم نحو السيدة ناجا والمطارد الذي برفقتها. وتعالت الهمسات تسري عبر الحشود كصوت الرياح إذ تسري بين الأشجار ؛ ربما كانوا يلقون اللوم عليها فيما بينهم ويحملونها مسئولية تلك الكارثة التي حلت بهم، وأنها لولا تدميرها للمطارد فانج لكانت المدن هي التي تعاني الآن وليس هم. وربما سمعوا كذلك بنبأ موتها ثم حين رأوها الآن برفقة هيستير والمطارد، حسبوها شبحا عاد إليهم بصحبة اثنين من الشياطين لحمايتها.

ولم تلاحظ أوينون أي من الهرج الدائر حولها تقريبا، فقد كانت شاردة الذهن تماما لا يشغلها سوى التفكير في أمر المطارد فانج... ينبغي أن أتحدث إلى دكتور بوب جوي، هكذا راحت تفكر، وهي تتطلع شرقا باتجاه شاطئ البحيرة حيث تقع فيلا الرجل، لكن ضباب المساء كان كثيفا فوق البحيرة، ولم تكن تدري ما إذا كانت الفيلا يمكن رؤيتها من هنا أم لا.

وعند بوابة الدير القديم استقبلهم ضابط مساعد، بدا الإنهاك واضحا عليه، وقال وهو يؤدي التحية : "سيدة ناجا! أنت بخير!، حمدا الآلهة"

بخير! - قالتها أوينون في سرها - نعم، حتى لو عادت المطارد فانج، لا بد أن ناجا سيحل الأمر، هي بأمان الآن، أخيراً. ثم إنها أدت التحية بدورها للضابط وقد تذكرته، إنه من فريق زوجها في تينجين، شاب لطيف هو ذو شعر أسود ناعم ينسدل دوما على جبينه فوق عينيه، وقد سرت كثيرا لنجاته. ثم إنها سألته :

"هل زوجي هنا؟"

"سوف يسعد الجنرال كثيرا لرؤياكِ، سوف آخذك إليه"

وهكذا تبعته أوينون، عبر المدخل الطويل المنحوت، ومعها هيستير و جريك و بيني رويال، دون أن يعرفوا ماذا عليهم أن يفعلوا الآن.

"ينبغي أن أرى دكتور بوب جوي" قالت أوينون للضابط "أيمكنك أن تأتي إلي به؟"

فاجابها الضابط، وقد اعتراه التوتر "دكتور بوب جوي مات يا سيدتي، قُتِل في منزله بالقرب من البحيرة منذ حوالي ثلاثة أسابيع. نعتقد أن أحد مطارديه قد أصابه خلل ما و..." ثم إنه هز كتفيه وتابع "لقد سمعت بما حدث له، لا يمكن لإنسان أن يملك القوة لفعل ذلك...".

نظرت أوينون إلى هيستير، بينما سأله جريك : "وهل عثرتم على المطارد الذي قتله ؟"

بدا الضابط متفاجئ من أن يناقشه مطارد، لكنه سرعان ما ضبط انفعالاته، وأجاب : "لا ولكن اليخت الجوي لدكتور بوب جوي قد سُرِق. ربما كان القاتل أحد النماذج التجريبية التي كان الرجل يعمل عليها، ومن ثم ربما كان يمتلك الذكاء الكافي للفرار. لقد كان منزل بوب جوي يمتلئ بـ... أشياء مروعة"

وكان الضابط يوجه حديثه إلى أوينون، لكنه كان يتطلع من وراء كتفها لمرافقيها، متسائلا عن هويتهم وما إذا كان من الصواب أن يسمح لهم بالدخول إلى مقر الطوارئ الخاص بالجنرال ناجا.

"إنهم أصدقائي.." قالتها أوينون وقد لاحظت نظراته، ثم شرعت تقدمهم له :

“السيد جريك، البروفيسور بيني رويال، السيدة ناتسوورثي.”

فعبس الضابط ودمدم : “ناتسوورثي؟”. ثم إنه انتحى بأوينون جانبا وتحدثا للحظة بلغة شان جو، لكن هيستير التقطت اسم “ناتسوورثي” وقد تكرر بضعة مرات في حديثهما.

و بهدوء شديد مدت هيستير يدها نحو البندقية الكبيرة على كتفها وفتحت زر الأمان، ثم سألت جريك :

“ماذا يقولان؟”

وقبل أن يشرع المطارد في ترجمة حديثهما، عادت أوينون إليهم وهي تبتسم، وقالت :

“هيستير، زوجك هنا”

وللحظة حسبت هيستير أن أوينون لا زالت تتحدث بلغتها الأم، فقد كان ما قالته توا عجيبا حتى بدا أنه غير ذي معنى على الإطلاق...

“توم ناتسوورثي..” تابعت أوينون وقد مدت يدها تمسك بكف هيستير متبسمة، “.. لقد وصل هذا الصباح على متن منطاد “آنا فانج” القديم”

“لا!” صاحت هيستير غير مصدقة، وغير راغبة في التصديق كذلك.

“إنه محتجز في زنزانة أسفل هذا الصخرة. و لكن لا تقلقي، سوف أطلب من ناجا إطلاق سراحه على الفور. يجب أن تذهبي إليه يا هيستير”

“أنا ؟ لا”

“اذهبي إليه” قالتها أوينون، ثم خلعت خاتمها ووضعته في يد هيستير ثم أغلقت كفها عليه، وتابعت “خذي هذا إلى الحراس وأخبريهم أنني أرسلتك، سوف يتولى السيد جريك الترجمة عنك. سوف يسمحون لك بالتحدث إليه، أبلغيه أن الأوامر ستصدر قريبا من زوجي لإطلاق سراحه ”

“لكنه لن يرغب في رؤيتي. فلتبعثي بشخص آخر إليه.”

“لكنك لا تزالين زوجته”

"أنت لا تعرفين شيئا عن الأشياء التي اقترفتها"

فنظرت إليها أوينون، ثم إنها اشرأبت على أطراف أصابعها وطبعت قبلة على خدها، وقالت "لا يوجد شيء لا يمكن غفرانه. اذهبي إليه الآن، ريثما أتحدث أنا إلى ناجا"

فاستدارت هيستير و مضت، ومضى جريك بصحبتها، فيما التفت الجميع يحدقون فيهما ويتساءلون عمن تكون تلك المرأة. فيما بقي بيني رويال مع أوينون، فقال "إذن فتوم ناتسوورثي هنا، إيه؟... دائما يظهر آل ناتسوورثي حيث لا يمكن للمرء توقع ظهورهم. لكنني سأبقى معك يا جناب الإمبراطورة، إذا سمحتِ لي. هناك أمر صغير أريد التحدث معك بصدده.. تلك المكافأة التي ذكرتِها..."

"بالطبع يا بروفيسور" قالت أوينون، وسمحت له بمرافقتها بينما هي تتبع الضابط عبر الممرات التي تشبه المتاهة.

إن الإله الذي كان يُعبد في هذا المكان مختلف عن إلهها، لكنها ما زالت تشعر بالهدوء والسكينة من روائح البخور القديمة التي تفوح في المكان، وقرون الصلوات التي تغلغلت في الجدران والأسقف المنحوتة.

وعند المداخل، تجمعت الراهبات في أرديتهن ذات لون زهرة الكبوسين البرتقالية والصفراء، فيما هرع عدد من ضباط العاصفة الخضراء يحدقون فيها، وقد بدا معظمهم غير سعداء لرؤيتها، لكنها لم تكترث لذلك. بل كانت تحمد الرب على عودتها إلى هنا أخيراً، وتمكنها من لم شمل هيستير مع زوجها، وها هي تتطلع الآن بسعادة للاجتماع بزوجها ناجا من جديد.

وأخيرا وصلت إلى وجهتها، فصعدوا ثلاث درجات إلى حيث الباب القديم، و طرق الضابط الباب ثم فتحه مفسحا الطريق لأوينون، فدخلت وتبعها بيني رويال، في عباءته الرمادية التي بدا فيها وكأنه ضابط رفيع المستوى في العاصفة الخضراء، حتى أن عدد من الحراس قاموا بأداء التحية له بينما هو يتبع أوينون إلى داخل غرفة الحرب المؤقتة لناجا.

وحول مائدة كبيرة مستديرة مغطاة بالخرائط، تجمع عشرات من الأشخاص هم

من تبقى من مجلس الحكم التابع لناجا، وقد بدا بعضهم سعيدا لرؤية أوينون من جديد. ثم رفع ناجا عينيه عن الخرائط نحوها، ووقف يحدق فيها، دون كلمة.

كان وجهه مليئا بالكدمات والجروح، وكذلك درعه امتلأ بالخدوش، وحتى ذراعه السليمة كانت ملفوفة في ضمادات متسخة، لكنه كان حيا.

"حمدا لله" هتفت أوينون بسعادة، وقد كانت تتوق لمعانقته، لكنها رأت أنه ليس من اللائق أن يتم معانقة زعيم العاصفة الخضراء هكذا علناً أمام ضباطه وأعضاء مجلسه، فتمالكت انفعالاتها ومشاعرها وانحنت في تأدب وقد خفضت عينيها عن وجهه، وقالت : "صاحب السعادة".

لكن ناجا ظل صامتا. أما ضباطه، الذين كانوا يعرفون جيدا كم كان يتوق إليها، فقد راحوا يجمعون الخرائط والسيوف والخوذات وتوجهوا نحو أبواب الغرفة، إلا أن ناجا دعاهم للعودة والبقاء في الغرفة، دون أن يوجه حرفا لزوجته.

"لقد سمعت بما حدث في تينجين" قالت أوينون

"جاء من السماء" قالها زوجها وهو يتأمل وجهها"من واحد من تلك الأسلحة الشيطانية القديمة المعلقة في السماء، على ما نحسب. اندلع لسان من الضوء... من الطاقة... يدمر أي شيء يلمسه.. حين ضرب تينجين كنت أنا ملقى على ظهري عند سفح الدرج" ثم إنه حاول الإشارة للتعبير عما يقول، لكن التروس في كتف هيكله الخارجي المحطم لم تساعده، فتمتم ساخطا "اللعنة!"

"دعني أساعدك" قالتها أوينون وهي تتقدم نحوه، وقد سُرَّت لكونها وجدت الفرصة لتلمسه، فيما تنحى الضباط جانبا للسماح لها بالاقتراب منه، لكنها ما إن مدت يدها تفك إحدى المسامير في درعه، حتى فوجئت به يصفعها بيده الأخرى على جانب رأسها، فطوحها جانبا لترتطم بالمائدة وتسقط أرضا وسط فناجين الشاي التي سقطت هي الأخرى من أثر الارتطام.

شهق عدد من الضباط من وقع الصدمة، فيما صاح أحدهم : "جنرال ناجا، رجاءا"

"ناجا... !" صاحت أوينون غير مصدقة لما جرى، وللحظة حسبت أن هيكله وقع به خلل ما جعله ينتفض بحركة مفاجئة دون قصد، لكنها ما إن نظرت إليه حتى أدركت

أن الضربة كانت متعمدة.

"كل هذا كان بسببك أنت" صرخ ناجا ومد يده الميكانيكية يجرها من شعرها إلى الأعلى، "انظري لما أفضى إليه سلامك هذا. لقد طلبت مني أن أعامل الهمجيين كبشر، وهاهم يدمروننا"

لم تتصور أوينون أن يحدث هذا أبدا، ولم تكن تعرف كيف يمكن أن تتغلب على غضبه، فقط أخذت تصيح :

"لا.. لا... لا..." ثم قالت "المدن المتحركة أيضا تم تدميرها. لقد رأيتها تحترق... لا بد أن التقارير قد بلغتك..."

"كذب!"

"ناجا، المطارد فانج قد عادت، إنها من يتحكم في هذا الشيء! "

وراح الجميع يغمغمون في دهشة، فيما صدرت عن بعضهم صيحات الذعر وعدم التصديق.

"فكر جيدا!.." قالتها أوينون في توسل "... التقارير الواردة من برايتون عن تلك المقتلة . المركبة البرمائية التي تم العثور عليها في مقاطعة سنو فان .... إنها تريدنا أن نعتقد أن المدن المتحركة تملك ذلك السلاح كي تتمكن هي تتمكن من استخدامه ضدنا جميعًا! إنها مجنونة!. علينا أن نجد جهاز الإرسال الذي تستخدمه للتحكم فيه و..."

"كذب... لقد عرفت بالفعل من أين يتم التحكم في ذلك السلاح. إنهم مهندسو لندن من يتحكمون فيه، تماما مثل الميدوسا. هؤلاء المشردون بين حطام لندن الذين تجاهلناهم لزمن طويل ازداد نشاطهم بسرعة مثل النمل، ثم حدث ما حدث"

ثم إنه التقط صورة فوتوغرافية من بين الأوراق فوق المائدة، عبارة عن صورة جوية التقطها واحد من طيور التجسس ووجهها نحو أوينون وقال : "انظري، يمكنك أن تري رءوسهم الصلعاء. إنهم ينتشرون عبر الحطام كالديدان في الجثث. واليوم جاءني رجل لندني بحكاية مُختَلَقة كي يبعدوا أنظارنا عما يصنعون. إنها الميدوسا من جديد، كل شيء يبدأ وينتهي عند لندن!"

“وماذا عن دكتور بوب جوي؟” قالت أوينون “لا بد أن فانج لجأت إليه لإصلاحها، وحينما انتهى من مهمته، قامت بقتله... ”

“لقد كان بوب جوي مهندسا هو الآخر. كنا نحسب أنه انضم لصفوفنا، لكنه في الحقيقة كان يعمل لصالح عصبته طوال تلك السنوات. تلك الجثة التي عثروا عليها في الفيلا كانت مشوهة جدًا ويمكن أن تكون لأي شخص!. رئيسك السابق زيف موته و فر إلى لندن لمساعدة أصدقائه القدامى من المهندسين على تشغيل ذلك السلاح”

“لا..” همست أوينون، إلا أن نظريته كانت على شيء من المنطق، فكيف لها إذن أن تقنعه أنه مخطئ؟.

ثم إن ناجا وقف يحدق بها، ثم قال بصوت بات أكثر هدوءا وبرودا : “وأنت أيضا كنت جزءا من خطتهم، أليس كذلك يا زيرو؟... لقد كنتِ صنيعتهم منذ البداية، أيتها الساحرة الألوتية. لقد كان بوب جوي هو من أحضرك إلى “جيد باجودا”، لكم كنتِ تبدين خجولة ولطيفة وقتها، لكنك دمرت المطارد فانج، ثم خدعتني، و رحت تتحدثين عن السلام... عن الحب... ”

ثم إنه استل سيفه، وقال : ” لكنك في الحقيقة وطوال تلك المدة، كنت تحاولين فقط كسب الوقت إلى أن تنتهي المدن المتحركة من تجهيز سلاحهم! ”

حاولت أوينون السيطرة على الرعشة التي اجتاحت جسدها، ثم إنها مدت يديها نحو زوجها وقالت :

“صدقني أرجوك. أنا لم أخنك قط، كل ما أردته حقا هو السلام”

فصفعها ناجا مرة ثانية، صفعة قوية بيده الميكانيكية، أسقطتها من جديد على ركبتيها، و الدماء تقطر من أنفها. ثم إنه دفع رأسها نحو الأسفل ورفع سيفه، لكن حين تبدى عنقها العاجي النحيل أمامه، لم يستطع أن يضربه. وكانت الأوساخ تحيط بمنابت الشعر في رأسها وخلف أذنيها، كما لو كانت طفلة صغيرة.

غرس ناجا نصل سيفه الحاد في خشب مائدة الخرائط، بينما أوينون تنتحب عند قدميه. ثم إنه التفت نحو ضباطه وصرخ فيهم أن : “خذوها بعيدا واحبسوها. لن أسمع المزيد عن السلام بعد اليوم”

ثم أشاح بوجهه بعيدا كي لا يراها وهم يسحبونها، فيما أخذ عدد من ضباطه المتشددين والمعارضين للهدنة يصيحون : "اقتلها!"، حتى أن أحدهم استل سيفه و هم بأن يذبحها، لولا أن زملائه منعوه عنها، وكذلك ناجا إذ صاح فيه أن :

"لا!..." ثم قال، وقد انغلق الباب وراء زوجته وبات من اليسير عليه أن يعود قويا طالما لم يعد يتطلع إلى وجهها المرتعب، ".. سأقطع رأس الخائنة زيرو بنفسي، علنًا، في الساحة الرئيسية في باتمونخ جومبا!"

وانتاب الحزن عدد من ضباطه، أما معظمهم فقد سرهم كثيرا ما قال، لدرجة أن عددا منهم أظهر الابتهاج.

"أولا.." استطرد ناجا "... علينا أن نجمع ما نستطيع من السفن الجوية، ونطير إلى لندن. سوف نستولي على جهاز الإرسال منهم ثم نعيد توجيه السلاح الجديد على مدنهم!. هذه الحرب لن نخسرها !.. اتبعوني، ولسوف نجعل العالم أخضر من جديد!"

***

44. عمود النار

" لا يوجد شيء لا يمكن غفرانه"، هكذا قالت لها أوينون، و لكن لهيستير، بينما هي تهبط الدرج الطويل إلى حيث ساحة الإرساء وسط الرياح الباردة، أنها قد فعلت أمورا لا يمكن لأي مخلوق أن يغفرها. إنها حتى لا تعرف ما الذي يمكن أن تقوله لتوم، و لا تريد التفكير فيما عساه سيقوله لها.

ومع ذلك فقد كان لا بد لها من أن تلقاه، فهي لا تتحمل فكرة أن يكون حبيسا في واحد من تلك المباني الضيقة التي ترى سطحها في الأسفل على ضوء المصابيح حول ساحة الإرساء.

وقد كان هناك، في ساحة الإرساء، كثير من الحركة والنشاط : مناطيد يتم تزويدها بالوقود، من بينها الجيني هانيفر، بغلافه الأحمر الصدئ المألوف، يقف بين مركبات العاصفة الخضراء البيضاء.

و من مقلتيها فاض الدمع غزيرا، حتى أنها اضطرت أن تمسح عينيها في كم ردائها، وقد سُرَّت لكون أوينون و بيني رويال ليسا معها كي لا يريانها تبكي هكذا. فقط كان جريك بصحبتها (حيث وقع خطواته الثقيل المُطَمئِن ورائها) لكنه سبق له أن رآها تبكي.

وفي الأزقة والممرات الضيقة خلف أحواض الإرساء، كانت الفوضى والارتباك يضربان كل شيء، وقد بدا جنود العاصفة الخضراء كالسكارى إذ راحوا يهرعون بحركات مضطربة فيتخبطون في بعضهم البعض، وحتى الأعمال البسيطة مثل تجهيز المركبات، كانت مفعمة بالتوتر والشجار بين بقايا الوحدات الحربية المختلفة الذين راحوا يتجادلون بلغات متعددة.

ومع اقترابها من المباني التي يقبع توم في أحدها، بدأ صدر هيستير يضيق والغصة تعتصر حلقها، وراحت نوبة من الذعر تتصاعد في أعماقها لتلف كيانها.

ثم إنها استوقفت أحد الملاحين لتسأله عن الطريق المؤدي إلى الزنازين، وقد سُرَّت حين انحنى تحية لها بمجرد أن أظهرت له خاتم السيدة ناجا. لكنها ما إن صعدت السلالم الحجرية المؤدي إلى المبنى الذي أشار إليه الملاح، حتى سمعت وقع خطى

تسير خلفها...

"إنه الفاني بيني رويال" قالها جريك

"وما الذي أتى به إلى هنا؟" قالتها هيستير مزمجرة، لكنها في سرها كانت مسرورة لإيجاد أي ذريعة تؤخر لقائها بتوم.

هرع بيني رويال لاهثا عبر الدرج نحوها، وما إن رأت وجهه حتى أدركت أن ثمة شيئاً سيئا قد وقع..

"هيستير.. جريك..." صاح بيني رويال وهو بالكاد يلتقط أنفاسه "حمدا لبوسكيت!... يجب أن نفر من هنا! أعني أن نطير!... ذلك الشرير ناجا.."

"ماذا حدث؟" سألته هيستير

لوح بيني رويال بذراعيه محاولاً إيجاد الإشارة المناسبة للتعبير عن حجم الكارثة، ثم قال :

"لا أعرف بالضبط ما حدث، لم أفهم شيئا من لغتهم، لكن بعض الرجال هناك كانوا يتحدثون الإنجليزية فيما بينهم، وكانوا يذكرون شيئا عن أنها خائنة.. "

"من تكون الخائنة؟" صاحت هيستير وهي تجره من ياقة ردائه وتهزه "ماذا حدث يا بيني رويال؟ أين أوينون؟"

"هذا هو بالضبط ما أقوله لكِ. إنها سجينة الآن، لقد كسر أنفها ذلك المتوحش، إنه يحملها المسئولية عما حدث وعن ذلك السلاح المرعب. يقولون إنه تعهد بقطع رأسها بمجرد هزيمة المدن المتحركة. يا لها من مسكينة.. يا لكليو الرحيمة..."

كان بيني رويال محبطا حزينا، وكذلك هيستير شعرت بالألم والشفقة على أوينون بمجرد أن فهمت مايقوله، لكنها أخفت مشاعرها، كالمعتاد، وراء ستار من الغضب، وصاحت : "أتعني أن كل العناء الذي تجشمناه وخسارتنا لثيو قد ذهب سدى؟ أنقذناها من سجن ليُلقى بها إلى آخر؟ ألا تستطيع تلك البقرة الغبية أن تبقى وحدها لدقيقة دون أن يتم حبسها ؟"

ثم إنها نظرت نحو جريك الذي كان يقف محدقا في صمت نحو المباني في

الأعلى، وقالت : "أحسب أننا يمكننا أن نفعل شيئا، أليس كذلك؟ يمكننا تحريرها؟"

"مستحيل!" صاح بيني رويال على الفور ".. لقد سجنها في أحد الأبراج، ووضع المطاردون ورجال بمدافع يدوية على الباب لحراستها"

"يوجد الكثير من الفانين هناك.." قالها جريك مؤيدا ".. سوف يكون علي أن أقتل العشرات منهم لتحريرها، وأنا لا أستطيع فعل ذلك، دكتور زيرو كذلك لن ترغب في هذا"

"لا بد أنها تريدنا أن ننجو بحياتنا..." هتف بيني رويال بإصرار ".. ماذا لو أنهم يبحثون عنا نحن أيضا؟ إنهم يتحركون كالمجانين ويستعدون لمهاجمة بعض المدن، ولن يدعونا طلقاء بأي حال، أليس كذلك؟. لو أنهم يرون أن أوينون خائنة، فلا بد أنهم سيحسبوننا كذلك أيضا وسوف يرغبون في قطع رؤوسنا لإنهاء الأمر برمته..." ثم إنه انحنى على ظهر هيستير التي كانت التفتت عنه وراح يبكي ذعرا، ثم "هيستير، مركبتك هنا، عليك أن تأخذيني بعيدا..."

فالتفتت إليه هيستير ودفعته بعيدا عنها، فارتد إلى الوراء عبر الدرج صائحا، وصرخت فيه أن : "لقد سافرنا معا بما يكفي، وقد سبق وأخبرتك في إيرهيفن أنني لا أريدك على متن سفينتي. فلتدبر نفسك بنفسك "

صرخ بيني رويال بشيء ما، لكنها مضت في طريقها دون أن تنظر إلى الوراء، ومن فوق الصخب والضوضاء الصادرة من ساحة الإرساء، تناهى إلى مسامعها أصوات أخرى قادمة من مكان ما، أصوات ابتهاج وصيحات انتصار وأبواق، حيث كانت بقايا العاصفة الخضراء يحتفلون بنبأ اعتقال أوينون.

وقد سمع حارس الزنزانة الأصوات أيضا، و شعرت هيستير بالارتياح حين رأته يتطلع تجاه مصدر الصوت في حيرة و عدم فهم؛ كانت الاتصالات مقطوعة في هذا المرفأ المتداعي، و لا توجد هواتف أو أنابيب للتحدث، فقط عدد من الصبية الصغار يركضون جيئة وذهابا حاملين الرسائل، و قدرت هيستير أن الأمر سوف يستغرق بضع دقائق قبل أن يصل إلى الحارس نبأ إلقاء القبض على أوينون، ومدة أطول قبل أن تبدأ أوصاف رفاقها في الانتشار.

وهكذا، أبرزت للحراس الخاتم، فتلقت المزيد من التحيات والانحناءات، في حين

قام جريك بشرح سبب مجيئها إلى هنا بلغة لا تفهمها، وبالفعل هرع الرجل يفتح الباب الثقيل و سمح لهيستير بالدخول.

"انتظر هنا" قالتها لجريك، ودخلت.

وعلى ضوء المصباح الزيتي الخافت في الداخل، رأت السجين الجالس فوق سريره، وقد رفع وجهه نحوها. وقال الحارس شيئا ما بلغته، لكن أي منهما لم يفهمه.

"توم؟" قالت هيستير، فنهض من على فراشه و مشى نحوها ليقف قبالتها دون أن ينطق بكلمة، وقد خمنت هي أن صمته هذا من وقع المفاجأة لرؤيتها، وقد ظنت أنه لا يصدق أنها تقف أمامه.

لم تكن هيستير تعلم أن توم يعرف بوجودها في شان جو بناءً على ما قاله ثيو، ومع ذلك فقد كانت مفاجأة له عندما فتح باب الزنزانة ودخلت هي، لكن المفاجأة لم تكن هي السبب وراء صمته.... لقد جرحته هيستير جرحا شديدا عميقا، وكلما فكر فيها كان الغضب يغمره ويؤجج أعماقه، لكنه، ما إن رآها تقف أمامه على بعد بضعة أقدام، برائحتها المألوفة، حتى أدرك أنه ما زال يحبها حقا. نعم، لقد وقف صامتا لأنه كان لديه الكثير جدا مما يريد قوله لها.

"حسناً.." قالت هيستير في تردد "ها نحن نلتقي من جديد"

"لقد تركت رين في لندن" قال توم، وقد خمن أول سؤال سوف تسأله

"في لندن؟"

"مع ثيو، إنها على ما يرام، هي في أمان، ولكن..."

"ثيو نجوني ؟! أتعني أنه حي؟"

"نعم، لقد وجد طريقه إلى لندن. وقد أخبرنا أنه التقاك وكيف أنك شجاعة... حكى لنا كيف أنقذت السيدة ناجا.."

وعند الباب كان الحارس واقفا يحدق فيهما، فأنزلت بندقيتها من على كتفها وصوبتها باتجاه توم، وبما تجيده من لغة الملاحة الجوية الدولية قالت للحارس : "فك قيود السجين، سوف يأتي معي"

فأومأ الحارس، ولم تعرف هيستير ما إذا كان قد فهم ما قالت أم لا، لكنه بدا أنه فهم المعنى العام، وبسرعة فك الأصفاد والسلاسل التي تربط توم عبر سلسلة إلى الجدار، فهرعت هيستير تسحبه من ذراعه وتقوده سريعا نحو الباب وهي تومئ لباقي الحراس في الخارج كي يفسحوا لها المجال. وكان توم في حيرة من أمره مما إذا كان عليه أن يرفض الذهاب معها أم لا، وأن يخبرها أنه ما عاد يثق بها بعد ما فعلته سابقا. لكنه أدرك أن اللحظة ليست مناسبة لشيء من هذا الآن، علاوة على ذلك، فقد كان سعيدا في أعماقه لاجتماعهما من جديد ولتوليها الأمور من جديد.

وفي الخارج كان جريك واقف في الانتظار، فأجفل توم وارتد للوراء ما إن رأى المطارد ينظر إليه بوجهه الميت.

"لا بأس" قالت هيستير "إنه صديق الآن"

"صحيح" قالها توم، وقد تذكر ما قاله له ثيو عن المطارد القديم، ومع ذلك فقد كان لا يزال يجد صعوبة في تصديق الأمر.

"مرحبا يا سيد جريك" قال توم "آسف لقتلي لك سابقا"

فانحنى جريك انحناءة بسيطة وقال "لا أحمل تجاهك ضغينة شخصية إزاء ذلك"

وخرج ثلاثتهم عبر الممر إلى حيث خارج المبنى. وفجأة، دوى من فوق رءوسهم صوت زئير مرعب، وانشقت السماء وغمرهم ضوء ساطع كضوء النهار، أبيض كالموت.

ارتجت الأرض، وأمسك جريك برأسه، وقد راحت عيناه تومضان وتتوهجان، واستحالت صيحات الجنود وعمال الشحن على أحواض الإرساء إلى صرخات مخيفة، وصرخت هيستر أيضًا وألقت ذراعيها حول توم، تضمه إليها. لكن لسان الضوء الذي خرج من السماء لم يكن يستهدف باتمونخ جومبا، وإنما عبر الجبال الواقعة في أقصى الجنوب وامتد طويلا مبهرا لدرجة تعمي الأبصار، فيما امتلأت السماء بالدخان، وخيوط البرق الزرقاء.

"ما الذي يفعلونه؟.." صاح توم "لا توجد مدن هنا!"

ثم تلاشى الوهج، و انتهى الزئير بقصف رعدي مروع، ثم عاد الليل يلف السماء،

بينما الأرض لا تزال ترتج . وظلت هيستير تتشبث بتوم بقوة، فيما راح جريك يصدر هسيسا ويهز رأسه وقد بدأ يتعافى. ومن بين الجبال، كان عمود من الدخان المتصاعد يشير إلى حيث الموضع الذي ضربه الضوء، بينما الوهج الأحمر يستعر في أسفله.

ومن حولهم كان الجنود يرددون في هلع "زان شان!"، و سمعهم توم، فقالها لمرافقيه :

"إنها زان شان!"

وكان توم يرتجف من الرعب، وقد شعر ببعض الراحة لكونه بين أحضان هيستير، ثم تذكر ما فعلته، فدفعها عنه، وقال :

"لقد وجهوه نحو زان شان! الجبل المقدس يثور !"

"ولكن من يريد نسف بركان؟" تساءلت هيستر، وقد انتابها الغضب من نفسها لأنها عانقته.

وكانت الأجراس تدق من حولهم في كل موضع، و صافرات الإنذار، وارتفعت المناطيد البيضاء إلى حيث السماء المظلمة فرارا، إذ لم يكن في مقدور أحد توقع متى وأين سيكون القصف التالي.

"تعالوا" قالت هيستير

وانطلقت بهم هيستير عبر طريق حول المرفأ المزدحم إلى حيث الموضع الذي يرسو به منطاد الجيني هانيفر، و ركضت مجموعة من ملاحي العاصفة الخضراء تجاهها، فصاحت بهم أنها ستأخذ هذه المركبة .

وفي المنطاد كانت فتحة الدخول في غلافه مفتوحة، فصاحت هيستير على الطاقم الأرضي أن يقوموا بإغلاقها والإبتعاد، فأومئوا لها وأدوا التحية، ولكن ما إن ابتعدوا حتى فوجئت بضابط المرفأ يهرع مسرعا نحو المنطاد وهو يصيح بلغة الملاحة الدولية :

"أين أمر الإقلاع؟ من أي وحدة أنت؟ لقد تم جمع كافة المركبات من أجل الضربة التي يعتزم الجنرال ناجا توجيهها للمدن المتحركة"

"لا.." صاحت هيستير وهي تظهر خاتم أوينون له "سوف أقلع بتلك المركبة، السيدة ناجا أمرت بذلك"

وكاد الرجل أن يؤدي التحية لها بمجرد أن رأى الخاتم، لكنه سرعان ما توقف بمجرد أن سمع اسم صاحبة الخاتم... إنها السيدة ناجا، المتآمرة لصالح الداروينية البلدية...

"يا رفاق، تعالوا هنا! شركاء الخائنة زيرو هنا..."

هنا كورت هيستير قبضتها ولكمت الرجل في بطنه، ثم رأسه، وقد فكرت في قتله، لكنها لم تشأ أن يراها توم، فتركته يجاهد لالتقاط أنفاسه عند حافة حوض الإرساء، وسارعت تحث رفيقيها على الصعود إلى متن المنطاد.

ومن الأحواض المجاورة كانت عدد من السفن الأخرى تقلع، بينما وسائل النقل الأخرى تجمع الجنود من الهضبة في الأعلى، ولم يلاحظ أحد صعود جيني هانيفر بينهم، ثم سرعان ما تلاشى غلافه الأحمر في الليل عبر بحيرة باتمونخ نور. وحين تمكن الضابط اخيرا من التقاط أنفاسه والوقوف على قدميه وصاح طالبا المساعدة، كان المنطاد قد اختفى ولم يتبق سوى خيط من العادم.

وقد حلقوا بالمنطاد دون إنارة أضوائه، لكن الوهج الأحمر المنبعث من زان شان إلى داخل الزورق عبر نوافذه كان كافيا تماما.

وقف توم عند النافذة، وقد تولت هيستير قيادة المنطاد، يتطلع نحو الصدع الهلالي المتوهج في الجانب الشمالي الشرقي من البركان، بينما الجبل نفسه متواريا في الظلام، لذلك بدا الصدع وكأنه قمر محترق معلق في السماء.

"ما زلت لا أفهم ..." دمدم توم "لماذا يهاجمون جبلا؟"

وسمعه جريك، فقال "بركان زان شان قد يستمر في ثورانه لأسابيع جراء ذلك. وسوف تتسبب سحب الدخان في تعطيل الملاحة الجوية عبر مئات الأميال. مقاطعات كاملة سوف تُسَوّى بالأرض. إنها ضربة لا تملك العاصفة الخضراء منها تعافيا "

"إذن فالمدن المتحركة هي من يتحكم في أودين؟" سأله توم

“بل المطارد فانج هي من تتحكم به”

“المطارد فانج على قيد الحياة؟!”

فأومأ جريك.

استرخت هيستير اخيرا في مقعدها بعدما قامت بتوجيه المنطاد من فوق قمة صخرية إلى حيث الهواء النقي ورائها، ثم التفتت نحو مرافقيها، وقالت : “سوف ندور ونتوجه غربا. يمكنني أن أنزلك في لندن يا توم”

“وماذا عن صديقتك السيدة ناجا؟” سألها توم، وكان لم يسبق له أن التقى المرأة لكنه شعر بالذنب لتركها سجينة، “... حين ترحل مناطيد الجنرال ناجا، ربما أمكننا أن...”

“إنها تحت الحراسة..” قال جريك “.. لن يدعونا نأخذها حية، لو أن ناجا يحملها مسئولية سلاح أودين، فهناك طريقة أبسط لإنقاذها: سأعثر على المحطة الأرضية التي يتم التحكم منها في أودين، وحينها سنعرف من المسئول عنه”

“لكن المحطة الأرضية قد تكون في أي مكان” قالت هيستير محتجة

“لقد عادت المطارد فانج إلى شان جو” قالها جريك وهو يلتفت ويشم الهواء، وكأنه يقتفي روائح مطاردين آخرين، ثم إنه توجه نحو الخرائط و بسط واحدة منها تظهر منطقة الحبال المحيطة على طاولة الخرائط ووضع إصبعه فوق النقطة التي توضح مقاطعة سنو فان، ثم باتمونخ جومبا، “لقد تركت المركبة البرمائية، ثم قتلت بوب جوي هنا.. إنها هنا في مكان ما بين الجبال. أنزليني هنا وسوف أجدها”

“ آنا فانج لديها منزل في منطقة تدعى “إردن تزج”” قال توم “.. وجدنا ما يدل على موقعه بين الأشياء التي وجدناها حين أخذنا الجيني هانيفر” وأشار إلى موضع على الخارطة، “ربما تكون قد عادت إلى منزلها”

“ربما، لقد قالت المطارد فانج ذات يوم أنها تملك بعض الذكريات عن حياتها السابقة..” قال جريك “.. ربما أعادتها ذكرياتها إلى ذلك المنزل”

وقد سُر توم لأن المطارد قد أيده فيما اقترحه، ثم تساءل “هل ترون أن علينا أن نعود إلى باتمونخ جومبا ونبلغهم بالأمر؟”

"بالطبع لا" قالت هيستير

"لن يصدقونا.." قال جريك "إنهم يحسبوننا حلفاء لأعدائهم. يجب علي أن أتوجه إلى "إردن تزج"والبحث عنها بنفسي"

"أهي فكرتك حقا؟" سألته هيستير في شك "أم تراها إحدى البرمجيات السرية التي وضعتها أوينون في دماغك هي ما تدفعك إلى هذا؟"

فالتفت جريك نحوها وقال "لا أدري، لكن دكتور زيرو قد قامت بإعادة بنائي لغرض، أنا الوحيد من نوعي الذي يمكنه تدمير المطارد فانج. يجب أن أذهب في إثرها وأغتالها من جديد"

"حسبتك لا تستطيع قتل أحد"

"المطاردون ليسوا كائنات حية، ولهذا فهذا لن يكون قتلا.." قال جريك في صبر "وحتى لو أن الأمر كذلك فينبغي فعله."، ثم إنه أشار بيده الكبيرة نحو النافذة إلى حيث الجبل المشتعل في الجنوب، وقال "إذا سُمح لها بمواصلة هذا الدمار، فإن ملايين الفانين سوف يهلكون."

ابتلع توم ريقه، وقال : "يمكنني أن آخذك إلى "إردن تزج""

"هذا ليس من شأننا يا توم" قالت هيستير

"بل هو كذلك" أصر توم "فلو أن ما تقولاه صحيحا فنحن الوحيدون الذين يعرفون حقًا من المسئول عن كل هذا الدمار، و أي عالم سوف تحيا فيه رين لو أننا تركنا ذلك يحدث. علينا أن نفعل شيئا "، ثم إنه كان على وشك أن يوضح لها العلاقة بين السلاح أودين وبين كتاب الصفيح، لكنه تراجع، وقد أدرك أنها سوف تحمل رين حينها المسئولية وهو مالم يكن يقصده أو يريده. لذا اكتفى بأن قال بصوت خافت : "يجب أن أفعل شيئاً"

"حسناً" قالت هيستير، ونظرت إليه... إنه كما كان دوما، محبوبا، ومثيرا لغيظها وحنقها، "حسنا... دعنا نذهب إلى هذا الـ" إردن" ما. حين نصل إلى هناك لن تقدم على أي حماقات بطولية، ولن تحاول التحدث إلى المطارد فانج ولن تخاطر بحياتك، بل ستبقى آمنا في المنطاد وتترك الأمر لجريك ليتخلص منها، وأتمنى أن يفعلها بالشكل

الصحيح هذه المرة"

***

45. الحصاد

استيقظت رين من نومها، وللحظة راحت تتساءل أين هي، ثم تذكرت ما حدث وبدأ الخوف ينتابها من جديد، إلا أنها سرعان ما نفضت خوفها عنها، فما من شيء يهم طالما أن ثيو معها وإلى جانبها، تسمع صوت تنفسه المنتظمة إذ يغفو على كتفها وقد دفن وجهه في عنقها و لف ذراعه حولها.

كانوا قد توجهوا غربا حين تركوا "كراوتش إند"، حيث كانت كل الطرق التي تعرفها رين عبر الحطام تؤدي إلى ناحية الغرب. و ساروا لساعات، تتناهى إلى مسامعهم أصداء الحرب الدائرة رحاها.

وفي الأفق، شاهدا وهج النيران المشتعلة عند الجبال، فوقفا يحدقان في الوهج الأحمر المتصاعد في السماء خلف زان شان يعكس ظل الجبل البركاني العملاق. ثم إنهما جلسا للراحة عند أقصى الحافة الغربية لساحة الحطام، الملئى بعدد من تلال الحطام الأصغر التي تعج بسلاسل الجنازير وبقايا ألواح الطبقات والعجلات الضخمة، واتخذا لنفسيهما ملاذا في واحدة من تلك العجلات، داخل فراغ أسطواني يبلغ ارتفاعه حوالي اثني عشر قدمًا - حيث يتم توصيل محور العجلة أو قضيبها أو ما شابه، إذ لم يكن أي منهما يعرف شيئا عن عجلات المدن - وكان الموضع جافا، ليس شديد البرودة، فتكوما فيه متعانقين وأسندا رأسيهما على حقيبة رين، ولم تمر لحظات قلائل حتى كانا قد راحا في النوم.

ولم يستيقظ الاثنان إلا على ضوء النهار الذي كان قد عم الأجواء من حولهما وتسلل عبر الفراغ الأسطواني، فأفاقت رين أولا، ثم أيقظت ثيو برفق بقدر استطاعتها، ثم إنها نهضت وأطلت برأسها نحو الخارج، ورأت أطراف الحطام المهجورة تمتد بعيدًا في ضوء الشمس الضبابي، و حين رفعت رأسها تتطلع نحو الأفق لم تستطع رؤية زان شان من وراء الضباب الكثيف، لكنها لمحت عمود الدخان المتصاعد من هناك، وكانت الأرض ترتج ارتجاجا خفيفا، وقد خيل لرين أنها تسمع صوت صرير ما.

"هذا ليس حلما، أليس كذلك؟" قالت رين متعجبة "ما الذي يدفع العاصفة الخضراء لتوجيه سلاحها إلى أراضيها؟!"

“لا بد أنها حرب أهلية أخرى” أجاب ثيو وهو يصب لهما بعض من الماء من القِربة التي أعطتهما إياها لافينيا تشيلدرماس، “.. ربما ناجا يواجه خصومه”

“مذهل!... أهؤلاء هم القوم الذين سنلقي بأنفسنا تحت رحمتهم؟”

“إما أن نذهب إلى هؤلاء وإما أن نعود إلى جاراموند”

“ معقول!.. والآن، ماذا عن الإفطار؟”

“سنأكل الحصى!” قالها ثيو وهو يفتح العلبة التي وضعتها لافينيا تشيلدرماس في حقيبة رين ويرى محتوياتها. “أحسب أنه كان كعكا نوعا ما، ربما يكون مغذيا و...”

“ششششش! ...”

كان صوت الصرير يتصاعد، والأرض تزداد ارتجاجا، لدرجة أن اهتزازاتها أسقطت قطع من الصدأ من العجلة القديمة

“أهو البركان؟” سألته رين، فهز ثيو رأسه أن لا، ثم إنهما قفزا من داخل مأواهما ووقفا عند حافة العجلة يتطلعان غربا، فيما راح صوت الصرير يأتي ويروح مع الريح.

وفجأة بدت إحدى التلال وكأنها تنتفخ نوعا وترتجف، ومنها لمع ما بدا بريق معدني، ومن قمتها اندفعت دفقة من دخان عادم.

“يا لكويرك!”، صاحت رين

“هاروبارو” همس ثيو، فأومأت رين، وكانت قد نسيت كل شيء عن فولف كوبولد في غمار ما مر بها من أحداث. وفي تلك اللحظة كان أول ماخطر لها إنهما - حمدا لكويرك - قد فرا من منطقة الحطام المركزية قبل أن يصل بضاحيته، ولكنها سرعان ما تذكرت الآخرين من أبناء لندن والخطر الذي بات يحيق بهم... “علينا أن نحذرهم!”.

“لماذا ؟..” قال ثيو “سرعان ما سيعرفون بمجيئها، لو أنها ظلت تتحرك بذات السرعة فسوف يسمعون هدير محركاتها في لندن قبل وصولها”

“وربما لا..” قالت رين “الأفراد الذين يتولون نقاط المراقبة شباب يافعين لم يسمعوا في حياتهم صوت محركات مدينة متحركة؛ سوف يحسبونه صوت البركان كما حسبناه نحن في البداية..”

وقد حاولت رين أن تقنع نفسها بأن مجيء تلك الضاحية الآن هو جزء وفاق لأهل لندن جراء إلقائهم التهم على الناس واحتجازهم في أقفاص، لكن الأمر الوحيد الذي استحوذ على لبها هو التفكير في أصدقائها ومصيرهم: آنجي وساب وكليتي ودكتور تشيلدرماس، بل وحتى السيد جاراموند، فهو، و رغم كل شيء، لا يستحق أن ينتهي مصيره في أحشاء هاروبارو. وتذكرت كذلك لندن الجديدة وكل تلك السنوات من الفكر والجهد والعمل الشاق... كيف لها أن تترك كل هذا ليضيع سدى...

"علينا أن نؤخر تقدمها" قالت رين "سوف أذهب إلى متن الضاحية وأحاول أن أحول اتجاههم بشكل أو بآخر.. حتى لو تمكنت من تأخيرهم لنصف ساعة فقد يحدث ذلك فارقا. "نيو لندن" يجب أن تتحرك اليوم، الآن، سواء كانت جاهزة أم لا، وبمجرد أن تخرج من منطقة الأنقاض سوف تتمكن من الإفلات من هاروبارو"

"اوه، لكنك لن تذهبي وحدك" قال ثيو

"بلى، لا يمكنني أن أصطحبك معي، فأنت طحلبي، بل أكثر الطحلبيين طحلبية وشرير كاذب في نظر فولف كوبولد، إنه يرى أن أمثالك لا يستحقون حتى أن يبقوا على قيد الحياة. ولهذا عليك أن تذهب و تختبئ في مكان آمن"

"يا رين..."، حاول ثيو الاعتراض.

لكنها لم تمهله، فعانقته بشدة. إنه لمن السهل عليها أن تبتعد معه عن طريق هاروبارو مدعيةً أن ليس في وسعها ولا في وسع أي شخص أن يفعل شيئا حيال ذلك، ولكن... ماذا سيكون شعور والدها تجاهها لو أنه عرف أنها كانت لديها فرصة لإنقاذ مدينته ولم تفعل؟ وماذا سيكون شعورها هي تجاه ذاتها؟..

وهكذا، قبلت ثيو وقالت : "اذهب الآن، هاروبارو تقوم أحيانا بإرسال فرق استطلاعية جوالة أمامها، ولو أنهم أمسكوا بك فسيجهزون عليك دون نقاش، فلتذهب الآن رجاءا"

"ولكن كيف سأجدك ثانية؟"

"لا أدري" قالت رين وهي تحاول الابتعاد عنه "لكني سأجد طريقة". ولم تكن بقادرة على إبعاد نفسها تماما عن ذراعيه.. "انظر، لقد صنعت الآلهة كل تلك المتاعب

والأمور كي تجمعنا سويا، أتظنها بعد كل هذا ستدع ضاحية خطيرة سخيفة كهذه تحول بيننا؟" ثم إنها تمالكت نفسها قبل أن تشرع في الثرثرة وإضاعة الوقت. لقد حدث ذات الشيء على رصيف الميناء في كوم أمبو، وبدا لها أنها قد تقول أي شيء باستثناء الشيء الوحيد الذي ترغب في قوله. لكن ثيو في نهاية المطاف قاله بدلا منها :

"أنا أحبك"

"يا إلهي، حقًا؟ أنا أيضًا!.. أنت، أعني... أنا.. أنا أحبك"، ثم إنها بدأت تتقدم نحوه، ثم تراجعت وهي تفكر : لقد أخبرته الآن بما في قلبي، والآن.. لكم سيكون مؤسفا أن أذهب إلى الأرض التي لا تشرق عليها الشمس.

ثم إنها استدارت وراحت تهرع مبتعدة بين الحطام نحو الشمال إلى حيث هاروبارو.

"اختبئ" صاحت رين فيه حين استدارت فوجدته واقفا في مكانه بلا حول ولا قوة يراقبها إذ تبتعد "اذهب واختبئ"، صاحت مرة أخرى، وهي تتأرجح بين الخوف والأمل في أن يصر على القدوم معها.

لكنها حين التفتت من جديد نحوه لم تجده.

ركض ثيو قليلا إلى حيث مجموعة من الأشجار الكثيفة تملأ تجويف أحد المسارات القديمة في الجوار، ثم توقف. لقد رغب حقا في الذهاب مع رين، ولكن لو أن هاروبارو كانت بالسوء والخطورة التي وصفتها له فسيكون حينها ذاهب إلى حتفه ولن يفيدها بشيء، بل على العكس قد يمثل خطورة عليها إذ سيتساءل فولف حينها عما يربطها بواحد من مناهضي التحرك.

ومع ذلك، لم يستطع ثيو الاختباء والانتظار مكتوف الأيدي، وهكذا استدار ناحية الشرق وتوجه نحو ساحة الحطام... فأهل لندن، وبرغم ما جرى، ليسوا بسيئين، و يستحقون أن يحاول تحذيرهم؛ وهكذا قرر أن يركض باتجاه مستودع المنطاد في الطرف الغربي من طريق هولواي ويخبر الفتيان الحراس هناك بما هو آت في الطريق إليهم.

وفي تلك الأثناء كانت رين تخوض عبر العشب العالي باتجاه الضاحية، و كان النهار معتمًا حيث انتشر الدخان المنبعث من البركان البعيد وراح يتصاعد عبر السماء، وكأنها أجواء نهاية العالم. وكانت هاروبارو قد توقفت الآن وسكنت محركاتها، و تساءلت رين عما إذا كان فولف كوبولد على جسر المراقبة، يراقب الأرض أمامه من خلال المنظار، ثم إنها خلعت سترتها وقلبتها لتجعل البطانة الحريرية الحمراء إلى الخارج، صحيح أنها رثة وباهتة، بعد كل تلك المغامرات، لكنها كانت لا تزال أكثر إشراقًا ووضوحا . ثم إنها صعدت فوق كومة لها من الحطام وبدأت تلوح بالسترة فوق رأسها وهي تصرخ : "فولف، فولف... إنه أنا، رين!"

و بعد بضع دقائق قفزت إلى أسفل وبدأت تسير من جديد، وكانت تشعر بالأرض إذ تهتز تحت قدمها مع اقترابها من الضاحية . و من وقت لآخر كانت تلوح بالسترة وتصيح، لكنها لم تكن حتى تستطيع رؤية هاروبارو التي غاصت في خندق عميق. ثم إنها نظرت نحو إلى السماء، لم تجد أي طيور مطاردة.... أين كانت العاصفة الخضراء بسلاحها الخارق بينما الضاحية تتقدم كل تلك المسافة عبر خطوطهم؟ يا له من انعدام للكفاءة!

وفجأة برزت كتلة من الأرض الرمادية أمامها، ومنها خرج رجل مسلح مصوبا بندقيته نحوها وهو يصيح : "توقفي مكانك!"

فصرخت رين وألقت السترة من يدها، ومن حولها برز رجال يرتدون زيا رماديا مائل للخضرة، مموها، من تحت الأرض. ولم تستطع رين أن تتعرف على وجوههم، لكنها أدركت من طريقتهم ومن النظارات الواقية على وجوههم أنهم من رجال الاستطلاع التابعين لهاروبارو، فرفعت يديها وقالت بصوت حاولت ألا يبدو مرتبكا :

"أنا رين ناتسوورثي، صديقة للعمدة!"

دنا واحد من الرجال منها و شرع يفتشها بحثا عن أي أسلحة، وشعرت بأنه يفتشها بدقة أكثر من اللازم - فهي لا تظن ابدا أن الأمر يستدعي تفتيش حتى حمالة صدرها بحثا عن أي سلاح خطير! - ثم قال قائدهم :

"تعالوا"

وهكذا راحو يركضون عبر الأرض الوعرة والممرات المتعرجة المليئة بالمياه

والعشب، ومعهم رين تركض وقد تملكها الإرهاق والوهن، فدفعها أحدهم لتسرع الخطى، إلى أن ظهرت أمامها دروع هاروبارو، وكان نصفها مغمورا في الوحل. وبين الدروع انفتحت فرجة، فأخذ الرجال رين إلى الداخل ثم أغلقوا الفرجة.

وعادت المحركات تعمل، وبدأت هاروبارو تستأنف طريقها نحو ساحة الحطام.

شعرت رين بغرابة شديدة أن تعود لتسير عبر شوارع الضاحية الخفية بعد كل ما حدث. و أن تجد نفسها واقفة في مقر البلدية الخاص بفولف كوبولد، فوق السجاد الناعم، بين الستائر المخملية واللوحات الجميلة والضوء اللطيف لمصابيح الأرجون. ثم إنها راحت تتطلع إلى نفسها في المرآة وبالكاد تعرفت على تلك الشابة اللندنية الشعثاء المغبرة التي تنظر إليها..

"رين!"

كان هذا فولف، وقدرت رين أنهم استدعوه من عند الجسر، حيث كان يرتدي حذاءا طويلا وسروال قصير وقميص بلا ياقة، وقد انتشر العرق تحت إبطيه. وقد بدا لها الفتى أكثر نحولا مما تتذكره عنه، يبدو أن رحلته في الارض العراء كانت شاقة بحق.

و للحظة شعرت بالسعادة والارتياح لرؤيته، و استغلت ذلك الشعور لترسم على وجهها ابتسامة خجول دافئة. "هر كوبولد ..."

"ولماذا تتحدثين بشكل رسمي يا رين؟" قالها وهو يقترب نحوها ويصافحها بكلتا يديه "... سعيد إنك جئت إلينا... ما الذي أتى بك إلى هنا؟.. هل أنت وحدك؟ أين والدك؟"

"ما زال في لندن" قالتها كذبا.

"هل يعرف اللندنيون بوصولنا؟"

"ليس بعد"

"إذن ماذا تفعلين هنا؟"

"كنت في انتظارك. كنت أعلم أنك ستأتي ..." ثم إنها سحبت ابتسامتها وبدا وكأنها

على وشك البكاء، ثم الإغماء، فساعدها كوبولد و أخذها إلى حيث المقعد.

"اوه، فولف... أبي سجين. بعد مغادرتك، اعتقد سكان لندن أننا لا بد حلفاء لك . لقد حبسونا في أقفاص مروعة، أقفاص حيوانات قديمة من حديقة الحيوانات. أبي ليس بخير، لكنهم لن يتركونه، لذلك هربت، وظللت قابعة عند أطراف ساحة الحطام في انتظارك، ورحت أنتظر و أنتظر، لقد حسبت أنك لن تأتي أبدًا"

لف كوبولد ذراعه حولها وأسند رأسها إلى صدره، وحملت رين نفسها على أن تذرف بعض من الدموع، ثم وجدت أنها إذا فكرت قليلا في ثيو ووالدها فسوف تتمكن من البكاء حقا، ثم قالت في ارتباك :

"هاروبارو هي أملي الوحيد... سوف تحافظ على أبي أليس كذلك؟، حين تلتهم "نيو لندن"؟"

"بالطبع.." قالها كوبولد وهو يمسد شعرها "بحلول هذا المساء سنكون في " كراوتش إند"، و سيكون سكان لندن وكل ما لديهم غنيمتنا، أما والدك فسيمسي في أمان"

فأبعدت رين رأسها عن صدره ونظرت له وكأنها مرتعبة، وقالت : "هذا المساء؟ لكن الأوان سيكون قد فات !.. سيغادرون بعد ظهر اليوم! لقد تم تقديم موعد الانطلاق بسبب القتال الدائر .... أوه، يجب أن تسرع"

إلا أنه هز رأسه وقال "مستحيل.. سوف يستغرق الأمر منا وقتا لتجاوز ساحات الحطام"

فمسحت رين وجهها بظهر يدها وقالت "أرني"

وتبعته على طول الممرات الضبابية، ثم عبر ساحات التفكيك، حيث الرجال يعكفون على تجهيز معدات ومحركات التقطيع. ثم صعدا عبر الدرج المؤدي إلى الجسر، ليقابلا " هوسدورفر" عند قمته، فهز رأسه تحية لرين ونظارته تومض في الضوء، ثم بدأ يقول شيئًا باللغة الألمانية لكوبولد، إلا أن العمدة الشاب لوح له، ثم قاد رين إلى طاولة الخرائط حيث تم فرد خارطة توضح منطقة الحطام، لا بد أن فولف قد رسمها من الذاكرة عقب عودته إلى هاروبارو؛ وعلى الفور ميزت رين العديد من

الأخطاء، بالإضافة إلى مساحات كبيرة فارغة في قلب ساحة الحطام، في المناطق التي لم يرها فولف قط.

أشار فولف على الخارطة بفرجار، متتبعا خطًا يتلوى حول الطرف الشمالي لساحة الحطام الرئيسة وصولا إلى نهاية " كراوتش إند"، وقال :

"هذه هي خطتي"

"ولماذا لا تتوجه مباشرة عبر المنتصف؟" سألته رين

"لا أعرف ما قد يكمن هناك. قد تكون المنطقة محفوفة بالكمائن، كذلك هناك تلك التفريغات الكهربائية التي تحدث عنها أهل لندن"

"خرافات..." قالتها رين باستخفاف "مثلما توقعت أنت، تلك" الأشباح" ليست سوى حكايات من اختراعهم ألقوها على مسامعنا فقط كي يمنعونا من التجول هناك واستكشاف الأمور. ذلك الذي رأيناه في يومنا الأول هناك كان مصطنعا، خدعة قام بها واحد من صبية جاراموند كان يختبئ بين الحطام مع إحدى بنادق الصاعقة" قالتها مبتسمة. ثم تابعت "انظر، إذا أردت أن تضمن الوصول إلى "كراوتش إند" قبل أن يرحلوا بمدينتهم الجديدة، عليك أن تذهب عبر هذا الاتجاه، إنه واد ممتد عبر الحطام، سوف يقودك مباشرة إلى هناك، كذلك لا توجد نقاط مراقبة في هذا الجزء، وبالتالي لن يتم رصدك"

ثم إنها التقطت قلم رصاص مربوط بقطعة من الخيط البالي من زاوية الطاولة، ورسمت خطًا على الخارطة كي تتبعه هاروبارو، من الغرب إلى الشرق من خلال ساحة الحطام، مباشرة على طول الممر الكهربائي.

كان الفتية المكلفون بحراسة الأركيوبتركس قد سمعوا أصوات هدير المحركات المكتوم آتيا من ناحية الغرب، حين وصل ثيو. و كانا يقفان على نتوء عالٍ من الحطام، يحدقون عبر الضباب، بينما ثيو يقترب منهما، وقد سمع أحدهما يقول : "لا أستطيع رؤية أي شيء. لا بد إنه صوت البركان"

فأجابه الآخر : "أو ربما هو صوت محرك منطاد. ربما هناك منطاد يدور فوق كل هذا الضباب ..."

"ليس منطادا.." صاح ثيو، وسارع باتخاذ ساتر له بمجرد أن التفتا نحوه، خشية أن يقوما بإطلاق سهامهما عليه. لكنهما وقفا يحدقان فيه فقط، وقد كانا نفس الصبيين اللذان تحدث إليهما اليوم السابق، وراح يحاول تذكر إسميهما.. ويل هالسوورث و جيك هينسون.

"ويل.." قالها وهو يسير نحوهما وقد رفع يديه ليظهر لهما أنه غير مسلح، "جيك، هناك ضاحية تقترب من هنا، هاروبارو، عليكما أن تحذرا الآخرين، ينبغي أن تتحرك مدينتكم الجديدة الآن"

"لا تنصت إليه" قالها جيك لرفيقه "إنه طحلبي، لقد قال السيد جاراموند ..."

"السيد جاراموند مخطئ " قال ثيو "لو أنني طحلبي، فلماذا أعود لأحذركم من اقتراب هاروبارو؟"

"ربما لا يوجد هاروبارو.." قال ويل وهو يفكر بعمق "... ربما الأمر كله خدعة من الطحلبيين"

وفجأة دوى صوت محركات قوي طغى على صوت الفتى، قادم من مكان ما إلى الجنوب الغربي، وارتجت الأرض، وراحت بعض من قطع الحطام تتساقط، وانتشر الدخان والغبار عند القسم الجنوبي.

"إنها تخرج إلى السطح.." صرخ ثيو "لقد بلغت طرف الحطام، تعالا"

"وماذا عن الأركيوبتركس؟" تساءل جيك، "لا يمكننا أن نتركه دون حراسة"

"نعم، علينا أن نبلغ لورباك أو كليتي.."

"لا يوجد وقت لهذا!" صاح ثيو، بينما لوحة طبقة السطح التي يقفون عليها وقد تحررت بفعل الاهتزازات الصادرة عن الضاحية الجائعة التي كانت تشق طريقها عبر الحطام على بعد ميل واحد إلى الجنوب.

"ولكننا نستطيع أن نطير به!" صاح ويل باكيا ذعرا

"أنا أستطيع" قال ثيو

"نعم، إلى موطنك، حيث الطحلبيين القذرين من أصدقائك، لن نقع في

تلك الخدعة!"

"ويل!" صرخ ثيو "أنا لست مع العاصفة الخضراء، ثق بي"

ثم إنه إندفع نحو المنطاد، وقال "هل هو مزود بالوقود؟"

"أعتقد ذلك، لقد كان لورباك فلينت هنا بالأمس يعمل به"

هز ثيو باب الزورق فوجده مغلقا، وحين طلب المفاتيح وجد أنها ليست في حوزتهما، فالتقط قطعة كبيرة من المعدن وحطم الباب، ثم انتزع سكينًا من حزام ويل وبدأ في قطع الحبال التي تثبت المنطاد.

"غالبا ستكون مقصورة القيادة مغلقة هي الأخرى" صاح وهو منكب على قطع باقي الحبال "ولكن لا يهم، حتى لو لم أتمكن من تشغيل أدوات التحكم، فستحملنا الرياح إلى حيث "كراوتش إند"، وسنصل أسرع مما لو ركضنا إلى هناك"

هم جيك و ويل بالاعتراض، ثم استسلما، وانضما إليه يعاونا‌ه.

إهتز المنطاد بمجرد أن انقطعت كافة الحبال، ولاحظ ثيو وجود صاروخين أسفل وحدات المحركات الأمامية، وقدر ثيو أنه لو استطاع الوصول إلى كراوتش إند وإقناع طاقم الاركيوبتركس بالعودة معه، فلربما يتمكن من تأخير أو إيقاف تقدم هاروبارو، وكان قد سمع الكثير حول كيف يمكن لصاروخ أن يوقف مدينة بأكملها، بشرط أن يتم تصويبه بدقة وحنكة. فإذا نجحوا في ذلك، عندها سيكون لدى "نيو لندن" الفرصة للهروب، وربما يجد هو وسيلة للدخول إلى متن تلك الضاحية الحصادة المعطلة والوصول إلى رين.

و صعد الفتية الثلاثة إلى الزورق عندما بدأ المنطاد غير المربوط في الارتفاع، و في الداخل، وجد ثيو أنه يمكنه تشغيل مقبض الرفع وعجلات الدفة، على الرغم من عدم تمكنه من تشغيل المحركات. و تسللت أشعة الشمس عبر النوافذ مع ارتفاع الأركيوبتركس نحو الأعلى بعيدا عن شبكات التمويه. و بالفعل كانت الريح مواتية، وحملت المنطاد غربًا، وأدار ثيو عجلة الدفة باتجاه " كراوتش إند".

انطلق الصاروخ الأول ليخترق مقدمة غلاف المنطاد ويمرق عبره ممزقا المركبة طوليا، قبل أن يصطدم بخلايا الغاز المركزية وينفجر، لتندلع النيران من الجزء

الخلفي منها، و راح جيك وويل يصرخان بينما الزورق يتمايل بعنف . وراح ثيو يكافح للتحكم في مقابض الضوابط، و من خلف ستار الدخان المتصاعد من الاركيوبتركس، لمح مركبة أخرى تحلق : سفينة صغيرة مسلحة ذات غلاف أبيض تزينه شارة صاعقة خضراء . ومن ناحية أذرع التوجيه بالمركبة العسكرية برزت المدافع الرشاشة وراحت تمطر الاركيوبتركس بوابل من الرصاص، اخترقت نوافذ المنطاد لتصيب ويل وتطيح به إلى الخلف.

"ويل!" صرخ جيك. وهرع ثيو يسحبه إلى سطح المنطاد، ونظر عبر الدخان نحو منطقة الحطام ليفاجأ بسرب من المناطيد البيضاء يحلق فوقها على ارتفاع منخفض..... لقد وصلت العاصفة الخضراء.

***

46. الطريق المختصر

كانت السفن الحربية تحلق على ارتفاع منخفض فوق "كراوتش إند" بما يكفي ليرى الجميع الصواريخ اللامعة والمدافع الجوية بها. و ركض عدد من سكان لندن الشجعان بحثًا عن الأقواس وبنادق الصاعقة استعدادا للقتال، لكن السيد جاراموند صرخ فيهم ألا يكونوا حمقى؛ صحيح أنه كان يمقت العاصفة الخضراء، لكنه كان يعلم تماما أن محاربتهم ستكون ضربا من الجنون.

وفي موضع آخر، قام واحد من اللندنيين بربط ملاءة بيضاء في ذراع مكنسة قديمة، وأخذها لين بيبودي وراح يلوح بها عاليا في حركة محمومة بينما السفينة الجوية قائدة السرب تهبط إلى الأرض. وكانت تلك السفينة هي ال" فيوري"، السفينة الحربية الحقيقية الوحيدة في السرب، لكن سكان لندن لم يلحظوا الفرق بينها وبين باقي السفن، بل كان انتباههم مركزا على الجنود والمطاردين المقاتلين الذين تدفقوا خارج المنطاد بمجرد أن حط على الأرض.

وكان الجنرال ناجا أول من قفز من المنطاد، ووقف على الأرض منتصبا وسيفه في يده، وراح يتنشق الهواء الصدئ لساحات الحطام، بينما أصوات قواته إذ تنتشر يتردد صداها من ورائه، ثم إنه التفت إلى يمينه حيث هبطت إثنتان من مركبات قواته فوق كومة كبيرة من الأنقاض، بينما عدد آخر يحوم حولها، بينما مجموعة من رجاله يدفعون المزيد من اللندنيين عبر المسار المؤدي إليها.

"الموقع آمن يا صاحب السعادة" قالها الضابط الثاني في فريقه، اللواء " ثين" وهو يهرع نحوه ويركع على ركبته تحية لقائده.

"هل وجدتم مقاومة؟"

"إحدى سفن الشحن المسلحة الخاصة بنا أسقطت مركبة ارتفعت من الطرف الغربي للأطلال. بينما أصيبت المركبة الحربية" انتقام زهرة الرياح "بصاعقة كهربائية ما ودُمرت تماما، وكانت قد أبلغت عن وجود تحركات في الجزء الغربي من الأنقاض قبل أن يتم قصفها. لقد أرسلت مركبة "الأشباح الجائعة" للتحقق من الأمر"

سار ناجا باتجاه جموع اللندنيين المحتشدين على المسار، وصدى وقع أقدامه

الثقيلة فوق قطع الصدأ تسحقها، يتردد، مذكرا إياه بصوت سحقه لأنف أوينون حين ضربها. ثم حاول من جديد التوقف عن التفكير فيها، مرددا على نفسه أنها خائنة وأنه لو لم يتعامل معها بصرامة لتمرد ضده نصف رجاله، وأن عليه أن يكون قوياً إذا أراد إنقاذ الأرض من هؤلاء الهمجيين وسلاحهم الجديد.

لكن هؤلاء الهمجيين الذين أتى إليهم عبر تلك المسافة بدوا له مخيبين تماما للآمال، عبارة عن مجموعة من البدائيين رثي المظهر، عزل من السلاح، باستثناء عدد من البنادق والأقواس المصنعة يدويا، والتي قاموا بإلقائها من أيديهم حين رأوا قوات ناجا تهبط إليهم.

وكانت مفاجأة لناجا أن وجد لديهم حدائق وحقول للنباتات، تماما مثل البشر الحقيقين!... يا للآلهة !. أما قائدهم فقد كان رجلا ضئيل الحجم، يرتعد خوفا، تتدلى من عنقه سلسلة صدئة تحمل قلادة تشي بأنه العمدة هنا.

"" تشيسني جاراموند"..." قالها الرجل بالإنجليزية "عمدة لندن. أنا هنا للتفاوض نيابة عن قومي ."

"أين جهاز الإرسال؟" صاح ناجا .

"ماذا؟" قالها جاراموند فاغرا فاه في خوف، فرفع ناجا سيفه، لكن وجه الرجل المصاب بالكدمات وأنفه المتورم ذكره فجأة بأوينون، فأنزل سيفه من جديد، ودرعه يصدر صريرا عاليا مع حركته السريعة.

"أين تخفونه ؟" صاح ناجا من جديد "نحن نعلم أن المحطة الأرضية موجودة في لندن... لماذا اختبأتم كل تلك السنوات هنا؟ ولماذا قصفتم إحدى مركباتي بإحدى بنادقكم الكهربائية تلك ؟"

"لم يكن نحن.." قالها رجل آخر "هذا كان مجرد تفريغ لشحنة كهربائية من الحطام، لقد اقترب رجالك جدًا من الممر الكهربائي، آسف"

"وماذا عن التحركات التي رصدها رجالي عند الحطام هناك؟"

"لا يوجد شيء هناك سوى صبيتنا في نقاط المراقبة" أجابه جاراموند "رجاءا لا تؤذهم، إنهم مجرد أطفال..."

إلتفت ناجا نحو قواته وقال "هذا الهمجي لا يعرف شيئا، فلتأتوا لي بالمهندسين"

"قادمون يا سيدي" قالها ضابط فرعي يرأس فرقة من المطاردين كان كل واحد فيهم يمسك بأسير حليق الرأس يحاول التملص منه ومقاومته، إلى أن وصلوا إلى ناجا، فقام أحدهم بإلقاء امرأة عجوز عند قدميه، فلوح لرجاله أن يتراجعوا للخلف ووقف يشاهدها إذ تحاول النهوض.

"أين جهاز الإرسال؟" سألها ناجا، فنظرت إليه المرأة بفضول، لدرجة أن ناجا أحس بالارتباك خشية أن تلتقط المرأة الإحساس بالذنب الذي يعتريه لكنه يداريه خلف قناع من الصرامة.

ثم إنها قالت "لا يوجد هنا جهاز إرسال يا سيدي"

"إذن كيف تتحكمون في سلاحكم المداري ؟"

فاتسعت عينا المرأة باندهاش أصاب ناجا بحيرة جعلته يتساءل للحظة في داخله عما إذا كان مخطئًا، فيما راح سكان لندن يدمدمون و ينظرون لبعضهم البعض، إلى أن قام رجاله بإسكاتهم تحت التهديد. فقالت المهندسة :

"إنهم متفاجئون أيها الجنرال، لأنهم جميعًا اعتقدوا أنك أنت من يسيطر على هذا السلاح الجديد. بالتأكيد نحن لا نملك هكذا سلاح، كما أننا لسنا في عداء مع أحد ؛ نحن ببساطة نقوم ببناء مدينة جديدة لأنفسنا"

"آه، نعم، مدينتك الحوامة ! أنا لم أصدق تلك القصة التي ثرثر بها عميلكم أمامي في باتمونخ جومبا، ولن أصدقها الآن... اسكتوا هؤلاء الهمجيين!" صرخ ناجا في رجاله. بينما الهمجيين يحدقون فيه بخوف، و انفجر طفل صغير في البكاء، فسارعت أمه في إسكاته، فشعر ناجا بالخجل. ثم إنه عاد ينظر إلى المرأة المهندسة، فمدت إليه يدا متعرقة وهي تقول :

"تعال والق نظرة بنفسك..."

في ذات الوقت كانت السفينة القتالية " الأشباح الجائعة" تحلق فوق حطام الأركيوبتركس وراح طاقمها يتحقق من عدم وجود ناجين، ثم توجهوا بعيدا نحو الجنوب الغربي للتحقق من التحركات التي رصدتها مركبة "انتقام زهرة الرياح" قبل

أن يصعقها ذلك القبس الكهربائي. ارتفع ربان المركبة بها نحو الأعلى خشية أن تلقى نفس مصير المركبة الأخرى المنكوبة، وفي اللحظة التالية رأى أكوام الحطام تهتز وتتحرك، فراح يحدق مندهشا في عدم فهم في المشهد الدائر تحته، إلى أن انشق مسار قديم ومن تحته خرجت قمة هيكل مدرع.

ومن نقطة المراقبة بالضاحية رأى الرجال المركبة، وانفتحت فرجة ومنها انطلقت مجموعة من الصواريخ صوب المنطاد ففجرت محركاته في الحال وشقت زورقه لنصفين، وحطمت ذيله، قبل أن تحيله إلى كتلة من الحطام المشتعلة جرفتها الريح.

"اللعنة، كأن هذا ما ينقصنا!" صاح فولف كوبولد في غضب، مما جعل رين تنكمش على نفسها؛ وكانت قد قدرت أن هاروبارو الآن لا بد وان تكون بالقرب من الطرف الغربي للممر الكهربائي، وراحت تنتظر وتنتظر ضربة الشحنة الكهربائية الأولى، وحين يحدث ذلك سوف يعلم فولف بالتأكيد أنها خانته. ولكن في الوقت الحالي بدا لها أنها لا تزال في أمان.

و رأها فولف ترتعش، فتوجه نحوها ووقف إلى جوارها عند طرف الجسر، وقال "لا شيء يدعو للقلق يا رين... يبدو أن بطاريات الصواريخ الأمامية الخاصة بي أسقطت للتو سفينة حربية من سفن العاصفة الخضراء. هؤلاء المتوحشون موجودون في لندن بالفعل."

"أوه!"

"لا تقلقي" قالها وهو يضحك من تعبير الفزع الذي ارتسم في عينيها وعلى وجهها ".. لقد سبق وتعاملنا مع العاصفة الخضراء من قبل. أفراد المراقبة لدي يقولون إن مركبات العاصفة الخضراء الموجودة هناك قديمة ومتهالكة، عبارة عن سفن شحن ونقل، يبدو أن ناجا يرى أن أصدقاءك في لندن لا يستحقون إرسال وحدة حربية حقيقية للتعامل معهم. سنقوم بسحقهم بسهولة "

ثم إنه راح يصيح على هوسدورفر بمجموعة من التعليمات، وبدوره صاح الملاح العجوز عبر أنابيب التحدث بجوار الدفة، وفي اللحظة التالية زادت الضاحية من سرعتها، و راح الجسر يرتج، وقطع من الصدأ تتساقط، بل وتهاوت أجزاء من المبنى القديم إلى الأسفل لتنسحق تحت العجلات الثقيلة للضاحية.

تشبثت رين بطاولة الخرائط كي لا تتعثر وتسقط، فوضع فولف ذراعه حولها، وقال "كل شيء سيكون على ما يرام. في غضون ساعة سنكون هناك، شكرا لك على إرشادنا لذلك المسار المختصر، لن أنسى صنيعك هذا يا رين"

فنظرت له رين وراحت تفكر... ربما لن تضربهم أي صواعق كهربائية، وربما تكون العشرات منها قد ضربت جسم هاروبارو بالفعل دون أن تلحق أي ضرر على الإطلاق في الدرع السميك للضاحية. وبهذا تكون كل ما حققته من تلك الضاحية أن تكون عجلت بالتهام "نيو لندن".

ولكن، حتى إذا وقع ذلك، فما المشكلة؟.. أولن يكون هذا جزاءً عادلا لأبناء لندن لقاء ما فعلوه بها؟؛ بل وقد يكون في ذلك خير أيضا، فمن يدري، ربما تصير هاروبارو بالتهامها "نيو لندن" و استغلالها للتقنية التي طورتها دكتور تشيلدرماس بمثابة قوى عظمى، مدينة ضخمة حوامة، وربما يعرض فولف كوبولد عليها الزواج، فتصير "فراو كوبولد"، زوجة عمدة المدينة. فبعد تلك المدة التي قضتها بين الحطام والأنقاض، (8) بدت لها الحياة المريحة بين الأثاث الفاخر والكتب، جذابة للغاية، وقد تتمكن مع الوقت من ترويض فولف قليلا وتجعله يعامل عماله وأسراه بأسلوب أفضل...

"إننا ندخل عبر الوادي الآن يا رين" قالها فولف بحرارة، بينما هو يستمع إلى ما يقول هوسدورفر الذي اتخذ موضعه أمام المنظار وراح يرصد الأجواء في الأعلى، "الطريق آمن تماما ولا يوجد أحد، بالضبط كما قلتِ"

ركض ثيو و جيك عبر الحطام المتشابك، وراحا يدفعان الأسلاك والخراطيم والعوارض ودعامات الطبقات المتساقطة، وقد تمزقت ملابسهما واحترقت بفعل النيران التي نجوا منها عندما سقط الأركيوبتركس. و لم يدروا أين هما ولا إلى أين يذهبان، بل لم يكن باستطاعة كل منهما سماع الآخر إذ يتحدث، بسبب الهدير العارم للمحركات وأصوات قعقعة وسحق المعادن التي بدا أنها تأتيهما من فوقهما وتحتهما ومن كل مكان حولهما.

ومن شق بين أكوام الأنقاض، تبدى لهما ما يشبه المجرى المائي، حيث تجمعات مياه الأمطار تنساب من مرتفعات الحطام، فصاح جيك بشيء ما وركض نحو المجرى، و هم ثيو يركض وراءه، إلا أنه لمح لافتة بين الأنقاض، نصف مخفية بقطع

من الخردة المتساقطة من أكوام الحطام بفعل الارتجاجات والاهتزازات الناتجة عن حركة الضاحية القريبة ؛ وحين دقق النظر فيها رأى تلك العلامة الشهيرة : الجمجمة والعظمتان المتقاطعتان - علامة الخطر.

و تذكر ثيو شيئًا أخبرته به رين عن ممر كهربائي،. فصرخ ""جيك!""

وكان جيك أمامه يركض متعثرا عبر الوادي.

"احذر!" صاح ثيو من جديد، لكن الضوضاء كان عارمة لدرجة جعلت من المستحيل عليه هو نفسه سماع صوته أو حتى صوت أفكاره، ومع ذلك ظل يصرخ: "عُد!، الصواعق الكهربائية سوف تصيبك "

"ماذا؟"

وبالفعل أصابه شيء ما، ولكن ليس صاعقة كهربائية... فمن جدار شديد الانحدار يشكل الجانب الآخر من الوادي سمعا دوي انفجار معدني شديد، فهرع جيك يركض عائدا باتجاه ثيو، لكن جسما فولاذيا عملاقا خرج من الجدار وكان أسرع منه : مسار ذو عجلات ضخمة ترتفع بطول طابقين، اندفع يجري نحوه ليسحقه تحته ويمر من فوقه العجلة تلو الأخرى على طول المسار.

وأمام عيني ثيو المرتعبتين، راحت الضاحية تحرر نفسها من تحت جبال الحطام، ومحركاتها تعوي بضراوة، ثم بدأت تعدل اتجاهها ناحية الشرق.

كانت ضاحية صغيرة، لكن من موضعه حيث وقف، شعر ثيو وكأنها العالم بأسره : مدرعة بالكامل، ممتلئة بالنوافذ والفتحات الصغيرة بعضها للمدافع وبعضها للتهوية، تعج بالبشر كل منكب على عمله، دون أن يشعروا بالصبي الذي سحقوه للتو تحت عجلاتهم.

وتحت وقع الارتجاجات نتيجة لحركة الضاحية الثقيلة، بدأت جبال الحطام من حول ثيو في الانهيار، فهرع يركض عائدا للوراء، إلا أن اللوح المعدني الذي يغطي الممر الذي كان يجري عبره بدأ يميل ويصير أكثر انحدارا، حتى بدا لثيو وكأنه يتسلق تلاً، وراح ثيو يكافح من أجل التشبث باللوح كي لا يسقط، لكنه سقط في النهاية ليرتطم بقطع من الحطام، و يهوي إلى الوحل والماء في قاع الوادي.

رقد ثيو في القاع مغمضا عينيه يرتجف ويلهث، وقد سُر بالمياه التي تسربت عبر ثيابه، إذ كان احساسه ببرودتها دليلا له على أنه لا زال حيا. "حمدا للرب... حمدا للرب"

لكنه ما إن فتح عينيه حتى أدرك أنه ما كان له ان يكون ممتنا كل هذا الحد، فمن وراء الأشجار النامية على حافة البركة التي سقط فيها، كانت هاروبارو تتقدم نحوه مباشرة، كطوفان فولاذي عارم مكتسحة تلال الحطام أمامها لتسقط أمام مساراتها الضخمة كزبد البحر.

هب ثيو من رقدته في هلع وراح يركض من أمام الضاحية المرعبة بالاتجاه الآخر، ولكن من جبل الحطام أمامه، انفجر ضوء شديد السطوع، محدثا صوت قعقعة عالية، ليلقي بظل الفتى على الصدأ المتراكم عند حافة البركة.

وفي عمق الوادي، وجدت الضاحية الخطرة نفسها مقيدة بحبال من الكهرباء التي تسللت إلى جسمها المعدني وراحت تحوطها من كل موضع وتخترقها عبر النوافذ والفتحات، وبين المسارات العملاقة اشتعلت النيران في بعض النباتات التي علقت بالعجلات، وأصدرت محركاتها عواءً عاليا ثم سكنت، فيما تصاعد صوت قعقعة وطقطقة عاليين، وصوت أشبه بكرمشة قطعة عملاقة من السيلوفان، و كأنما الرب يفك أغلفة السيلوفان عن قطعة حلوى عملاقة.

وعلى الضوء الأزرق المتراقص لألسنة الكهرباء، هرع ثيو عبر المياه الضحلة إلى حيث الجزء الوحيد غير المعدني في المكان : صخرة ضخمة جرفتها مسارات لندن ذات يوم. وبسرعة تسلق ثيو الصخرة ليلقي بنفسه على قمتها، داعيا الرب ألا تؤدي حركته وملابسه المبتلة لجذب ألسنة الكهرباء إليه. ومن فوق رأسه كانت السماء مغطاة بشرارات من النيران الزرقاء، بينما خيوط الكهرباء تطول كل شيء في الضاحية المتوقفة وتتسلل لتمسك بالحطام من حول الصخرة التي قبع فوقها ثيو، و على مقربة أمسكت النيران في إحدى الأشجار وحولتها إلى عود ثقاب محترق.

وفجأة توقفت عاصفة الكهرباء، وخمدت آخر الشرارات محدثة قعقعة في المسافة بين هاروبارو وجدران الوادي. و انزلق الحطام حول مسارات الضاحية، وتصاعد الدخان ببطء.

وقف ثيو محاولا التقاط أنفاسه أخيرا، و أمامه كانت الضاحية هامدة بلا حراك ودروعها متغضنة في عدة مواضع من أثر الكهرباء والنار.

“رين؟...” قالها ثيو وسط الصمت “رين؟...”

***

---

(8) - فراو Frau : سيدة بالألمانية.

47. معركة "كراوتش إند"

وقف الجنرال ناجا فوق الأرضية المنحدرة لـ"الرحم" وراح يتطلع لأعلى نحو "نيو لندن"، وصورته المنعكسة على المنحنى الطويل للجانب السفلي للمدينة الصغيرة وكذلك المرايا العجيبة المعلقة أسفلها. ما الذي يدفع أي شخص لبناء شيء كهذا؟.. هل كان ناتسوورثي يقول الحقيقة حين تحدث عنها؟.. أحقا يؤمن سكان لندن أن تلك الآلة العجيبة يمكنها الطيران؟.

راحت الشكوك تراود ناجا وتلح عليه، وقد حاول بكل جهده تنحيتها جانبا، وهو الجندي المقاتل الذي اعتاد التحكم في عقله وأفكاره، لكنه اليوم لم يستطع التغلب عليها، وظلت تتردد داخله بلا هوادة... إذا كان مهندسو لندن كانوا يوجهون كل جهودهم عبر تلك السنوات فقط لبناء تلك المدينة العجيبة، فأين إذن مركز الإرسال المتحكم في ذلك السلاح الجديد؟ أوكانت أوينون كذلك صادقة فيما قالت؟ هل كل ذلك الخزي والتنكيل الذي لاقته على يديه كان بلا سبب؟.

كان الجنود الذين أرسلهم على متن "نيو لندن" للتفتيش عائدين ، وقد هرعوا يهبطون السلالم شديدة الانحدار، و ركض ضابط الإشارات الشاب الذي كان مسئولا عن البحث، عبر الأرضية المشحمة نحوه وأدى التحية، ثم قال : "يا صاحب السعادة، لم نعثر على أي شيء يدل على وجود جهاز إرسال. بالتأكيد لا يوجد هنا شيء قوي بما يكفي للوصول إلى السلاح المداري."

فأشاح ناجا بعيدا، وأغلق عينيه محاولا إعادة ترتيب ذهنه، وفي مخيلته رأى أوينون تبتسم ابتسامتها الخجول البسيطة، وتقول "لقد قلت لك"..

والآن ماذا؟.. راح ناجا يفكر.

"هل تأمرنا بتدمير ضاحية الهمجيين تلك ؟" سأله الضابط.

فنظر ناجا نحو المدينة من جديد... إنه يمقت جميع المدن المتحركة، و يؤمن بأنه ينبغي أن يصبح العالم أخضر من جديد؛ لكن اليوم، ولسبب ما، لا تطاوعه نفسه على إصدار هكذا أمر . وقد سُر كثيرا حين جاءه ذلك الرجل مقاطعا إياه، يركض عبر "الرحم" صارخا: "جنرال ناجا ! تم إسقاط منطاد "الأشباح الجائعة" هناك شيء يقترب

من الغرب!"

استل ناجا سيفه وخرج مسرعا إلى حيث ضوء النهار الرمادي والجنود وسكان لندن المرعوبون يتزاحمون من خلفه. ومن وراء تلال الصدأ وأكوام الأنقاض، تناهى إلى مسامعه صوت خافت لهدير محركات من طراز C50 Super - Stirling..... ضاحية حصادة.

حمدا للآلهة... هكذا راح ناجا يردد داخله... حمدا للآلهة، إنها ضاحية حصادة، على الأقل سيكون لديه شيء ينشغل في تدميره دون وخز من ضمير. وبسرعة استدار نحو الضابط المنتظر وهم بأن يأمره بشن هجوم جوي، لكنه وقبل أن ينطق بكلمة، انقطع صوت المحرك على حين غرة، وحل محله صوت طقطقة، فالتفت من جديد نحو مصدر الصوت ووضع يدا يظلل بها عينيه طلبا لرؤية أفضل، ورأى الأفق يومض بألسنة كالبرق.

"الأشباح!" صاح واحد من اللندنيين، "لا بد أنهم جاءوا عبر الممر الكهربائي. يا للشياطين البؤساء، لا بد أنهم قد صعقوا الآن".

***

تصاعد الدخان ببطء عبر جسر هاروبارو، فيما استلقت رين على ظهرها فوق الأرضية وراحت تشاهده إذ يتصاعد، على انعكاس أضواء الطوارئ الحمراء الخفيضة.

و بالقرب منها تأوه شخص ما، ثم بدأت تسمع أصوات أخرى : صراخ وصيحات غضب تتردد من مواضع متفرقة من الضاحية، حيث سكنت المحركات الصاخبة تماما ولم يعد صوتها الهادر يغطي على ما عداها من أصوات.

تحسست رين جسدها بحثا عن أي جروح او إصابات، لكنها لحسن الحظ لم يصبها أذى. وفي ذهنها راحت تستعيد ما حدث : لقد كانت واقفة في موضع على الجسر حين وقع ما وقع، و اصطدم بها شخص ما فأسقطها أرضا عند الباب، ويبدو أنها فقدت الوعي لثوان، وحين أفاقت حدث كل شيء بسرعة... الشرر المتطاير من سقوط الآلات.. انفجار لوحات التحكم... صراخ قائد الدفة بينما عجلة القيادة تستحيل إلى دائرة من الضوء والشرر الأزرق.

و أدركت رين أن خطتها قد نجحت بالفعل، وأن عليها أن تبتهج امتنانا لنفسها. وعلى مقربة منها نهض فولف على قدميه، والدماء تغطي وجهه، وقد بدت سوداء في ظلال الضوء الأحمر الباهت.

"انهضوا" صرخ فولف بصوت أجش "انهضوا جميعا، شغلوا محركات الطوارئ جميعها فورا، هوسدورفر، انزل إلى منطقة المحركات، أريد تقريرا بالتلفيات والأضرار !.. "لوركاس"، أخرجنا من مستنقع الصواعق اللعين هذا ... "زبيغنيو"، نظم فرق الاستطلاع و أخرجهم الآن، الآن!"

"لكن الصواعق..."

"أيا ما كان هذا فقد انتهى الآن، لا يجب أن ندع ذلك التأخير يمنح أهل لندن الفرصة للفرار"

فأطاع "زبيغنيو" وراح يصيح بالأوامر بدوره عبر أنابيب التحدث، بينما سحب لوركاس جثة قائد الدفة من على العجلة وألقاه على الأرض.

شرعت رين تتحرك باتجاه السلم، وسط أصوات رجال كوبولد وصيحات الذهول والأسئلة واللعنات ، ثم سمعت أحدهم يتساءل باللغة الإنجليزية "ما الذي حدث بحق ثاتشر"؟

"إنها هي!" صاح هوسدورفر، والذي كان قد نهض على قدميه ووقف مستندا إلى مسند كرسي فولف بيد، ويشير نحو رين باليد الأخرى، وكانت يداه ترتجفان مثلها تماما، "لقد قادتنا إلى هنا!"

فنظر كوبولد نحوها ثم قال "لا!"

"إنها هي يا فولف" صاح الرجل وهو يفك حزامه "فكر بعقلك وليس بقلبك. لقد كانت تعرف ان هذا سيحدث، لقد أرادت إحراقنا لحماية أصدقائها"

"لا" قالها فولف ثانية، لكن رين لاحظت تغير وجهه ونظراته، لقد حاول أن يحمل نفسه على الاستمرار في تصديق أنها بريئة، لكنه فشل.

وفي اللحظة التالية اندفعت رين تركض، و مدّ رجل يقف بالقرب من أعلى السلم

يده ليمسكها، لكنها ركلته بقوة بين رجليه ودارت من حوله عبر أرضية الجسر متفادية إياه، وكان لا يزال الدرج المعدني مفعما بالكهرباء تحت يديها، والذبذبات الكهربائية ترسل صدماتها عبر ذراعيها. ومن ورائها سمعت فولف إذ يصرخ "امسكوا بها" ، وراح ورجاله يتسابقون نحوها، لكنهم كانوا بطيئين للغاية بالنسبة لها، بينما هي تهبط الدرج بين الدخان وظلال ساحات التفكيك، ثم قفزت الدرجات الأخيرة من السلم إلى حيث الأرض، لتسقط فوق شيء طري، فنظرت لتجده جثمان رجل ميت أحرقته ألسنة الكهرباء التي اندفعت عبر ألواح سطح الضاحية. وقد شعرت بالغثيان للحظة، وكانت تعرف أنها، رغم كل شيء، مسئولة عن موته.

ترى، هل هذا ما شعرت به أمي حين قتلت صيادو أركانجيل ؟... هكذا راحت تفكر، ثم جاءها صوت فولف يصرخ من مكان ما في الأعلى :

"رين!.. أتعتقدين أنه يمكنك الهروب حقا؟"

فنسيت احساسها بالذنب وشرعت تركض من جديد. إذا كان اللوم يقع على عاتق أي شخص، فإنه يقع على عاتق فولف كوبولد في المقام الأول، فهو الذي جلب ضاحيته إلى هنا لافتراس "نيو لندن".

ثم إنها صعدت السلالم إلى حيث متاهة شوارع هاروبارو السكنية. وبينما هي تركض، بدأ المعدن أسفل قدميها يهتز، بسرعة في البداية، ثم استقر في إيقاع ثابت .

"لقد بدأوا في تشغيل المحركات الاحتياطية يا رين" صاح فولف.

كانت رين تقف الآن خلف مطحنة مهجورة، وأطلت برأسها من بين الظلال، فرأته يعبر الساحات، وهو يناديها ويتلفت بحذر، كمن يلعب دور الملاحق في لعبة الغميضة.

"لم تكوني تتوقعين ذلك، أليس كذلك؟ اعتقدت أنه يمكنك تدمير"هارو بارو" من خلال خداعنا والمجيء بنا إلى وادي الصواعق هذا، ولكن "هاروبارو" أقوى مما تعرفين يا رين. سوف نتحرك مرة أخرى قريبًا، وسنأكل أصدقاءك اللندنيين . إذا كنت لطيفة معي بما يكفي، فسأبقيك على قيد الحياة كي تشاهديهم يموتون"

ومن لوحة توصيل كهربائي تالفة بالقرب منه انفجر الشرر، ورأت السيف في يده يتوهج بالضوء، واختفى كوبولد عن ناظريها خلف إحدى الدعامات، فانتهزت فرصة

ما حدث وراحت تركض من جديد صعودا عبر أحد السلالم إلى حيث الشوارع المفعمة بالدخان.

لكن الشوارع لم تكن مظلمة تماما مثلما كانت من قبل، إذ تضررت أجزاء كبيرة من الدروع، وكأن شخص ما فتحها بفتاحة ضخمة لعلب الصفيح، وعبر الفتحات تسللت أشعة الشمس، فيما راح عمال هاروبارو المحبين للظل يهرعون هنا وهناك - محاولين تجنب ضوء الشمس قدر الإمكان - لإجراء الإصلاحات وسد الثقوب والفتحات. و مرت مجموعة من الرجال المسلحين بالقرب من رين، لكنهم لم يكونوا يبحثون عنها.

و حرصت رين على البقاء الظل، مثل البقية، وهرعت نحو مؤخرة الضاحية بحثًا عن أي مخرج، وكان قد تم فتح عدد من فتحات المرور، لكنها كانت جميعا تعج بجامعي المخلفات الذين هرعوا إلى حيث ساحات الحطام. و حاولت رين ألا تفكر فيما سيفعله هؤلاء حين يصلون إلى " كراوتش إند"، إلا أنها راحت تطمئن نفسها بأن سكان لندن لا بد وقد سمعوا الصخب الرهيب الناجم عن ضرب "الأشباح" للضاحية - وقد كان ضجيجا عارما لدرجة أنه لا بد قد تردد صداه حتى منتصف الطريق نحو باتمونخ جومبا - بما يكفي لتحذيرهم من الخطر القادم. ولكن... حتى لو لو كان لديهم الوقت للاستعداد، فكيف لهم أن يقفوا في مواجهة رجال هاروبارو القساة هؤلاء؟!..

"رين!" جاءها النداء من خلفها، فالتفتت تنظر عبر ذلك الشارع الطويل الخانق المسمى "ستاك سيفن سلوس"، وكانت في منتصف الطريق حين سمعت وقع أقدام تركض ورائها، ثم النداء.

"رين!" تردد الصوت من جديد، وكان مضطربا مشوها بفعل الصدى، فحاولت أن تركض بخطى أسرع، لكن يدا قوية أمسكت بها...

"ثيو! "

"هل أصبتِ بأذى ؟" سألها ثيو، فهزت رين رأسها أن لا، وحاولت قول شيء إلا أن صوتها خرج متحشرجا، فاندفعت تعانقه.

"لقد جئت عبر فتحة في الأسفل هناك.. انفتحت حينما ضربت الصواعق الكهربائية الضاحية، فتسلقت إليها ودخلت عبرها إلى هنا ورحت أبحث عنك، وسمعت أشخاصًا ينطقون باسمك وفهمت أنهم يفتشون بحثا عنك هم أيضا، فجئت إلى الخلف ورأيتك،

ورحت أنادي عليك ..."

"لقد سمعت نداءك، لكني حسبتك فولف كوبولد. لقد ظننتك بعيدا الآن، في أمان"

"لم أستطع تركك"

فعانقته من جديد بقوة، وقالت "ثيو، لا يمكننا البقاء هنا، ينبغي أن نجد طريقة للخروج من هذا المكان. سوف تتحرك الضاحية من جديد قريبا. للأسف كل ما فعلته ذهب سدى، لقد ظننت أن بإمكاني منعهم، لكني لم أنجح سوى في إثارة غضبهم فقط"

***

ركض ناجا عبر الممر أسفل "كراوتش إند"، وكان قد أمر أسطوله الجوي بالانتشار في السماء فوق لندن مرة أخرى، وترامت الظلال الكبيرة للمناطيد فوق الأسرى المتجمعين ؛ وراح يبحث عن جاراموند إلى أن وجده جالسًا في أسى عند حافة حوض نباتي مرتفع.

"اجمع قومك واتخذوا ساترا لكم... " قال ناجا "هناك ضاحية حصادة في مكان ما عند الحطام، من المحتمل أن يكونوا قد أطلقوا فرق مداهمة تقترب منا الآن. خذ الجميع إلى حيث هذا ال"رحم"، يمكننا التصدي لهم"

نظر إليه جاراموند مذهولا وخائفا، غير قادر على الاستيعاب، ولم يخرجه من ذهوله سوى انفجار دفقات من الدخان من عشرات المواضع بين الحطام، ثم طار شيء من فوق رأسه ليصطدم بدروع صدر الجنرال مما جعله يترنح للخلف بضعة خطوات.

وعند اللندنيين المحتشدين أصيب اثنين من جنود العاصفة الخضراء بطلقات نارية فسقطا من فورهما وقد ترامت أطرافهما بشكل عجيب لدرجة أن العديد من الأطفال الذين كانوا يراقبونهم ضحكوا، فيما هرع الجنود الآخرون يبحثون عن مخبأ لهم، و بنادقهم في أياديهم على أهبة الاستعداد، وصاحوا في سكان لندن المذعورين ليبتعدوا عن طريقهم. وجاء جاراموند يركض صائحا في قومه أن : "الجميع إلى الرحم"، رجاءا ! إلى "الرحم"، الجميع، بسرعة!"

وفوق تلال الحطام، انفجرت إحدى مناطيد ناجا بشكل مفاجئ واستحالت إلى كتلة من اللهب، فيما راح منطاد آخر يطلق صواريخه على بعض الأهداف على الأرض، لكن سرعان ما انطلقت نيران مدافع من الأسفل نحوه تمزق وحدات محركاته و أذرع التوجيه به. وأدرك الجميع أن الضاحية قد نجت من الفخ الكهربائي الذي وقعت فيه.

وراح اللندنيون يرددون في ذعر : "هاروبارو"، وكان ناجا يعرف ذلك الاسم على نحو ما، إنه ذلك المكان الغامض الذي لم يستطع حتى جناح مخابرات العاصفة الخضراء معرفة شيء عنه إلا من الشائعات. لكن ناجا كان قد سبق له مواجهة الكثير من الضواحي الحصادة في الماضي، أمثال " إيفركريتش"، " ويرروولف"، " هولت" ، و " كويرك لي ديو"؛ وكان يعرف أن تلك الضواحي صلبة عنيدة، حتى لو تم تكسير مساراتها وتدمير محركاتها، فإنهم ببساطة يبدءون في تشغيل عجلاتهم الاحتياطية ومحركات الطوارئ و يستمرون في المضي قدما. ثم إنه وضع كفه يظلل عينيه ونظر نحو الأعلى، ورأى أن أربعة من مناطيده قد احترقت حتى الآن ومنها خرجت بالونات الإنقاذ تحمل طاقمها إلى الأسفل، حمدا للآلهة. وأدرك ناجا أن عليه أن يقاتل قتالا مباشرا على الأرض.

ثم إنه نظر خلفه ليتأكد من أن سكان لندن يفعلون ما أمر به، ورآهم وهم يهرعون على الطريق نحو" الرحم"، وقد حمل عدد منهم بعض من متعلقاته، فيما أمسك آخرون بأيدي الأطفال الخائفين أو راحوا يعاونون كبار السن والمرضى على التحرك سريعا . و كان اللواء "ثين" يصدر أوامره لفرق من المطاردين المقاتلين بالانتشار عبر أكوام الحطام لإيقاف أي من أفراد هاروبارو والإجهاز عليهم.

أخذ ناجا إحدى البنادق من يد واحد من جنوده القتلى وألقى بها إلى أول لندني رآه، وكان فتاة واسعة العينين، وأمرها أن : "أطلقي غطاءً من النيران".

وللحظة تساءل عما إذا كان قاد جانبه الصواب فيما فعل، وأنها ربما توجه البندقية ضده هو، لكنها انطلقت فورا لتشارك قواته القابعة بين أكوام الأنقاض غرب حقول الخضروات، في انتظار ظهور أي من أفراد الضاحية لإطلاق النار عليه.

"وماذا عن المدينة الجديدة التي صنعها اللندنيون يا صاحب السعادة؟" سأله " ثين" وقد ركض نحوه .. ".. هل سنقوم بتدميرها؟"

راح ناجا يتطلع نحو مبنى "الرحم"، و الرصاص يندفع من أمامه مثل الدبابير، ويفكر... ترى، كيف يمكن للمرء أن يحيا كل تلك السنوات بين أكوام الخردة والحطام، يقضي حياته في الكد والعمل الشاق، فقط ليرى الشيء الذي قضى سنوات يبنيه إذ ينتزع منه عندما أوشك على إنهائه ؟ ...

"لا يمكننا المخاطرة بوقوع تقنية المهندسين تلك في أيدي حشرات جرذان تراكشيون ستات " تلك" قالها " ثين". فربت ناجا على كتفه، وقال :

"أنت على حق، ابحث عن تلك المرأة المهندسة وأخبرها أن تبدأ في تشغيل محركاتها. المدينة الجديدة ينبغي أن تغادر فورا"

فنظر "ثين" إلى رئيسه في ذهول وقد اتسعت عيناه، وقال : "أستتركهم يرحلون؟، لكنها مدينة متحركة، لقد أقسمنا على تدمير كل المدن المتحركة..."

"إنها ليست مدينة أيها الضابط، وإنما منطاد ضخم يحلق على ارتفاع منخفض، أرى أنها لا تسبب ضررا"

حدق فيه "ثين" لهنيهة، وقد بدا أنه فهم ما يرمي إليه رئيسه، ثم أومأ برأسه وأدى التحية، ثم هرع، وقد حرص على الركض بشكل متعرج ليتفادى الرصاص.

ومن وراء دروعه شعر ناجا برعشة تجتاحه. لم يكن من السهل عليه أن يخالف كل ما عاش يؤمن به لسنوات عديدة، لكن أوينون قد علمته أنه في بعض الأحيان قد يأتي وقت على المرء يكون عليه أن يغير معتقداته بما يتلاءم مع ما يستجد من ظروف، وكان يعلم أنها كانت لتؤيد ما يقوم به الآن.

ثم إنه ركض عبر الساحة المفتوحة إلى حيث حقول الخضروات، وانحنى بجوار الفتاة اللندنية الشابة التي أعطاها البندقية.. ثم سألها : "ما اسمك يا فتاة ؟"

"آنجي يا سيدي، آنجي بيبودي"

فضغط على كتفها بيده المعدنية مشجعا إياها، كما فعل مرارا مع الشباب الخائفين في الأركان والزوايا على خطوط المواجهة كهذه، وقال :

"حسنًا، يا آنجي، سوف نعود إلى "الرحم"، ونبقي هؤلاء الشياطين بعيدًا حتى يتمكن قومك من تحريك مدينتهم الجديدة."

“أنت تساعدنا يا سيدي؟” هتفت الفتاة، وقد ذكره وجهها الشاب وابتسامتها المشرقة بأوينون بشدة، لدرجة أنه اضطر لإنزال مقدمة خوذته على عينيه وهو يركض إلى حيث جنوده لإبلاغهم بذات الأمر، كي يخفى دموعه، وشكر آلهته على قدوم تلك الضاحية الحصادة، فالآن صارت أمامه معركة ليقاتل فيها وأناس يدافع عنهم، حيث لا سياسة تربكه، ولا أسلحة خارقة تقلقه، فقط معركة حقيقية واضحة و فرصة للموت كمحارب، والسيف في يده، في مواجهة الهمجيين .

***

48. رحلة إلى "إردن تزج"

كانت السماء من فوق القمم البيضاء للجبال، مفعمة بالذكريات، ذكرياتهما معا... لم يتبادل توم وهيستير الكثير من الحديث منذ غادر الجيني هانيفر باتمونخ جومبا، ولم يكونا في حاجة إلى ذلك، فقد كان كل من هما يعرف تماما ما يفكر فيه الأخر. كل الرحلات التي خاضوها معا على متن المركبة الصغيرة... السحب التي حلقا عبرها... البحار المتلألئة التي كانت تمتد أسفلهما... المدن الصغيرة الشبيهة بلعب الأطفال من على هذا الارتفاع... القوافل التجارية... الجبال الجليدية المنتصبة بين الأنهار المتجمدة في القطب الجنوبي ... كلها ذكريات جمعتهما و ربطتهما معا إلى بعضهم البعض، لكن ما فعلته هيستير قد أفسد ذلك الرباط الوثيق ولطخ تلك الذكريات. ولهذا لم يتبادلا حديثا، فقط كانا يتناوبان على القيادة والنوم وتناول الطعام، وفي الأوقات التي كانت تجمعهما على سطح المنطاد، كانا يتبادلان الحديث فقط عن الجبال والرياح والضغط في خلايا الغاز. وقام توم بإخراج بندقية الصاعقة التي كان قد خبأها وشرح لها كيفية استخدامها.

وراح المنطاد يحلق فوق البلدات الصغيرة والمراعي المتفرقة عبر المرتفعات، لكنهما لم يصادفا أية مركبات أخرى على الطريق.

أبقى توم الراديو مفتوحا، لكن لم يأتيهم عبره سوى أصوات متداخلة عبارة عن رسائل حربية مشفرة مضطربة ونداءات استغاثة مشوشة عبر ترددات بعيدة ، يتخللها شيء ما يتداخل مع الترددات . وفي الأعلى كانت السماء محتجبة بالرماد البركاني والدخان، وقد تلاشى ضوء الشمس .

ومضى جيني هانيفر في رحلته، و عبر هضبة عالية، وفي الأمام انتصبت المرتفعات الثلجية من " إردن شان".

وفي تلك الأثناء خطرت لتوم فكرة حزينة قاتمة : أن هذه هي الرحلة الأخيرة له في حياته. وكأنما قرأت ما يدور في ذهنه، أمسكت هيستير بيده وقالت : "لا داعي للقلق يا توم، سوف نكون بخير. أكثر المهام خطورة كانت دوما أفضل ما قمنا بأدائه، أتتذكر؟"

فنظر إليها، فوجدها تنظر إليه بجدية وترقب، وكأنها تنتظر منه ابتسامة أو أي

علامة على الغفران... ولكن، لماذا يغفر لها؟، فانتزع يده من يدها وصاح على حين غرة :

"كيف استطعتِ فعل ذلك؟"، وكأنما كل الغضب المكتوم بداخله منذ رحلت وتركته خرج دفعة واحدة، لدرجة أنها إرتدت إلى الوراء وكأنما صفعها، ".. لقد بعتِ أنكوراج! خنتنا جميعا لصالح صيادو أركانجيل!"

"من أجلك!" قالت هيستير، وقد احتقن وجهها بشدة وإزدادت ندبتها عمقا من الغضب والألم، واختنق صوتها، كما يحدث دوما حين تتحدث باستياء، لدرجة يصعب معها تمييز ما تقول "من أجلك أنت!، لقد فعلت ذلك لأنني خشيت أن تتركني وتذهب مع فريا راسموسن"

"كان ينبغي أن أفعل حقا، ففريا لا تقتل الناس ولا تستمتع بقتلهم، ولا تختلق الأكاذيب بعدها. كيف استطعت أن تكذبي علي كل تلك السنوات؟. وفي برايتون أيضا، كيف طاوعتك نفسك على ترك ذلك الصبي المفقود؟، كيف أمكنك ذلك؟"

فرفعت هيستير إحدى يديها تغطي وجهها وقالت "لأنني ابنة فالانتاين"

"ماذا؟" سألها توم وقد حسب أنه لم يسمعها بشكل صحيح

"فالانتاين كان والدي"

كان توم لا يزال غاضبًا، وقد حسب أن هذه كذبة أخرى، فقال : "ديفيد شاو هو والدك."

"لا.." قالت هيستير، وقد أخفت وجهها بكلتا يديها "كانت أمي وفالانتاين متحابين قبل أن تتزوج. فالانتاين هو أبي، لقد اكتشفت ذلك منذ وقت طويل في روجز رووست، لكني لم أخبرك لأنني حسبت حينها أنك إذا علمت بهذا الأمر فسوف تكرهني. أما الآن فقد صرت تكرهني في كل الأحوال، فلابأس إذن أن تعرف الحقيقة كاملة. نعم، فالانتاين هو أبي، دماؤه تجري في عروقي، ولهذا أستطيع أن أكذب وأسرق واقتل البشر دون أن يرف لي جفن. أنا أعلم أن تلك الأفعال خاطئة، لكني لا أشعر بأي شيء حيال ذلك. أنا ابنة فالانتاين، وقد ورثت صفاته"

وكانت تنظر إليه بعينها الرمادية من بين أصابعها، وكأنها عادت تلك الفتاة الخجول

المكسورة التي وقع في حبها طوال كل تلك السنوات.

ظل توم صامتا يحدق فيها، ثم إنه تذكر شيئاً... كان ذلك صيفا، حين كانت رين في الثالثة عشر من عمرها وقد بدأت مشاكلها مع والدتها؛ كانت هيستير تقف أسفل الدرج في منزلهما وتصيح في الفتاة : "إنك تشبهين جدك!". وقد حسب توم وقتها أنها تقصد ديفيد شاو، واعترته الدهشة، خاصة وأنها كانت دوما تقول عنه أنه كان رجلا هادئا ولطيفا. الآن فقط أدرك أنها كانت تقصد والدها الحقيقي، فالانتاين.

وشعر توم بغضبه يتلاشى، ليحل محله الخجل والارتباك... ماذا كان عساها أن تكون عليه وهي تحمل مثل هذا السر في قلبها طوال تلك السنوات؟

"و رين كذلك" قالتها و قد بدأت تجهش بالبكاء "إنها تحمل دمائه هي الأخرى، و إلا كيف تسنى لها سرقة هذا الكتاب، كتاب الصفيح؟. لهذا كان علي أن أرحل ياتوم، فربما لو بقيت معك أنت فقط لصارت على ما يرام و خمد تأثير فالانتاين بداخلها "

"ليس فالانتاين من ورثته رين ..." قالها توم برفق وهو يدنو منها، ثم أمسك يديها وأبعدهما عن وجهها كي يتمكن من رؤيته، "لو أنك رأيتها الآن يا هيت فسوف تجدين فتاة شجاعة جميلة للغاية... تماما مثل كاثرين فالانتاين"

كان توم يحسب أنه لن يرغب في تقليلها البتة بعد كل ما حدث، لكنه الآن قد أدرك فجأة أنه في حقيقة الأمر لم يكن راغبا في أي شيء سوى هذا منذ أن افترقا. لقد اكتشف الآن أن كل ما فعلته وأثار غضبه واستيائه بشدة، وكل الأكاذيب التي قالتها له، والرجال الذين قتلتهم، كل هذا جعله يريدها أكثر!. لقد كان يحب فالانتاين حينما كان صبيا، والآن يحب ابنة فالانتاين.

ولم يدر توم بنفسه إلا وقد دنا منها وراح يقبل وجهها وفمها وذقنها المبللين بالدموع، وهمس : "أنا لا أكرهك."

ومن موقعه في الأعلى داخل غلاف المنطاد، حيث كان يتولى مراقبة السماء تحسبا لأي مركبات قد تلاحقهم، تناهت إلى مسامع جريك أصواتهما وهمساتهما قادمة من الأسفل، وقد أحزنه ضعف هيستير تجاه هذا الفاني، بل وأخافه كذلك، إذ أدرك من اضطراب ضربات قلب توم - التي كان يستطيع سماعها بسهولة - أنه مريض وأنه لن يعيش طويلا... ماذا عساها ستفعل بدونه؟ وكيف لها أن تضع كل آمالها على

كائن هش ضعيف هكذا؟. ومن الأسفل جاءه صوتها الخافت الهامس، الذي ما كان سوى لأذني مطارد أن تلتقطه، إذ تقول :

"أنا أحبك يا توم، أحبك، لطالما أحببتك، أنت دون سواك..."

وشعر جريك بالحرج، فحاول ألا يسمعها وأن يحول تركيزه إلى الأصوات الأخرى من حوله، و أخذ ينصت إلى ضجيج المحركات، وصوت الريح إذ تصطدم بغلاف المنطاد. ومن وراء تلك الأصوات العالية، بدأت أذناه تلتقط صوتا آخر... نبضات قلب فان ثالث، ورئتين تمتلئان وتفرغان الهواء، وصرير أسنان إنسان يرتجف رعبا...

ومن وراء بعض الصناديق الفارغة بين دعامات هيكل الغلاف، كانت كومة من القماش ترتجف في الركن، فانتزعها جريك فجأة، ووقف ينظر إلى ذلك الفاني المختبئ تحتها .

"إذن، البروفيسور من جديد" قالها جريك بنبرة ملولة يصعب على مطارد أن يأتي بها.

"يوجد شخص مختبيء على متن المنطاد" قالها جريك فجأة وقد هبط ممسكا بالرجل، فأجفل توم وهيستير وابتعدا عن بعضهما، وراحا يسويان ملابسهما وشعرهما المبعثر، ثم إلتفتا نحوه ليجدا نيمرود بيني رويال والمطارد يدفعه للأمام.

"أرجوكم... أرجوكم.. سامحوني...." راح بيني رويال يهتف متوسلا، ثم "... اه مرحبا ناتسوورثي"

أومأ توم في حرج و لم يقل أي شيء، وقد أدرك أنه لن يتمكن من قضاء مزيد من الوقت مع هيستير بمفردهما، خاصة وأن الهضبة أدناه كانت تضيق وترتفع، وقد باتت مرتفعات إردن شان على بعد أميال قليلة فقط.

"الق به من الفتحة!" صاحت هيستير في غضب وهي تغلق أزرار قميصها في اضطراب، ".. لا، اعطني إياه وسوف أفعلها بنفسي" وقد شعرت أن إلقائها لبيني رويال من المنطاد على بعد آلاف الأقدام فوق الصخور المدببة والمنحدرات الوعرة سيريحها ويعيد إليها كرامتها بعدما اقتحم مركبتها، لكنها كذلك كانت تدرك أن توم لن يدعها تفعل ذلك، فتمالكت نفسها، وصاحت تسأل الرجل :

"كيف بحق الآلهة تمكنت من التسلل إلى هنا؟"

"ما كنت لأدعك تتركيني في باتمونخ جومبا وترحلين، أليس كذلك؟... أعني... بحق بوسكيت، كيف لي أن أبقى هناك إلى أن يقبض علي ناجا ويقطع رأسي!. لقد تسللت إلى هنا بينما جنود العاصفة الخضراء منشغلون في تزويد المركبة بالوقود، واختبأت في المخزن. لو لم يقم السيد جريك باكتشافي لكنت ظللت هناك في سكون دون أن أسبب لك أي إزعاج. بالمناسبة، إلى أين نحن ذاهبون؟ إيرهيفن؟ بيريباتشيابوليس؟، أهو مكان جيد وآمن؟ "

"لم تعد هناك أماكن آمنة الآن.." قال توم "نحن ذاهبون إلى "إردن تزج""

" أين؟.. حقا، لماذا؟"

"لأننا نعتقد أن المطارد فانج موجودة هناك"

اتسعت عينا بيني رويال هلعا، ثم راح يتلوى، وكان بعد في قبضة جريك، ويصيح "لكنها ستقتلنا جميعا، لا بد أن لديها مناطيد وجنود ومطاردين..."

"لا أعتقد ذلك" قال توم ".. أعتقد أنها وحيدة تمامًا. وإلا فكيف كانت ستتمكن من العودة دون أن تشك مخابرات النجا في أي شيء؟"

كان توم يتحدث وهو يمسك صدره وقد شعر بألم في قلبه بسبب قلة الهواء على هذا الارتفاع الشاهق. وللحظة شعر بكراهية شديدة تجاه بيني رويال... ما الذي يفعله هذا الرجل العجوز هنا؟ ولماذا يطردهم؟... وتساءل توم في قرارته ما إذا كان عليه أن يخبر هيستير بحالة قلبه؟، لو علمت أن جرحه القديم سيتسبب في موته فسوف تقتل بيني رويال فورا... لكنه لا يرغب في أن يخبرها بمدى مرضه، بل سيتمسك بالتظاهر بأنه بخير، وسوف ينام بين ذراعيها الليلة، ليحلق معها في الصباح إلى حيث مغامرات جديدة عبر سماوات أخرى.

"اربطه في المقصورة الخلفية" قالها توم.

"لكن يا توم، كن عاقلا" صاح بيني رويال

"قيده باحكام، لا يمكننا المجازفة بأن يفلت من وثاقه"

فسحب جريك الرجل بعيدا، واقتربت هيستير من توم تلمس وجهه بأطراف أصابعها، ثم تبعت جريك وهي تقول لتوم أنها ستقوم بتوثيق الرجل بنفسها وتترك جريك لحراسته.

وهكذا بقي توم وحده، فعاد إلى مقعد القيادة وقام بتوجيه المنطاد عبر المرتفعات الجليدية لإردن شان، ثم صعد به إلى الأعلى حيث القمم الشاهقة تمر بجوار النافذة كمركبات ضخمة.

وبعد لحظات عادت هيستير، فقال لها "سنكون فوق الوادي خلال نصف ساعة أخرى، هذا إذا كانت خرائط" آنا" القديمة صحيحة"

"ينبغي أن تكون كذلك.." قالتها وهي تحتضنه من الخلف "فمنزلها في إردن تزج، أليس كذلك؟"

فأومأ توم، وتمنى لو تمكن من تقبيلها ثانية الآن، لكنه كان منتبها للطريق أمامه حيث القمم والنتوءات الصخرية الحادة التي كان يطير بينها، ثم قال "لقد أخبرتني آنا ذات مرة أنها تخطط للتقاعد هنا"

فعانقته هيستير بقوة، وقالت "توم، عندما نصل إلى هناك، إذا كانت هي، فسندع جريك يتولى قتلها، أليس كذلك؟ لن تحاول التحدث معها، أو مناشدتها التصرف على نحو أفضل، أليس كذلك؟"

صمت توم في خجل، وكانت هيستير تدرك جيدا أنه لا بد قد فكر بالفعل في العديد من الخطط طوال اليوم للتحدث سلميا إلى المطارد فانج . ثم إنه قال " في ذلك الوقت في روجز رووست، بدت أنها تعرفني، سمحت لنا بالرحيل"

"إنها ليست " آنا" ياتوم، فقط تذكر هذا."

ثم إنها قبلته من عنقه تحت أذنه، حيث كان نبضه يدق متسارعا، "... ما قلته لك في تلك الليلة على متن السحابة التاسعة ، عن كونك مملًا، لم أكن أعنيه البتة. أنت لست مملا، أو ربما كنت كذلك، لكن ليس بالنسبة لي "

ومضت الساعات، و عبروا ممرًا عاليًا، وعلى الجانب الشرقي، كانت الأرض تنحدر بشدة نحو الأسفل، وصولا إلى فتحة واد أبيض ثم أخضر، وفي عمقه امتد نهر

متماوج ينتهي عند بحيرة في الطرف البعيد، وهناك كانت جزيرة ، استقر عليها منزل زهرة الرياح.

ومن خلال النظارات الميدانية القديمة رأى توم من المنطاد ذلك الهوائي الذي اتخذ شكل صحن كبير، المثبت فوق سطح المنزل.

وفجأة امتلأت السماء أمامه بالأجنحة، وبسرعة اندفعت هيستير نحوه وجرته إلى الأرض مباشرة قبل أن يحطم السرب الأول من الطيور المطاردة الزجاج الأمامي للمنطاد. وفي اللحظة التالية كان اثنين من تلك الطيور قد دخل المنطاد بالفعل وراحا يجوبان مقصورة القيادة.

انتزعت هيستير بندقية الصاعقة وأطلقت النار على الطائر الأول، بينما الطائر الثاني يندفع نحوها مستهدفا عينها بمنقاره، لكنها التفتت نحوه سريعا وأطلقت البندقية فانفجر وامتلأ سطح المنطاد بالريش. ثم إنها نظرت نحو توم وسألته : "هل أنت بخير؟"

"نعم..." وقد بدا خائفا شاحب الوجه. فيما انطلقت هيستير نحو النوافذ، وكان الألم يعتصرها إذ تسببت الحركة المفاجئة والمتوترة في إصابتها بشد عضلي.

وفي الخارج كانت المزيد من الطيور المطاردة تطير حول المنطاد، بينما اثنان منها يحاولان تمزيق وحدات المحرك الأيمن، فصوبت السلاح عبر النافذة الجانبية نحوهما وأطلقت النار، ثم ألقت بالبندقية إلى توم ومدت يدها تنتزع بندقيتها الخاصة من الخزانة العلوية، وانطلقت إلى الخلف عبر الممر الرئيس بالزورق.

وفي المقصورة الخلفية كان بيني رويال يعوي هلعا، ومن الباب نصف المفتوح رأت هيستير المزيد من الطيور ولمعان دروع جريك إذ راح يضربها.

"هيستير" صرخ المطارد

"أنا بخير" صاحت هيستير، ومن داخل الحجرة الطبية الصغيرة حيث عالجتها آنا فانج ذات مرة، سمعت صوت الأجنحة والمخالب، فركلت الباب ووجهت بندقيتها نحو الطيور الذين كانوا قد اخترقوا السقف إلى الداخل. كانت بندقيتها جيدة، تعمل بالبخار، من طراز Weltschmerz 60 ، ذات قاذفة يدوية، وكانت قد حصلت عليها

في "الحول"؛ لكنها أحدثت أضرارا عارمة في الحجرة الطبية وأصابت الجدار الخارجي بعدة ثقوب.

ومن خلال تلك الثقوب رأت هيستير المزيد من الطيور تتجه نحو وحدة المحرك وتمزقه، وبالفعل سمعت صوت حشرجة قادمة منه فيما راحت مروحة التوجيه تبطئ سرعتها .

"أوه، اللعنة"، ثم إنها وضعت قنبلة يدوية عبر القاذفة، وأطلقتها نحوهم محولة المحرك جنبًا إلى جنب مع الطيور إلى أشلاء.

"توم؟ هل أنت بخير؟" صاحت من جديد

"نعم، كفي عن السؤال"

"إذن فلتهبط بنا"

"لا مشكلة في الهبوط مطلقا!" قالها وهو يتفقد مقاييس ضغط الغاز على لوحة العدادات ويرى كل الإبر تتجه نحو الصفر.

وكان الزورق يميل بشكل حاد، وعبر النوافذ رأى توم انعكاس الوهج الأصفر، وأدرك أن غلاف المنطاد يحترق. فيما هرعت هيستير من جديد نحو المقصورة الخلفية لتجد جريك لا يزال يصارع تلك الطيور ويمزقها، وقد تناثر الريش على دروعه حتى بدا كفزاعة ضخمة؛ وإلتفت نحوها بوجهه الميت قائلا :

"هذه المركبة قد انتهى أمرها"

"ليس الجيني هانيفر... توم سيعيد إصلاحها. اذهب إليه وتأكد من أنه بأمان" ثم إنها أفسحت له الطريق كي يمر من جوارها. وكانت تأمل لو أن تلك الطيور قتلت بيني رويال، لكنها كانت جميعا تركز على جريك، أما المستكشف العجوز فقد كان قابعا فوق الأرض حيث تركته مقيدا ومكمما، ينظر إليها بعيون مفتوحة متوسلة، وقد خطر على بالها أن تصوب إليه بندقيتها وترديه قتيلا، لكنها عادت ووضعت البندقية على كتفها وأخرجت سكينها، فأطلق الرجل صرخة رعب مكتومة وهي تتجه نحوه والسلاح في يدها، لكنها انحنت وراحت تقطع القيود في قدميه وحول معصميه.

وما إن وقفت من جديد، حتى تحطمت بقايا النافذة الطويلة واندفع وابل من

الزجاج المحطم، و ورفرفت الأجنحة السوداء العريضة لطائر كوندور مطارد انطلق صوب هيستير، ومخالبه تخدش رأس بيني رويال إذ تمر من فوقه، فألقت هيستير السكين من يدها وحاولت الوصول للبندقية على كتفها، لكن الطائر لم يمهلها الوقت، واندلعت من حنجرتها صرخة استغاثة رهيبة، وبسرعة عاد جريك إلى المقصورة فسحبها بعيدا وأمسك بالطائر، وقد برزت مخالبه من يده وراح يعملها في الجسد الميت.

وفي تلك اللحظة انفجرت إحدى خلايا الغاز وترنح المنطاد إلى الوراء، حيث المقدمة لأعلى والذيل لأسفل، وسقطت هيستير فوق بيني رويال، وتعثر جريك إلى الخلف، فيما كانت الجبال تلمع في الشفق خلف النافذة المحطمة.

وبرغم تحطمه، كان الطائر قويا بحق، وراح يلطم جريك ويضربه بجناحيه حتى أسقطه فوق الفراش ليصطدم بقوة بالجدار الخلفي الخارجي الذي بدأ يتداعى بدوره وصوت تشققه يدوي عاليا.

"جريك!" صرخت هيستير واندفعت كي تنقذه قبل أن يسقط

"هيستير.. لا!" صرخ بيني رويال بفم لا يزال مكمما وجرها إلى الخلف.

و انهار الجدار، والتفت جريك نحو هيستير لثانية واحدة، وكان لا يزال متشبثا بالطائر، ثم سقط.

"جريك!" صرخت هيستير ثانية، بينما الزورق يعتدل إلى الوضع الأفقي من جديد، ثم حررت نفسها من بيني رويال الذي تشبث بها، وهرعت تقترب قدر الإمكان من تلك الفتحة الواسعة مكان الجدار التي تطل على الفراغ في الخارج... "جريك! "

ولا إجابة، ولم تتمكن كذلك من رؤية شيء وسط الضباب والدخان الكثيف والرياح وأمطار الشظايا المحترقة من مركبتها المحترقة. فقط كانت أصداء صرخة جريك الأخيرة بإسمها تتردد آتية إليها عبر الهاوية التي سقط فيها : "هيستيرا!".

ومن وراء جدران حديقة المطارد فانج، وقف فيش كيك يشاهد ذلك المنطاد المحترق في السماء وقد راح يرسم ذيلا طويلا من الدخان والنار متجها نحو أعماق الوادي، بينما الريح تحمل صوت الاحتراق بعيدا، أو ربما لا تصدر المناطيد المحترقة

أي صوت.. في كل الأحوال كان الأمر يحدث أمامه في صمت تام، وقد بدا له المشهد الصامت جميلا بينما خلايا الغاز المحترقة تندفع منها شظايا ذهبية تتساقط نحو الأسفل لتختفي في الهواء، وكأنها نوافير، ومن حولها راحت الطيور المشتعلة ترفرف بعيدا محاولة الطيران، قبل أن تسقط هي الأخرى، وأضوائها المتوهجة تنعكس على مياه البحيرة.

ومن خلفه سمع فيش كيك وقع أقدام فوق الثلوج، فالتفت ليجد المطارد فانج تقف ورائه تراقب المشهد.

"إنه الجيني هانيفر" همست المطارد فانج "لكم هو جميل أن يعيده أحد إلي"

استقر المنطاد أخيرا في أرض مليئة بالمستنقعات على شاطئ البحيرة البعيد، وانتشر دخان الحريق عبر أحواض القصب القريبة. وكان فيش كيك شبه متأكد من أنه رأى أناسا يخرجون منه، وتحديدا السيد ناتسوورثي وهيستير ... وهنا انتابه الخوف فجأة، لأنه تذكر ما أقسم على فعله بهيستير إن التقاها من جديد، لكنه الآن ليس متأكدًا مما إذا كانت لديه الشجاعة للقيام بذلك.

"إنهم لا يشكلون خطرا علينا..." قالتها المطارد فانج وهي تضع كفها فوق كتفه "لن نؤذيهم"

لكن فيش كيك أمسك بالسكين داخل سترته وهو يسترجع في ذهنه المرة الأخيرة التي رأى فيها جيني هانيفر يحلق بعيدًا بدونه في سماء برايتون.

قفز توم في المياه الآسنة التي يصل ارتفاعها حتى الكاحل، وسقط فوق العشب المبتل معانقا بندقية الصاعقة الثمينة، وتبعته هيستير تدفع بيني رويال، بينما ما تبقى من الطيور المطاردة لا تزال تحلق حول المنطاد المحترق، فرفعت هيستير بندقيتها وأفرغت آخر قذائفها في النيران، ليندلع الانفجار يضيء البحيرة والمنحدرات المحيطة بها، وكذلك المنزل الوحيد على الجزيرة.

وانفجرت صواريخ الجيني هانيفر كذلك، محدثة وميضا برتقاليا شديدا، ثم هدأ كل شيء، ولم يبق سوى الدخان المتصاعد واللهب المتراقص في ذلك القفص المتداعي الذي كان ذات يوم منطادهما... عشرون عاما من الذكريات ها هي تحترق أمام أعينهما الآن.

“توم ؟” قالت هيستير

“نعم” أجابها توم، وكان الألم ينبعث في صدره، ولكن ليس بشدة، ربما أدى وجوده من جديد مع هيستير إلى تعافي قلبه العليل، وكان يأمل في ذلك حقا، خاصة وأن أقراصه الخضراء كانت في مقصورة المنطاد الخلفية.

“منطادنا، الجيني هانيفر.. انتهى” قالتها في حزن

“لقد كان مجرد شيء” قالها وهو يمسح عينيه “المهم أننا بخير. أين جريك؟”

“رحل، سقط، في مكان ما هناك...” قالتها وهي تشير نحو الجبال الساكنة.

“أتراه سيأتي بحثا عنا؟” سألها توم، فهزت كتفيها وقالت :

“لقد سقط من ارتفاع كبير. لقد سبق وأنقذني، والآن قد سقط، ربما تضرر، وربما قد مات الآن، ولا يوجد هذه المرة من يعيده”

“نحن بمفردنا إذن ” قالها توم، وأخذها بين ذراعيه مرة أخرى وقبلها. كانت تفوح منها رائحة الرماد والدخان وعرقها الحاد، تماما كما في الليلة التي قبلها فيها لأول مرة. لقد أحبها بشدة، وكان سعيدًا لأنهما عادا معا من جديد، بمفردهما، وسط الخطر والبرية، حيث لم يعد شيئًا مما فعلته يهم الآن.

لكنهما لم يكونا وحدهما تماما، لقد نسي وجود بيني رويال، الذي ركع على ركبتيه وسط المستنقع، وقال بصوت مكتوم، وفمه لم يزل مكمما! “أستميحكما عذرا”

فابتعدت هيستير عن توم متذمرة، ثم أشارت نحو المنزل الوحيد وقالت :

“لا بد أن هذا هو المكان”

“يستحسن إذن أن نذهب” قالها توم وهو يأخذ بندقية الصاعقة من فوق كتفه ويتفحصها، فيما قامت هيستير بتقييد يدي وقدمي بيني رويال من جديد، و أعادت ربط العقد التي قطعتها.

“لا يمكنكما أن تتركاني هنا مقيدا وعاجزا هكذا” صاح بيني رويال من خلال الكمامة

"لا يمكننا أن ندعك تتحرك بحرية.." قالت هيستير "فقد تبيعنا إلى المطارد فانج مقابل حفنة من النحاس"

"ولكن، ماذا إذا لم تعودا؟"

"فلتدعو الآلهة إذن أن نعود"

وكان توم يشعر بالضيق لتركه الرجل العجوز هكذا، لكنه كان يعلم أنها على حق، إنهما في خطر بما يكفي، ولا ينقصهما أن يدعا بيني رويال حرا ليضفي مزيدا من الخطر.

"كيف تتوقعان أن تتمكنا من الخروج من هذا المكان؟" صاح بيني رويال، بينما هما يهمان بالتحرك، ولم يكن أي منهما يملك إجابة، لهذا اكتفت هيستير بإحكام تكميم الرجل.

كان وادي "إردن تزج" هذا صخريا وعرا، ولهذا فقد أحبته هيستير، حيث صوت العشب إذ تعزف الريح معزوفاتها عبره، إنه يذكرها بموطنها "جزيرة البلوط". ثم إنها أمسكت بيد توم، وسارا معًا عبر الضوء الخافت، ومن حين لآخر كانا يلتفتان من فوق أكتافهما إلى حيث ذلك الموقد المشتعل الذي كان جيني هانيفر.

وبدأت الأرض تميل للارتفاع لتتحول إلى منحدر عشبي، وصولا إلى حوض لإرساء خلف مجموعة من أشجار الصنوبر التي راحت تتنهد إذ تتخللها الريح.

وراحت الريح كذلك تداعب غلاف ذلك اليخت الجوي الذي استقر هناك، وقد بدا مهجورا، إلا أن وجوده هنا قد منحهما مزيدا من الأمل، فتقدما في طريقهما نحو البحيرة إلى حيث الجسر.

كان توم يتنفس بصعوبة، فأخذت هيستير بندقية الصاعقة منه، وقالت :

"فلتبق هنا بجوار ذلك اليخت الجوي، دعني أذهب أنا"

لكنه هز رأسه أن لا، فمدت يدها تلمس وجهه وتتحسس فمه الدافئ رغم برودة الجو، ومعا مضيا قدما عبر الجسر. وكان توم يسير ببطء، وقد سرها هذا، حيث تسنى لها أن تتقدمه لتزود عنه وتتعامل هي مع أي شيء ينتظرهما داخل هذا المنزل.

ومن موضع ما قريب كان هناك صوت قعقعة خفيفة، لكن مع تقدمهما أدركت هيستير أنه ليس سوى صوت ألواح من الجليد تطفو على حافة البحيرة وتتصادم مع بعضها البعض، بينما صفحة المياه الصافية تتألق أمامها بلون رمادي. وراحت من جديد تركز بصرها على المنزل.

وهناك، كان ثمة شخص يقف على الجسر..

"توم!" صاحت هيستير ورفعت بندقية الصاعقة، لكنها لم تضغط الزناد، حيث لم يكن مطاردا ذلك الذي يقف يترقبهما، بل مجرد طفل، طفل شاحب الوجه ذو ملابس رثة وشعر قذر. وتقدمت هيستير بضع خطوات أخرى نحوه، وهنا أدركت من يكون هذا الطفل.... كيف أتى إلى هنا؟!

ثم إنها أنزلت بندقية الصاعقة والتفتت نحو توم وقالت : "إنه فيش كيك"

وهنا سمعت الصبي يزمجر وهو يركض نحوها، فالتفتت نحوه لتفاجأ بذلك السكين في يده إذ يلمع وهو يصوبه مباشرة نحو عنقها.

فألقت بندقية الصاعقة من يدها وبسرعة أمسكت بيد الصبي التي تحمل السكين وحولتها في الاتجاه الآخر، ثم قامت بلي ذراعه حتى صرخ وألقى بالسكين من يده، فالتقطتها هيستير قبل أن تسقط ودستها في حزامها، كمعلم صارم يصادر لعبة من تلميذ مشاغب، ثم دفعت فيش كيك بعيدًا، فسقط أرضًا وشرع في البكاء.

"توم.." قالها صوت هامس قادم من الأعلى "هيستير، لكم هو جميل أن تأتيا لزيارتي".... إنها المطارد فانج.

كانت فانج تقف في الظل عند نهاية الجسر حيث الدرجات الحجرية القديمة المؤدية إلى البوابة، ثم بدأت تهبط بحذر، وهي تعرج، على الدرج، بينما الضوء الرمادي ينعكس باهتا على وجهها البرونزي.

"إنها المطارد الخاص بي!" صاح فيش كيك، "لقد وجدتها بعدما تركتماني وحيدا ورحلتما. لقد كانت طيبة معي، ولسوف تساعدني على قتلكما! "

بحثت هيستير عن بندقية الصاعقة، لكنها كانت قد سقطت بين الصخور عند جانب الماء، فاندفعت تحاول إحضارها، لكن أيد فولاذية أمسكت بها، ورفعتها لأعلى

وأمسكت وجهها، فيما التف ذراع معدني عبر صدرها، ليصطدم ظهرها بدرع معدني قوي.

"لا.." صرخ توم وهرع نحو البندقية

"رجاءً لا تتصرف بطريقة بغيضة.."، همست المطارد "وإلا سأكسر عنقها، يمكنني أن أفعل ذلك بسهولة، وأنت لن ترغب في هذا، أليس كذلك؟"

توقف توم ولم يستطع أن ينطق بكلمة، و شعر كما لو أن شخصًا ما قد غرس سيخًا صدئًا من تحت إبطه الأيسر إلى حيث أعماق صدره. كان الألم شديدا يسري في صدره وعبر ذراعه وعلى رقبته حتى فكه، فسقط على ركبتيه وهو يلهث محاولا التقاط أنفاسه.

"يا لك من مسكين ياتوم" قالت المطارد "يا لقلبك المسكين"

أما فيش كيك الذي كان يقف عند قدميها مترقبا في لهفة، فقد راح يصيح بصوته الرفيع الغاضب "اقتليهما، اقتليها هي أولا، ثم هو"

"لقد كانا صديقين لآنا يا فيش كيك" قالت المطارد

"لكنهما تركاني ورائهما وحدي" صاح الصبي باكيا ".. لقد قَتَلَت مورا وجارجل، لقد أقسمت على أن أقتلها"

"كلاهما سيموت قريبا"

"لكني أقسمت"

"لا"

صرخ فيش كيك بشيء ما وتحسس السكين في حزام هيستير، لكن المطارد طوحته جانبًا بشدة لدرجة أنه سقط من الجسر إلى حيث الجليد فوق البحيرة، فأنَّت ألواح الثلج من تحته لكنها لم تنكسر . وعوى الصبي من الألم والإحساس بالغدر، وشرع يتسلق الجسر من جديد منتحبا، وهرع يركض بعيدا عن المنزل.

أطلقت المطارد فانج سراح هيستير وتقدمت نحو توم وانحنت فوقه واضعة يدها الفولاذية على صدره، وتوهجت عيناها عندما شعرت بضربات قلبه المضطربة

المريضة...

"يا لك من مسكين يا توم" همست المطارد "لم يعد يتبق وقت طويل"

"ماذا به؟" سألتها هيستير

"إنه موشك على الموت"

لا.. أوه... رجاءً... لا يمكن! .." صاحت هيستير في لوعة

"هذا لا يهم.." قالت المطارد ".. الجميع سيموتون عما قريب"

ثم إنها حملت توم بين ذراعيها و التفتت نحو المنزل، وتبعتها هيستير صعودا عبر الدرج الحجري إلى حيث الحديقة المتجمدة ومنها إلى داخل منزلها المظلم الشبيه بالقبر.

***

49. المولود الجديد

كان الهواء الكثيف عبر "ستاك سيفن سلوس" مفعما برائحة الآلات والعادم وضجيج الإصلاحات الجارية، فيما راح كل شيء يرتج ويرتعش مع اهتزازات المحركات التي بدأت تهدر.

وراحت رين تركض، منهكة، خائفة، تلتقط أنفاسها بصعوبة وكل نفس يدخل وكأنه طعنة تحرق صدرها وظهرها، وكان الشيء الوحيد الذي يدفعها الاستمرار وعدم الاستسلام هو أن ثيو معها الآن.

في بعض الأحيان كان يلمسها مشجعا إياها على الاستمرار دون أن يتمكنا من الحديث، إذ كانت الأصوات تصطخب بقوة في كل موضع حولهما، حيث هدير المحركات والصياحات الغاضبة، بينما الضاحية تكافح كي تعود للحركة.

وظل رين وثيو يمضيان قدما من موضع إلى آخر نحو الأسفل، لكنهما سرعان ما ضلا سبيلهما تماما، إذ كانت الشوارع الأنبوبية الخانقة تلتف حول نفسها وتدور، فقط ليجدا نفسيهما يتجهان صعودا وإلى الخلف. إلى أن وصلا أخيرا إلى حيث ممر مرتفع يطل على ميدان مفتوح في قلب منطقة المحركات، فوقفا ينظران إلى الأسفل عبر النوافذ المضاءة والقنوات العملاقة في المساحة تحتهما، حيث كانت مئات المكابس النحاسية تعمل بلا هوادة، والبخار ينبعث منها، وكانت سرعتها آخذة في التزايد في اللحظة التي كان ثيو ورين يقفان ويتطلعان نحوها.

وفي اللحظة التالية كان الإفريز تحت أيديهما يرتجف، بينما الضاحية برمتها تتأرجح نحو الأمام..

"إنها تتحرك!" صرخت رين، لكن ثيو لم يتمكن من سماعها، إلا أنها لم تكن في حاجة لتكرار ما قالت، فقد كان الأمر واضحا تماما أن هاروبارو قد عادت للحياة والحركة من جديد. وعلى أية حال لم يكن ثمة وقت للإعادة أو لأي شيء، ففي تلك اللحظة ظهر أمامهما من فتحة في الممر واحد من عمال منطقة المحركات، يرتدي ثيابا مشحمة، وأخذ يحدق فيهما لهنيهة، ثم فتح فمه و راح يصرخ على زملائه في الأسفل.

وبسرعة أطلق ثيو ورين ساقيهما للريح عبر سلم طويل نحو الأعلى عبر متاهة القنوات والأنابيب التي تلتف فوق رأسيهما، بينما المياه المتكثفة تسقط عليهما كالمطر تحت إنحناء درع الضاحية.

وعند قمة السلم كانت هناك فتحة مغلقة، كافح الاثنان في لف مقابضها الثقيلة، إلى أن تمكنا من فتحها أخيرا، ليتدفق ضوء النهار والهواء النقي والرياح الباردة المنعشة. وحين نظرت رين إلى الأسفل رأت أضواء مصابيح يدوية تتحرك على المنصة حيث تجمع الرجال وراحوا يتطلعون إليها ثم إلى ثيو الذي كان قد سبقها وخرج من الفتحة ثم مد يده نحوها ليعاونها على الخروج.

على الأقل سأموت في ضوء النهار... هكذا قالت رين لنفسها وقد استلقت على ظهر درع هاروبارو المتسخ، تحاول التقاط أنفاسها. ومن الضاحية كان ممرا طويلا ضيقا بدون إفريز ممتد و على جانبيه بضع مئات من الأقدام من الدروع المحطمة عند أطراف الضاحية، حيث المسارات عبر اليابسة مسدودة بالكتل الصخرية والخردة، ومن ورائها امتدت بعض من أبراج لندن الخربة.

اندفع ثيو يغلق الفتحة من ورائه، وشرع يجر رين بعيدا وهو يصيح بشيء ما عن رجال كوبولد الذين جاءوا في إثرهم.

ولكن وقبل أن يتمكنا من الابتعاد لمسافة كافية، بدأت كتل المعادن من حولهما تصدر شرارات وسحب من الدخان، لكن رين أدركت أنهما يتعرضان لقصف البنادق، لكن مطلقي الرصاص لم يحسنوا التصويب، حمدا لكويرك.

ومن فوق الحطام ارتفاع جسم أبيض ضخم، فألقى ثيو بنفسه فوق رين، ومن بين الغبار الذي أثارته هاروبارو في كل موضع، استطاعت رين أن تميز ذلك الجسم، إنه عبارة عن منطاد قديم نوعا يحمل شارة العاصفة الخضراء ذو مدافع جوية راحت تدور وتطلق النيران على الضاحية.

"العاصفة الخضراء هنا!" صرخت رين

فرفع ثيو رأسه وراح يصرخ : "نحن أصدقاء!... النجدة، النجدة! "، وراح يلوح بذراعيه بقوة، فتشبثت به رين كيلا يسقط من فوق ظهر الضاحية.

لكن صوته لم يكن ليصل للملاحين في المركبة، وكان بالنسبة لهم مجرد جسم في حجم البعوضة يقف فوق الضاحية التي أمروا بتدميرها، وهكذا قاموا بتحويل أسلحتهم صوبه من جديد، وسمعت رين صوت الرصاص إذ يمطر السماء، فسحبت ثيو بقوة نحو الأسفل.

وعلى بعد ياردات قليلة من المكان الذي انبطحا فيه، افتحت فرجة في دروع الضاحية ومنها خرجت بنادق تم تثبيتها على قرص دوار تم انتزاعه من ساحة المعارض والملاهي من بلدة ساحلية ترفيهية قديمة كانت هاروبارو قد افترستها منذ زمن طويل؛ وقد راح يدور ويدور مطلقا الطلقات وسحب الدخان، تصاحبها أصوات موسيقية مبهجة.

وراحت البنادق الأربعة المثبتة إلى القرص الدوار ترتج في إيقاع منتظم. واشتعلت النيران في المنطاد، وابتعد منطادان آخران كانا قد اقترابا من موضع إطلاق النار، وقد تسبب الرصاص في إحداث ثقوب عديدة في أغلفتهما ومراوح الذيل.

وراحت الضاحية تتقدم على طريقها، وصوت محركاتها يدوي عاليا حتى وصل إلى "الرحم" حيث احتشد اللندنيون وراحوا يهرعون في كل حدب وصوب على متن مدينتهم الجديدة بكل ما أمكنهم حمله من ممتلكات، بينما ضجيج الضاحية المعدنية يتردد صداه حول المستودع المركزي.

ثم جاء أحد جنود العاصفة الخضراء يهرع باحثا عن ناجا، والذي كان واقفا في مساحة مفتوحة على طبقة السطح في خلفية " نيو لندن".

"مركباتنا لا يمكنها إيقافها يا سيدي، لقد تم إسقاط منطاد " بيلجرينت بوني" ولم يتبق سوى " فيوري" و " بروتيكتينج فيل"

"قل للقوات البرية أن تأتي إلى هنا على متن تلك الـ... الآلة" قالها ناجا، ثم إلتفت نحو لافينيا تشيلدرماس وقد جاءت عبر الدرج المؤدي إلى منطقة المحركات، فسألها : "حسنا أيها اللندنيون، هل أنتم مستعدون الآن؟"

"نحن جاهزون.." أجابت المهندسة العجوز ".. أعتقد ذلك"

“جيد، الضاحية الحصادة على وشك الوصول إلينا. سأتوجه الآن إلى منطادي وأحاول تأخيرها قدر الإمكان، لكنها قوية، فلتدعِ الآلهة أن تكون لندنكم الجديدة هذه سريعة بما يكفي”

“إنها سريعة” قالتها تشيلدرماس بينما هو يبتعد نحو الدرج حيث كانت فرق من جنود العاصفة الخضراء تخف الخطى إلى المدينة. ثم إنها ركضت ورائه وتتخبط بين الجنود، وصاحت “عليك أن تبقى أيها الجنرال. ميلاد مدينة جديدة لهو حدث عظيم يستحق المشاهدة! ”

فالتفت ناجا نحوها، وانحنى تحية لها ثم هرع من جديد، قائلا : “حظا سعيدا أيتها المهندسة”

ووقفت تشيلدرماس تتابعه إذ يصيح في الجنود وهو يسرع الخطى مبتعدا، وتفكر... لكم غريب أن يصير مثل هذا الرجل بمثابة القابلة لعملية ولادة ” نيو لندن”. ثم إنها تذكرت مهامها، فعادت مسرعة إلى موقعها.

كانت ألواح سطح المدينة ترتجف، حيث راح مساعدو تشيلدرماس، واحدًا تلو الآخر، يحركون روافع المحركات، وحين وصلت إلى غرفة القيادة الخاصة بها أسفل سطح المدينة، كان الأنين الخافت للطاردات قد راح يعلو إلى حدود تتجاوز سمعها، وسرت حركة غريبة متمايلة في الأرضية..... لقد بدأت ” نيو لندن” في الارتفاع.

و توجهت تشيلدرماس إلى أنابيب التحدث التي تربطها بغرفة الملاحة الخاصة بالعمدة في مقر البلدية بالمدينة الجديدة، وقالت “مرحبا، مستعد؟”

“مستعد” جاءها صوت جاراموند المكتوم الغاضب دوما، فأعادت تشيلدرماس أنبوب التحدث إلى موضعه ونظرت إلى الوجوه العابسة، الخائفة المتحفزة لطاقمها. حتى هنا وسط ضجيج الاستعدادات، كان بإمكانها سماع أصوات الاصطدام والسحق والقعقعة، إذ تشق هاروبارو طريقها نحوهم عبر ساحات الحطام. ثم إنها أومأت إليهم، فعاد كل إلى موقعه.

و خارج “الرحم”، رأى ناجا فرق هاروبارو يندفعون جانباً مع تصاعد الضوضاء الناتجة عن اقتراب ضاحيتهم، فرفع مسدسه وأطلق النار باتجاه اثنين منهم فهرعا يخفان الخطى بعيدا . وكانت السماء فوق تلك التلال الصدئة غربي “كراوتش إند”

مليئة بالغبار والحطام، كما لو أن نبعًا للخردة المعدنية قد اندفق. وفجأة ارتجت تلال الحطام وانهارت في كل صوب، ومن بينها ظهرت مقدمة هاروبارو .

إرتج " الرحم"، وفي طرفه الشمالي، كان رجال بيبودي قد فجروا عبواتهم الناسفة، وتداعت الأبواب الطويلة المتآكلة عند مدخل المستودع، وسقطت لتنضم حطامها إلى الحطام والأنقاض بالخارج.

وفي ذات الوقت، كانت هاروبارو قد راحت تشق طريقها فوق أنقاض "كراوتش إند" وتدعس بقايا أقمشة الستائر والسجاجيد.

ومن الأعلى أطلق منطاد " بروتيكتينج فيل" سيل من الصواريخ باتجاه الضاحية، قبل أن تتمكن البندقية الدوارة المتبقية على ظهرها من التحول واستهداف المنطاد بنيرانها.

انطلق منطاد " فيوري" باتجاه " الرحم" على ارتفاع منخفض، وركض ناجا نحوه وقفز إلى متنه، ليعاود المنطاد الارتفاع بسرعة نحو السماء. وهرعت نحوه ملاحة وفي يدها تقرير، إلا أنه لوح لها بتوتر، وكأنه أب قلق ينتظر ميلاد طفله، وتوجه نحو إحدى فتحات إطلاق النيران وراح ينظر نحو مدخل " الرحم" مترقبا، يغمغم :

"هيا... هلموا، هيا!"

وفوق ظهر الهاروبارو، كان رين وثيو لا يزالا رابضان، يحاول كل منهما حماية الآخر فيما راحت تلال الخردة المنهارة تتهاوى على جسم الضاحية التي كانت تتقدم بسرعة وتسحق ما تبقى من "كراوتش إند" تحت مساراتها باتجاه " الرحم ".

"انظر! صرخت رين "ثيو، انظر"

ومن المدخل المفتوح للمستودع القديم، كانت "نيو لندن" تظهر إلى النور، تلمع مراياها المغناطيسية على جذعها، تتحسس طريقها في الهواء خارج الرحم، ببطء و تردد.... المولود الجديد، ترددت الكلمة في أعماق رين، وتمنت من صميم قلبها لو كان والدها هنا، يشهد معها لحظة خروج المدينة الوليدة إلى النور.

و بدأت "نيو لندن" تعدل اتجاهها وتتحرك بثقة أكبر، ووميض الحرارة ينبعث من تحتها ويزداد توهجا مع ازدياد سرعتها.. ثم ها هي المدينة تتحرر من رحمها وتحلق -

على ارتفاع منخفض - بعيدا، نحو الشمال عبر أراضي الحطام. وكذلك كانت هاروبارو تتحرك في ذات الاتجاه، وتتمايل بقوة بفعل الاهتزازات الناتجة عن محركاتها إذ انطلقت على أقصى سرعة لها سعيا وراء المدينة المحلقة، حتى كادت رين أن تفقد توازنها وتسقط أسفل المسارات الحادة العملاقة للضاحية، لكنها تمكنت من التشبث بإحدى المقابض قبل أن تسقط.

وما إن استعادت توازنها وراحت تزحف من جديد نحو ثيو حتى فوجئت بالفتحة التي خرجا منها إلى ظهر الضاحية إذ تنفتح، ومنها خرج فولف كوبولد، وقد بدا سعيدا لرؤيتهما، ولكن ليس على نحو مطمئن.

***

50. منزل المطارد

ثلاثة مربعات زرقاء مشوشة أمام خلفية سوداء قاتمة، هذا كل ما استطاع توم - الذي لم يكن يتوقع أن يستيقظ مرة ثانية - أن يراه وهو يفتح عينيه ببطء، ويخرج من لجة أحلام لا يتذكر معظمها.

ولم تكن المربعات الثلاثة سوى السماء تظهر له عبر ثقوب في سقف متهدم. ومع تلاشي الغيوم كان ضوء شمس المساء يتحرك على الجدار الذي نمت فوقه الطحالب.

و كان توم مستلقيًا على شيء ناعم، و روائح الرطوبة تفعم الأجواء من حوله، وقد شعر أن يداه وقدماه على بعد أميال منه، أما رأسه فقد كان ثقيلا جدا لدرجة أنه لم يستطع رفعه؛ وفي صدره شعر وكأن أحد قد وضع قطعة كبيرة من الحجر، بينما كانت وخزات خافتة كالدبابيس توخز أطرافه، فأدرك أنه لا يزال على قيد الحياة.

"توم؟" قالها صوت هامس، فحرك رأسه، فانحنت هيستير عليه وقالت "توم يا حبيبي،... لقد فقدت وعيك، المطارد قالت أن ذلك بسبب حالة قلبك وأنك تحتضر، لكني كنت أعرف أنك لن تتركني..."

"المطارد..." قالها توم في وهن، وقد بدأ يدرك الموجودات من حوله وأين هو.

كانت المطارد فانج قد حملته إلى داخل منزلها ثم أرقدته على سرير قديم متآكل، أكلت العث ستائره، لكنه في النهاية سرير، مكان يرقد فيه المرء من يرغب في العناية بهم..

"لقد تركتنا أحياء.." قال توم، فأومأت هيستير وقالت :

"لقد قامت بتقييد يداي وقدماي، لكنها تركتك دون قيد، لو أنك تستطيع الوصول إلى السكين في حزامي..."

لكنها صمتت ولم تكمل، إذ سمعت المطارد فانج تدخل إلى الغرفة، ثم جلست على طرف الفراش وراحت تنظر إلى توم بعينيها الخضراوين الباردتين.

"آنا؟" قالها توم بضعف.

"أنا لست "آنا"..." همست المطارد "وإنما مجرد حزمة من ذكرياتها . لكنني سعيدة

لأنك هنا يا توم. لقد كانت آنا مغرمة بك جدا . أنت آخر ذكرياتها، حين رقدت بين الثلوج تحتضر، بينما أنت تنظر إليها مناديا باسمها"

"لا زلت أتذكر تلك اللحظات..." قال توم "اعتقدت حينها أنها قد ماتت بالفعل"

"تقريبا.." همست المطارد "كانت ميتة تقريبا. سوف تفهم ما أقصده، قريبا سوف تذهب في نفس الرحلة"

"لكنني لست مستعدا بعد"

"وكذلك آنا، ربما لم يكن أحد مستعد لذلك قط"

ومن ورائها، عبر الباب المفتوح، رأى توم غرفة تمتلئ بالآلات و الأضواء والشاشات وقطع من المعدات معقدة للغاية بحيث تعذر على دماغه المتعب إدراكها . ثم إنه قال "أودين ..."

"إنني أتحدث إليه من هنا."

"لماذا حولته تجاه قومك ؟"

نظرت إليه المطارد ورأسها مائل قليلاً جانبا، ثم همست "إنها مقدمة، قبل أن تبدأ السيمفونية .... من خلال مهاجمة كلا الجانبين، جعلت كل طرف يعتقد أن الآخر هو المسئول عن الهجوم. سيكونون منشغلين للغاية في مواجهة بعضهم البعض ولن يأتوا بحثًا عني، وهذا سيمنحني الوقت الذي أحتاجه."

"لفعل ماذا؟"

"لقد كنت أقوم بإعداد سلسلة من الأوامر، سلسلة طويلة ومعقدة. سأبدأ في إرسالها قريبًا، عندما ينتهي أودين من منطقة الجبال، سوف تحوله تلك الأوامر إلى مدارات جديدة، ومن ثم تقوم بتغذيته بأهداف جديدة لضربها"

"أية أهداف؟"

"البراكين.." ثم مدت يدها تداعب شعر توم برفق، وتابعت "... الليلة سوف يضرب أودين أربعين موقعا على طول سلسلة جبال " تانهاوسر"، ثم عبر جميع أنحاء العالم: بركان ديكان المائة جزيرة ...."

“ولكن لماذا؟” سألتها هيستير “.. لماذا البراكين؟”

“أنا أجعل العالم أخضر من جديد”

“ماذا؟!..” صاح توم “.. بإغراقه في الدخان والرماد وقتل آلاف الناس؟”

“بل الملايين من الناس. لا تنفعل يا توم، قلبك الضعيف قد لا يتحمل ذلك، وأنا أتطلع لوجود شخص عاقل للتحدث معه”

“وماذا عني؟” سألتها هيستير، وكأنما تخشى أن تحاول المطارد سرقة توم منها

“طالما أنك تتصرفين جيدا ولا تحاولي إتيان أي فعل أحمق أو متهور، فسوف تكونين في أمان. أعتقد أنكما ستتضوران جوعاً في غضون أسبوع أو نحو ذلك، فلم يتبق طعام هنا. ولكن حتى ذلك الحين سوف أستمتع بصحبتكما . لقد شعرت آنا دائمًا أن مصائرنا مرتبطة، منذ تلك الليلة على متن ضاحية ستينز”

ثم توقفت المطارد عن الكلام ونظرت خلفها، حيث بدأ ضوء يتوهج وسط غابة الكابلات في الغرفة المجاورة، ضوء أحمر.. أحمر.. أحمر.

“ما من راحة للأشرار” همست المطارد.

وفي الخارج راح فيش كيك يسير متعثرا في خطواته، باكيا لا يلوي على شيء، على طول شاطئ البحيرة. لقد ضربته المطارد، وكان من الممكن أن تقتله، لقد نبذته. إنها لم تعد تكترث لأمر فيش كيك الصغير بعد الآن، بل هي لم تكترث به يوما.

ومضى الصبي يبكي وينتحب، يتعثر في الصخور إلى أن سقط في المياه الضحلة الباردة.

و بعيدا عبر الماء، كانت بقايا جيني هانيفر تتلاشى في النيران، فقام فيش كيك و مشى على طول منحنى الخط الساحلي وصولا إلى موقع الحطام. ولم يكن ثمة شيء متبق من المنطاد الآن سوى الدعامات ووحدة محرك مشتعلة، إلا أن لكن الانفجار قد نثر محتويات مخزن المركبة عبر أعواد البوص هناك، ووسط الحطام عثر فيش كيك على عدد قليل من علب الطعام.

كانت الملصقات على علب الطعام محترقة تماما - بالطبع - لكنه حين هز العلب

وجدها ممتلئة، وكان من بينها علبة مربعة من الصفيح تحتوي على شرائح السردين، وكانت من العلب سهلة الفتح ذات مفتاح مثبت إلى غطائها، فقام بلفه وفتحها وراح يلتهم محتوياتها بنهم ثم شرب المحلول المالح اللذيذ بها.

شعر فيش كيك بتحسن مع وجود بعض الطعام في معدته، ثم إنه راح يتجول بين أعواد البوص بحثا عن مزيد من علب الطعام، إلى أن سمع ذلك الصوت المكتوم الحزين القادم من بين الصخور... "مممم! مممم!"

فاقترب فيش كيك بحذر من مصدر الصوت، وقد حسب أن توم و هيستير لا بد كان معهما مرافق أصيب في الحادث وأنهما تركاه وحده - هذا ليس بغريب على أمثالهما - ولكن عندما وصل إلى المكان، وجد أمامه رجل عجوز بائس، تم تقييده وتكميم فمه... واحد آخر من ضحايا توم وهيستير.

"يا لبوسكيت العظيم!" شهق الرجل عندما أزال فيش كيك الكمام من على فمه، و ""يا لك من فتى شجاع ! شكرا لك!" قالها بينما فيش كيك يحاول قطع الحبال التي تقيده مستخدما الحافة الحادة لعلبة السردين.

"إنهما بالداخل" قالها فيش كيك

"من؟"

"هيستير ورجلها. أخذتهما المطارد إلى الداخل. تقول إنهما أصدقائها. كيف يمكن لأي شخص أن يعتقد أن هيستير كانت صديقتها؟، إن لها وجه كفيل بجعلك تعاف طعامك، هذا إذا كنت قد تناولت أي طعام . أنا لم أحصل على أي طعام منذ أسابيع. ساعدني في فتح هذه العلبة يا سيدي"

وكان بيني رويال هو الرجل المناسب بالفعل، وبمجرد أن انقطعت الحبال التي تقيد يديه، مد يده داخل معطفه وأخرج سكين جيب المستكشفين، وهي عبارة عن أداة مذهلة بالفعل، تنفتح إلى فتاحة علب وزجاجات، ومقص صغير، وأداة لإخراج الحجارة من مشابك تثبيت المنطاد، بالإضافة إلى مجموعة من الشفرات التي سهلت قطع الحبال التي تقيد قدميه. حتى أن فيش كيك تعجب لماذا لم يذكر الرجل أن لديه سكين، بدلا من كل هذا العناء الذي تكبده في قطع الحبال بقطعة من الصفيح. لكن الصبي سرعان ما تغاضى عن ذلك، فقد أراد أن يحب رفيقه الجديد هذا، ولذلك

تذرع لنفسه بأن الرجل ربما يكون مصابا بارتجاج في المخ جعله يتصرف على هذا النحو.

و كانت هناك بعض الجروح في رأس الرجل تسيل منها الدماء على وجهه مثل المربى، (وكان فيش كيك لا يزال يفكر في الطعام.) . ثم إنهما افترشا الأرض وقاما بفتح ثلاث علب، كانت واحدة منها تحتوي على يخنة الطحالب، و احتوت الثانية الأرز باللبن والحليب المكثف في الثالثة. لقد كانت تلك أفضل وجبة تذوقها فيش كيك على الإطلاق.

"إنك تبدو لي غلاما ذكيا..." قالها بيني رويال وهو يراقب الصبي إذ يأكل، وقد قرر أن يجرب حظه "هل تعرف طريقة للخروج من هنا؟"

"يخت بوب جوي الجوي" دمدم فيش كيك وهو يمسح الحليب عن ذقنه، "هناك بالقرب من المنزل. لا أعرف كيفية التحليق به ."

"أنا أجيد قيادته ! هل تعتقد أنه يمكننا أخذه ؟"

لعق فيش كيك غطاء علبة الأرز باللبن، ثم قال "لا بد من الحصول على المفاتيح، لا يمكنك تشغيل المحركات بدون مفاتيح، و بالطبع ستحتاج إلى المحركات عبر كل هذه الجبال، أليس كذلك؟"

أومأ بيني رويال، ثم سأله "وأين هي المفاتيح؟، فقط من باب الفضول"

"إنها تضعهم حول عنقها، في حبل. لكني لن أعود إلى هناك مرة ثانية، ليس بعد ما فَعَلَته، بعد كل ما مررتُ به من أجلها!"

وأجهش الصبي بالبكاء من جديد، ولم يكن بيني رويال يجيد التعامل مع الأطفال، فراح يربت على كتفه ويقول "لا بأس، لا بأس..."، بينما هو يفكر في اليخت الجوي والمفاتيح، ويتطلع بعصبية نحو المنزل، ورأى ذلك الهوائي المثبت فوق سطحه إذ يتحرك، وقد توهج بلون أحمر كالدماء في أشعة الشمس الآفلة باتجاه الغرب.

و على بعد عشرة أميال، وسط الطمي المتجمد في قاع بحيرة جبلية، تحرك جريك، وأضاءت عيناه، ثم تذكر سقوطه من المنطاد . كان جريك قد سقط عبر الجرف الصخري، ثم اخترق الطبقة الجليدية التي تغطي البحيرة تاركًا حفرة على

شكل رجل أشبه ما يكون بنسر عملاق فارد جناحيه . ولما لم يكن قد لاحظ تلك الفتحة من فوقه، ظن أن البحيرة عميقة، وأن الليل قد حل على العالم في الأعلى.

ثم إنه نهض محررا نفسه من بين الطمي، ليكتشف أن البحيرة ليست بهذا العمق الذي حسبه، ومشى باتجاه حافة البحيرة، حيث المياه تزداد ضحالة، إلى أن صارت طبقة الجليد السميك فوقه مباشرة، فاخترقها بقبضته صانعا لنفسه مخرجا وسحب نفسه إلى الأعلى، وكأنه فرخ ضخم قبيح الشكل يخرج من بيضة باردة.

وفي الأعلى، كان القمر يضيء السماء، بينما وحدة محركات الجيني هانيفر التي كانت لا تزال مضطرمة بالنار، تضيء الصخرة العالية فوقه، فهرع يتسلقها إلى حيث المحركات المشتعلة، وراح يتشمم الهواء مقتفيا رائحة هيستير.

***

51. المطاردة

لطالما تخيل سكان لندن أنفسهم يغادرون حقول الحطام على مهل، ربما بسرعة لا تزيد عن سرعة السير إلى أن يعتادوا التعامل مع نظم التحكم في المدينة الجديدة. أما الآن فها هم يتجهون شمالاً عبر حطام لندن القديمة بأقصى سرعة ممكنة للمدينة الجديدة، من بين دعامات الطبقة القديمة وأكوام المسارات والعجلات العملاقة المتآكلة.

وفي الأسفل داخل غرف المحركات، كان المهندسون يضغطون بشدة على الروافع لتوجيه الطاردات المغناطيسية وتعديل زواياها، بينما السيد جاراموند وملاحوه ينظرون عبر نوافذ الرؤية غير المزججة وغير المكتملة ويصرخون على رجال الدفة : "إلى اليسار قليلا، إلى اليمين قليلا، إلى اليمين.. اوه، أعني إلى اليسار.. اليسار.. اليسار!"

وعلى بعد لا يتجاوز النصف ميل منهم كانت هاروبارو تسعى ورائهم، والبخار يتصاعد من مداخنها، وقد أعدت فكوكها للافتراس. ولم تكن في حاجة للالتفاف والتلوي من حول حطام المدينة القديمة مثل "نيو لندن"، بل كانت تشق طريقها ببساط مقتحمة تلال الخردة التي راحت تتساقط بعنف على جسد الضاحية من حول رين وثيو اللذان كانا لا يزالا يتشبثان بدروعها، معرضة إياهما للخطر. أما فولف، الذي كان معتادا على تحركات ضاحيته، فقد ظل محافظا على توازنه بينما هو يتقدم نحوهما في ثقة، دون توقف إلا لإلقاء نظرة على المشهد أمامه، وقد افتر ثغره عن إبتسامة حين وجد أن المسافة بين ضاحيته وفريسته تتقلص.

"أترين ؟" صاح فولف "كل ما فعلتِه راح سدى يا رين، إن هي إلا عشر دقائق أخرى وستكون مدينتك الغالية في أحشاء الهاروبارو. وأنت، أنت وصديقك الأسود هذا، سوف أقوم بتزيين سقف الساحة بأمعائكما كأوراق الزينة، وسوف أقوم بتثبيت جثتيكما في عنبر العبيد حتى يتمكن أصدقاؤك اللندنيين من رؤية ما يحدث لهؤلاء الذين يجرؤون على محاولة خداعي!"

وكان فولف قد بات على مسافة كافية منهما كي يعمل سيفه فيهما، فراحا يزحفان للوراء، ومن خلفهما أطلقت البنادق الدوارة وابلا آخر من النيران حيث ظهر منطاد

أبيض آخر عند مؤخرة الضاحية، وضحك فولف وقال:

"لا تحسبا أن الطحلبيون قادرون على إنقاذ كم، لن يجرؤوا على التقدم أكثر إلى مرمى النيران". ثم اندفع للأمام مصوبا سيفه نحوهما لتصطدم حافته بدرع الضاحية على بعد بوصات قليلة من قدم ثيو، محدثا شررا. ونظر ثيو نحو رين، و بالقرب منها، حيث كانت إحدى المسامير الضخمة التي تربط ألواح دروع الضاحية ببعضها البعض، وقد تحرر لأعلى قليلا، فيما انحشرت قطعة من الحطام المتساقطة بينه وبين الدرع، فألقى ثيو بنفسه عليها وانتزعها، وكانت عبارة عن أنبوب معدني صدئ بطول نصف بوصة، ذو طرف مدبب حاد، وبرغم أنها كانت أطول وأكثر ثقلا من أن يتم استخدامها كسيف، إلا أن ثيو لم يكن لديه خيار آخر، وهكذا رفعها في يده واستدار نحو فولف صارخا وصوبها باتجاهه، فتراجع فولف إلى الوراء رافعا سيفه لصد الضربة وقد بدا متفاجئا، لكنه كان سعيدا ذلك، وصاح في حماس: "هكذا يكون الأمر مثيرا!"

وفي الأعلى على متن ال" فيوري" قال ناجا "علينا إيقاف ذلك المدفع الدوار، لا يوجد طريقة أخرى للاقتراب من.... "

"سيدي.." صاح أحد ملاحيه مقاطعا إياه "هناك، على ظهر الضاحية..."

فالتفت ناجا موجها نظارته المكبرة إلى حيث جسم الضاحية، وهناك على بعد عشرين ياردة خلف المدفع الدوار رأى شخصان يتراقصان، لا، بل يتقاتلان، ولمح وميض الشرر المنبعث من التقاء سيفيهما.

"أهو أحد رجالنا؟"

"أدري يا سيدي، ولكن إذا قصفنا المدفع الدوار فقد يتسبب ذلك في قتله أيا من كان..."

"لا يوجد حل آخر أيها القائد.." قال ناجا "فلتعتني بهم آلهتهم، أما نحن فلدينا عمل يتوجب علينا القيام به"

ومن المنطاد انطلقت مجموعة من الصواريخ، و انبطحت رين إذ مر واحد منها فوق رأسها مباشرة، وكان قريبا لدرجة أنها رأت وجه التنين المرسوم على طرفه المدبب والحروف الصينية على جسمه. وانفجر الصاروخ فوق الدرع بالقرب من

البنادق الدوارة، لكن ليس بما يكفي لإحداث أي ضرر بها، فيما سقطت باقي الصواريخ بعيدا لتنفجر وسط الحطام.

وراحت هاروبارو تتحرك بسرعة عالية عبر منطقة تتراكم فيها حطام طويلة من الطبقات العليا في لندن التي سقطت فوق بعضها البعض.

متشبثة بكلتا يديها بدروع الضاحية، رفعت رين رأسها تتطلع نحو الحطام الحادة البارزة أمامها على طريق الضاحية. كان الأمر أشبه ما يكون بالاندفاع عبر درج لأدوات مائدة هائلة مبعثرة بشكل فوضوي. لكن الأمر بدا أنه لا يقلق فولف على الإطلاق، إذ راح يلوح بسيفه ويصرخ بشيء ما على طاقم إطلاق النيران، فدارت البنادق الدوارة وراحت تمطر السماء في الخلف بالرصاص إلى أن توارى المنطاد بسرعة خلف الحطام، ثم التفت الفتى من جديد نحو ثيو واندفع يهاجمه مرة ثانية بقوة وصرامة أكبر هذه المرة، وقد بدا له أن رين وفتاها باتا يشكلان مصدر إلهاء يجب أن يتخلص منه سريعا للتفرغ للعمل الجاد.

لكن ثيو في المقابل لم يستسلم، وراح يبذل قصارى جهده في القتال ملوحا بالأنبوب الصدئ في كل اتجاه محاولًا تفادي ضربات وولف، لكنه لم يكن مبارزًا، وقد وجد صعوبة في الحفاظ على توازنه فوق الدرع المتمايل، مقارنة بفولف.

وراح فولف يتقدم، دافعا ثيو للتقهقر باتجاه السلاح الدوار، وفجأة أتى فولف بحركة خادعة مباغتة، فارتبك ثيو واختل توازنه فسقط على ظهره وارتطم رأسه بالدروع، وطار الأنبوب المعدني من يده المتعلقة، لكن رين تمكنت من التقاطها بسرعة وهي تمر من أمامها. وحين رفعت رأسها كان فولف قد بلغ موضع ثيو ووقف من فوقه ورفع سيفه عاليا استعدادا للإجهاز عليه.

ودون أن تدري ما تفعل، اندفعت رين نحو الأمام، وسمعت شخصا ما يصرخ بقوة، ولم تدر في غمار انفعالها أنها هي من أطلقت تلك الصرخة، صرخة قاسية هي مزيج من الرعب والغضب والذعر، لكنها منحتها القوة الكافية لترفع الأنبوب وتصد به ضربة سيف فولف، ليصطدم السلاحان صدمة ارتدت في ذراعها بعنف، واندلع الشرر من احتكاك المعادن.

وللحظة وقف فولف مذهولا يحدق في مقبض سيفه وقد انكسر النصل من

منتصفه، ثم نظر إلى رين، و هز كتفيه وألقى بالسيف المكسور بعيدًا، ومن داخل معطفه سحب مسدسًا لامعًا.

وعند تلك اللحظات الأخيرة بدا كل شيء وكأنه يحدث ببطء وهدوء، برغم هدير المحركات المتسارعة. حتى البنادق الدوارة كانت قد كفت عن إطلاق النيران، وتلفتت رين حولها بحثا عن مهرب، لكنها لم تجد سوى طاقم إطلاق النيران يتطلعون إليها في ترقب عبر نوافذ المراقبة الصغيرة...

"وداعا يا رين" قالها فولف وهو يرفع مسدسه نحوها، و لم يلاحظ أن المنطاد الأبيض قد عاد يحلق مرة أخرى فوق مؤخرة ضاحيته. وفي لمح البصر، انطلقت الصواريخ أمامه في اللحظة التي ضغط فيها على الزناد، فانطلقت الطلقة بعيدًا من فوق رأس رين دون أن تصيبها. أما الصواريخ فقد نجحت هذه المرة في إصابة هدفها، وانفجرت البنادق الدوارة في موجة انفجار عارمة أحدثت صدمة طوحت فولف إلى الوراء، وحين حاول استعادة توازنه، انزلقت قدمه ليسقط إلى الأمام فوق الأنبوب المعدني الذي كانت رين لا تزال تمسكه، ويخترق طرفه المدبب أسفل عظمة صدره، فأجفلت رين من الصدمة وتركت الأنبوب من يدها ليسقط فولف به فوق الدرع الصلب، ويتوغل الأنبوب في أحشائه..

"اه..." صرخ فولف ونظر إلى الأسفل نحو الأنبوب

"أنا آسفة..!" قالت رين، فرفع فولف رأسه نحوها من جديد وحدق فيها بعينين شديدتا الاتساع والزرقة... والبراءة أيضا على نحو غريب !، وقد بدا وكأنه موشك على البكاء، فمدت رين يدها تحاول سحب الأنبوب من جسده، لكنه ترنح ثم سقط جانبا كدمية مكسورة، ورأته إذ يسقط أسفل المنحدر الطويل لجانب الضاحية إلى أن اصطدم بالمسارات.

في وقت لاحق سوف تدعو الآلهة أن يكون قد مات قبل أن يصل أسفل العجلات الضخمة، وستقنع نفسها أن صرخاته التي سمعتها حين وصل إلى الأرض وانسحق، لم تكن بصرخاته وإنما أصوات حطام لندن القديمة إذ تسحق تحت مسارات هاروبارو.

أما الآن فقد باتوا عند الأطراف الخارجية لحقل الحطام، وفي الأمام امتد سهل واسع، خاوٍ كمحيط، باستثناء أضواء "نيو لندن" ، التي كانت على بعد ربع ميل نحو

الشمال، وقد عبرت إلى الأراضي المفتوحة الآن، تاركة حطام مدينتها الأم ورائها.

"أيتها الفتاة!" صاح شخص ما، وفي وسط ذعرها لم تستطع تحديد من هو، بالتأكيد هو ليس فولف، وليس واحد من طاقم مدفعيته الذين تلاشوا مع المدفعية ذاتها، و ليس ثيو، الذي كان يكافح للوقوف على قدميه، ووجهه ملطخ بالدماء من حيث سقط على رأسه، فرفعت رأسها ونظرت لأعلى.

كانت مركبة العاصفة الخضراء تحلق فوقها الان على ارتفاع منخفض، مواكبةً سرعة الضاحية بحنكة وبراعة لا يقدرها سوى ملاح.

ومن فتحة المنطاد تدلى نحوها شخص حسبته في البداية مطاردا، قبل أن تكتشف أنه بشر حين صاح فيها من جديد "أيتها الفتاة" ومد يده نحوها، و سرعان ما أدركت من يكون : إنه الجنرال ناجا.

كانت رائحة إطلاق النار والوقود تفعم الـ" فيوري"، وقد راح الجنرال ناجا يصدر الأوامر لملاحيه، ثم التفت نحو رين ونظر لها مليا، ثم قال : "أنتما من أهل لندن؟ هل أسرتكما الضاحية الحصادة؟"

أومأت رين، متشبثة بقوة بذراع ثيو، وهي لا تصدق أن كلاهما لا زال على قيد الحياة. ولم يكن الوقت مناسبا كي تقول للجنرال أنهما تقابلا سابقا. وظلت رين ترتجف بشدة، دون أن تستطيع السيطرة على نفسها، او التوقف عن التفكير في فولف كوبولد وما جرى معه. وبمجرد أن ابتعد الـ" فيوري" عن هاروبارو متوجها نحو "نيو لندن"، حتى تركت رين ثيو، وانتحت جانبا وأفرغت معدتها.

وصل المنطاد إلى القسم الخلفي من نيو لندن، حيث كان حشد من اللندنيين وجنود العاصفة الخضراء ينتظرون.

"رين" صاحت آنجي بسعادة، وهي تلوح نحوها، وقد نسيت ما أثير من شكوك حول رين وأنها قد تكون جاسوسة.

"آنسة ناتسوورثي، سيد نجوني، حمدا لكويرك أنكما بخير" صاح السيد جاراموند وهو يساعدهما على النزول من المنطاد، وكادت رين أن ترد عليه بقسوة أن (لا شكر لك"، لكنها سرعان ما أدركت أنه يشعر بالفعل بالندم إزاء ما اقترفه بحقهما، وأن عناقه

الأخرق لهما لم يكن سوى وسيلة للاعتذار، فعانقته بدورها.

كان للمدينة الجديدة إحساس غريب، إذ لم تكن هناك أي من تلك الاهتزازات والصدمات المكتومة التي يشعر بها من يعيشون على متن مدينة متحركة، بل مجرد إحساس بالحركة التي تشبه الحلم.

ولكن سرعة المدينة لم تكن كافية تمامًا، حيث كانت هاروبارو لا تزال تلاحقهم في الخلف، وقد فتحت فكيها كاشفة عن وهج متصاعد من الأفران بالداخل.

"كنت تحسبين أن الضاحية ستتوقف بموت فولف" قالها ثيو

"، هم لا يعرفون أنه مات" قالت رين "أو ربما عرفوا لكن لم يهتموا كثيرا، السيد " هوسدورفر" ورجاله يمكنهم تولي مهمة مطاردة بسيطة دون عمدتهم. يبدو أن هاروبارو لم تول فولف ذات الاهتمام الذي كان يوليه لها "

ولم تشأ رين أن تتحدث عن فولف أكثر من ذلك، وقد بقيت الطريقة التي نظر لها بها عندما أدرك أنها قتلته، عالقة في مخيلتها، وقد شعرت أنها ستبقى معها إلى الأبد. وقد حاولت أن تقنع نفسها إنه أمر جيد أن تشعر بالذنب هكذا حيال ما فعلت، وأن هذا أفضل من أن تكون مثل والدتها، قاسية لا يرف لها جفن . لكن حتى ذلك لم يخفف من ثقل ماتشعر به .

وهكذا أمسكت رين بيد ثيو، وتوجها معًا للوقوف بين سكان لندن الآخرين عند مؤخرة المدينة . ومن خلفهم، كان الجنرال ناجا يعطي الأوامر لضباطه المتبقين على قيد الحياة، وقال للجنرال ثين "ستعود إلى باتمونخ جومبا، زوجتي تعتقد أن المطارد فانج هي من يتحكم في السلاح الجديد، ساعدها في العثور عليه وتدميره"

"نعم يا صاحب السعادة"

"أما نيو لندن، فسيتم منحها ممرا آمنا للمرور عبر مقاطعاتنا"

"نعم يا صاحب السعادة"

"والآن، أريد من الجميع الترجل عن ال" فيوري" قبل أن أحلق بها"

"ولكن، يا صاحب السعادة، لا يمكنك أن تحلق بمفردك!"

"ولم لا؟ لقد قدت "زان ساندانسكي" و " خامشاتكا" بمفردي من قبل، و وحدي واجهت " بنزرستات بريسلاو"، أو لن أتمكن الآن من التعامل مع حصادة قذرة همجية كهذه؟"

صمت ثين متفهما، ثم إنه انحنى مؤديا التحية، ثم انطلق يصيح بالأوامر للجنود.

وفي غضون ذلك كانت رين تتلفت حولها تتابع الصخب الدائر، ورأت جنود العاصفة الخضراء وهم يقفزون من على متن ال" فيوري"، بينما ناجا يقفز إلى داخله. ثم التفتت بعيدا نحو مؤخرة المدينة، وهناك كان ماي حدث أكثر إثارة بكثير من أي تحركات للعاصفة الخضراء، لدرجة أنها لم تلحظ المنطاد "فيوري" وهو يقلع من جديد...

ففي تلك اللحظات كانت هاروبارو تهرع خلفهم، وقد امتلأ درعها بالثقوب، واشتعلت الحرائق في أكثر من موضع على سطحها العلوي، و تحطم واحد من مساراتها، لكن هوسدورفر لم يكترث ؛ لقد كان متشككا في البداية بشأن هذا المكان الذي أحضرهم سيده عبر كل تلك المسافة لافتراسه، لكنه الآن، وقد رأى المدينة تحلق على هذا النحو، أدرك ما كان الشاب كوبولد يسعى ورائه.

"مزيد من القوة" صرخ هوسدورفر في أنابيب التحدث ".. افتحوا الفكين، إنهم بلا دفاعات... إنهم لنا".

حلق ناجا بال" فيوري" نحو الضاحية، ثم هبط بالمنطاد إلى ارتفاع يوازي سطح الأرض تقريبا. إنه منطاد جيد، وقد استمتع بقيادته وحركة روافعه السلسة ومحركاته القوية وقد رفع سرعتها إلى أقصى درجة حين فتحت الضاحية فكيها، مستهدفا ذلك التوهج الأحمر للأفران داخل ساحات التفكيك. وحين أدرك رجال هاروبارو ما يخطط له قائد ذلك المنطاد المندفع نحوهم، راحوا يطلقون النار عليه من داخل الفكين، محطمين الزجاج في نوافذ المركبة، واشتعلت النيران بها.

ومن مدفع يدوي أطلق أحدهم قذيفة أصابت دروع صدر ناجا، لكن الدروع حمته وبقي حيث هو يندفع بالمنطاد المشتعل نحوهم. وبسرعة حاول الرجال إغلاق فكي الضاحية، لكنها لم تنغلق بالسرعة الكافية، وأطلق ناجا جميع الصواريخ المتبقية بالمنطاد...

"أوينون".. وكان اسمها وصورتها إذ تلوح في خياله هما آخر ما تبقى معه وهو يندفع باتجاه الضوء.

كان الانفجار سريعا، كزهرة عباد شمس تتفتح في الغسق، مفعمة بالبذور. وكان هناك دوي صاخب مكتوم أعقبه أصوات أخرى، واندفعت أمطار من الشظايا الكبيرة و الحطام إلى الأرض العراء.

و على متن نيو لندن لم يهتف أحد ابتهاجا بتدمير الضاحية، حتى جنود العاصفة، الذين نشأوا على التغني بتدمير المدن ، بدوا مرعوبين. و سقطت قطعة أو قطعتان صغيرتان من الحطام على سطح المدينة، فانحنت رين تلتقط إحداها وقد سقطت بالقرب منها، وكان عبارة عن رأس مسمار لحام من بدن هاروبارو، لم يزل دافئا بفعل حرارة الانفجار، فوضعته في جيبها وقد رأت أنه سيكون إضافة جيدة لمعروضات متحف نيو لندن.

ولم يتبق من هاروبارو سوى الجزء الخلفي منها، حيث سقط بين الوحل في الأرض العراء، و الحرائق تشتعل في نصفه تقريبا، و أدرك الحشد أنه سيكون جزءا من المنظر هنا، تماما كبقايا لندن القديمة.

أما الناجون من الضاحية الميتة، فقد خرجوا إلى العراء مذهولين، وراحوا يتطلعون من حولهم، وينظر بعضهم نحو الحطام التي ملأت الأفق الجنوبي متسائلين عن نوع الحياة التي تنتظرهم هناك، بينما ركض بعضهم خلف نيو لندن متوسلين للمدينة المتحركة أن يغيثوهم وألا يتركونهم هنا في أراضي العاصفة الخضراء.

لكن المدينة الحوامة كانت بعيدة المنال، وراحت تبتعد سريعا عبر السهل الشاسع المظلم، ويتضاءل حجمها، إلى أن صارت مجرد بقعة من ضوء، وميض يتضاءل وسط الشفق العارم.

***

52. كلمات أخيرة

مشت المطارد فانج تعرج نحو غرفتها، ووجهها البرونزي يتألق بالأضواء الوامضة على كومة الآلات بالأرقام الخضراء المتوهجة على شاشات المتابعة الخاصة بها. وعبر المدخل المفتوح كان توم وهيستير يشاهدانها، وفي كل مرة كانت تنظر في اتجاه آخر بعيدا عنه، كان توم يتحرك حركة خفيفة ليدنو من هيستير، إلى أن تمكن من بلوغ السكين في حزامها.

"لن يطول الأمر" قالتها المطارد فانج، وقد سرها أن تجد أخيرا من يسمعها ويفهم ما تقوله إذ تشرح طبيعة ما تقوم به. وكان توم في تلك اللحظات يفكر في رين، آملاً أن تكون نيو لندن قد تحركت إلى أي مكان بعيدا عن جبال تانهاوسر، أو أي جبال أخرى قد يستهدفها أودين.

"ولكن، لماذا البراكين؟" تساءلت توم من جديد "لا زلت لا أفهم كيف لهذا أن يجعل العالم أخضر من جديد"

فأجابته المطارد وأصابعها تتحرك بسرعة فوق لوحة المفاتيح الدائرية : "فكر في الأمر من منظور واسع يا توم. ليست المدن المتحركة فقط من يسمم الهواء ويمزق الأرض. كل المدن تفعل ذلك، سواء كانت ثابتة أو متحركة. المشكلة تكمن في البشر أنفسهم، كل شيء يفعلونه يتسبب في التلوث والدمار. العاصفة الخضراء ما كانت لتفهم ذلك أبدا، ولهذا لم أخبرهم قط بخططي بصدد أودين. إذا أردنا حقًا حماية الأرض، فيجب علينا أولاً تطهيرها من البشر."

"هذا جنون!" صاح توم

"ربما هو غير إنساني..." أقرت المطارد ".. رماد البراكين سوف يخنق السماء ويغمر الأرض في ظلام دامس، وسوف يسود الشتاء لمئات السنين. البشر سوف يموتون. لكن الحياة ستبقى. هكذا هي الحياة، دائما تبقى . وعندما ينقشع الرماد وتصبح السماء صافية أخيرًا، سوف يصبح العالم أخضر من جديد، وستنمو النباتات، والسراخس، والأعشاب، والغابات، و ستتكاثر الحشرات، والحيوانات العليا، ولكن لن يكون هناك بشر، إنهم لا يفعلون شيئاً سوى التدمير والإفساد"

"لكن " آنا" ما كانت لترغب في ذلك أبدا" قال توم

"أنا لست " آنا"، أنا فقط أستخدم ذكرياتها لفهم العالم. وقد صرت أدرك أن البشرية هي وباء، فئة من القردة الذكية التي لا تستطيع الأرض الطيبة تحملها . كل الحضارات البشرية تنهار يا توم، ولذات السبب : أن البشر جشعون للغاية . لقد حان الوقت لوضع نهاية لوجودهم وإلى الأبد. "

تحامل توم على نفسه من أجل النهوض، متسائلاً عما إذا كان بإمكانه الوصول إلى تلك الآلة، وتدميرها، وقطع كل تلك الأسلاك والقنوات المعقدة. و بدا أن المطارد فانج قد قرأت أفكاره، إذ برزت النصال الطويلة من أطراف أصابعها فجأة، و همست: "كن عقلانيا يا توم. أنت مريض جدًا، وأنا مطارد، لن تنجح أبدًا فيما تخطط له، كما أن هيستير تريدك أن تبقى على قيد الحياة لأطول فترة ممكنة. إنها تحبك كثيرًا كما تعلم."

ثم إنها تحركت خلف كومة الآلات الخاصة بها، وراحت تجري بعض التعديلات على الكابلات الممتدة عبر السقف إلى حيث الهوائي الموجود على السطح.

سحب توم السكين من حزام هيستير، فالتقطته الأخيرة منه بين يديها، وبحرص راحت تقطع الحبال القديمة التي استخدمتها المطارد لتقييد معصميها.

وبينما كانا يتسللان عبر الجسر، راح بيني رويال يحاول تهدئة نفسه بتخيل ما سوف يرويه للقراء عن مغامرته تلك... [كان كل شيء يحذرني بضرورة البقاء بعيدا عن ذلك المنزل المرعب، لكن مصير مدن بأكملها كان رهنا بذلك. كما أن رفاقي المساكين كانوا سجناء بداخله. وكنت أدرك أن الفرار الآن سيجلب وصمة عار لا تمحى على جبين آل بيني رويال] - كما أنني أحتاج تلك المفاتيح اللعينة! - [وقد قادني رفيقي المخلص فيش كيك..] - أتراه اسمه الحقيقي؟! - [.. إلى نهاية الجسر، لكنه رفض التقدم لأكثر من ذلك، وما كنت لأطلب منه هذا على أية حال، ما كنت لأسمح لصبي صغير مثله أن يخاطر بحياته في معركة مميتة ضد مطارد] - أهي مطارد أم مطارِدة؟.. يا للآلهة، آمل ألا تقع مواجهة حقيقية؛ ليت ذلك الصبي لديه الجرأة ليذهب بدلا مني، يا له من صغير جبان... - كان الأمر مقلقًا بعض الشيء، أعترف، لكن مع تقدمي وحدي وسط الظلام ، بدأت أشعر بهدوء وسكينة. لقد واجهت

العديد من المواقف الصعبة على مر السنين، وما تعلمته هو أنه من الأفضل دائمًا أن أبقى هادئًا رابط الجأش و...] - وحق بوسكيت العظيم، ما هذا... إنها بومة.. مجرد بومة!...

وقف بيني رويال يرتجف، محاولا تمالك أعصابه، وارتشف رشفة من قارورة البراندي الصغيرة الخاصة به، ثم بدأ يبحث عند الماء عن بندقية توم المضادة للمطاردين. لقد أخبره فيش كيك أنها سقطت من هيستير هنا في مكان ما، ولم يكن بيني رويال ليجرؤ بأي حال على الاقتراب من ذلك المنزل الملعون بدونها. أه، ها هي البندقية، سليمة لا زالت تعمل [سلاح غريب الشكل، لكنهم لا يدعونني بيني رويال ذو العين الثاقبة من فراغ. وهكذا حملت البندقية على كتفي..] - أتراها توضع هكذا بالفعل؟ - [واستأنفت تسللي الحذر...]

كانت المطارد فانج منشغلة بآلاتها، ومن حين إلى آخر كانت الأرقام والحروف المتوهجة على شاشة المتابعة تتحول إلى صورة رمادية ما، وأدرك توم أنه يرى الآن ما لم يره أي إنسان منذ آلاف السنين: العالم من الفضاء، يُنظر إليه من خلال عين أودين. الغريب ان ذلك لم يبد له مثيرا أو مؤثرا، وراح يفكر: ترى، هل يمكن لأودين أن يفني البشرية حقا؟. الأكيد أن تلك الآلة يمكن أن تتحطم، أو تنفد منها الطاقة، أو يقع بها خلل ما ينهي خطط المطارد.

وفي داخله كان الغضب يتأجج من أنه قد جاء وهيستير عبر كل تلك المسافة فقط ليجدا أن هذا السلاح المهلك عبارة عن حفنة من الخردة الفضائية تتحكم فيها مطارد عجوز، من غرفة تبدو كغرفة نوم مراهق ! ؛ لقد كانت الميدوسا تستحق أن يموتا من أجلها حقا، فعلى الأقل كان جسدها يملأ الكاتدرائية ورأسها الشبيه بالكوبرا ينتصب فوق لندن.

و بجواره غمغمت هيستير في انتصار، وقد نجحت في قطع الحبل بالسكين، ثم انحنت لتقطع الحبل الآخر الذي يقيد قدميها. وكانت المطارد فانج ترسل إشاراتها إلى أودين مجددا، وقد راحت تتلو الشفرة على نفسها بينما أصابعها تنقر فوق لوحة المفاتيح. ومن حين إلى آخر كانت تهمس بشيء إلى توم وهيستير :

"فقط تخيلا يا أعزائي كل تلك الحمم البركانية الجميلة..."

لقد كانت آنا فانج تحب الصحبة ووجود شخص ما للتحدث معه، وقد ورثت المطارد فانج ذات الأمر. وحين همست هيستير "الآن"، ونهض توم من الفراش، قالت :

"إلى أين أنتما ذاهبان؟"

"تعال!" همست هيستير إليه، وقد لفت ذراعها من حوله لتعينه على المشي، و توجهت به نحو أقرب نافذة. هي لم تحظ بالتعليم الذي حظي به توم، ومن ثم لم تكن تتابع أو تستوعب حديث المطارد، بل كان كل ما يعنيها به هو إنقاذ توم، رافضة تصديق أنه لا أمل على الإطلاق.

لكن توم كان يعرف أنه ما من جدوى لمحاولة التغلب على المطارد فانج، التي استدارت وتوجهت نحوهما حيث اقتربا من النافذة، فإستدار بدوره ليواجهها، بينما هيستير لا تزال تحاول سحبه إلى النافذة، لكنه حرر نفسه منها. لقد جاء إلى شان جو للتحدث مع المطارد فانج وليس للقتال، وإذا كان ناجا لم ينصت إليه، فلربما فعلت المطارد ؛ لقد قالت : أنا لست آنا، بل مجرد حزمة من ذكرياتها .... ولكن، ماذا يكون المرء سوى حزمة من الذكريات؟.

وهكذا، وقف توم في ثبات في مواجهتها وقال :

"لا يمكننا البقاء هنا، فلدينا ابنة وهي بحاجة إلينا"

ومضت عينا المطارد، وهمست "ابنة.."

"اسمها رين"

"ابنة ..." وصفقت المطارد بيديها محدثة قعقعة، ثم "توم، هيستير ... كم هو رائع! عندما رأيتكما، عندما رأتكما آنا معًا لأول مرة، عرفت أنكما ستكونان لبعضكما البعض! والآن صار لديكما طفلة."

"إنها لم تعد طفلة" قالت هيستير "إنها شابة كبيرة الآن"

"لقد قمنا بتربيتها والحفاظ عليها.." قال توم "... وعلمناها الكثير من الأشياء. لقد تعلمت قيادة جيني هانيفر ... والآن تريدين قتلها مع باقي البشر"

فهزت المطارد كتفيها في حركة غير معتادة لمطارد جعلت درعها يصدر صريرا، وهمست "لا يمكنك كسر البيض دون صنع عجة، أم تراكم تقولونها العكس؟... أين هي، ابنتك هذه؟"

"في لندن..." أجاب توم "في حطام لندن. الناس هناك يبنون مدينة جديدة، مدينة حوامة..." وكان يتمنى في قرارته الآن لو أنه أولى مزيدًا من الاهتمام للشروح الفنية للدكتور تشيلدرماس، لكنه أضاف "إنها لا تلوث الأرض، ولا تأكل المدن الأخرى، ولا حتى تستهلك الكثير من الوقود. لماذا لا يكون لها مكان في عالمك الأخضر إذن ؟ ولماذا لا يكون لرين مكان؟"

أصدرت المطارد صوت هسيس، ثم استدارت بعيدا وعادت إلى آلاتها، فتبعها توم متعثرا في خطواته، ومن ورائه هيستير، وقد صمتت وراحت تنصت للحديث الدائر بينهما. ومن جديد راحت أصابع المطارد تقرع لوحة المفاتيح، و تغيرت الصورة الرمادية على الشاشة المركزية، من مشهد "زان شان" المشتعل، إلى صورة بانورامية أبعد للأرض . ثم بدأت تقترب مرة أخرى أكثر فأكثر، والآلة من خلف الشاشة تصدر أصوات ضجيج، ثم راحت الصور تتتابع سريعا، إلى أن تثبتت على رقعة رمادية أخذت تتضح رويدا، إلى أن تبدت حطام لندن، ثم ملأت الشاشة. و استطاع توم تمييز مناطق "بوتني فيل" و "الرحم".

"لا شيء يتحرك ..." همست المطارد.

"ما هذه البقع المضيئة؟" سأل توم.

"مناطيد محترقة" أجابت المطارد

"ماذا؟". و حدق توم في المزيد من بقع النار البيضاء. ثم، قبالة الحافة الشمالية للحطام، كان هناك ما يشبه ثقبا كبيرا... ماذا حدث في ساحة الأنقاض منذ رحيله؟ ماذا حدث لرين؟، وانقبض قلبه بعنف وراح الألم يعتصره، وتلاحقت ضرباته بين ضلوعه.

"آه!.." همست المطارد "لا بد أن تلك هي مدينتك الحوامة...."

وكانت المطارد أسرع منه في قراءة الصور الرمادية، أما هو فقد استغرق الأمر منه

لحظة حتى أدرك أنه ينظر إلى لندن الجديدة. كانت المدينة تحلق بعيدا عن ساحات الأنقاض متجهة شمالًا. وقد راحت الصورة تتقلب على الشاشة بينما العدسة تقترب أكثر فأكثر من المدينة الجديدة، إلى أن تمكن توم من رؤية القوم يحشدون في القسم الخلفي منها . كان العشرات من الأشخاص يصطفون عند الإفريز، يحدقون في اتجاه الحطام بينما تحملهم نيو لندن بعيدا حيث الأمان .

و اقتربت الصورة أكثر، وبات بإمكانه الآن تمييز الوجوه، وجوه أصدقائه: كليتي وزوجها، السيد جاراموند يضحك بسعادة - إنها المرة الأولى التي يراه يضحك - وكذلك... رين، مشعثة، ملطخة الوجه والشعر بما بدا أنه شحم، لكنها رين بالتأكيد ؛ وصرخ توم حين ظهر وجهها على الشاشة، فراحت المطارد تدير عدسة أودين لتتركز عليها.

"إنها رين، إنها بخير!" صاح توم من جديد في فرح، وشعر بكف هيستير يضغط على ذراعه وهي تراقب وجه ابنتهما يقترب منهما عبر الصورة الرمادية المشوشة، وبصوت مرتعش همست:

"رين..." ثم "ماذا فعلت بشعرها؟ إنه غير متساو و.... ماهذا، هذا الذي خلفها.. انظر، إنه ثيو!"

وقامت عدسة أودين بتقريب الصورة من جديد، وهذه المرة لم يكن ثمة شيء على الشاشة سوى وجه ابنتهما. واقترب توم أكثر، متجاوزا المطارد، ومد يده يلمس زجاج الشاشة، وقد بدت الصورة أكثر تشوشا مع هذا الحجم من التكبير، وامتلأ وجه رين بالخطوط والبقع. وراح توم يتتبع بيده انحناءات وجهها، متمنيا لو كان بإمكانه المرور عبر الشاشة ولمسها والتحدث معها. ترى، أتشعر به الآن إذ يراقبها؟، لكنها فقط كانت تبتسم والتفتت تحدث الفتى الواقف ورائها. وشعر توم كما لو كان شبحا أو روحا هائمة تراقبها.

ومن ورائه كانت المطارد فانج تصدر هسيسا أشبه ما يكون بصوت غلاية يوشك الماء فيها على الغليان.

"رجاءً، لا تؤذها" قال توم

"سوف تموت" قالت المطارد "الجميع سوف يموتون، لأجل صالح الأرض. قد بتبق

لطفلتك بضعة أعوام لا أكثر إن كانت محظوظة"

"لكنها المستقبل.." صاح ثيو باكيا "انظري إليها، انظري إليها وإلى ثيو..."

"لأجل صالح الأرض" رددت المطارد "الجميع سيموتون"

"أنت لا تؤمنين بهذا في أعماقك" هتف توم في إصرار "ذلك الجزء من آنا في داخلك لا يؤمن به، لقد كانت آنا تهتم بالناس وتعتني بهم. لقد إعتنيتِ بي وبهيستير وأنقذتِنا.. آنا، لا تستخدمي تلك الآلة، إوقفيها، اكسريها، حطمي أودين." وخارت قوى توم وكاد يسقط على ركبتيه لولا أن لحقته هيستير، فيما وقفت المطارد تصدر صوت هسهسة غاضبة، لدرجة أن هيستير ظنت أنها على وشك مهاجمتهما، فسحبت توم للوراء ووقفت أمامه لتحميه بجسدها وتحول بينه وبينها.

لكن المطارد استدارت و مضت بعيدا، وقد وضعت كفا فوق دماغها، ودمدمت : "أين هو بوب جوي؟"

"مات.." قالتها هيستير "قمتِ بقتله، هكذا يقولون في باتمونخ جومبا"

"ساذيا... أنا..." قالت المطارد ".. ينبغي إبادتهم جميعا... لصالح.... توم، توم... هيستير..."

وعاد صوت قرع أصابعها المعدنية فوق لوحة المفاتيح، وراحت حروف خضراء تومض على الشاشة.

"ماذا تفعل؟" تساءلت هيستير في خوف، وكانت تخشى أن تكون تلك المطارد المجنون تأمر أودين بتدمير نيو لندن، فهز توم رأسه في حيرة.

و توقفت المطارد لهنيهة تتفحص شريط الحروف الخضراء التي ظهرت على شاشة أخرى، ثم عادت تقرع الأزرار مرة أخرى، ثم ضربت مفتاحًا أخيرًا، والتفتت إليهما.

كانت المطارد فانج ترتجف، وسرت في جسدها اهتزازات ميكانيكية، كمحرك بات على استعداد للعمل بكامل طاقته، وتوهجت عيناها، ثم مدت يدها المعدنية اللامعة نحو ضيفيها

“ما الذي فعلتِه؟” سألها توم

“أنا فعلت... هي فعلت.... نحن فعلنا....”

و من الجانب البعيد من الغرفة، عبر باب آخر، سمعوا صوت طقطقة ووقع أقدام فوق البلاط المكسور، فاستدارت المطارد باتجاه مصدر الصوت، وقد برزت نصالها الحادة من أصابعها، وصرخ بيني رويال في رعب ما إن دخل الغرفة ووجدها أمامه وعيناها الخضراوان ينعكس توهجهما على وجهه.

وكان بيني رويال يمسك ببندقية الصاعقة ويصوبها للأمام، وما إن همت المطارد تندفع نحوه، حتى ضغط الزناد، واندلع لسان من النار في الفراغ بين فوهة البندقية وصدر المطارد .

أصدرت المطارد هسيسا وقد برزت مخالبها، وتراجع بيني رويال وهو يصرخ منتحبا ” بوسكيت! رجاءا أنقذني! ساعدوني!.. ابقوا بعيدًا!“ وقد تجمد إصبعه فوق الزناد.

و بدأت أردية المطارد تحترق، بينما خيوط البرق تزحف على وجهها البرونزي الساكن، إلى أن سقطت بعنف فوق آلات التحكم في أودين، و زحفت ألسنة البرق إليها هي الأخرى، وفي لمح البصر انفجرت شاشات المتابعة و أدمغة المطاردين المتصلة بها، وانكسرت لوحات المفاتيح وتناثرت أزرارها محدثة قعقعة فوق الأرض، وتسلل اللهب عبر الأسلاك الممتدة في السقف.

ولم يزل بيني رويال يصرخ ويطلق النار، إلى أن تعطلت البندقية وتوقفت تماما، وساد الصمت.

“لقد فعلتها!”، قالها بيني رويال ذاهلا بعد حين “لقد قتلتها، أنا... ليس بحوزتكم آلة تصوير، أليس كذلك؟”

وعلى بعد خطوات كانت المطارد فانج ترقد فوق آلاتها المحترقة، وراح توم يلوح مبعدا سحب الدخان قليلا واقترب منها بحذر. كانت المعدات داخلها تحترق، وانبعثت منها رائحة كريهة، ومن تحت درعها كان وهج النيران واضحا أمامه، أما قناعها البرونزي فقد انخلع كاشفا عن وجهها الميت تحته. حاول توم ألا يستسلم لشعور

الاشمئزاز وهو ينظر إليها، فعلى أية حال سوف يقوم بذات الرحلة قريبًا. و تحرك الفم الميت هامسا "توم.. توم" و لا شيء آخر، و خفت الوهج الأخضر في عينيها ليستحيل إلى نقطتين كرأس الدبوس، ثم تلاشى.

وكان بيني رويال واقفا في موضعه يحدق البندقية في يده، وكأنما يتساءل كيف وصلت إلى يده، ثم إنه أسقطها، ثم قال : "هناك يخت جوي يرسو في الأسفل، المفاتيح حول عنق ذلك الشيء"

و لم يخطر ببال توم أن يسأله كيف عرف، ومد يده يأخذ المفاتيح، فخرجوا بسهولة في يده حيث احترق الحبل الذي تم ربطهم إليه.

"لقد ماتت هذه المرة، أليس كذلك؟" تساءل بيني رويال بعصبية، فأومأ توم برأسه وقال :

"لقد ماتت منذ وقت طويل. آنا المسكينة."، ثم عاودته آلام صدره من جديد ولم يقو على الكلام. ثم بدأ يئن وقد تفاقم الألم وتضاعف، فهرعت هيستير نحوه تتشبث به وتحاول تهدئته.

"أهو بخير؟" سألها بيني رويال

"قلبه..." قالتها هيستير بصوت خافت مرتعش. منذ ذلك الحادث حين رأت أمها تموت أمامها وهي طفلة صغيرة، لم تشعر هيستير بالعجز مثلما تشعر به الآن.

"لا تمت يا توم..." قالتها وهي تنزل معه إلى الأرض ممسكة به بقوة قدر استطاعتها ".. لا تتركني، لا أريد أن أخسرك ثانية...." ، ثم نظرت من بين دموعها نحو بيني رويال وقالت : "ماذا نفعل؟"

وبدا بيني رويال خائفا مثلها، ثم قال : "طبيب، علينا أن نأخذه إلى الطبيب"

"لا فائدة" قال توم في وهن. وكانت أسوأ موجات الألم قد انتهت، تاركة إياه شاحبا خائفا، يلمع وجهه بالعرق في ضوء اللهب المتصاعد. "لقد سبق وذهبت إلى طبيب في "بيريباتشيابوليس"، وقد قال لي أن حالتي ميئوس منها"

"اه، لا... لا...." صاحت هيستير باكية، وكذلك بيني رويال صاح في أسى :

"بحق بوسكيت العظيم!..." ثم "إسمع، لو كان طبيبك هذا جيدا، ما كان ليعمل في مكان صغير مثل "بيريباتشيابوليس". هيا، سنجد لك أفضل رعاية طبية يمكن للمال والشهرة أن يجلباها. أنا لن أدعك تموت يا توم، أنت وهيستير الشاهدان الوحيدان على أنني قتلت المطارد فانج!، فلتنتظر حتى يسمع العالم شهادتك.. سأعود إلى أعلى قوائم أفضل الكتب مبيعًا في لمح البصر! ." ثم إنه مد يده وقال "ناولني المفاتيح. لن يقدر على عبور الجسر في حالته تلك، سوف آتي باليخت الجوي إلى الحديقة"

حدقت هيستير في وجهه، فقال بيني رويال : "حسنا، حسنا، اذهبي أنت واحضري اليخت. سوف أبقى أنا مع توم ."

"رجاءً، يا هيت، ابقي معي" همس توم في إعياء، فأخذت هيستير المفاتيح وناولتها إلى بيني رويال، فقال :

"تماسك يا توم، سوف أعود في لمح البصر..." ثم أضاف وهو يهرع مبتعدا "من الأفضل أن تنتظراني في الخارج، هذا المبنى يحترق".

و بحرص أعانت هيستير توم على النهوض وأخذته عبر القاعات المحطمة للمنزل إلى الخارج حيث الحديقة الباردة، وتناهت إلى مسامعهما أصوات خطوات بيني رويال إذ يهرع عبر الجسر، إلى أن ابتعد وساد صمت لا يقطعه سوى صوت قعقعة اللهب من داخل المنزل.

و بجوار نافورة متجمدة، أرقدت هيستير توم وخلعت معطفها وجعلت منه وسادة وضعتها تحت رأسه، بينما أضواء اللهب تنعكس عبر الحديقة.

"سوف نذهب إلى باتمونخ جومبا.." قالت هيستير "أوينون سوف تقوم بعلاجك، إنها جراحة ماهرة، أنقذت حياة ثيو من قبل، وحياتي أيضا. سوف تعالجك لتصير على ما يرام من جديد"، ثم إنها أحاطت وجهه بكفيها وقالت "أنت لن تموت... لا أريد الافتراق عنك ثانية، لا أستطيع تحمل ذلك. سوف تصير بخير، وسوف نحلق عبر مسارات الطيور من جديد"

"انظري" قال توم وهو يشير نحو الأعلى.

وهناك، فوق الجبال، ظهرت نجم جديد، شديد السطوع، وقد بدا وكأنه

يزداد حجما.

تحامل توم على نفسه ونهض، ثم مشى بضع خطوات بعيدا عن النافورة طلبا لرؤية أفضل.

"توم، كن حذرا... ماهذا؟"

فالتفت توم نحوها وعيناه تلمعان، وقال "إنه أودين، لا بد أنه... ينفجر!... هذا ما كانت تفعله قبل أن يظهر بيني رويال. لقد أرسلت إليه أوامر أن يدمر نفسه.."

وأومض النجم الجديد كزينة احتفالات ميلاد كويرك، ثم بدأ في التلاشي.

وفي ذات اللحظة إنهار سقف المنزل محدثا ضجيجا عارما، وانتشرت شرر اللهب، و إندلعت موجة جديدة من الألم تعصف بقلب توم، أكثر سوءا من الموجة السابقة، وسقط توم على ركبتيه وقد أدرك أن هذه هي نهايته. وركضت هيستير نحوه

ولفت ذراعيها حوله، وسمعها تصرخ بأعلى صوتها : "بيني رويال... بيني رويال.."

بلغ بيني رويال حوض الإرساء أخيرا، ورأى الصبي يهرع نحوه من بين أشجار الصنوبر . حتى هنا كان وهج النيران المنبعث من المنزل المحترق يضيء كل شيء، وتألق الغلاف الفضي لليخت السماوي مع انعكاسات الضوء البرتقالية.

لوح بيني رويال بالمفتاح وهو يسارع نحوه .. وقال ". لا يوجد ما نخشاه الآن، لقد قمت بالإجهاز على المطارد. كل ما تطلبه الأمر أداة من الطراز القديم."

ثم أنه فتح زورق المنطاد وهرع إلى داخله، وتبعه الصبي. كان اليخت من طراز "سيرابيس صن بيم"، مثل اليخت الذي كان يملكه في برايتون. فتوجه إلى مقعد القيادة وبسرعة فتش عن فتحة المفتاح إلى أن وجدها تحت عجلة التحكم الرئيسية، فدس المفتاح فيها، و بدأت الأضواء تتلألأ، و أظهرت المقاييس أن اليخت نصف مزود بالوقود والغاز، وبعد محاولتين بدأت المحركات في العمل.

"أولا يجب أن أتوجه لأخذ أصدقائي" قالها بيني رويال، وكان يعني ما قال فعلا؛ فبعد كل ما عاناه معًا ، شعر أن توم وهيستير صديقان له حقًا، رفاقه، و كان مصمما على إنقاذ توم.

"لا." قالها فيش كيك ببرود من ورائه

"ماذا؟، اه، لا بأس يا بني، لا يوجد خطر الآن."

"انطلق الآن بعيدا" قالها الصبي، ومن وراء مقعد الملاح لف يده ووضع نصل سكين المستكشفين الخاص ببيني رويال على عنقه، وقال "لقد سبق وتركاني وحدي"

وفي الحديقة، سمعت هيستير صوت المحركات إذ تهدر وتقلع، فصاحت "إنه قادم يا توم، المنطاد قادم"

لكن توم لم يسمع سوى كلمة " منطاد"، وبينما بدأ الألم والشعور ينسربان منه، رأى تلك السفن اللامعة إذ تحلق مغادرة " سالتهوك "، في عصر ذاك اليوم، حين افترست لندن المدينة منذ زمن طويل.

و ارتفع اليخت السماوي فوق الحديقة، واندفعت سحب عادم المحرك تتخلل شعر هيستير و تؤجج النيران المندلعة في المنزل المحترق ليستحيل آتونا مستعرا. ورفعت هيستير عينيها لأعلى، و رأت ذلك الوجه إذ يطل عليها من إحدى نوافذ الزورق، إنه فيش كيك، كان يحدق بها بنظرة ادركتها على الفور، نظرة إنتصار. وللحظة شعرت بالأسف تجاهه إزاء كل الأشياء التي رآها ومر بها، وكل الأميال الطويلة التي قطعها من أجل الانتقام. ثم إنه التفت من النافذة وصرخ بشيء في بيني رويال، وارتفع اليخت، متجهًا بعيدًا نحو الجبال.

وشعرت هيستير حينها أنه لا يوجد مخرج هذه المرة.

ثم إنها فكرت من جديد... هناك مخرج، دائما هناك واحد...

وهكذا، سحبت السكين الطويل الرفيع الخاص بفيش كيك من حزامها، ووضعته بجوارها، ووهج النيران ينعكس عليه.... مدخل صغير إلى خارج العالم.

انحنت هيستير على وجه توم تقبله، وكان نصف واع حينها، لكنه لم يكن يدرك الموجودات من حوله، و تداخلت في عقله الذكريات والواقع؛ وقد حسب نفسه راقدا فوق الأرض العراء خارج لندن حين سقط منها في ذلك اليوم منذ زمن بعيد. لكنه لم يكن يكترث الآن طالما أن هيستير معه وإلى جواره، تتمسك به وترعاه، وشعر كم هو محظوظ أن يحبه أحدهم لهذه الدرجة، أن يحبه شخص قوي، شجاع، جميل مثلها.

وكان آخر ما شعر به شفتيها إذ تقبلانه قبلة الوداع، وآخر ما سمعه صوتها الرفيق الأجش إذ تهمس :

“سيكون كل شيء على ما يرام يا توم. أينما ذهبنا الآن، و أيًا كان ما سيحدث، سنبقى معًا، وسيصير كل شيء على ما يرام”

***

53. الشفق

كان الظلام لا يزال دامسا حين وصلوا إلى أوينون، ومن النافذة الصغيرة في الغرفة التي وضعوها بها كان النسيم محملا برائحة الرماد، بينما الأرض تهتز اهتزازات خفيفة، شعرت بها خلال نومها، فيما كانت أصوات الانهيارات لا تكف عن التردد عبر الوادي قادمة من باتمونخ جومبا وتتسلل إلى أحلامها.

نهضت أوينون، وغسلت وجهها بالماء البارد، ثم تلت صلواتها وقد حسبت أنهم جاءوا ليأخذونها إلى الموت. ولكن عندما قادوها إلى أسفل الدرج، وجدت الضابط ثين يقف في انتظارها، وقد بدا منهكا ومصاب بالدوار قليلا، وزيه الرسمي ملطخا.

"ناجا قد مات" قالها الضابط، وهو يحدق في أنفها المكسور والكدمات التي انتشرت حول عينيها.

إذا كان ناجا قد مات - هكذا راحت تفكر - فلا بد أن "ثين"، وهو أكبر الضباط في باتمونخ جومبا، سوف يحاول الاستيلاء على السلطة لنفسه، ولن يرغب في أن تبقى موجودة تذكر الناس بالرجل الذي بات يحل محله في الحكم...

"تعالي معي من فضلك" قالها ثين، فتبعته إلى الخارج، إلى شرفة، حيث الرياح الباردة . وهناك كانت السماء الجنوبية عبارة عن جدار من الظل تتبدى من ورائه أضواء خافتة ناتجة عن التوهج الأحمر للبركان. ومن مكان ما داخل المبنى ترددت أصوات الراهبات ، وارتفع صوت الترانيم في كل مرة تهتز فيها الأرض. و في الفناء أسفل الشرفة، رأت أوينون مئات الوجوه تنظر إلى الأعلى بترقب، جنود وطيارو العاصفة الخضراء، وكذلك لاجئون من تينجين.

شعرت أوينون بالتوتر أمام ذلك الحشد، لكنها لم تكن خائفة من الموت، فهناك في السماء ينتظرها المسكين ناجا، وكذلك والدتها ووالدها، وشقيقها، كل هؤلاء الذين أحبتهم وفقدتهم، وسبقوها إلى الأعالي .

"ما رأيك في ذلك؟" سألها ثين. و كان ينظر نحو الأعلى أيضًا، وأدركت أن القوم في الفناء لم يكونوا يحدقون فيها، بل في شيء ما فوقها، في الأعلى، فوق أسطح الدير، فوق الجبال. فهناك، في المساحات الصغيرة من السماء التي كانت لا تزال

صافية، كانت المئات من النجوم المتساقطة، بيضاء وخضراء وزرقاء جليدية.

"ما رأيك في ذلك؟" سألها ثين من جديد، و أدركت أوينون أنه يرغب في معرفة رأيها العلمي. فراحت تلعق شفتيها اليابستين، ثم :

"إنها.. إنها أشياء تتساقط في الغلاف الجوي العلوي."

"أهي مزيد من الأسلحة؟" سألها ثين بصوت يتبدى فيه الرعب، فوقفت أوينون تحدق في السماء للحظة وتفكر، ثم قالت :

"لا، لا، بالعكس، أعتقد أن تلك النجوم شيء جيد. أظن أن شيئا ما كبير انفجر في مداره، وأن تلك النجوم ليست سوى شظاياه المحترقة"

" أهو سلاح المدن؟، هل تعتقدين أنه تم تدميره؟"

"لم يكن سلاحهم.." قالت أوينون، وهمت أن تشرح له نظريتها عن المطارد فانج وأنها المتحكم في هذا السلاح، وأن المطارد جريك لا بد أنه وجد محطة التحكم وقام بتدميرها، لكنها تراجعت، وقد ارتأت أنه من الأفضل أن تحتفظ بالأمر طي الكتمان؛ فلو أن المدن المتحركة علمت من الذي وجه ذلك السلاح ضدهم فسوف يفضي ذلك إلى مزيد من القتال. ولهذا فقد اكتفت بالقول أن :

" أحد الأسلحة المدارية القديمة وقع بها خلل ما أفضى لكل هذا. فلندع الرب أن يكون الأمر قد انتهى عند هذا الحد"

أومأ ثين، ثم إنه مد يده نحو سيفه، فحسبت أوينون أنه على وشك قتلها، فقد عرف منها مايريد معرفته ولم يعد بحاجة إليها، فأغلقت عينيها ووقفت في استسلام تنتظر لحظة النهاية، وسمعت رنين النصل الطويل إذ يخرج من غمده، ثم... صوت رنين المعدن فوق الأرض الحجرية.

فتحت أوينون إحدى عينيها، ثم الأخرى، فوجدت ثين راكعا أمامها وقد وضع سيفه عند قدميها، و في الفناء كان الجميع راكعين أيضًا، وقد أحنى الجنود رؤوسهم، رافعين أياديهم في التحية الرسمية للعاصفة الخضراء: القبضة إلى راحة اليد.

"ماذا يفعلون؟" سألته أوينون في حيرة "وماذا تفعل أنت؟"

“دُمِرَت جيوشنا..” قال ثين “و تحطمت مدن الهمجيين، وأمسى العالم في فوضى عارمة. إننا في حاجة إلى من يقودنا عبر طرق جديدة، وأنا لست الرجل المناسب لذلك”

ثم إنه وقف من جديد، وأخذ أوينون من ذراعها برفق إلى مقدمة الشرفة، بحيث يتمكن الجميع في الفناء من رؤية قائدهم الجديد.

***

كان اليخت الجوي على بعد بضعة أميال فقط من باتمونخ جومبا، حين تعطلت محركاته، فترجل فيش كيك عنه وقرر أن يستأنف طريقه سيرا على الأقدام، تاركا بيني رويال وحده.

أما المستكشف العجوز فقد بقي يحاول إعادة تشغيل المحركات، لكن دون جدوى، فقد تسبب الرماد الكثيف في انسداد مداخل الهواء للمحركات.

وهكذا وجد نفسه مضطرا للترجل والسير هو الآخر، على ضوء زخات النيزك المتساقطة عبر الأفق الشمالي، إلى أقرب قاعدة للعاصفة الخضراء. و هناك حاول الاستسلام، لكن العاصفة كانت في حالة من الارتباك بحيث لا ترغب في أن تزيد أعبائها بسجين من أبناء المدن المتحركة.

“على الأقل أرسلوا مركبة إلى “إردن تزج”” قالها بيني رويال في توسل، “.. ربما لا يزال أصدقائي هناك! لقد كانت المحطة الأرضية للسلاح هناك !، المطارد فانج هي من يتحكم في السلاح...”

“لا أحد يتحكم في ذلك السلاح..”، قالتها قائد القاعدة وهي تلوح بالبيان الذي جاءها من باتمونخ جومبا للتو، “أرملة ناجا تقول أن واحد من الأسلحة المدارية القديمة حدث به خلل وقام بتدمير العديد من المواقع عشوائيا”

“ولكن..”

“أنت حر يا بروفيسور، يمكنك الذهاب”

ومضت أشهر إلى أن تمكن بيني رويال من إيجاد طريقه للعودة إلى مورناو؛ وخلال ذلك استطاع المستكشف استثمار وقته جيدا واستغل فترات الانتظار الطويلة

في الموانئ الجوية الإقليمية والقوافل لكتابة أعظم أعماله على الإطلاق : "جيوش جاهلة"، وفي هذا الكتاب تحرى بيني رويال الصدق لدرجة مدهشة، بالنظر إلى طبائع الرجل وكتاباته السابقة، بل إنه، عبر صفحات الفصل الأول من الكتاب، اعترف بكل أكاذيبه السابقة، وتوخى الدقة قدر الإمكان في سرد الحقائق وما رآه وفعله في "إردن تزج".

ولكن عندما وصل أخيرًا إلى ساحة الصيد، وجد نفسه في عالم يتغير بسرعة.... ارتد سكان المدن المتحركة إلى الحالة البدائية الوحشية بشكل سريع، وندرت الفرائس من حولهم، لدرجة أن حتى أقوى المتحمسين للداروينية البلدية باتوا يتشككون في مدى قدرة هذا النظام على الصمود. كان التحول سريعا وهائلا، وراح الناس يبحثون عن سبل جديدة للعيش؛ وحتى مورناو، المدينة المتحركة العريقة، صدمت الجميع بقرارها الاستقرار فوق قمة تل غرب "راست ووتر" والتحول إلى مدينة ثابتة. وانتقل اللاجئون من زان شان للعيش هناك، وراحوا يساعدون أهل مورناو على زراعة الحقول وإنبات المحاصيل.

وأبقى العجوز فون كوبولد على عدد قليل من ضواحيه الحصادة، وكذلك على قوات جوية بقيادة أورلا تومبلي، تتحرك حول أطراف أراضيه وتبعد أي مفترسين يحاولون الاقتراب.

وبشجاعة، توجه بيني رويال إلى ناشريه القدامى في مورناو، لكنهم رفضوا أن يمسّوا كتابه الجديد، وقالوا أنه بعد فضح " سبيني" لأكاذيبه لن يصدق أحد أي حرف مما قد يقوله نيمرود بيني رويال؛ و على أية حال، قد بات الطحلبيين أصدقاء لأبناء مورناو الآن... أولم يسمع عن المعاهدة التي وقعها فون كوبولد مع أرملة ناجا ؟ .... وبالمناسبة، أين الدفعة المالية المقدمة التي دفعوها له مقابل كتابه السابق؟، وهكذا عادوا يطاردونه قانونيا، وقضى بيني رويال عشرة أشهر في السجن، يصدع رءوس زملائه السجناء بقصص لا تنتهي من مغامراته الرائعة. إلى أن اجتمع بعض من أصدقائه القدامى من "موونز" ودفعوا ديونه، فخرج من سجنه ورحل عن مورناو بعيدًا إلى بيريباتشيابوليس، حيث كانت إحدى صديقاته السابقات، "مينتي بابسناك"، لا تزال تكن له محبة، وعاش سنواته الأخيرة في بيتها لا يمكن القول بأنها كانت غير سعيدة، ولكن حتى "مينتي" لم تأخذ روايته عما حدث في "إردن تزج" على محمل

الجد، ورفضت إقراضه المال الذي يحتاجه لنشر كتابه " جيوش جاهلة".

***

لم ير فيش كيك النجوم المتساقطة، حيث كان في تلك الاثناء يسير تحت غطاء الدخان الكثيف من زان شان . وكان قد تجاوز باتمونخ جومبا في الظلام، وسار لأيام وأيام، على طرق ملئى باللاجئين والرماد، لكنه كان الشخص الوحيد الذي يسافر باتجاه البركان. و كان الجناح الشرقي للجبل قد انهار، و الناس الذين عاشوا تحته يفرون، وقد سمع منهم حكايات عن مدن بأكملها دفنت تحت الحجارة، ومدن بأكملها جرفت. لكن المنحدرات الغربية، على الرغم من الاهتزازات، لم تتضرر بشدة. و عندما وصل فيش كيك فوق التلال، رأى الصومعة الصغيرة في الأسفل سالمة كما هي، والماشية في مرعاها تأكل بالات القش ، بينما أعلام الصلاة ترفرف فوق الضريح عند رأس الممر.

ومضى فيش كيك قدما نحو الصومعة، على أقدامه العارية النازفة، إلى أن بلغ الباب، فانهار مغشيا عليه على الدرج، لتجده ساذيا في صباح اليوم التالي عندما خرجت لتحلب الأبقار، فاقدا الوعي، ممسكا بالحصان الصغير الذي صنعه له المطارد في يده.

وقد عاش فيش كيك مع ساذيا لسنوات، وكبر بين الممالك الجبلية حتى صار شابا قويا وسيما، ونسي الكثير من الأمور الفظيعة التي مرت به في طفولته، لكنه لم ينس أبدا ما فعله في "إردن تزج". ولم يخبر أحدا بما حدث هناك، فقد كان هذا سره الخاص، و لسنوات طوال كان يشعر بالفخر لكونه نفذ قسمه وانتقم من هيستير ناتسوورثي وأرسلها هي وزوجها إلى الأرض التي لا تشرق عليها الشمس؛ ولكن، ومع توالي الأيام، وبعدما صار رجلا ناضجا وتزوج وأنجب، وراح يشاهد أولاده يلعبون أمامه بالحصان الخشبي الصغير الذي صنعته له آنا، خارج صومعة والدته بالتبني، لم يعد ير الأمور على هذا النحو.

وخلال تلك السنوات، حكمت أرملة ناجا أراضي العاصفة الخضراء، وراحت تدفع بقوة باتجاه السلام، وتنشر سياسة التسامح مع الأعداء القدامى. وفي كثير من الأحيان كان فيش كيك يتمنى لو أنه تحلى بقدر أكبر من التسامح مع آل ناتسوورثي

وسمح لهما بالرحيل معه على متن اليخت الجوي. لكنه كان يعود فيقول لنفسه أنه على الأقل لم يقتلهما بيديه، وإنما جعلهما يشعران بما شعر حينما تخلا عنه يوما ؛ على أية حال لقد كانا قاسيين وماكرين، ولا بد أنهما وجدا سبيلهما للنجاة.

زاجوا

الخامس والعشرين من أبريل عام 1027،

[عزيزتي آنجي، إنه لمن الصعب تصديق أن أربعة أشهر كاملة قد مرت منذ أن تركناكم في ذلك التجمع في "فروست بارينز" ! و ما يقرب من عام على ولادة " نيو لندن" !!. أتمنى أن أكون و ثيو معكم للانضمام إلى احتفالات عيد ميلاد المدينة، لكننا لن نكون مستعدين لمغادرة زاجوا قبل بضعة أسابيع .

آمل أن تكون أمور التجارة تسير بشكل جيد هناك في الأراضي الجليدية، سمعت أنكم تبيعون الكثير من الكراسي ذات تقنية الرفع المغناطيسي لأهالي المدن الجليدية، وأن محركات تشيلدرماس تبقيكم بعيدًا عن فكي المفترسين ! .

أكتب إليك هذا الخطاب في الحديقة في منزل والدي ثيو، من شرفة جميلة تطل على الوادي، تحت شمس الغروب. المكان جميل هنا، والسيد والسيدة نجوني وكايلو وميريام كلهم لطفاء للغاية وودودين، ويبدو أنهم قد تقبلوا فكرة أن ثيو سيتزوج من فتاة من المدن وأنه سيعيش في السماء.

التاجر الجوي الذي جئنا إلى هنا على متن مركبته، توقف في الطريق في إيرهيفن للتزود بالوقود والغاز. وعندما توجهت إلى البنك هناك، خمني ماذا وجدت؟... لقد صرت ثرية !. لقد نسيت الخمسة آلاف التي دفعها لنا فولف كوبولد مقابل رحلته إلى لندن، لكني فوجئت بالمبلغ محفوظا في حساب جيني هانيفر. وقد شعرت بالذنب قليلاً بشأن الاحتفاظ بهذا المبلغ، لكنني عدت وقلت لنفسي أننا قد كسبنا تلك الأموال بطريقة مشروعة وعادلة، حيث أخذنا فولف إلى لندن كما طلب، وليس ذنبنا أنه حاول افتراس المدينة . على أي حال، لقد أنفقت بالفعل بعض من تلك الأموال في شراء منطاد خاص بي، يتم تجهيزها حاليا في ميناء زاجوا. لقد تحولت إلى طراز Achebe 1000، ونخطط لتسميتها " جيني هانيفر 2"، و عندما نعود إلى الوطن، سوف نعمل في التجارة تحت اسم " نجوني وناتسوورثي من نيولندن، موردو أثاث الرفع

المغناطيسي Mag-Lev إلى طبقة النبلاء" .... التجارة تنتعش من جديد مع الشرق، بعد أن انتهت العاصفة الخضراء وعقدت جماعة الحكم الجديدة السلام مع المدن. ومن يدري، ربما نعبر المحيط إلى أمريكا، وأرى أصدقائي القدامى ومنزلي القديم في أنكوراج بفينلاند، وأحكي لهم كل ما مر بنا من أحداث. وبالطبع سوف نأتي من حين لآخر إلى زاجوا.

تلقى ثيو خطابا من أرملة الجنرال ناجا، والحق أنه أمر لطيف خاصة وأنها قد باتت الآن الحاكم لجماعة مناهضي التحرك ولديها الكثير جدا من المهام على عاتقها. وقد أخبرته في رسالتها أن أمي والسيد جريك قد وصلا باتمونخ جومبا بصحبتها في الليلة التي سبقت تدمير زان شان، وأنهما أنقذا والدي وفرا به على متن الجيني هانيفر، إلا أنها لاتدري إلى أين توجهوا، ولكن تم العثور على حطام مركبة محترقة ذات محركات من طراز Jeunet-Carot لاحقًا في وادٍ في إردن شان . وقالت أنني، إذا أردت، يمكنني التوجه إلى هناك لزيارة المكان الذي ماتا فيه، مؤكدة أن ذلك سيكون من دواعي سرورها. لكنني لا أرغب في الذهاب، صحيح أنني أشعر أنهما قد ماتا بالفعل، ولكن ليس في ذلك المكان، حتى لو كان الحطام في إردن شان هو حطام الجيني هانيفر، إلا إنني أشعر في قرارتي أنهما لم يموتا هناك، بل ذهبا إلى مكان آخر لا يعلمه أحد، ولن يعلمه أحد أبدا. لكني أحب أن أتخيلهما وقد سلكا مسارات الطيور، غرب الشمس، فيما وراء القمر، وراحا يحلقان معًا عبر السماوات البعيدة، يخوضان المغامرات الرائعة. وفي بعض الأحيان، أجد نفسي دون قصد، أنظر إلى الأعلى، كما لو كان جزءا مني لا يزال يتوقع أن يرى جيني هانيفر يخرج من خلف سحابة أو من وراء جبل، ويعيدهما إلى المنزل ...

والآن، ها هي الشمس قد غربت تماما، وارتفع القمر في السماء، وها هو ثيو يأتي مسرعا عبر الدرج قادما من البيت، ليخبرني أن العشاء قد بات جاهزا، ولهذا سأنهي خطابي هذا، على أمل أن يصلك قريبا.

مع حبي لكل لندن

رين.)

***

54. جريك في العالم القادم

وصل جريك متأخرا، وراح يركض مثل الشبح عبر الجبال، إلى أن بلغ "إردن تزج" قبل الفجر بقليل، حيث كانت شظايا الانفجار المداري تملأ السماء.

وكان منزل المطارد فانج قد استحال خرابا، وراح الرماد والبقايا المتفحمة والدخان الأبيض ينتشرون عبر الحديقة.

و في غرفة مليئة بالآلات المتفحمة، وجد بقايا جريك بقايا المطارد فانج، فتوجه نحوها وركع بجوارها . كان الجزء الذي صنعه المهندس من دماغها قد توقف تماما عن العمل، لكنه لاحظ رجفة كهربائية خافتة في الجزء الآخر، الأقدم، فقام بفصل أحد الكابلات عن جمجمته ووضعها في منفذ في جمجمتها، وراحت ذكرياتها تنسرب إلى عقله . وحين انتهى كانت الشمس قد عاودت الشروق، فعاد إلى الحديقة، وفي ضوء النهار رأى توم وهيستير، هناك، بالقرب من النافورة. لقد مر من جوارهما حين دلف إلى المنزل، لكنه لم يلاحظهما في الظلام الدامس، ولم يشعر حتى بوجودهما، إذ كانا باردين تماما، مثل الحجارة التي رقدا فوقها .

ركع جريك على ركبتيه إلى جوارهما، وبحرص شديد سحب السكين التي غرستها هيستير في قلبها، وقد حسب أن بوسعه، إذا تحرك بالسرعة الكافية، أن يحملها إلى باتمونخ جومبا، إلى حيث تقوم أوينون زيرو بتحويلها إلى مطارد. لكنه ما إن حملها و هم برفعها، حتى وجد كفها متشبث بكف توم بقوة، و أدرك أنها قد وضعت كفها في كفه وهي تحتضر، وماتت على هذا الوضع.

لو كان باستطاعة المطاردين البكاء، لبكى في تلك اللحظة، فقد أدرك الآن أن تلك هي النهاية المثلى لها، وأنها لا ترغب في أن يأخذها من ذلك الوادي الهادئ، أو أن يفصلها عن الفاني الذي أحبته.

وهكذا نهض جريك وحملهما سويا، وأخذهما بعيدا عن المنزل المنهار. وبينما هو يعبر بهما الجسر، استدعى ثقل جثمانيهما ذكرى باهتة في رأسه، فحسبها في البداية من ذكريات آنا فانج التي تشربها مؤخرا، لكنه سرعان ما أدرك أنها ذكرياته هو، تأتيه من زمن سحيق، قبل أن يصبح مطاردا... لقد كان لديه أطفال يوما ما، وحين كانوا ينعسون أثناء اللعب، كان يحملهم إلى أسرتهم، وكانوا يرقدون بين ذراعيه تماما مثل

يرقد توم وهيستير الآن .

كانت الذكرى قصيرة ومجتزأة لكنها جاءته بمثابة هدية، دفعة أولى من ذكريات ماضيه الذي وعدته أوينون زيرو أنها ستعود إليه عند موته القادم والذي قالت إنه لن يحدث قبل وقت طويل جدا، لأنه قد صنع ليبقى ويدوم.

ثم إنه وجد مكانًا عند قمة الوادي، حيث يصب النهر في شلال أبيض من فوق نتوءًا صخريًا نمت فوقه شجرة بلوط قصيرة، ذكرته بما حكته له هيستير عن الجزيرة التي نشأت عليها وهي طفلة صغيرة .

وهناك، أرقدهما جريك، جنبا إلى جنب، يدا بيد، وقد تقارب وجهيهما، وللمرة الأخيرة أخرج مخالبه من غمدها وراح يقطع عنهما ملابسهما المبتلة، و فك حذاءيهما وأحزمتهما التي ما عادا في حاجة إليها. وكان هناك كهف صغير عند سفح الصخور القريبة، فتوجه إليه وجلس بداخله، وراح يراقب وينتظر، ويفكر فيما عساه يفعل في عالم ليست به هيستير.

وفي ذلك المساء هبط عدد من المناطيد عند المنزل المحترق، ثم رحلوا بعد حين.

وتوالت الأيام على الوادي في "إردن تزج"، وفي ضوء الشمس بدأ جسدي توم وهيستير في الانتفاخ، وقد تراكم عليهما الذباب، وراحت الديدان والحشرات تتغذى عليهما، والطيور الجوارح تأكل أعينهما وألسنتهما. ثم سرعان ما جذبت رائحتهما الثدييات الصغيرة التي كانت تقاسي الجوع في ذلك الصيف الكئيب. و في الكهف القريب بقي جريك، وقد أغلق أنظمته واحدة تلو الأخرى حتى لم يتبق سوى عيناه وعقله فقط. وفي موضعه راح يتابع تحلل الجسدين وتحولهما إلى هيكلين، و جماجمهما العارية تميل معًا مثل بيضتين يحيط بهما عش من الشعر الرطب. و حل الشتاء، وراحت الثلوج تتساقط عليهما وتغطيهما، ثم جاءت أمطار الربيع لتغسل عظامهما وتنظفها . وبحلول الصيف التالي كان العشب قد نما كثيفًا وخضراءً تحتهما، ومن بين أضلاع هيستير نمت شجيرة بلوط صغيرة.

ومرت السنوات، وتعاقبت الفصول، ما بين ثلوج ناصعة، وخضرة زاهية، و تناثرت العظام الصغيرة لأيديهما وأرجلهما بين العشب كالنرد، أما العظام الأكبر فقد تكفلت بها الثعالب، وتحولت بقايا العظام إلى اللون الرمادي . و نمت شجيرة البلوط حتى صارت

شجرة كبيرة تلقي بظلالها الخضراء الكثيفة في الصيف على جريك، و تتساقط ثمارها لتتحول إلى شتلات شجيرات جديدة، ثم تشيخ وتتعفن وتموت مفسحة المجال للشجيرات الصغيرة...

وغرق جريك في سكونه، وعبرت به النجوم، وتوالت عليه الفصول، وصارت الشجيرات أشجارا، والأشجار غابات، تكتسي غصونها العارية بالأوراق الخضراء، التي تتحول بعد حين إلى صفراء، ثم تنفض عنها أوراقها لتعود عارية، لتكتسي بالأوراق الخضراء، فالصفراء،.....

وفي إحدى الأيام، تبدت هيئة بشرية أمامه، وراحت تنحني مرارا لتضع شيئا ما حول عنقه. وبجهد جهيد تمكن جريك من إيقاظ نفسه وإعادة تشغيل أنظمته، وبدأ يدرك الموجودات من حوله، وتباطأت تتابع الأيام والفصول عليه ليتوقف عند تلك اللحظة، ذلك الصباح الصيفي، حيث اللون الأخضر يتألق على أشجار البلوط القديمة. وقد زينت أكاليل الزهور جذع جريك، بينما تساقطت بقايا الأكاليل القديمة الجافة على ساقيه الذين كستهما الطحالب . وكانت أكتافه مغطاة بالسراخس، و في ثنية ذراعه بنى طائر عشا له . أما توم وهيستير فلم يتبق منهما سوى القليل من الغبار بين جذور الأشجار .

كانت قطعان الماعز تتحرك عبر الغابة، و الأجراس الصغيرة في أعناقها تدق بصوت خفيف مع حركاتها . و جاء صبي صغير فان ووقف يتطلع إلى جريك، وبصحبته فتاة أصغر سنا، وكانا ذوي بشرة صفراء لوحتها الشمس، و عيون بنية، وشعر أسود مغبر.

ومن حنجرة كساها الصدأ نطق جريك : "مرحبا"

فأجفل الصبي وفر هاربا، أما الفتاة فبقيت حيث هي، وأخذت تتحدث إليه بلغة لا يعرفها. ثم ذهبت بعد حين وقطفت بعض من الزهور الزرقاء النامية بين أشجار البلوط، ثم عادت إليه، ومن الزهور صنعت له تاجاً.

ثم عاد أخوها من جديد إلى الكهف، ودخل بحذر وقد اتسعت عيناه خوفا. ثم جاءته الفتاة ببعض الزيت وراحت تدلك مفاصله، إلى أن تمكن من تحريكها...

ونهض جريك أخيراً من جلسته الطويلة تلك، وراح ينفض عن نفسه الحصى

والعشب والسراخس وخيوط العناكب وعش الطير والطحالب؛ ثم أمسكت الفتاة بيده، وقادهما شقيقها عبر الوادي وسط قطيع الماعز، إلى أن توقفوا في قرية، و جاء شخص بالغ من الفانين، وراح يحدق في جريك ويلكزه بالعصي ومقابض أدوات الزراعة البدائية، ثم أخذ يتحدث مع الصبي والفتاة، و تدريجيا بدأ جريك يفك رموز لغتهم. لقد كانوا يحسبونه مجرد تمثال قديم وضع في ذلك الكهف، وكانوا يضعون الزهور حول رقبته كل صيف جلبا للحظ، حين يخرجون بقطعان الماعز إلى المراعي، وقد ظلوا حريصين على تلك العادة منذ زمن أمهات أمهاتهم. ثم إنهم أخذوه إلى حيث عربة، و مضوا به على طريق ممهد عبر القرية. كانت الشمس أكثر احمرارًا مما يتذكره جريك، وكان الهواء أكثر نقاءً، والمناخ الجبلي ألطف. كانت بلدة تقع في وادٍ مشجر؛ و تساءل جريك عما إذا كان أصدقاؤه الجدد يعرفون أن جدرانها المعدنية القديمة مصنوعة من آثار مدينة متحركة، وأن بعض نقاط المراقبة الدائرية تلك ذات اللون البني الصدئ كانت عبارة عن عجلات .

كان يبدون أناسًا بسطاء، وحسب جريك أن مجتمعهم لا يملك آلات على الإطلاق، لكن عندما مروا به عبر بوابات المدينة، رأى سفنًا جوية صغيرة من الخشب والزجاج تحلق من أبراج حجرية طويلة، وكذلك أقراص فضية، أشبه ما تكون بمرايا غائمة تدور حول جوانبها السفلية ينبعث من تحتها ضباب حراري.

ثم انهم أخذوه إلى حيث مقر كبير يقع في قلب المدينة، و احتشد الناس من حوله يطرحون الأسئلة: ما كنه هذا الكائن؟... منذ متى كان نائما؟ .... هل هو أحد الرجال الآليين الذين ذكرتهم القصص القديمة؟ ....، و لم يكن لدى جريك إجابات. وفي المقابل راح يسألهم عما إذا كان لا تزال هناك مدن تتحرك وتطارد وتفترس بعضها البعض؟.. فضحك الفانون من حوله وقالوا بالطبع لا يوجد شيء كهذا، ولم يوجد قط سوى في القصص الخيالية وراحوا يتضاحكون ويرددون : من ذا الذي يرغب في العيش في مدينة متحركة؟ إنها فكرة مجنونة.

ثم سأله أحدهم أخيرا، وكان فتى تقدم نحوه من بين الحشد : "لأي غرض أنت؟"

فنظر نحوه جريك متفكرا، وقد تذكر شيئا كان دكتور بوب جوي قد قاله للمطارد فانج، ثم أجاب :

“أنا آلة تَذَكُّر”

“وماذا تتذكر؟”

“أتذكر زمن المدن المتحركة... أتذكر لندن، وأركانجيل، أتذكر ثاديوس فالانتاين وآنا فانج، أتذكر هيستير وتوم”

وقف الحشد يتطلع إليه وقد تجلت في عيونهم نظرات عدم الفهم، وقال أحدهم :

“ومن يكون هؤلاء؟”

“لقد كانوا يعيشون منذ زمن بعيد جدا، لكنه يبدو لي الأمس فقط”

نظرت إليه الفتاة الصغيرة التي عثرت عليه، وقالت : “احكها لنا”

و من حولها تبسم القوم وأومئوا مستحسنين الفكرة، وهكذا، جلسوا جميعا من حوله على الأرض متربعين، في انتظار القصص والحكايات التي حملها لهم من الماضي الضائع.

وللحظة شعر جريك بالخوف، إذ لم يكن يعرف من أين يبدأ وكيف...

وفوق كرسي أحضروه له، جلس جريك وأجلس الفتاة الصغيرة على حجره، و الغبار يتراقص في ضوء الشمس التي راح نورها يتدفق مثل العسل عبر نوافذ القاعة الطويلة. ثم إنه التفت نحو الوجوه المنتظرة للفانين، وبدأ الحكي :

“كان يومًا غائما عاصفا من أحد أيام فصل الربيع، حيث تحركت مدينة لندن تطارد بلدة تعدين صغيرة عبر القاع الجاف لبحر الشمال القديم ...”

***